

الفصل الثاني

السرقات العلمية عند الابن عبد الله بن محمد سعيد رسلان

ويشتمل على خمسة أبواب

الباب الأول : سرقته لكتاب (البيان الحاوي لضلالات يوسف القرضاوي) لمؤلفه علي أبي هنية .

الباب الثاني : سرقته لكتاب (منهاج المسلم الصغير في أحاديث البشير النذير) لمؤلفته أم إبراهيم المصرية.

الباب الثالث : سرقته لكتاب (فتاوى كبار علماء الأزهر حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور) تقديم محمد يسري.

الباب الرابع :سرقته مقدمة كتاب (شرح السنة للبربهاري) لمحققه خالد الردادي .

الباب الخامس :سرقته كتاب (التوحيد للناشئة والمبتدئين) تأليف عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.

الباب الأول

سرقته لكتاب (البيان الحاوي لضلالات يوسف القرضاوي) لمؤلفه علي أبي هنية [1]

وصف السرقة :

- قام عبد الله رسلان بسرقة كتاب(البيان الحاوي لضلالات يوسف القرضاوي) لمؤلفه علي أبي هنية كاملا .
- قام بسرقة اسم الكتاب مع تقديم وتأخير فسماه (الحاوي في بيان مخالفات القرضاوي).
- قام بسرقة الحواشي والتحقيقات والمراجع بأرقام صفحتها .
- قام بزيادة فصل (القرضاوي والسلفيين) وهذا ليس في الكتاب الأصلي.
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) و(دار القران الكريم) .
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفا واحدا منه لصاحبه ولم يشر إليه قط .
- قام صاحب الكتاب بالرد على سارق كتابه وطالبه بالتوبة ورد الحقوق إلى أهلها.
- قام صاحب الكتاب بمطالبة رسلان بأن ينهى ولده عن تلك السرقات وأن ينصفه من ابنه.
- قام رسلان بتزكية ولده بعدة تزكيات ما بين مسموع ومكتوب وذلك بعدما رد صاحب الكتاب على ولده.

(1) لتوثيق هذه السرقة ينظر الرابط التالي على اليوتيوب https: / /www.youtube.com /watch?v=k8 8PsbHnck8



قال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله :
((إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)) رواه مسلم

البيان الحاوي لضلالات يوسف القرضاوي

جمع وإعداد:

أبي عبد الله

علي بن محمد أبو هنية

الحاوي

في بيانِ مخالفاتِ القرضاوي

تأليف

أبي محمد عبد الله السبكي

دار القرآن الكريم للطباعة والنشر والتوزيع

دار الفرقان للنشر والتوزيع

غير مقروء اليوم, 04:20 PM #1

علي بن محمد أبو هنية علي بن محمد أبو هنية غير متواجد حالياً
نائب المشرف العام
تاريخ التسجيل: Jan 2009
المشاركات: 441

افتراضي تحذير أهل الإيمان من اللّص السّفيه (ابن الشيخ رسلان) !!

تحذير أهل الإيمان من اللِّص السّفيه (ابن الشيخ رسلان) !!

أو

المقامة اللُّصوصيّة (صبُّ الحارق على السّارق)

الحمد لله ذي النعم الكافية، الذي لا تخفى عليه خافية، والصلاة والسلام على نبينا محمد صاحب الكلمات الشافية، التي أذاب بها القلوب القاسية الجافية، وعلى آله وصحبه أهل قرون العافية، والاستقامة الوافية.

أما بعد:

فهل أتاك نبأ الخائن السارق, الولد الأحمق المارق, السفيه الخفيف, الذي تقمّص -فجأةً- التصنيف! والذي وثب من اللعب بالحارة, إلى التأليف بالسطو والإغارة، ابن رسلان الذي يحسب نفسه ذا شان, وما هو إلا لص, وسارق شِص..

لبس عباءة العلماء، وحشاها بالمكر والدهاء، تصنع بالعلم والخير، وأغار على كتب الغير، يسرق على قانون إبليس, ويسير على سنن المفاليس، ونشالة الأوتوبيس! عييّا إذا حكى، تمساحاً إذا بكى، كذاباً إذا شكى، هذا الولد السفيه، الأحمق الأرعن، الذي غرّه مكانة أبيه، الذي يسرق تعب غيره ويتقرصن.. يا مسيكين! على الله ما أجراك، أتحسب أنه لا يراك, فإلى متى يا هذا، تتعدى على غيرك ولماذا، فإن كنت تظن نفسك ذا بصيرة، فإن حبال الكذب قصيرة، وليست هذه لك بأول باقعة، فسرقاتك -فيما بلغني- مشهورة ذائعة، ألم تسمع أيها الأبله المغرور، قول نبيك -صلى الله عليه وسلم-: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"؟

أم لم يبلغك يا خليل المكر ورضيع الكيد، ما قاله الشيخ بكر أبو زيد: "رابعاً: تحريم السرقة والانتحال: المعروف باسم "قرصنة الكتب". ومرد هذا إلى قواعد الإسلام الكلية وأصوله التشريعية وجهود العلماء في كشف غارات السارقين وعبث الوراقين وأن هذا مسلك من لم يتحمل أعباء العلم ولم يلجأ منه

إلى ركن وثيق، فأراد أن ينتج قبل أن ينضج، لكنه احترق، لكشف العلماء لسرقته وانتحاله وسطوه واختلاقه". فقه النوازل **(2/129)**

أم لم تطّلع أيها المؤلِّف الخارق! على كتاب السيوطي: (الفارق بين المصنف والسارق)، وكأنه تعثر في زمانه بمثلك من السّراق، فأرغمه ذلك على ما سطّر من الأوراق، بقلم فذٍّ راق، ونفس رقراق، فاللصوصية صنعة موروثة، ونفس شريرة مبثوثة، ولكن بمثلك يا ابن رسلان، لا يجود كل زمان، ولا يسنح كل أوان..

فيا هذا! من سرق احترق، وأدركه الغرق، ولم يجد ما ينجي به نفسه يوم يلجمه العرق، أولم تسمع أيضاً إلى ما قال الإمام الرباني، وشيخ الإسلام الثاني، صاحب العلم والفضل والمزية، العالم النحرير ابن قيم الجوزية، في كتابه المتين: "إعلام الموقعين" **(3/344)**؟

وقد ذكر الشيخ بكر أبو زيد بوّأه الله رفيع المنازل، في كتابه الفذ (فقه النوازل) قصة ظريفة عنون لها بقوله: لطيفة: "ومن لطيف الاستطراد في ذلك أن أحد الشعراء من السودانيين النزلاء المقيمين في جدة أنشد قصيدة له أعدها لحفل سيقام, وبينما هو يتغنى بها ليثقف أوزانها ويهذب ألفاظها, وإذا بأحد المجاورين له يسمعه ويكتب على حين غفلة منه حتى استوعبها كتابة فسجل اسمه في الحفل وسعى حتى قدمت قصيدته في البرنامج فلما ألقاها أصيب أخونا السوداني بالذهول فاعتذر عن إلقائها..".
فقه النوازل **(2/131)** .

فيا أيها الغِرّ الغوي، إما أن تتوب وترعوي، وتكف عن فعلك المشين، من التعدي على حقوق المسلمين، أو انتظر سهام الليل التي لا تخطئ، وعن غرضها لا تبطئ، فسارع إلى الرجوع سارع، يا من ذنوبك تصارع, فالاعتذار مسموح، وباب التوبة مفتوح..

وليت شعري, ولست أدري, وليتني أدري؟ أعَلِم أبوك بهذا الصنيع, وقبح ما تقدّم من الرجيع، ولا أدري ما أقول وما أتكلم، فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم، ففي الأولى فهو يؤوي محدثاً في رحله وداره, وفي الثانية فهو ساكت عن باطل ابنه وراض بأوزاره غير كاره, ولكنني أخشى ما أخشاه, وهذا ما لا أرجوه ولا أتمناه, أن يلبّس الابن العاقّ على أبيه الأوراق, ويوهمه أنه من أصحاب الفنّ, فيحسّن به الظنّ, ويخرج له تزكية منمقة, مرموقة مزوقة, ويقول: إنما هم قوم حُسّاد, وجماعة من الأوغاد, فحينئذٍ نفسَه يضر, والشر إليها يجر, ولكنّ ظنّنا بالأب حسن, وإن كان الابنُ صاحبَ فتن, فاللهم بصّر الشيخ به لينتبه, ولا تدع الأمر عليه يشتبه..

فيا فضيلة الشيخ إن ابنك هذا لا يُسكت عن قبيح فعاله, ولا يتغاضى عن مشين أقواله, فهلا رأيناك مدركاً لحاله, منقذاً له من مستنقع أوحاله, وهلا عرفت ما لديه, فأخذت على يديه, وإلا جيّش عليك المسالح, وكان عملاً لك غير صالح, وقلّل هيبتك بين أهل الفضل والعلماء, وقال لك: "سآوي إلى جبل يعصمني من الماء".

أما بعد:

فقد نمي إلي من طريق الأخ الفاضل أحمد الاسكندراني, بلغه الله سؤله ونوّله الأماني, ما فعله هذا الولد المائع الغاوي, الذي يحتاج في رأسه إلى ضربة بالكاوي, من سرقة كتابي "البيان الحاوي لضلالات يوسف القرضاوي", فتفاجأت لذلك, ونظرت واستفسرت عما هنالك, فإذا به قد سرقه منذ سنتين تأكيداً, وتأليفي له منذ ثمان سنوات تحديداً, مع أن كتابي ذائع مشهور, وعلى الشبكة منشور, منذ سنين وشهور, والعجيب أنه سرقه برمته, غاشاً بذلك لنفسه وأمته, فسرق فصوله ونقوله بنفسية غليظة قاتمة, ولم يستثن منه مقدمة ولا خاتمة, والخطيئة تقحّم وهو يعلم, وحتى العنوان منه لم يسلم, فأخّر فيه وقدّم, ولكن للحق نقول إنصافاً لقسمه, فقد تعب الولد في كتابة اسمه, بل المضحك المبكي, أنه سمى نفسه السبكي,ولولا ألطاف الله الخفيّة, لسمّى نفسه الخاطئة الذهبيّ أو ابن تيميّة! ولا أدري أهو هروباً من الانتساب لوالده, حتى لا تحسب خطيئته على تالده, أم أن الأمر لا يخصّ أباه, وإنما إذا روجع في ذلك نفاه, أم أن هذا الحرامي, يريد أنه يوهم القارئ أنه رجل عصامي لا عظامي!

ومما يضحك الثكالى عند هذا اللكع, أنه كتب: (حقوق الطبع محفوظة) على ما طبع! وكأنه صاحب حقوق! ولا أستطيع إحصاء ما سرق مني من النقول, ولن أقف عند كل عبارة سرقها فالأمر يطول, بل ما فعله أشد وأفظع, فقد سرق الكتاب أجمع, لهذا أحببت بيان حقيقة هذا الولد السفيه وانحرافاته الدائمة, حتى لا يتضرر به أحد بعدي ولا تقوم له قائمة, ولا حاجة بي إلى كثير كلام, فسأترك الحكم لأخي القاري والسلام.

* * * * *

وختاماً لا يفوتني أن أشكر الأخ الفاضل إبراهيم زاهدة من قبل ومن بعد؛ على ما قام به من تنسيق ونشر كتابي عبر شبكة الإنترنت سابقاً, وعلى إعداد الروابط في هذا المقال الذي كشف حقيقة هذا اللص المحتال.
فجزاه الله خير الجزاء, وكفاه كل مكروه وبلاء..

والشكر موصول -كذلك- للأخ أحمد الإسكندراني النبيه على التنبيه, ومن معه ممن لا أعلمهم ممن ساعده وعاونه في تصوير الكتاب المسروق, للتأكيد والوثوق, وليظهر ما بينهما من انتفاء الفروق, وكذا من قام بإعداد المقطع المرئي المرسل إلي.
فجزاكم الله خيراً جميعاً وعافانا الله وإياكم من السرقة العلمية واللصوصية باسم العلم وتحت عباءة السلفية!!

كتبه: علي أبو هنيّة الفلسطيني الأثري -غفر الله له ولوالديه-

مساء الأربعاء: 10/5/1434هـ
الموافق: 20/3/2013م

رد مع اقتباس

الباب الثاني

سرقته لكتاب (منهاج المسلم الصغير في أحاديث البشير النذير) لمؤلفته أم إبراهيم المصرية[(١)]

وصف السرقة

- قام عبد الله رسلان بسرقة كتاب(منهاج المسلم الصغير في أحاديث البشير النذير) كاملاً لمؤلفته أم إبراهيم المصرية
- قام بسرقة اسم الكتاب مع تقديم وتأخير فسماه (منهاج المسلم الصغير في حفظ أحاديث البشير)
- قام بسرقة الأحاديث بأرقامها في الكتاب
- قام بزيادة بعض الأحاديث في كل فصل من فصول الكتاب الأصلي
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) و(دار المعارج)
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفاً واحداً منه لصاحبته ولم يشر إليها قط

---

(١) لتوثيق هذه السرقة ينظر الرابط التالي على اليوتيوب https: / /www.youtube.com /watch?v=mrz٦KzosZtk

منهاج المسلم الصغير

في حفظ أحاديث البشير

أحاديث البشير

جمع وترتيب

أبي محمد عبد الله بن

محمد بن سعيد بن رسلان

الطبعة الشرعية المعتمدة الوحيدة

دار المعارج

دار الفرقان

منهاج المسلم الصغير

من

أحاديث

البشير

النذير

جمع وترتيب:

أم ابراهيم المصرية

تقديم وإشراف

أبو ابراهيم أحمد بن نصر الله المصري

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية تليفون : ٥٩٨١٨٧٥

الباب الثالث

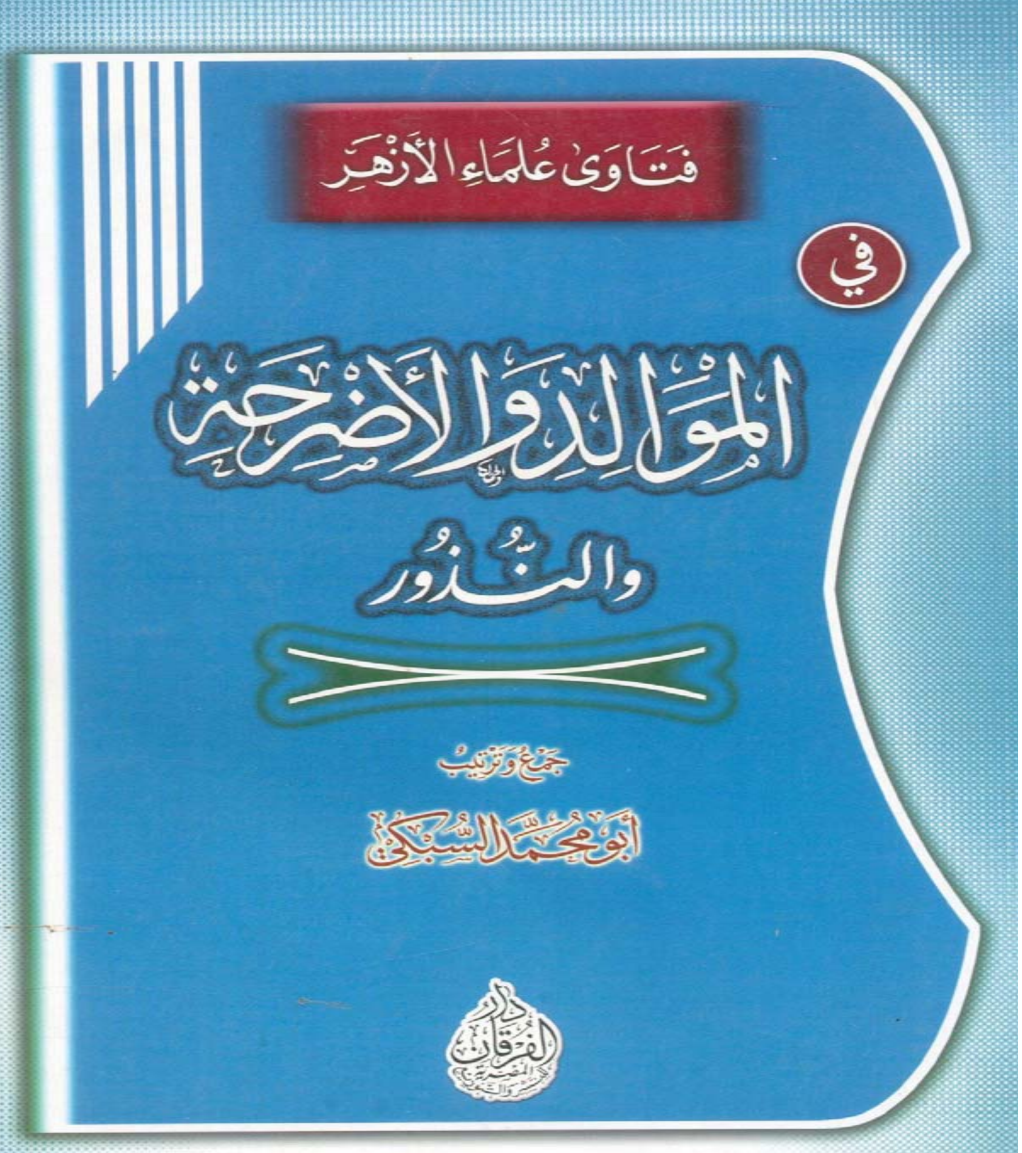
سرقته لكتاب (فتاوى كبار علماء الأزهر حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور) تقديم محمد يسري[(١)]

وصف السرقة :

- قام عبد الله رسلان بسرقة كتاب(فتاوى كبار علماء الأزهر حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور) كاملاً تقديم محمد يسري .
- قام بسرقة اسم الكتاب مع تقديم وتأخير فسماه (فتاوى علماء الأزهر في الموالد الأضرحة والنذور) .
- قام بسرقة الحواشي والتحقيقات وتراجم الأشخاص والمراجع بأرقام صفحتها.
- قام بزيادة مقدمة طويلة منقولة من الكتاب الأصلي.
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) .
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفًا واحداً منه لصاحبه ولم يشر إليه قط.

---

(١) لتوثيق هذه السرقة ينظر الرابط التالي على اليوتيوب ٠ https: / /www.youtube.com /watch?v=pBGRYKhpXW


فتاوى علماء الأزهر
في
الموالد والأضرحة
والنذور
جمع وترتيب
أبو محمد السبكي
دار الفرقان


فتاوى
كبار علماء الأزهر الشريف
حول
الأضرحة والقبور والموالد والنذور
تقديم
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله شاكر الجنيدي
أستاذ العقيدة الإسلامية
نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الستار فتح الله سعيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى
فضيلة الشيخ الدكتور
محمد يسري إبراهيم
رئيس مركز البحوث وتطوير المناهج بالجامعة الأمريكية المفتوحة
رئيس مجلس إدارة مركز فجر للغة العربية

الباب الرابع

سرقته مقدمة كتاب (شرح السنة للبربهاري) لمحققه خالد الردادي[1]

وصف السرقة :

❁ قام عبد الله رسلان بسرقة مقدمة كتاب (شرح السنة للبربهاري) كاملة لمحققه خالد الردادي

❁ هذه المقدمة اشتملت على ترجمة للامام البربهاي ووصف لكتاب شرح السنة ووصف للمخطوطة التي اعتمد عليها المحقق في إخراج الكتاب

❁ وضع هذا السارق هذه المقدمة كاملة في كتابه (إتحاف القاري بترتيب وتهذيب شرح السنة للبربهاري)

❁ قام بسرقة الحواشي والتحقيقات وتراجم الأشخاص والمراجع بأرقام صفحتها

❁ قام بسرقة كلام المحقق عن وصف المخطوطة التي اعتمد عليها في إخراج الكتاب مع أن هذا السارق لم ير هذه المخطوطة بعينه

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب المشتمل على تلك المقدمة المسروقة في مكتبة (الفرقان) و(الإمام البربهاري)

❁ نسب المقدمة لنفسه ولم ينسب حرفاً واحداً منها لصاحبها ولم يشر إليه قط

(١) لتوثيق هذه السرقة ينظر الرابط التالي على اليوتيوب https: / /www.youtube.com /watch?v=b1NKma9MBwo

إتحاف القاري

بترتيب وتهذيب

شرح السنة للبربهاري

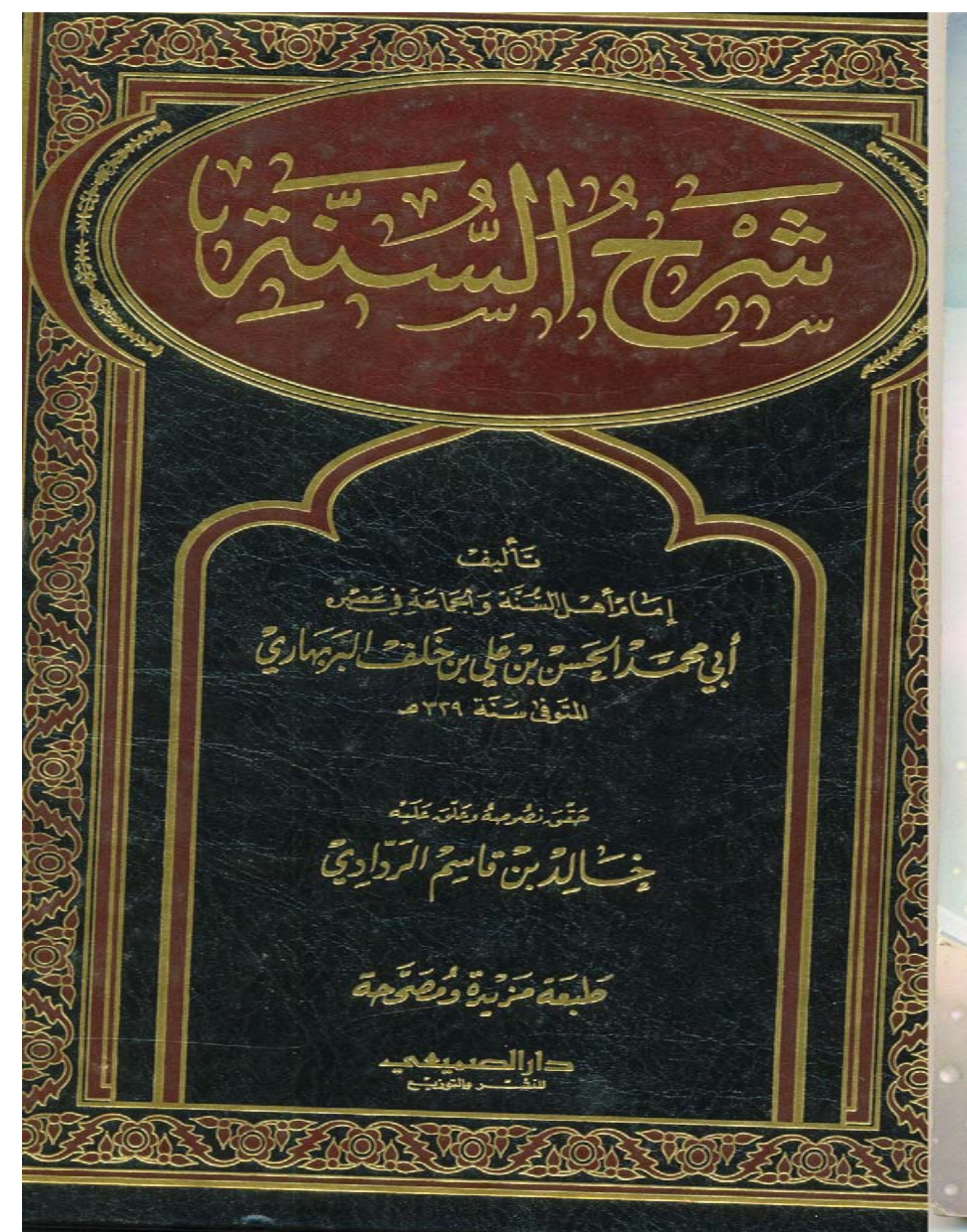
للإمام

أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري

المتوفى سنة ٣٢٩هـ

قرأه ورتبه وهذبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد رسلان



الباب الخامس

سرقته كتاب (التوحيد للناشئة والمبتدئين) تأليف عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف[(١)]

وصف السرقة :

❁ قام عبد الله رسلان بسرقة كتاب(التوحيد للناشئة والمبتدئين) كاملاً تأليف عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف .

❁ قام بسرقة اسم الكتاب مع تقديم وتأخير فسماه (س،ج في تعليم العقيدة للناشئة والمبتدئين)قام بسرقة الأحاديث بأرقامها في الكتاب .

❁ قام بجانب سرقه هذا الكتاب بسرقة عدة سرقات وهي

١ سرقة أجزء من كتاب (كتاب التوحيد) للعلامة الفوزان.

٢ سرقة مقال على الانترنت بعنوان (ضرورة تعليم العقيدة للناشئة) لكاتبه بندر الرباح.

٣ سرقة مقال على الانترنت بعنوان (أهداف التربية الإسلامية للأطفال) لكاتبه أحمد سمير .

٤ سرقة مقال على الانترنت بعنوان (خصائص أهل السنة) للشيخ عبد الله عبد المحسن التركي.

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) و(الإمام البربهاري).

❁ نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفاً واحداً منه لأصحابه ولم يشر إليهم قط.

---

(١) لتوثيق هذه السرقة ينظر الرابط التالي على اليوتيوب https: / /www.youtube.com /watch?v=vTHg2bm6r24


٤٦٨
التوحيد
للناشئة والمبتدئين
تأليف
د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف
طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
على نفقة مؤسسة إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم الخيرية
المملكة العربية السعودية
س و ج
في تعليم العقيدة للناشئة والمبتدئين
جمع وترتيب
أبو محمد عبد الله بن محمد سعيد رسلان

الفصل الثالث

السرقات العلمية عند الأب محمد بن سعيد رسلان

ويشتمل على ثلاثة عشر بابا :

الباب الأول :السرقات العلمية في كتابه (دعائم منهاج النبوة).

الباب الثاني: السرقات العلمية في كتابه(تمييز العلماء من المفكرين والخطباء).

الباب الثالث: السرقات العلمية في كتابه (لا إله إلا الله).

الباب الرابع: السرقات العلمية في كتابه (الرد على المطموس الكذاب).

الباب الخامس: السرقات العلمية في كتابه (حقيقة ما يحدث في مصر).

الباب السادس: السرقات العلمية في كتابه (شرح أصول السنة).

الباب السابع: السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب نواقض الإسلام).

الباب الثامن: السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب الجامع لعبادة الله وحده).

الباب التاسع: السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب مذكرة التوحيد).

الباب العاشر: السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد).

الباب الحادي عشر: السرقات العلمية في كتابه (شرح القواعد الأربع).

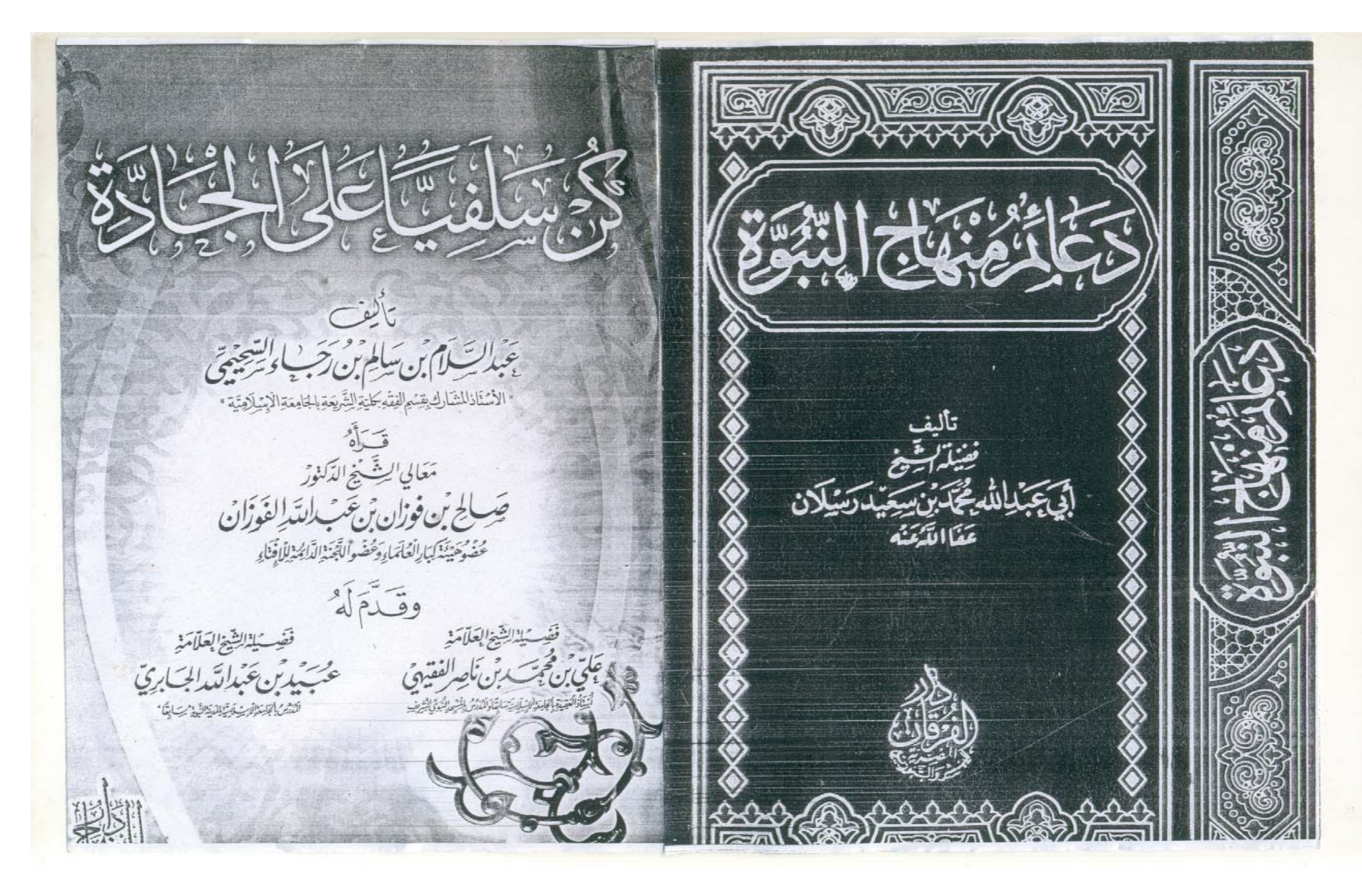
الباب الثاني عشر: السرقات العلمية في كتابه (شروط «لا إله إلا الله « ونواقض « الإسلام «)!!!.

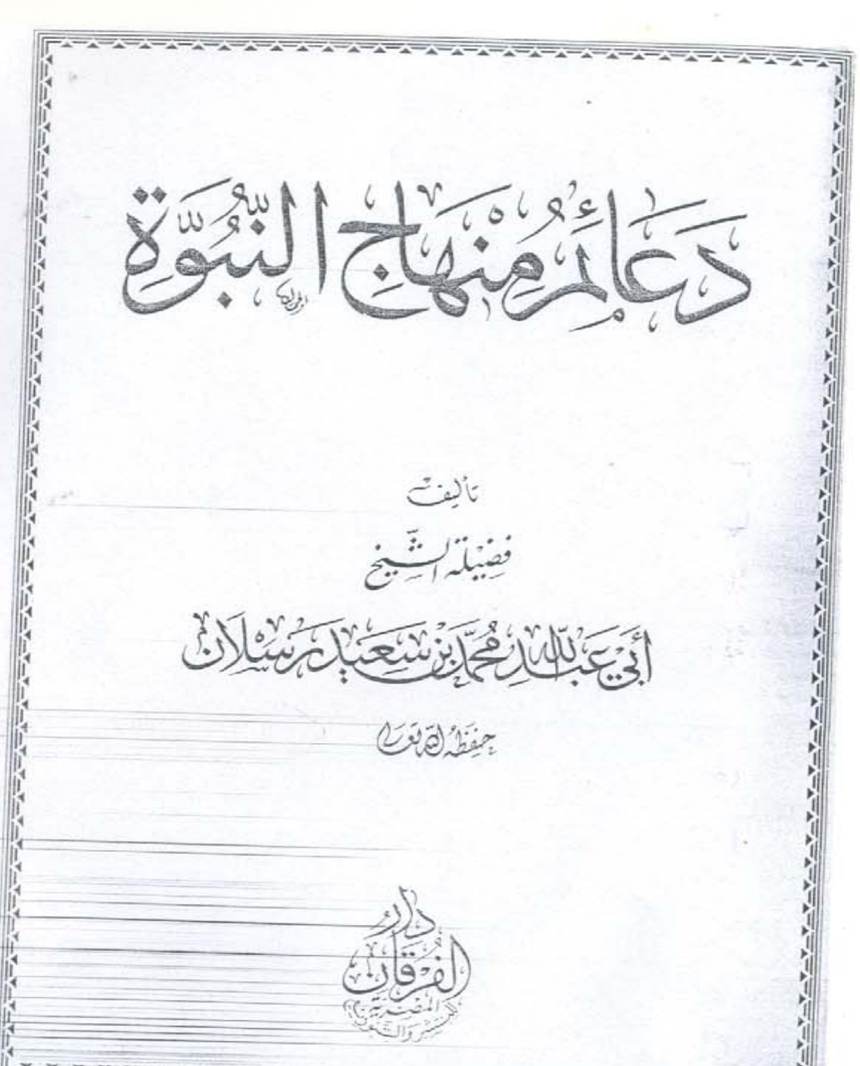
الباب الثالث عشر :بعض أمثلة من السرقات العلمية في الخطب والدروس والشروح التي لم تطبع بعد.

الباب الأول
السرقات العلمية في كتابه (دعائم منهاج النبوة)

وصف السرقة:

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (كن سلفيا على الجادة)للشيخ عبد السلام السحيمي فقام بسرقته كاملا لفظا وفكرة أصلا وحواشي
- قام بتضخيم هذا الكتاب من خلال زيادات ونقولات
- قام بتقديم وتأخير وتغيير وتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة
- وضع لهذا الكتاب بعد التعديل اسما جديدا فسماه (دعائم منهاج النبوة)
- تمثل هذه السرقة نصف الكتاب تقريبا والنصف الآخر لم أقف إلى الآن على مصدره
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفًا واحداً منه لصاحبه ولم يشر إليه قط
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب عدة طبعات في مكتبة (الفرقان)


كن سلفياً على الجادة
تأليف
عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي
"الأستاذ المشارك بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية"
قرأه
معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
وقدم له
فضيلة الشيخ العلامة
علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله الجابري
دعائم منهاج النبوة
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
عفا الله عنه
دار الفرقان



دعائم منهاج النبوة

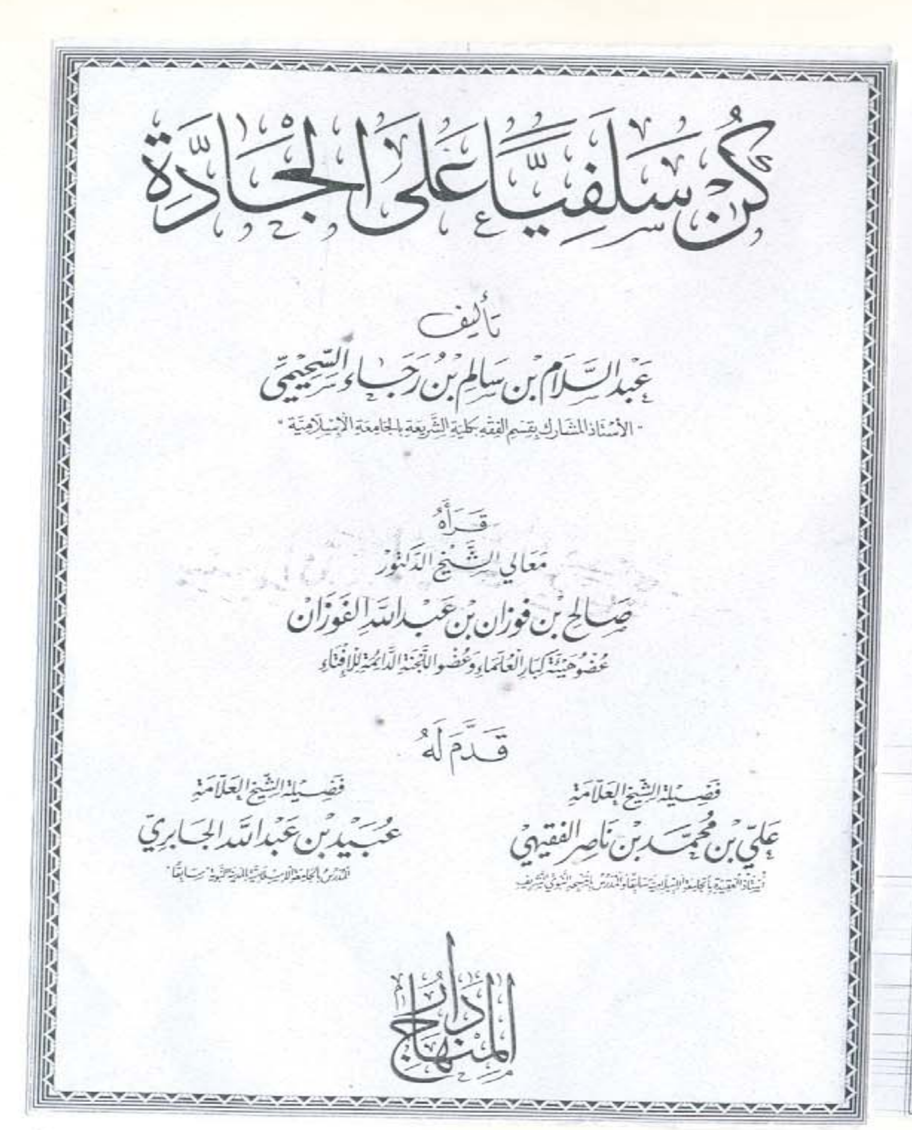
تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

دار الفرقان



كن سلفياً على الجادة

تأليف

عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي

"الأستاذ المشارك بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية"

قرأه

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة

علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

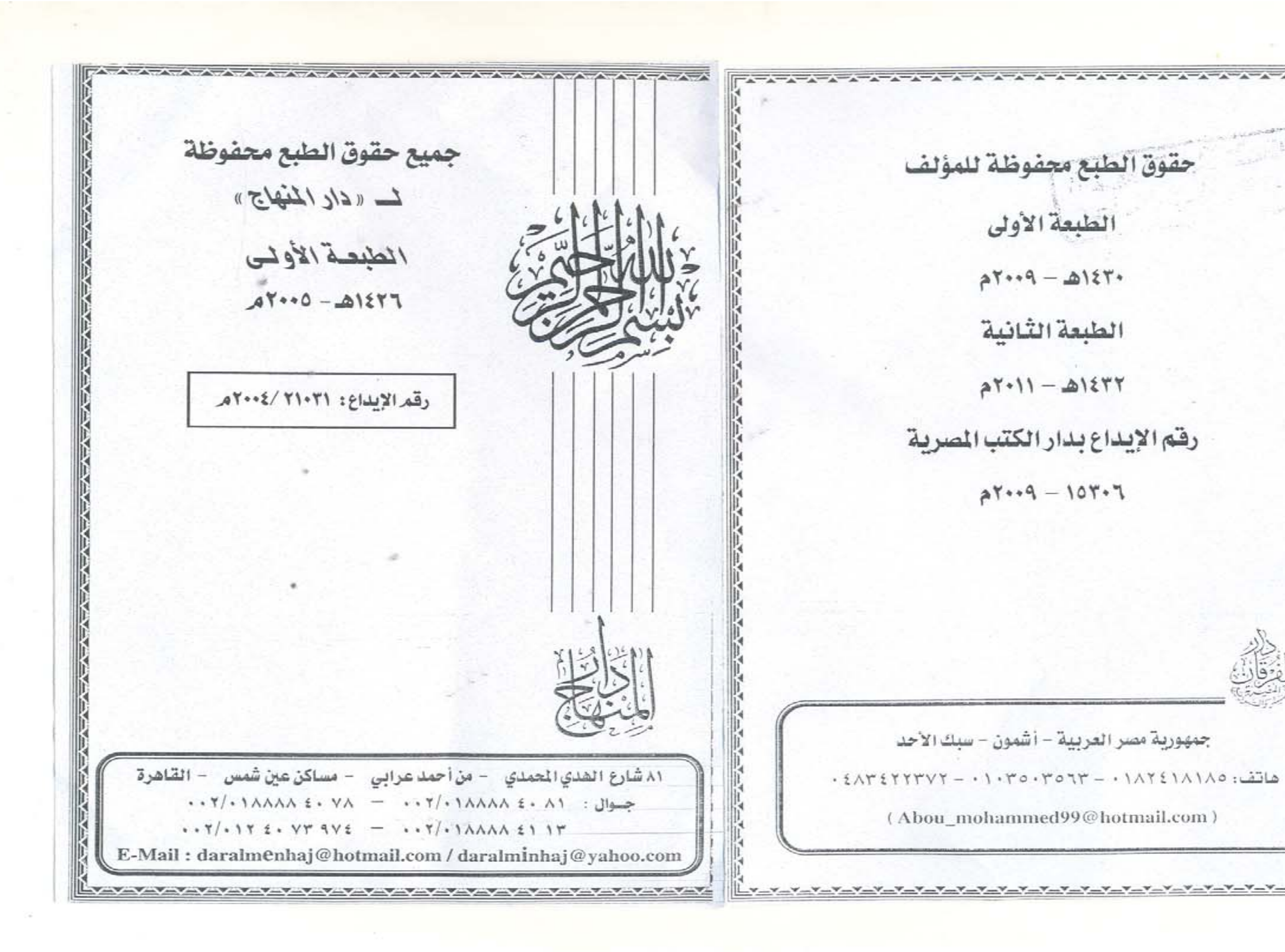
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية سابقاً والمدرس بالحرم النبوي الشريف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله الجابري

"المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً"

دار المنهاج



الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطبعة الثانية

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٥٣٠٦ - ٢٠٠٩م

دار الفرقان

جمهورية مصر العربية - أشمون - سبك الأحد

هاتف: ٠١٨٢٤١٨١٨٥ - ٠١٠٣٥٠٣٥٦٣ - ٠٤٨٣٤٢٢٣٧٢

(Abou_mohammed99@hotmail.com)

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢١٠٣١ /٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

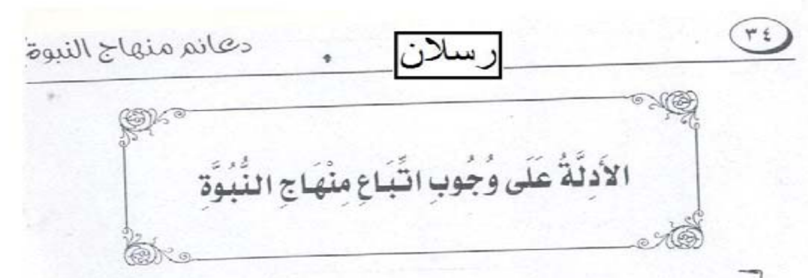
دار المنهاج

٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جوال: ٠٠٢/٠١٨٨٨٨ ٤٠ ٨١ — ٠٠٢/٠١٨٨٨٨ ٤٠ ٧٨

٠٠٢/٠١٨٨٨٨ ٤١ ١٣ — ٠٠٢/٠١٢ ٤٠ ٧٣ ٩٧٤

E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com / daralminhaj@yahoo.com



رسلان

الأَدِلَّةُ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

إِنَّ الأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ وُجُوبِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعَلَىٰ وُجُوبِ لُزُومِ مَذْهَبِهِمْ كَثِيرَةٌ، وَهَذَا بَيَانُ بَعْضِهَا:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

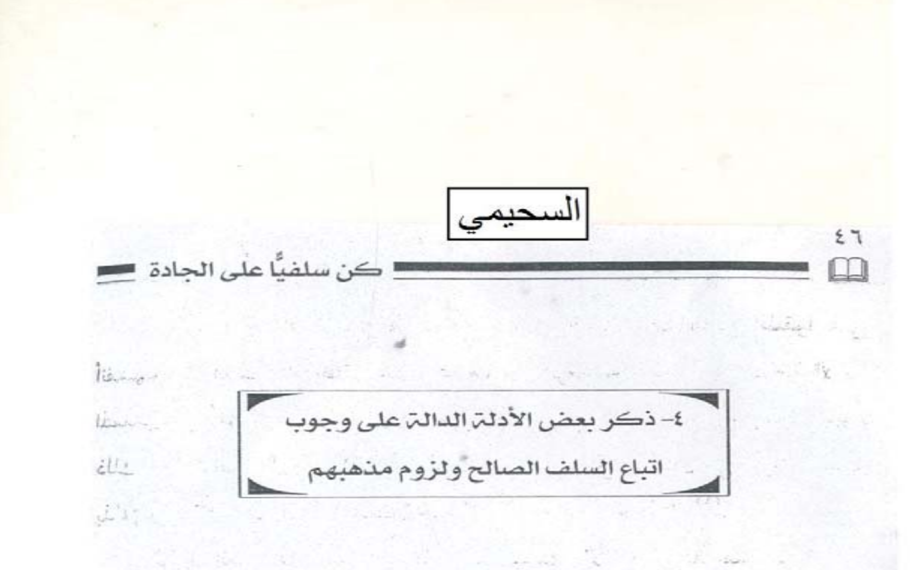
فَأَمَرَنَا اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاقْتِفَاءِ أَثَرِهِمْ وَسُلُوكِ مَنْهَجِهِمْ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَمَا ذَكَرَ هَذِهِ الآيَةَ: «وَكُلٌّ مِنَ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ.

وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ مِنْ أَكْبَرِ سَبِيلِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مُنِيبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ هَدَاهُمْ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]»(١).

٢ – وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– مِنْ مُخَالَفَةِ سَبِيلِهِمْ، وَتَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ مُخَالِفَهُمْ بِجَهَنَّمَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

(١) «إعلام الموقعين» (٥/٥٦٧).


السحيمي

٤- ذكر بعض الأدلة الدالة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]. فقد أمرنا الله ﷻ باتباع سبيل أصحاب رسول الله ﷺ واقتفاء أثرهم وسلوك منهجهم:

قال الإمام ابن القيم بعدما ذكر هذه الآية: وكلٌّ من الصحابة منيب إلى الله تعالى فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، وحذرنا الله ﷻ من مُخالفة سبيلهم، وتوعد سبحانه مُخالفهم بجهنم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

رسلان

٣- وَأَخْبَرَنَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ رِضَاهُ عَمَّنِ اتَّبَعَ الأَصْحَابَ بِإِحْسَانٍ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ العَظِيمَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

السحيمي

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن رضاه عمن اتبعهم بإحسان، وأعدَّ لهم الثواب العظيم، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

رسلان

٩- أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوا سُنَّتَهُ وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، فَقَالَ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بَعْدِي،

تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

السحيمي

وكما أنه توعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم؛ فقد وعد متبع سبيلهم بالجنة والرضوان.

وأمر النَّبي ﷺ أمته بأن يتبعوا سنته، وسنة الخلفاء من بعده.

فقال ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الْخُلفاء

الراشدين الْمَهديين من بعدي، تَمسكوا بِها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة». رواه أحمد، وأبو داود.

رسلان

١٠- وَقَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ

دعائم منهاج النبوة ٤٣

يَلُونَهُمْ»[1].

وَوَجْهُ الاستدلَالِ بِالحَدِيثِ أَنَّهُ أَخبَرَ ﷺ أَنَّ خَيْرَ القُرُونِ قَرنُهُ مُطلَقًا، وَهَذَا يَقتَضِي تَقدِيمَهُم فِي كُلِّ بَابٍ مِن أَبوَابِ الخَيرِ، وَإِلَّا لَو كَانَ خَيرًا مِن بَعضِ الوُجُوهِ دُونَ بَعضٍ فَلَن يَكُونُوا خَيرَ القُرُونِ مُطلَقًا.

١١- وَوَصَفَ ﷺ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ فِي حَدِيثِ الافْتِرَاقِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2].

فَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- فَهُوَ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الوَعِيدِ لَا مَحَالَةَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

السحيمي

وقال ﷺ: «خير الناس قرني، ثُمَّ الذين يلونهم، ثُمَّ الذين يلونهم...». الحديث.

ووصف ﷺ الفرقة الناجية في حديث الافتراق بقوله ﷺ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». فمن كان على مثل ما كانوا عليه فهو من الفرقة الناجية، ومن خالفهم وابتعد عنهم فيكون من أهل الوعيد.

رسلان

بَعْضُ الآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّمَسُّكِ بِمنهاجِ النُّبوَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»(١).

وَقَالَ: «إِنَّا نَقْتَدِي وَلَا نَبْتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، وَلَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالأَثَرِ»(٢).

وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فَتَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سُنَّةٍ وَخَيْرٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ»(٣).

السحيمي

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم».

وقال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تَمسكنا بالأثر».

وقال أُبي بن كعب ﷺ: «عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرَّحْمَن؛ ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سنة وخير، خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة».

رسلان

قَالَ الأَوزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالقَوْلِ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنجَلِي وَأَنتَ عَلَى طَرِيقٍ مُستَقِيمٍ»[1].

وَأَهلُ السُّنَّةِ يَحتَجُّونَ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي العَقِيدَةِ، وَلَا يُفَرِّقُونَ فِي ذَلِكَ بَينَ المُتَوَاتِرِ وَالآحَادِ، وَمَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِم مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَقَالٌ فَلَا يُورِدُونَهَا لِلتَّأصِيلِ، وَإِنَّمَا لِلاستِئنَاسِ، كَمَا أَنَّهُم يُورِدُونَهَا بِأَسَانِيدِهَا.

وَيَتَلَخَّصُ مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي العَقِيدَةِ فِي هَذِهِ الأُمُورِ:

١- حَصْرُهُمْ مَصْدَرَ التَّلَقِّي فِي بَابِ الاعْتِقَادِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَ فَهْمِهِمْ لِلنُّصُوصِ فِي ضَوْءِ فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَيَتَلَقَّوْنَ العَقِيدَةَ

٢- يَحْتَجُّونَ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي العَقِيدَةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ مُتَوَاتِرَةً أَمْ آحَادًا، لَا كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ، يَقُولُونَ: إِنَّنَا لَا نُثْبِتُ

٣- التَّسْلِيمُ بِمَا جَاءَ بِهِ الوَحْيُ، وَعَدَمُ رَدِّهِ بِالعَقْلِ، وَعَدَمُ الخَوْضِ فِي الأُمُورِ الغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا مَجَالَ لِلعَقْلِ فِيهَا، مَعَ عَدَمِ الخَوْضِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ وَالفَلْسَفَةِ، وَرَفْضُ التَّأْوِيلِ البَاطِلِ، وَالجَمْعُ بَيْنَ النُّصُوصِ فِي المَسْأَلَةِ الوَاحِدَةِ.

السحيمي

٥- منهج السلف في العقيدة

❊ **يتلخص منهجهم فيما يلي:**

١- حصرهم مصدر التلقي في باب الاعتقاد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهمهم للنصوص على ضوء فهم السلف الصالح.

٢- احتجاجهم بالسنة الصحيحة في العقيدة، وسواء كانت هذه السنة الصحيحة متواترة أم آحادًا.

٣- التسليم بما جاء به الوحي، وعدم رده بالعقل، وعدم الخوض في الأمور الغيبية الّتي لا مَجال للعقل فيها.

٤- عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة.

٥- رفض التأويل الباطل.

٦- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة[1].

رسلان

[العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ؛ عَقِيدَةُ الصَّحَابَةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- مُسْتَقَاةٌ مِنَ النَّبْعِ الصَّافِي؛ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَعِيدَةٌ عَنْ جَمِيعِ الأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ.

المُتَمَسِّكُ بِهَا يَكُونُ مُعَظِّمًا لِكِتَابِ اللهِ، وَلِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِهَا وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّ كُلَّ مَا فِيهَا حَقٌّ وَصَوَابٌ.

قَالَ الإِمَامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، لَمْ يُوضَعْ عَلَىٰ عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ وَأَوْضَحَهَا

(١) أثر أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٢٨١).

دعائم منهاج النبوة ٦٤

لِأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الجَمَاعَةُ وَهُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ»[١].

وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «شَرْحِ السُّنَّةِ»[٢]: «وَالأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَىٰ عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ».

قَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ بَعدَ السُّنَّةِ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا يَحْسَبُ أَنَّهَا هُدًى»[٣].]

السحيمي

فهذه العقيدة مستقاة من النبع الصافي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعيدة عن الأهواء والشبه، فالمتمسك بها يكون معظمًا لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب.

قال الإمام البربهاري -رحمه الله-: "واعلم -رحمك الله- أن الدين إنَّما جاء

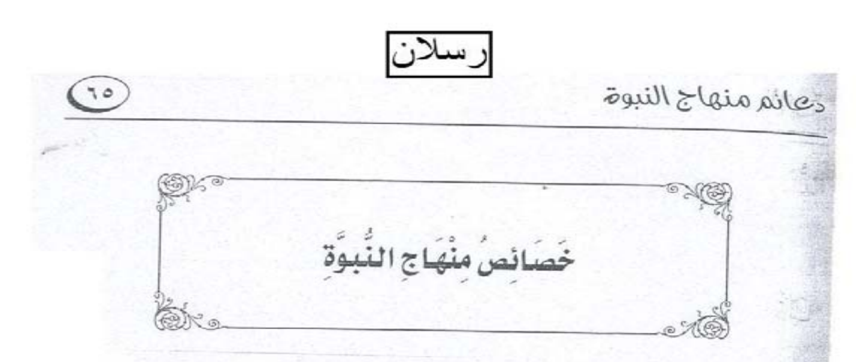
(١) ما تقدم ملخص من "دروس في المنهج" للشيخ الفاضل عبد الله العبيلان، وهذا معلوم باستقراء منهج السلف في العقيدة.

٤٩ كن سلفيًا على الجادة

من قِبَل الله -تبارك وتعالَى- لَم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله؛ فلا تتبع شيئًا بهواك فتمرق من الدين؛ فتخرج من الإسلام؛ فإنه لا حُجَّة لك، فقد بيَّن رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه، وهم الجماعة وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله"[١].

وقد قال قبل ذلك -رحمه الله- في (ص ٦٥) **من كتاب شرح السنة**: "والأساس الذي تُبنَى عليه الجماعة -وهم أصحاب مُحمَّد ﷺ وهم أهل السنة والجماعة- فمن لَمْ يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة . . .".

وقال -أي: الإمام البربهاري-: "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بُيِّنت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلَى الناس الاتباع"[٢].


رسلان

معالم منهاج النبوة ٦٥

خَصَائِصُ مِنْهَاجِ النُّبوَّةِ

١- الثَّبَاتُ عَلَى الحقِّ وعَدَمُ التَّلَوُّنِ:

مِنْ مُمَيِّزَاتِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ -مَنْهَجِ السَّلَفِ-: ثَبَاتُ أَهْلِهِ عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَدَمُ تَقَلُّبِهِمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ الأَهْوَاءِ فَإِنَّ الوَاحِدَ مِنْهُمْ يُصْبِحُ عَلَىٰ مِلَّةٍ، وَيُظْهِرُ عَلَىٰ مِلَّةٍ، وَيُمْسِي عَلَىٰ مِلَّةٍ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ مَعَ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ، لَا يَثْبُتُ عَلَىٰ شَيءٍ؛ لأَنَّهُ لَا شَيءَ ثَابِتٌ عِنْدَهُ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَعِنْدَهُمُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهُمَا الحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ حُذَيفَةُ رضي الله عنه: «إِنَّ الضَّلَالَةَ كُلَّ -وَفِي رِوَايَةٍ: حَقَّ- الضَّلَالَةِ: أَنْ تَعرِفَ مَا كُنتَ تُنْكِرُ، أَو تُنْكِرَ مَا كُنتَ تَعرِفُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، فَدِينُ اللهِ وَاحِدٌ»[1].

السحيمي

قلت: فمن مُميزات المَنهج السلفي:

١- ثبات أهله على الحق وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء.

قال حذيفة لأبي مسعود: "إن الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين، فإن دين الله واحد".

رسلان

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِالجُمْلَةِ: فَالثَّبَاتُ وَالاسْتِقْرَارُ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، أَضْعَافُ أَضْعَافِ أَضْعَافِ مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الكَلَامِ وَالفَلْسَفَةِ»[١].

الثَّبَاتُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا الحَقَّ وَالْتَزَمُوا هَذَا الحَقَّ، وَثَبَّتَهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِ؛ اهْتَدَوْا فَزَادَهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ، وَجَاهَدُوا فِي اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَهَدَاهُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ سُبُلَ الهُدَى وَالرَّشَادِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ مَا عِنْدَ عَوَامِّ المُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ، أَهْلِ

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥١).

٦٨ دعائم منهاج النبوة

السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، مِنَ المَعْرِفَةِ وَاليَقِينِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَالجَزْمِ بِالحَقِّ، وَالقَوْلِ الثَّابِتِ، وَالقَطْعِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، أَمْرٌ لَا يُنَازِعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ سَلَبَهُ اللهُ العَقْلَ وَالدِّينَ»[١].

السحيمي

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبالجملة، فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة"[٣].

وقال أيضًا: "إن ما عند عوام المسلمين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من

(١) "شرح السنة" (ص ٦٦).

(٢) "شرح السنة" (ص ٦٦).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٤/ ٥١).

كن سلفيًا على الجادة

المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم بالحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين"[١].

رسلان

٢- اتِّفَاقُ أَهْلِهِ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ:

مِنْ مُمَيِّزَاتِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ: اتِّفَاقُ أَهْلِهِ عَلَى العَقِيدَةِ، وَعَدَمُ اخْتِلَافِهِمْ مَعَ اخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، فَمَنْ كَانَ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فِي هَذَا العَصْرِ فَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ بِلَا خِلَافٍ.

وَمَنْ كَانَ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَهُوَ مُطَابِقٌ بِاعْتِقَادِهِ وَعَمَلِهِ، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَبِعَ الأَصْحَابَ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا؛ لِأَنَّهُ مَنْهَجٌ وَاحِدٌ لَا يَتَغَيَّرُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَالصَّحَابَةُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَحْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ تَمْيِيزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَبَيْنَ الدَّخِيلِ وَالأَصِيلِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَنْفُونَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٩).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَكْمَلَ الخَلْقِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالحَقَائِقِ، وَأَقْوَمَهُمْ قَوْلًا وَحَالًا، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ أَعْلَمَ الخَلْقِ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمُهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ أَفْضَلَ الخَلْقِ»[١].

السحيمي

٢- **ومن مُميزاته أيضًا:** اتفاق أهله على العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان[٢].

٣- وأنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ وأفعاله وأقواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها؛ لذلك فهم أشد الناس حبًّا للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاة لأهلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولاً وحالاً؛ لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له، واقتداء به أفضل الخلق"[٣].

رسلان

٣ – اعْتِقَادُهُم أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِي الأَسْلَمُ وَالأَحْكَمُ وَالأَعْلَمُ:

وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ: اعْتِقَادُ أَهْلِهِ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ هِيَ الأَسْلَمُ وَالأَعْلَمُ وَالأَحْكَمُ، لَا كَمَا يَدَّعِيهِ أَهْلُ الكَلَامِ: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ!! بَلْ طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمُ وَأَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

دعائم منهاج النبوة ٧١

وَقَد رَدَّ شَيْخُ الإِسْلَامِ عَلَىٰ فِرْيَةِ المُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ طَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، وَأَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ فَقَالَ: «لَقَدْ كَذَبُوا عَلَىٰ طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الكَذِبِ عَلَيْهِمْ، وَبَيْنَ الجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ»(١).

دعائم منهاج النبوة ٧٥

٤– حِرْصُهُم عَلَى نَشْرِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ:

مِنْ مُمَيِّزَاتِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ مَنْهَجِ السَّلَفِ: حِرْصُ مَنْ أَخَذَ بِهِ عَلَىٰ نَشْرِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالدِّينِ القَوِيمِ، وَحِرْصُهُ عَلَىٰ تَعْلِيمِ النَّاسِ وَنُصْحِهِمْ، وَحِرْصُهُ عَلَىٰ الرَّدِّ عَلَىٰ المُخَالِفِينَ وَالمُبْتَدِعِينَ.

السحيمي

٤– اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم، والأعلم، والأحكم؛ لا كما يدعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

وقد رد شيخ الإسلام هذه الفرية، فقال: "لقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف بالكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"(٤).

٥– ومن مُميزاتهم: حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم، وتعليم الناس ونصحهم، والرد على المخالفين والمبتدعين.

(١) "مجموع الفتاوى" (١٩/٤).
(٢) انظر: "الحجة" لقوام السنة (٢/٢٢٥).
(٣) "مجموع الفتاوى" (١٤٠/٤-١٤١).
(٤) "مجموع الفتاوى" (٩/٥).

رسلان

٥- وَسَطٌ بَيْنَ الفِرَقِ:

وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَعَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ وَسَطٌ بَيْنَ الفِرَقِ؛ فَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ الآخِذِينَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمْ وَسَطٌ بَيْنَ الفِرَقِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ: «أَهْلُ السُّنَّةِ بَيْنَ الفِرَقِ كَأَهْلِ الإِسْلَامِ بَيْنَ المِلَلِ»(١).

وَتَأَمَّلْ فِي كَلَامِ شَيْخِ الإِسْلَامِ فِي بَيَانِ وَسَطِيَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَعَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، تَأَمَّلْ فِي وَصْفِهِمْ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ

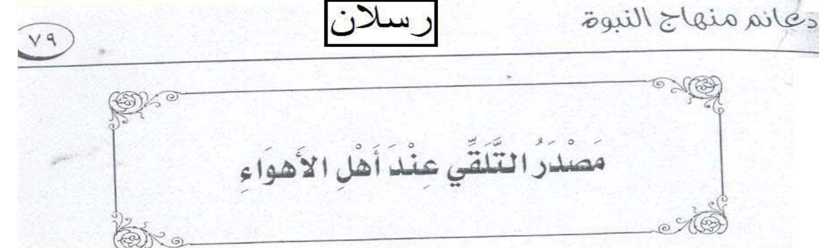
وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ القَدَرِيَّةِ وَالجَبْرِيَّةِ، وَفِي بَابِ الوَعِيدِ بَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالخَوَارِجِ»(١).

السحيمي

٦- وسطيتهم بين الفرق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل السنة فِي الإسلام كأهل الإسلام بين الملل".

وقال أيضًا: "فهم وسط فِي باب أسْماء الله ﷻ بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط فِي باب أفعال الله تعالَى بين القدرية والجبرية، وفِي باب الوعيد بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفِي باب أسْمَاء الإيْمَان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفِي أصحاب النَّبِي ﷺ بين الروافض والخوارج"(١).



رسلان

مَصْدَرُ التَّلَقِّي عِنْدَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ

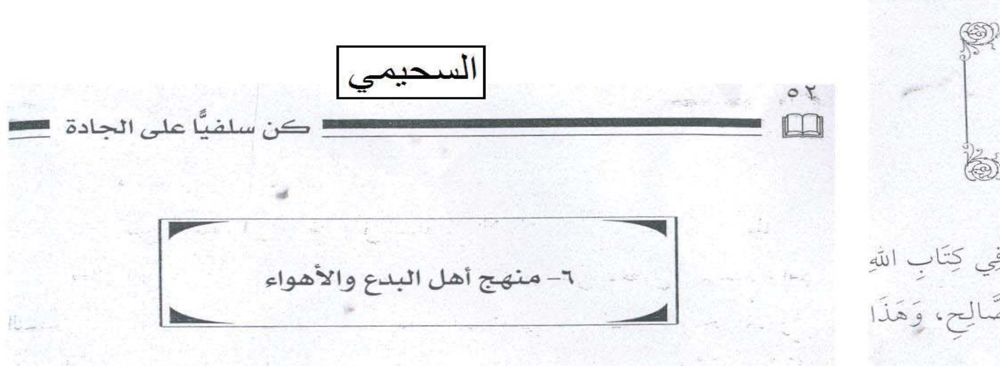
مِنْ أَهَمِّ مَا يُمَيِّزُ مَنْهَجَ السَّلَفِ فِي العَقِيدَةِ: حَصْرُ التَّلَقِّي فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُقَيَّدًا بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهَذَا أَصْلٌ ثَابِتٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ: فَإِنَّ مَصْدَرَ التَّلَقِّي عِنْدَهُمْ لَيْسَ مَحْصُورًا فِي الكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا ابْتَدَعَهُ أَئِمَّتُهُمْ وَشُيُوخُهُمْ، ثُمَّ يُؤَوِّلُونَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى العَقْلِ وَعَلَى الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالوَاهِيَةِ وَالمَكْذُوبَةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ وَيُحَرِّفُونَ الأَدِلَّةَ وَيُؤَوِّلُونَ التَّأْوِيلَ الفَاسِدَ.

هَذِهِ مِنْ مُمَيِّزَاتِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ، وَهِيَ ضِدُّ مُمَيِّزَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْهَاجَ النُّبُوَّةِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِالجُمْلَةِ، فَافْتِرَاقُ أَهْلِ الكِتَابِ، وَافْتِرَاقُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، إِنَّمَا أَوْجَبَهُ التَّأْوِيلُ»(١).

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٥١).



السحيمي

٦- منهج أهل البدع والأهواء

تقدم ذكر منهج السلف فِي العقيدة، وأهم مُميزاته، وأن أهم ما يُميز المنهج السَّلفي فِي العقيدة: هو حصر التلقي فِي كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأن يكون ذلك مُقيدًا بفهم السلف الصالِح.

وعلى العكس من ذلك منهج أهل الأهواء والبدع، فإن مصدر التلقي عندهم ليس الكتاب والسنة، وإنَّما هو ما ابتدعه أئمتهم وشيوخهم ثُمَّ تأويل الكتاب أو السنة إلَى ما يوافق أهواءهم، واعتمادهم على العقل، وعلى الأحاديث الضعيفة والواهية والمكذوبة على رسول الله ﷺ، واتباعهم للمتشابه، وتَحريفهم للأدلة وتأويلها تأويلاً فاسدًا.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وبالجملة؛ فافتراق أهل الكتاب وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنَّما أوجبه التأويل"(١).

رسلان

وَقَالَ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَلْ خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ، وَاعْتَزَلَتِ الْمُعْتَزِلَةُ، وَرَفَضَتِ الرَّوَافِضُ، وَافْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ؟!»[1].

وَهَذَا التَّأْوِيلُ مِنْ مُمَيِّزَاتِ أَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَبِمَبْعَدٍ عَنْ هَذَا، لَا يُؤَوِّلُونَ تَأْوِيلًا فَاسِدًا، وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِهِمْ.

هَذَا المَنْهَجُ الَّذِي سَلَكَهُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ مُخَالِفٌ لِمَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي النَّظَرِ وَالاسْتِدْلَالِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ عَوَامِلِ تَفَرُّقِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

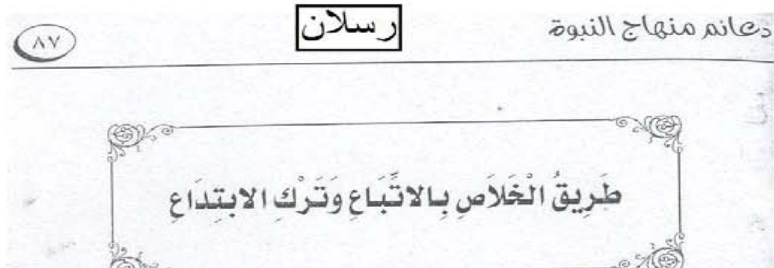
السحيمي

ويقول ابن أبي العز الْحَنفي: "وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد"[2].

فهذا المنهج الذي سلكه أهل الأهواء والبدع مُخالف لِمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال، وهو من أعظم عوامل تفرق الأمة الإسلامية.

(١) "إعلام الموقعين" (٣١٧/٤).

(٢) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ١٨٩).



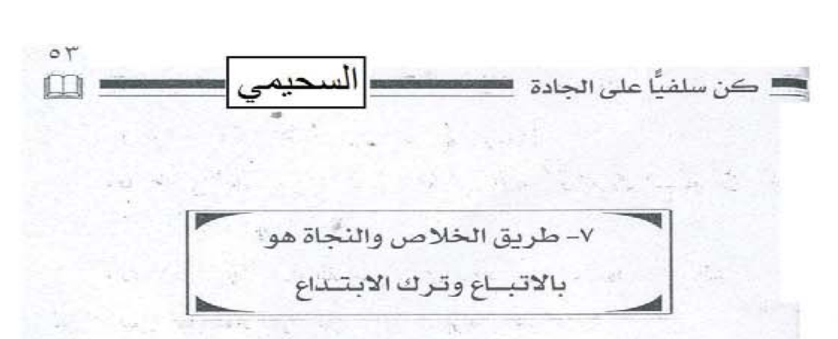
دعائم منهاج النبوة — رسلان — ٨٧

طَرِيقُ الْخَلَاصِ بِالاتِّبَاعِ وَتَرْكِ الابْتِدَاعِ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجِمَاعُ الدِّينِ أَصْلَانِ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، وَأَلَّا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]»(١).

فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ صَالِحًا -أَيْ: مُوَافِقًا لِلسُّنَّةِ-، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخْلِصَهُ صَاحِبُهُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ العَظِيمَةِ: «وَهَذَانِ رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا للهِ، صَوَابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢).



٥٣ — كن سلفيًا على الجادة — السحيمي

٧- طريق الخلاص والنجاة هو بالاتباع وترك الابتداع

قال شيخ الإسلام فِي كتاب "العبودية": "وجماع الدين أصلان: ألاّ نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع"(١).

لا نعبده بالبدع كما قال تعالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فقد أمر الله ﷻ فِي هذه الآية أن يكون العمل صالحًا، أي: موافقًا للسنة، ثُمَّ أمر أن يخلصه صاحبه لله.

وقال الْحَافظ ابن كثير فِي تفسيره: "وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ"(٢).

رسلان

هَذَا الَّذِي قَالَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ، وَالَّذِي قَالَهُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَرَدَ مِثْلُهُ عَنِ الفُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١)، وَيَتَبَيَّنُ مِن هَذَا جَمِيعِهِ، أَنَّهُ لَابُدَّ لِصِحَّةِ أَيِّ عَمَلٍ نُرِيدُ أَنْ نَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَىٰ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مِنْ شَرْطَيْنِ رَئِيسَيْنِ، وَلَابُدَّ مِنْ وُجُودِهِمَا مُجْتَمِعَيْنِ، وَلَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ(٢)، وَهُمَا:

١ - إِخْلَاصُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ.

٢ - تَجْرِيدُ المُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

وَقَالَ ﷺ كَمَا فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ الَّذِي يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَىٰ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٣).

فَالإِخْلَاصُ لَا يَتَأَتَّىٰ مَعَ الشِّرْكِ أَوِ الرِّيَاءِ، أَوْ إِرَادَةِ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا،

السحيمي

قال تعالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

وقال تعالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

وقال ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**(١).

فالإخلاص لا يتأتى مع الشرك، أو الرياء، أو إرادة الإنسان بعمله الدنيا،

وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ العَامِلُ قَدْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، وَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّرْطِ الأَوَّلِ.

وَأَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي: فَمَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ الَّذِي نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ مُوَافِقًا لِمَا شَرَعَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَأَيُّ عَمَلٍ لَا يَتَوَفَّرُ فِيهِ هَذَانِ الشَّرْطَانِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَىٰ عَامِلِهِ، مَضْرُوبٌ بِهِ وَجْهُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

أَكْمَلَ اللهُ لَنَا الدِّينَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ، فَلَيْسَ الدِّينُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مَنْ يَزِيدُ فِيهِ أَوْ يُنْقِصُ مِنْهُ، فَالدِّينُ كَامِلٌ، وَالعَقِيدَةُ كَامِلَةٌ، وَالشَّرِيعَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ مُفَصَّلَةٌ، لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا غُمُوضَ، فَعَلَيْكَ بِالأَثَرِ، وَدَعْ عَنْكَ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَدَعِ الأَهْوَاءَ جَانِبًا، وَاحْذَرِ الزَّيْغَ وَالابْتِدَاعَ وَالضَّلَالَ، وَالْزَمْ غَرْزَ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ.

وَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ تَأْمُرُ بِالاتِّبَاعِ وَتُحَذِّرُ مِنَ الابْتِدَاعِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ الإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

السحيمي

ولابد أن يكون العامل قد قصد بعمله وجه الله ﷻ وحده[٢].

هذا بالنسبة لما يتعلق بالشرط الأول.

وأما الشرط الثاني: فمعناه: أن يكون العمل الذي نتقرب به إلى الله موافقًا لما شرعه الله في كتابه، أو سنَّه رسوله ﷺ في سننه[٣].

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. فقد أكمل الله لنا الدين قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فليس هو بحاجة إلى من يزيد وينقص فيه.

وقد جاءت نصوص كثيرة تأمر بالاتباع، وتحذر من الابتداع والإحداث في الدين:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

رسلان

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَقَدْ مَرَّ حَدِيثُ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؛ يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

السحيمي

ومن السنة: أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخُلفاء الراشدين المَهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١).

وقوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»(٢).

وقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٣).

رسلان

وَهَلْ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْرِجَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الأَمْرُ الإِلَهِيُّ الكَرِيمُ؟ الجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ هَذَا الأَمْرَ الإِلَهِيَّ شَامِلٌ لِأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ يَتَعَيَّنُ عَلَى العِبَادِ الأَخْذُ بِهِ وَاتِّبَاعُهُ، وَلَا تَحِلُّ مُخَالَفَتُهُ، وَمَا نَصَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُكْمِ شَيْءٍ فَهُوَ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ اللهُ ﷻ ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

لَا رُخْصَةَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ شَيْءٍ جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ قَوْلِ أَحَدٍ عَلَى قَوْلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَاللهُ ﷻ يَقُولُ لَنَا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

السحيمي

وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة، وإن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مُخالفته، وأن نص رسول الله ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد فِي تركه، ولا يَجوز تقديْم

(١) تقدم تخريْجه (ص٢٠ و٣٩).

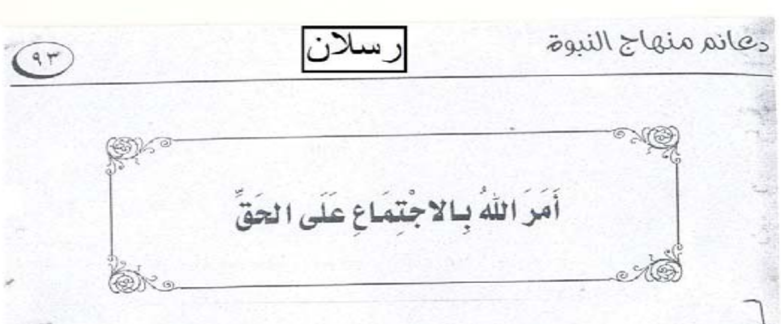
(٢) رواه مالك فِي "الموطأ"، وأبو داود، وابن ماجه، وهو حديث صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: "أصول الإيْمان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٣).

٥٦ كن سلفيًّا على الجادة

قول أحد على قول الله[١].



دعائم منهاج النبوة | رسلان | ٩٣

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ عَلَى الحَقِّ

أَمَرَ اللهُ ﷻ الأُمَّةَ بِالاجْتِمَاعِ وَالائْتِلَافِ وَاتِّحَادِ الكَلِمَةِ، عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ الأَسَاسُ لِهَذَا الاجْتِمَاعِ: الاعْتِصَامَ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

لَقَد دَعَا الدِّينُ الحَنِيفُ إِلَىٰ الاجْتِمَاعِ وَالائْتِلَافِ، وَنَهَىٰ عَنِ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: يَعْنِي: فِي مَسَائِلِ العَقِيدَةِ وَالعَمَل

السحيمي

وقد أمر الله ﷻ الأمة بالاجتماع واتّحاد الكلمة على أن يكون الأساس لهذا الاجتماع هو: الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونَهى عن التفرق وبيَّن خطورته على الأمة، وليتحقق هذا الأمر فقد أمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله في الأصول والفروع، ونُهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق[٤].

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحبل الله: هو عهد الله، وهو القرآن كما قال المفسرون، وقد أمر الله بالجماعة، ونَهى عن الفرقة والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

رسلان

الاعْتِقَادِ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَنَاهِجِ المُنْحَرِفَةِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وَأَمَرَنَا اللهُ عِنْدَ التَّنَازُعِ بِالرَّدِّ إِلَىٰ كِتَابِهِ وَإِلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيْ: اتَّبِعُوا كِتَابَهُ، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ خُذُوا بِسُنَّتِهِ، ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أَيْ: فِيمَا أَمَرُوكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ....

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ: إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ ﷻ بِأَنْ نَرُدَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ إِلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»[1].

السحيمي

قال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقد أمرنا الله عند التنازع بالرد إلَى كتابه، وإلَى سنة رسول الله ﷺ، قال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير: "﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾: فاتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خذوا سنته، أي: اتبعوا سنته، ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: إلَى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أنه يرد المتنازع فيه إلَى الكتاب والسنة[2].

رسلان

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]؛ فَمَا حَكَمَ فِيهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الحَقُّ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣١].

وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أَيْ: رُدُّوا الفَصْلَ فِي الخُصُومَاتِ وَالجَهَالَاتِ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَلَيْسَ يُؤْمِنُ بِاليَوْمِ الآخِرِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- التَّفَرُّقَ، وَنَهَى عَنِ الطُّرُقِ وَالأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الخِذْلَانِ فِي الدُّنْيَا، وَالعَذَابِ فِي الآخِرَةِ.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٥).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ»[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا

السحيمي

كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]. فما حكم فيه الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة، ومَن لا يرجع إليها في ذلك فليس يؤمن بالله واليوم الآخر.

ثُمَّ إن الله قد ذم التفرق، ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١) انظر: "أصول الإيمان" (ص ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) انظر: كتاب "أصول الإيمان" (ص ٢٩٤).

٥٧ كن سلفيًا على الجادة

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابن عباس: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

رسلان

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»(٢).

وَفِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ إِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ افْتِرَاقِ الأُمَّةِ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَالَّتِي فِي الجَنَّةِ هِيَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

وَمِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ: التَّفَرُّقُ وَكَثْرَةُ الاخْتِلَافِ، لَاسِيَّمَا فِي الكِتَابِ المُنَزَّلِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ قَالَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَطَرِيقُ الخَلَاصِ مِنَ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ: هُوَ اتِّبَاعُ طَرِيقِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ عَلَىٰ أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَلْتَزِمُونَ مِنْهَاجَ النُّبُوَّةِ، لَا يَعْدِلُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يَحِيدُونَ عَنْهُ.

وَطَرِيقُ الخَلَاصِ: اتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا، وَعَدَمُ مُخَالَفَتِهِمْ، وَعَدَمُ الشُّذُوذِ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَهُمْ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَنْ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَصْدُقَ عَلَىٰ سَبِيلِهِ سَبِيلُ المُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟! ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فَاتِّبَاعُ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ -وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ المُتَّبِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ- هُوَ سَبِيلُ النَّجَاةِ، لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ إِلَّا هَذَا؛ أَنْ تَتَّبِعَ نَهْجَ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ الأَمِينِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ

السحيمي

وقال ﷺ: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»(٢).

فقد أخبر النَّبي ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والَّتي في الجنة هي الَّتي قال عنها النَّبي ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي».

وإن من أسباب هلاك الأمم السابقة: هو التفرق وكثرة الاختلاف، لاسيما الاختلاف في الكتاب المُنَزَّل عليهم، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: «ذروني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(٣).

وإن طريق الخَلاص من الفرقة والاختلاف: هو باتباع طريق الفرقة الناجية المنصورة وهي الجماعة، وهم الذين يسيرون على وفق منهج النَّبي ﷺ وأصحابه، لا يعدلون

(١) "شرح أصول السنة" للالكائي (٧٢/١).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وغيرهما.

(٣) متفق عليه.

٥٨ كن سلفيًّا على الجادة

عن ذلك، ولا يحيدون عنه، إن طريق الخلاص هو اتباع السلف الصالح قولاً وعملاً واعتقادًا، وعدم مُخالفتهم أو الشذوذ عنهم(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فاتباع سبيل المؤمنين -وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان- هو سبيل النجاة(٢).

رسلان

وَالاتِّبَاعُ لا يَكُونُ صَحِيحًا إلاَّ بِثَلاثَةِ أُمُورٍ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: الاعْتِصَامُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالثَّانِي: عَدَمُ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلافِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ اتِّبَاعُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُقَيَّدًا بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، لا بِفَهْمِ غَيْرِهِمْ.

فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الأُمُورُ: صَحَّ اتِّبَاعُكَ.

وَمِنْ لَوَازِمِ الاتِّبَاعِ: تَرْكُ الابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ جُمْلَةٌ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَأْمُرُ بِالاتِّبَاعِ، وَتُحَذِّرُ مِنَ الابْتِدَاعِ.

دعائم منهاج النبوة (١٠٦)

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ المُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّتِهِ بِأَعْظَمِ البُشْرَى، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ تَحْصِيلَ أَكْبَرِ مَقْصِدٍ يَقْصِدُهُ العَبْدُ إِنَّمَا يَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، فَأَعْظَمُ غَايَةٍ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ، وَأَعْظَمُ غَايَةٍ أَنْ تَفُوزَ بِالرِّضْوَانِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي جِوَارِ الرَّحْمَنِ، وَأَنْ تَدْخُلَ عُلْيَا الجِنَانِ، وَأَنْ تَكُونَ مَعَ النَّبِيِّ العَدْنَانِ... هَذَا هُوَ أَعْظَمُ مَقْصِدٍ.

فَإِذَا سُئِلْتَ: مَا غَايَتُكَ؟

قُلْ: الجَنَّةُ.

وَهَذِهِ الجَنَّةُ، وَهَذَا المَقْصِدُ، بَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ تَحْصِيلَهُ بِاتِّبَاعِهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**». قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[1].

السحيمي

والاتباع إنَّما يكون صحيحًا بثلاثة أمور تتلخص ممَّا سبق من النصوص، وهذه الأمور الثلاثة هي:

١- الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- عدم التفرق والاختلاف في الكتاب والسنّة.

٣- أن يكون اتباع الكتاب والسنة مُقيدًا بفهم السلف الصالح لا بفهم غيرهم.

هذا، وإن من لوازم الاتباع: ترك الابتداع في دين الله، وقد تقدم جُملة من النصوص الشرعية الَّتي تأمر بالاتباع، وتُحذر من الابتداع، وقد بشر النَّبي ﷺ المتمسكين بسنته بأعظم بشارة وأكبر مقصد يطلبه كل مؤمن، ويسعى إلَى تَحقيقه من كان في قلبه أدنَى مسكة من إيْمان ألا وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الْجنة إلا من أبَى**. قالوا: ومَنْ يأبَى يا رسول الله؟ قال: **مَنْ أطاعنِي دخل الْجنة، ومن عصانِي فقد أبَى**»[3].

رسلان

وَالَّذِي يَرْفُضُ السُّنَّةَ، وَيُخَالِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، هُوَ الَّذِي يُجَانِبُ الهَدْيَ النَّبَوِيَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ مُشَاقَّةً وَمُحَادَّةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: الَّذِي يُحْدِثُ فِي دِينِ اللهِ، وَيَبْتَدِعُ فِيهِ.

قَالَ أُبَيٌّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافٍ وَبِدْعَةٍ»[٢].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٦).

لِأَنَّ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِي البِدْعَةِ لَا يَزْدَادُ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا، وَأَمَّا الَّذِي يَقْتَصِدُ فِي السُّنَّةِ فَقَدْ أَتَىٰ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ نُصُوصَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَجِدُ أَنَّ البِدْعَةَ فِي الدِّينِ مُحَرَّمَةٌ، وَمَرْدُودَةٌ عَلَىٰ صَاحِبِهَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ، وَهِيَ ضَلَالَةٌ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

السحيمي

وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مُخالفة أمره ﷺ، وذلك بالإحداث فِي

(١) انظر: كتاب "أصول الإيمان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٣٠١)، وما بعدها، بتصرُّف يسير.

(٢) كتاب "أصول الإيمان" (ص ٢٩٣) وما بعدها.

(٣) رواه البخاري فِي صحيحه.

الدين والابتداع فيه؟![١]

قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار أبدًا، وإن اقتصادًا فِي سبيل وسنة خير من اجتهاد فِي خلاف وبدعة».

وإن من تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد أن البدع فِي الدين مُحرمة، ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وبدعة، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ولذا جاء النهي عن البدع على وجه واحد فِي قوله ﷺ: **«إياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**.

رسلان

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٢)؛ يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ.

كُلُّ مُحْدَثٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ مَرْدُودَةٌ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ البِدَعِ فِي الاعْتِقَادَاتِ وَالعِبَادَاتِ مُحَرَّمَةٌ مَهْمَا كَانَتْ، وَالتَّحْرِيمُ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ نَوْعِ البِدَعِ:

فَمِنْهَا -أَيْ: مِنَ البِدَعِ-: مَا هُوَ كُفْرٌ صُرَاحٌ يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ قَوْلًا وَاحِدًا.

وَمِنْهَا: مَا هُوَ وَسَائِلُ إِلَى الشِّرْكِ.

وَمِنْهَا: مَا هُوَ فِسْقٌ وَمَعْصِيَةٌ.

فَتَتَفَاوَتُ فِي الحُكْمِ.

وَالمُتَأَمِّلُ فِي طُرُقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، يَجِدُ أَنَّ طُرُقَهُمْ تُخَالِفُ طَرِيقَةَ

١٠٨ دعائم منهاج النبوة

أَهْلِ الهُدَى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السحيمي

وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

فدل الحديث على أن كل مُحدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

ومعنى ذلك: أن كل البدع في العبادات والاعتقادات مُحرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، ومنها ما هو من وسائل الشرك، ومنها ما هو فسق ومعصية(٢).

وإن المتأمل في طرق أهل الزيغ والضلال، يَجد أن طرقهم تُخالف طريقة أهل الهُدى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

وفي الصحيح: **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله**

(١) "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٦).

(٢) انظر: كتاب "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٨).

علاماتُ أهلِ البِدَعِ[1]

أَهَمُّ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: الفُرْقَةُ الَّتِي نَبَّهَ اللهُ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: اتِّبَاعُ المُتَشَابِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧].

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: اتِّبَاعُ الهَوَى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: مُعَارَضَةُ السُّنَّةِ بِالقُرْآنِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: بُغْضُ أَهْلِ الأَثَرِ، وَإِطْلَاقُ الأَلْقَابِ السَّيِّئَةِ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، فَلَا تَجِدُ مُبْتَدِعًا قَطُّ يُحِبُّ أَهْلَ السُّنَّةِ، بَلْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ حَرْبًا عَلَيْهِم.

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: تَرْكُ انْتِحَالِ مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَتَكْفِيرُ مُخَالِفِيهِم بِغَيْرِ دَلِيلٍ.

فاحذروهم»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فأهم علامات أهل الزيغ[2]:

١- الفرقة الَّتي نبه الله عليها في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

٢- اتباع المتشابه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧].

٣- اتباع الهوى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

٤- معارضة السنة بالقرآن.

٥- بغض أهل الأثر.

٦- إطلاق الألقاب السيئة على أهل السنة.

٧- ترك انتحال مذهب السلف[3].

٨- تكفير مُخالفيهم بغير دليل.

رسلان

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ: أَنَّهُم يُجْمِلُونَ فِي مَوَاضِعَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْصِيلٍ وَبَيَانٍ، وَيَقِيسُونَ عَلَىٰ مَا لَا يَصِحُّ القِيَاسُ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضَلَالِ بَنِي آدَمَ: الإِجْمَالُ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: «يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ فِي الفِقْهِ أَنْ يَجْتَنِبَ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ المُجْمَلَ، وَالقِيَاسَ»[٣].

وَقَالَ أَيْضًا: «أَكْثَرُ مَا يَخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَالقِيَاسِ»[٤].

١٣٤ دعائم منهاج النبوة

وَمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنْ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ فِي الفِقْهِ، دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي بَابِ العَقِيدَةِ يَكُونُ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ.

السحيمي

٩- الإجمال في مواضع تحتاج إلى تفصيل وبيان، والقياس على ما لا يصح القياس عليه.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "ينبغي للمتكلم في الفقه أن يجتنب هذين الأصلين: المجمل والقياس".

وقال أيضًا: "أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس"[١].

قلت: ما ذكره الإمام أحمد -رحمه الله- من التحذير من هذين الأصلين في الفقه، دليل على أنه في باب العقيدة يكون أولى وأحرى.

رسلان

وَعَن عَلِيٍّ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَخرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَومٌ أَحدَاثُ الأَسنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحلَامِ، يَقُولُونَ مِن خَيرِ قَولِ البَرِيَّةِ، يَقرَءُونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمرقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم، فَإِنَّ فِي قَتلِهِم أَجرًا لِمَن قَتَلَهُم عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ»[٢].

وَهَذَا وَصفُ الخَوَارِجِ، قَاتَلَهُم أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيٍّ ؓ يَومَ النَّهرَوَانِ.

دعائم منهاج النبوة (١٧١)

وَلِأَجل النُّصُوصِ المُتَقَدِّمَةِ وَغَيرِهَا حَذَّرَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنَ البِدَعِ

السحيمي

وعن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرمية، من لقيهم فليقتلهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»**[١].

والمَعني بهذا الحديث: هم الخوارج، وقد قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب ؓ في معركة النهروان.

فلهذه النصوص المتقدمة وما في معناها فقد حذر أئمة السلف من البدع

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة.

رسلان

أَهلُ السُّنَّةِ يَحذَرُونَ وَيُحَذِّرُونَ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ وَالبِدَعِ، الَّذِينَ يُخَالِفُونَ السُّنَّةَ، وَيُجَانِبُونَ مِنهَاجَ النُّبُوَّةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ، فَهُوَ رَدٌّ»[٤].

وَقَالَ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»[٥].

(١٧٠) معالم منهاج النبوة

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبغَضَ للهِ، وَأَعطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدِ استَكمَلَ الإِيمَانَ»[١].

وَقَالَ ﷺ: «مَا مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصحَابٌ، يَأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقتَدُونَ بِأَمرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخلُفُ مِن بَعدِهِم خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفعَلُونَ، وَيَفعَلُونَ مَا لَا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ مِن وَرَاءِ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَردَلٍ»[٢].

السحيمي

٦٦٩ كن سلفيًّا على الجادة

٩- موقف السلف الصالح من المبتدعة

- الحذر والتحذير من أهل الأهواء والبدع المُخالفين للسنة:

قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان». رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثُمَّ إنَّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». رواه مسلم.

رسلان

وَالمُبتَدِعَةِ، وَامتَلأَت كُتُبُهُم وَمُصَنَّفَاتُهُم بِالرَّدِّ عَلَىٰ البِدَعِ وَأَهلِهَا، وَالتَّحذِيرِ مِن ذَلِكَ.

رَوَىٰ مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِه» (٨)، عَن يَحيَىٰ بنِ يَعْمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِعَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقرَءُونَ القُرآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ العِلمَ[1]، وَذَكَرَ مِن شَأنِهِم، وَأَنَّهُم يَزعُمُونَ أَنَّهُ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمرَ أُنُفٌ.

قَالَ ابنُ عُمَرَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرْهُم أَنِّي بَرِيءٌ مِنهُم، وَأَنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، لَو أَنَّ لِأَحَدِهِم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ».

فَهَذَا مَوقِفُهُ رضي الله عنه مِن أَهلِ البِدَعِ، وَتِلكَ مُجَانَبَتُهُ إِيَّاهُم، وَهَذِهِ رِسَالَتُهُ إِلَيهِم: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُم، وَأَنتُم بُرَآءُ مِنِّي».

وَعَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «إِيَّاكُم وَأَصحَابَ الرَّأيِ؛ فَإِنَّهُم أَعدَاءُ السُّنَّةِ، أَعيَتْهُمُ الأَحَادِيثُ أَن يَحفَظُوهَا، فَقَالُوا بِالرَّأيِ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[2].

وَرَوَىٰ اللَّالَكَائِيُّ وَغَيرُهُ، عَن أَبِي قِلَابَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: «مَا ابتَدَعَ قَومٌ بِدعَةً إِلَّا استَحَلُّوا السَّيفَ»[3].

---

(١) يتقفَّرون العلم: يطلبونه ويتتبعونه، وقيل معناه: يجمعونه.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٣٥)، واللالكائي (١/ ١٢٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٧)، والدارمي (١٠٠).

السحيمي

٧٠ كن سلفيًّا على الجادة

والمبتدعة، وامتلأت كتبهم ومؤلفاتُهم بالرد على البدع وأهلها، والتحذير من ذلك.

١- فقد روى مسلم فِي صحيحه عن يَحيَى بن يَعمر، وحُميد بن عبد الرحمن، قال يَحيَى لعبد الله بن عمر رضي الله عنه: «إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم[1] وذكر شأنهم، وأنَّهم يزعمون أنه لا قدر، وأن الأمر أنف. قال ابن عمر: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي بريء منهم، وأنَّهم براء منِّي، والذي يَحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه؛ ما قَبِلَ الله منه حتَّى يؤمن بالقدر ..».

٢- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنَّهم أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يَحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلُّوا وأضلُّوا». رواه ابن أبِي شيبة.

٣- وروى الدارمي واللالكائي وغيرهُما عن أبِي قلابة -رحِمه الله- قال: "ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف".

رسلان

وَعَن سُفيَانَ الثَّورِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «البِدعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبلِيسَ مِنَ المَعصِيَةِ، المَعصِيَةُ يُتَابُ مِنهَا، وَالبِدعَةُ لَا يُتَابُ مِنهَا»[٣].

وَقَد وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوبَةَ عَن كُلِّ صَاحِبِ بِدعَةٍ، حَتَّىٰ يَدَعَ بِدعَتَهُ»[٤].

وَعَن قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: فِيمَا يَروِيهِ عَنهُ سُفيَانُ الثَّورِيُّ: «يَا أَحوَلُ، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابتَدَعَ بِدعَةً، يَنبَغِي لَهَا أَن تُذكَرَ حَتَّىٰ تُحذَرَ»[٥].

يَعنِي: إِذَا ابتَدَعَ أَحَدٌ بِدعَةً، فَعَلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ أَن يَذكُرُوهَا، وَأَن يُشَهِّرُوا بِهَا، وَأَن يُحَذِّرُوا النَّاسَ مِنهَا.

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيتَ قَومًا يَتَنَاجَونَ فِي دِينِهِم

معالم منهاج النبوة ١٧٣

بِشَيءٍ دُونَ العَامَّةِ، فَاعلَم أَنَّهُم عَلَىٰ تَأسِيسِ ضَلَالَةٍ»[١].

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «مَا فَرِحتُ بِشَيءٍ مِنَ الإِسلَامِ أَشَدَّ فَرَحًا بِأَنَّ قَلبِي لَم يَدخُلهُ شَيءٌ مِن هَذِهِ الأَهوَاءِ»[٢].

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «يَجِيءُ قَومٌ يَترُكُونَ مِنَ السُّنَّةِ مِثلَ هَذِهِ -يَعنِي: مَفصِلَ الإِصبَعِ- فَإِن تَرَكتُمُوهُم جَاءُوا بِالطَّامَّةِ الكُبرَىٰ»[٣].

السحيمي

٤- وقال أيوب السختياني: "أهل الأهواء كلهم خوارج؛ وقال: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف".

٥- وعن سفيان الثوري -رحمه الله- قال: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"[٢]. رواه اللالكائي.

٦- وروى أيضًا عن قتادة أنه قال: "يا أحول، إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تُذكر حتَّى تُحذر".

(١) أي: يتتبعون.

(٢) هذا الذي ذكره سفيان -رحمه الله- من عدم قبول توبة المبتدع إنَّما هو محمول على الغالب؛ لأنه يفعل ما يفعل، ويرى أنه دين يتقرب به إلى الله، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتَّى يدع بدعته»**.

كن سلفيًا على الجادة ٧١

٧- وعن الحسن قال: "أهل الأهواء بمنزلة اليهود والنصارى"[١].

٨- وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: "إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة".

٩- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحًا بأن قلبي لَمْ يدخله شيء من هذه الأهواء».

١٠- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا -يعني: مفصل الإصبع- فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى».

رسلان

وَلَم يَكتَفِ أَئِمَّةُ السَّلَفِ بِالرَّدِّ عَلَىٰ أَهلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ، بَل حَذَّرُوا النَّاسَ مِن مُجَالَسَتِهِم وَالاستِمَاعِ إِلَىٰ كَلَامِهِم.

رَوَىٰ الدَّارِمِيُّ وَاللَّالَكَائِيُّ عَنِ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَا تُجَالِسُوا أَهلَ الأَهوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُم، وَلَا تَسمَعُوا مِنهُم»(٢).

وَرَوَىٰ اللَّالَكَائِيُّ عَنِ الحَسَنِ أَيضًا، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنِّي أُرِيدُ أَن أُخَاصِمَكَ -أَي: أُجَادِلَكَ-، فَقَالَ الحَسَنُ: إِلَيكَ عَنِّي، فَإِنِّي عَرَفتُ دِينِي، وَإِنَّمَا يُخَاصِمُكَ الشَّاكُّ فِي دِينِهِ»(٣).

وَعَن إِسمَاعِيلَ بنِ خَارِجَةَ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلَانِ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ، فَقَالَا: يَا أَبَا بَكرٍ، نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، قَالَ: لَا، قَالَا: فَنَقرَأُ عَلَيكَ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ، قَالَ: لَا، وَقَالَ: تَقُومَانِ عَنِّي، وَإِلَّا قُمتُ، فَقَامَ الرَّجُلَانِ فَخَرَجَا.

فَقَالَ بَعضُ القَومِ: مَا كَانَ عَلَيكَ أَن يَقرَآ آيَةً، لَن يَفعَلَا شَيئًا يَضُرُّكَ، وَإِنَّمَا

يَقرَآنِ آيَةً، قَالَ: إِنِّي كَرِهتُ أَن يَقرَآ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقَرَّ ذَلِكَ فِي قَلبِي»(١).

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ ابنُ الإِمَامِ أَحمَدَ فِي «السُّنَّةِ»، عَن أَبِي قِلَابَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ:

السحيمي

ولَمْ يكتف أئمة السلف بالرد على أهل البدع والضلال، بل حذروا الناس من مُجالستهم والاستماع إِلَى كلامهم:

فقد روى الدارمي، وابن بطة عن الحسن -رحمه الله- أنه كان يقول: "لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تُجادلوهم، ولا تسمعوا منهم".

وقد روى الآجرّي واللالكائي عن الحسن أيضًا: أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد، إنِّي أريد أن أخاصمك، فقال الحسن: "إليك عنِّي، فإنِّي عرفت ديني، وإنَّما يُخاصمك الشاك في دينه".

وعن إسْمَاعيل بن خارجة قال: دخل رجلان من أهل الأهواء على مُحمَّد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر، نُحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا. وقال: تقومان عنِّي، وإلا قمتُ، فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرآ آية؟ فقال: "إنِّي كرهت أن يقرآ آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي".

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة عن أبي قلابة -رحمه الله- قال:

رسلان

لَا تُجَالِسُوهُم -يَعنِي: أَهلَ الأَهوَاءِ- وَلَا تُخَالِطُوهُم؛ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَن يَغمِسُوكُم فِي ضَلَالَتِهِم، وَيَلْبِسُوا عَلَيكُم كَثِيرًا مِمَّا تَعرِفُونَ»(٢).

فَهَذِهِ بَعضُ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَهَذِهِ بَعضُ أَقوَالِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِن أَهلِ الدِّيَانَةِ وَالتُّقَىٰ، وَأَهلِ الزُّهدِ وَالوَرَعِ، وَهَذَا كُلُّهُ إِلَىٰ مَا مَرَّ ذِكرُهُ مِنَ الأَمرِ بِالاتِّبَاعِ وَالنَّهيِ عَنِ الابتِدَاعِ، جَاءَ مُصَرِّحًا بِجَوَازِ الطَّعنِ عَلَىٰ أَهلِ البِدَعِ، وَبَيَانِ حَالِهِم لِلنَّاسِ، بَل عَدُّوا ذَلِكَ مِنَ الوَاجِبَاتِ الَّتِي لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ مِن بَابِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

الوُقُوفُ فِي وَجهِ أَهلِ البِدَعِ الَّذِينَ يَحرِفُونَ الأُمَّةَ عَن مَسَارِهَا الحَقِّ، وَيَلبِسُونَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُم، هُوَ مِن بَابِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يُوَازِي مِن حَيثُ الشَّرَفُ، وَنُبْلُ المَقصِدِ، جِهَادَ الأَعدَاءِ بِالسَّيفِ وَالسِّنَانِ، بَل قَد يَتَرَجَّحُ عَلَيهِ، كَمَا مَرَّ ذِكرُ ذَلِكَ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ، فِيمَا نَقَلَهُ شَيخُ الإِسلَامِ.

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَإِذَا كَانَ مُبتَدِعٌ يَدعُو إِلَىٰ عَقَائِدَ تُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيُخَافُ أَن يُضِلَّ الرَّجُلُ النَّاسَ بِذَلِكَ، بُيِّنَ أَمرُهُ لِلنَّاسِ لِكَي يَتَّقُوا ضَلَالَهُ وَيَعلَمُوا حَالَهُ، وَهَذَا كُلُّهُ يَجِبُ أَن يَكُونَ عَلَىٰ وَجهِ النُّصحِ،

(١٩٤) دعائم منهاج النبوة

وَابتِغَاءِ وَجهِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا لِهَوَى الشَّخصِ مَعَ الإِنسَانِ؛ كَأَن يَكُونَ بَينَهُمَا عَدَاوَةٌ دُنيَوِيَّةٌ، أَو تَحَاسُدٌ، أَو تَبَاغُضٌ، أَو تَنَازُعٌ عَلَى الرِّيَاسَةِ، فَيَتَكَلَّمُ بِمَسَاوِئِهِ مُظهِرًا لِلنُّصحِ، وَقَصدُهُ فِي البَاطِنِ الغَضُّ مِنَ الشَّخصِ وَاستِيفَاؤُهُ مِنهُ، فَهَذَا مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ»(١).

السحيمي

٧٢ كن سلفيًّا على الجادة

"لا تُجالسوهم، ولا تُخالطوهم، فإنِّي لا آمن أن يغمسوكم فِي ضلالاتِهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا ممَّا تعرفون".

فهذه بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال سلف الأمة أهل الديانة والتقى، وأهل الزهد والورع، إضافة إلَى ما تقدم من الأمر بالاتباع، والنهي عن الابتداع، جاءت مصرحة بجواز الطعن على أهل البدع، وبيان حالهم للناس؛ بل عدهم ذلك من الواجبات الَّتِي لا يقوم الدين إلا بها.

وأن ذلك من باب الجهاد فِي سبيل الله، يوازي من حيث الشرف، ونبل المقصد جهاد الأعداء بالسيف والسنان؛ بل يترجح على ذلك.

٧٣ كن سلفيًّا على الجادة

وقال -رحمه الله- فِي موضع آخر: "وإذا كان مبتدعًا يدعو إلَى عقائد تُخالف الكتاب والسنة، ويُخاف أن يُضلَّ الرجلُ الناسَ بذلك بيّن أمره للناس ليتقوا ضلاله، ويعلموا حاله، وهذا كله يَجب أن يكون على وجه النصح، وابتغاء وجه الله تعالَى لا لِهوى الشخص مع الإنسان، مثل أن تكون بينهما عداوة دنيوية، أو تحاسد، أو تباغض، أو تنازع على الرئاسة فيتكلم بمساوئه مُظهرًا للنصح، وقصده فِي الباطن الغض من الشخص، واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان"(١).

رسلان

والسُّنَّةِ»(١).

فَهَذَا بِالمَعْنَى الأَخَصِّ.

إِذَنْ؛ فَأَهْلُ السُّنَّةِ: هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ تَلَقَّوْا عَنْهُ مُبَاشَرَةً أُصُولَ الاعْتِقَادِ، كَمَا تَلَقَّوْا أُمُورَ العِبَادَةِ، فَهُمْ أَعْرَفُ الخَلْقِ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَتْبَعُ لَهَا مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَيْضًا: هُمُ التَّابِعُونَ لِلصَّحَابَةِ بِإِحْسَانٍ، المُقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ.

السحيمي

الحديث والسنة(١).

إذن فأهل السنة: هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم تلقوا عنه مباشرة أصول

الاعتقاد كما تلقوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة النبي ﷺ، وأتبع لها ممن جاء بعدهم، وأهل السنة أيضًا هم التابعون لهم بإحسان، المقتفون أثرهم في كل عصر ومصر، وعلى رأسهم: أهل الحديث والأثر.

رسلان

وَهَذَا اللَّفْظُ «أَهْلُ السُّنَّةِ» أَصْبَحَ مُصْطَلَحًا يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ أَحَدُ مَعْنَيَيْنِ:

المَعْنَىٰ الأَوَّلُ: مَعْنَىٰ عَامٌّ، وَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ مَنْ يَنْتَسِبُ لِلإِسْلَامِ، عَدَا الرَّافِضَةِ.

وَالمَعْنَىٰ الثَّانِي: مَعْنَىٰ أَخَصُّ وَأَضْيَقُ مِنَ المَعْنَىٰ العَامِّ، وَيُرَادُ بِهِ: أَهْلُ السُّنَّةِ المَحْضَةِ الخَالِصَةِ مِنَ البِدَعِ، وَيَخْرُجُ بِهِ سَائِرُ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ؛ كَالخَوَارِجِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالمُرْجِئَةِ، وَالشِّيعَةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَفْظُ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرَادُ بِهِ: مَنْ أَثْبَتَ خِلَافَةَ الثَّلَاثَةِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ إِلَّا الرَّافِضَةَ، وَهَذَا بِالمَعْنَىٰ العَامِّ.

وَقَدْ يُرَادُ بِهِ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ المَحْضَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ إِلَّا مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ للهِ تَعَالَىٰ، وَيَقُولُ: إِنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ اللهَ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ، وَيُثْبِتُ القَدَرَ، وَيُثْبِتُ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ

السحيمي

٢٨ كن سلفيًا على الجادة

المسميات الشرعية لأهل السنة والجماعة

"أهل الشيء" هم أخص الناس به، يقالُ في اللغة: أهل الرجل أخص الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وأهل المذهب من يدين به.

فمعنَى أهل السنة: أخص الناس بِها، وأكثرهم تَمسكًا بِها واتباعًا لَها، قولاً وعملاً واعتقادًا.

وهذا اللفظ أصبح مصطلحًا يطلق ويراد به أحد معنيين:

المعنَى الأول: معنًى عام: ويدخل فيه جَميع من ينتسب للإسلام عدا الرافضة.

والمعنَى الثانِي: معنَى أخص، وأضيق من المعنَى العام، ويراد به: أهل السنة المَحضة الخالصة من البدع، ويَخرج به سائر أهل الأهواء والبدع كالخوارج، والجهمية، والمرجئة، والشيعة، وغيرهم، من أهل البدع.

يقول شيخ الإسلام: "فلفظ أهل السنة يراد به: من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جَميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به: أهل الحديث والسنة المَحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالَى ويقول: إن القرآن غير مَخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، ويُثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل

رسلان

وَلَمَّا كَانَ هَذَا اللَّقَبُ «**أَهْلُ السُّنَّةِ**» يُطْلَقُ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الهُدَىٰ؛ تَنَازَعَتِ الطَّوَائِفُ هَذَا اللَّقَبَ، وَلَكِنَّ العِبْرَةَ بِالحَقَائِقِ وَلَيْسَتْ بِالدَّعَاوَىٰ، فَالكُلُّ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَوْ كُلُّ الطَّوَائِفِ تَدَّعِي أَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّ العِبْرَةَ بِالحَقَائِقِ، وَلَيْسَتْ بِالدَّعَاوَىٰ[1].

فَإِنَّهُ لَمَّا نَشَأَتِ البِدَعُ فِي الإِسْلَامِ، وَتَعَدَّدَتْ فِرَقُ الضَّلَالِ، وَأَخَذَ كُلٌّ يَدْعُو إِلَىٰ بِدْعَتِهِ وَهَوَاهُ، مَعَ انْتِسَابِهِمْ فِي الظَّاهِرِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ وَالقِبْلَةِ، كَانَ لَابُدَّ لِأَهْلِ الحَقِّ أَنْ يُعْرَفُوا بِأَسْمَاءٍ تُمَيِّزُهُمْ عَنْ أَهْلِ الابْتِدَاعِ وَالانْحِرَافِ فِي العَقِيدَةِ، وَفِي الاتِّبَاعِ لِلرَّسُولِ ﷺ، فَظَهَرَتْ حِينَئِذٍ أَسْمَاؤُهُمُ الشَّرْعِيَّةُ المُسْتَمَدَّةُ مِنْ دِينِ خَيْرِ البَرِيَّةِ ﷺ.

فَمِنْ **أَسْمَائِهِمْ**: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَالفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَالطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ، وَأَهْلُ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ، وَالسَّلَفِيُّونَ؛ فَهَذِهِ المُسَمَّيَاتُ مُسَمَّيَاتٌ شَرْعِيَّةٌ لِأَهْلِ

---

(١) راجع في هذا «موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» (١/ ٤٥ وما بعدها).

السحيمي

ولمّا كان هذا اللقب "أهل السنة" يطلق على أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم على ما كانوا عليه من الهدي؛ تنازعت الطوائف هذا اللقب، ولكن العبرة بالحقائق، وليست بالدعاوى.

وإنه لَمَّا نشأت البدع فِي الإسلام، وتعددت فرق الضلال، وأخذ كلٌّ يدعو إِلَى بدعته وهواه مع انتسابهم فِي الظاهر إِلَى الإسلام؛ كان لابد لأهل الحق أن يُعرفوا بأسْماء تُميزهم عن أهل الابتداع والانْحراف فِي العقيدة، فظهرت حينئذٍ أسْماؤهم الشرعية المستمدة من الإسلام، فمن أسْمائهم: "أهل السنة والجماعة"، "الفرقة الناجية"، "الطائفة المنصورة"، "أهل الحديث والأثر"، "السلفيون".

رسلان

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي أَسْمَائِهِمْ يَظْهَرُ لَهُ أَنَّهَا كُلَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، فَبَعْضُهَا ثَابِتٌ لَهُمْ بِالنَّصِّ، وَالبَعْضُ حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ تَحْقِيقِهِمْ لِلإِسْلَامِ تَحْقِيقًا صَحِيحًا، وَهِيَ تُخَالِفُ مُسَمَّيَاتِ أَهْلِ البِدَعِ وَأَلْقَابَهُمْ.

فَأَسْمَاءُ أَهْلِ البِدَعِ وَأَلْقَابُهُمْ:

* **إِمَّا تَرْجِعُ إِلَىٰ الانْتِسَابِ لِأَشْخَاصٍ:**

كَالجَهْمِيَّةِ: نِسْبَةً لِلْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

وَالزَّيْدِيَّةِ: نِسْبَةً إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَالكُلَّابِيَّةِ: نِسْبَةً إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كُلَّابٍ.

وَالكَرَّامِيَّةِ: نِسْبَةً إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَّامٍ السِّجِسْتَانِيِّ.

وَالأَشْعَرِيَّةِ: نِسْبَةً إِلَىٰ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ انْتَسَبَتْ إِلَيْهِمُ الطَّوَائِفُ، سَارَتْ عَلَىٰ مَا سَارُوا عَلَيْهِ، وَانْتَسَبَتْ إِلَىٰ مَا انْتَسَبُوا إِلَيهِ، فَهَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الأَشْخَاصِ.

* **وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الأَلْقَابِ:** فَإِنَّ أَهْلَ البِدَعِ قَدْ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ أَلْقَابٍ مُشْتَقَّةٍ مِنْ أَصْلِ بِدَعِهِمْ:

كَالرَّافِضَةِ: لِرَفْضِهِمْ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ، أَوْ لِرَفْضِهِمْ إِمَامَةَ الشَّيْخَيْنِ.

وَالنَّوَاصِبِ: لِنَصْبِهِمُ العَدَاءَ لِأَهْلِ البَيْتِ.

وَالقَدَرِيَّةِ: لِكَلَامِهِمْ فِي القَدَرِ.

وَالصُّوفِيَّةِ: لِلُبْسِهِمُ الصُّوفَ فِي قَوْلٍ.

وَالبَاطِنِيَّةِ: لِزَعْمِهِمْ أَنَّ لِلنُّصُوصِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

السحيمي

والمتأمل في أسْمَائهم يظهر له أنّها كلها تدل على الإسلام، فبعضها ثابت لهم بالنص، والبعض حصل لهم بسبب تحقيقهم للإسلام تحقيقًا صحيحًا، وهي تُخالف مسميات أهل البدع وألقابهم.

فأسْماء أهل البدع وألقابهم إما ترجع إلَى الانتساب لأشخاص، كالجهمية نسبة للجهم بن صفوان، والزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين، والكلابية نسبة إلى عبد الله بن كلاب، والكرامية نسبة إلى مُحمَّد بن كرام، والأشعرية نسبة إلى أبي الحسن الأشعري.

وإما إلى ألقاب مشتقة من أصل بدعهم، كالرافضة لرفضهم زيد بن علي، أو لرفضهم إمامة الشيخين، والنواصب لنصبهم العداء لأهل البيت، والقدرية لكلامهم في القدر، والصوفية للبسهم الصوف، والباطنية لزعمهم أن للنصوص

رسلان

وَالمُرْجِئَةَ: لِإِرْجَائِهِمُ الأَعْمَالَ عَنْ مُسَمَّىٰ الإِيمَانِ.

وَإِمَّا أَنَّ هَذِهِ الأَلْقَابَ تَرْجِعُ إِلَىٰ سَبَبِ خُرُوجِ مَنْ تَسَمَّىٰ بِهَا عَنْ عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ:

كَالخَوَارِجِ: لِخُرُوجِهِمْ عَلَىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁.

وَالمُعْتَزِلَةِ: لِاعْتِزَالِ رَئِيسِهِمْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ مَجْلِسَ الحَسَنِ البَصْرِيِّ.

فَأَسْمَاءُ أَهْلِ البِدَعِ وَأَلْقَابُهُمْ إِمَّا تَرْجِعُ إِلَىٰ الانْتِسَابِ لِأَشْخَاصٍ، وَإِمَّا تَرْجِعُ إِلَىٰ أَلْقَابٍ مُشْتَقَّةٍ مِنْ أَصْلِ بِدَعِهِمْ، وَإِمَّا أَنَّ هَذِهِ الأَلْقَابَ تَرْجِعُ إِلَىٰ سَبَبٍ مُعَيَّنٍ، كَالخُرُوجِ وَالاعْتِزَالِ.

قَالَ الشَّيْخُ بَكْرٌ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «حُكْمِ الانْتِمَاءِ إِلَىٰ الفِرَقِ وَالأَحْزَابِ وَالجَمَاعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ»: «لَمَّا حَصَلَتْ تِلْكَ الفِرَقُ؛ مُنْتَسِبَةً إِلَىٰ الإِسْلَامِ، مُنْشَقَّةً عَنِ العَمُودِ الفَقْرِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ، ظَهَرَتْ أَلْقَابُهُمُ الشَّرْعِيَّةُ المُمَيِّزَةُ لِجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ؛ لِنَفْيِ الفِرَقِ وَالأَهْوَاءِ عَنْهُمْ، سَوَاءٌ مَا كَانَ مِنَ الأَسْمَاءِ ثَابِتًا لَهُمْ بِأَصْلِ الشَّرْعِ؛ كَالجَمَاعَةِ، وَكَالفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ، أَوْ بِوَاسِطَةِ الْتِزَامِهِمْ بِالسُّنَنِ أَمَامَ أَهْلِ البِدَعِ

السحيمي

٣٠ كن سلفيًا على الجادة

ظاهرًا وباطنًا، والمرجئة لإرجائهم الأعمال عن مسمى الإيمان.

وإما أن هذه الألقاب ترجع إلى سبب خروج من تسمى بها عن عقيدة المسلمين وجماعتهم، كالخوارج لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، والمعتزلة لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء مَجلس الحسن البصري[1].

قال الشيخ بكر أبو زيد في "حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية" (ص ٢١):

"لما حصلت تلك الفرق منتسبة إلى الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين؛ ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين لنفي الفرق، والأهواء عنهم، سواءٌ ما كان لهم من الأسماء ثابتًا لهم بأصل الشرع: الجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع،

تَعْرِيفٌ مُوجَزٌ لِكُلِّ مصطلح يَتميَّزُ به أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ

هَذَا تَعْرِيفٌ مُوجَزٌ لِكُلِّ مُصْطَلَحٍ مِنْ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ:

* أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: هَذَا الاسْمُ مِنَ الأَسْمَاءِ المَشْهُورَةِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، وَهُوَ يُطْلَقُ مَقْرُونًا؛ فَيُقَالُ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَقَدْ يَرِدُ مُنْفَرِدًا فَيُقَالُ: أَهْلُ السُّنَّةِ، وَيُقَالُ: أَهْلُ الجَمَاعَةِ، وَهَذَا الأَخِيرُ قَلِيلٌ، وَالغَالِبُ اقْتِرَانُهُ بِالسُّنَّةِ فَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

قَالَ الإِمَامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «اعْلَمُوا أَنَّ الإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالآخَرِ.

فَمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ الجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا»(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ السُّنَّةَ مَقْرُونَةٌ بِالجَمَاعَةِ، كَمَا أَنَّ البِدْعَ

السحيمي

* ولنشرع في التعريف بمسميات أهل السنة والجماعة باختصار:

- أولاً: أهل السنة والجماعة:

هذا الاسم من الأسماء المشهورة الَّتي عُرِف بها أهل السنة، وهو يُطلق مقرونًا بالسّنة؛ فيقال: "أهل السنة والجماعة"، وقد يرد منفردًا، فيقال: "أهل السنة"، ويقال: "أهل الجماعة" وهو قليل، والغالب اقترانه بالسنة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن السنة مقرونة بالجماعة؛ كما أن البدعة

رسلان

مَقْرُونَةٌ بِالفُرْقَةِ، فَيُقَالُ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، كَمَا يُقَالُ: أَهْلُ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ»[١].

وَمِنْ أَسْبَابِ تَسْمِيَتِهِمْ بِهَذَا الاسْمِ أَنَّهُمْ قَدْ تَمَيَّزُوا بِمِيزَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: تَمَسُّكُهُمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ صَارُوا أَهْلَهَا، بِخِلَافِ سَائِرِ الفِرَقِ، فَهِيَ تَتَمَسَّكُ بِآرَائِهَا وَأَهْوَائِهَا وَأَقْوَالِ قَادَتِهَا وَزُعَمَائِهَا، فَهِيَ لَا تُنْسَبُ إِلَىٰ السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَىٰ بِدَعِهَا، أَوْ إِلَىٰ أَئِمَّتِهِمْ، أَوْ إِلَىٰ أَفْعَالِهِمْ؛ كَمَا مَرَّ.

وَالمِيزَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ أَهْلُ الجَمَاعَةِ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَدَمِ تَفَرُّقِهِمْ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ مَا اعْتَقَدُوهُ وَعَمِلُوا بِهِ، وَهُوَ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْرِيفِ أَهْلِ السُّنَّةِ: «هُمُ المُتَمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ»[٢].

(١) «الاستقامة» (١/ ٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٧٥).

السحيمي

مقرونة بالفرقة، فيقال: أهل السنة والجماعة؛ كما يقال: أهل البدعة والفرقة"[٢].

ومن أسباب تسميتهم بهذا الاسم "أهل السنة والجماعة" أنَّهم قد تميزوا بميزتين

(١) وفق فهم السلف.

(٢) "الاستقامة" (٤٢/١).

عظيمتين:

الأولَى: تمسكهم بسنة الرسول ﷺ حتَّى صاروا أهلها، بخلاف سائر الفرق فهي تتمسك بآرائها وأهوائها، وأقوال قادتها فهي لا تُنسب إلَى السنة، وإنَّما تُنسب إلَى بدعها، أو إلَى أئمتهم أو إلَى أفعالهم كما تقدم.

والميزة الثانية: أنَّهم أهل الجماعة؛ لاجتماعهم على الحق، وعدم تفرقهم، بخلاف الفرق الأخرى، فإنَّهم لا يَجتمعون على حق، وإنَّما يتبعون أهواءهم فلا حق يَجمعهم.

يقول شيخ الإسلام في تعريف أهل السنة: "هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان"[١].

رسلان

دعائم منهاج النبوة
(٢١٣)

* وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ أَهْلُ الحَدِيثِ، فَمِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي يُسَمَّى بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَهْلُ الحَدِيثِ، وَهَذَا يَرِدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الأَئِمَّةِ؛ كَالإِمَامِ أَحْمَدَ، وَالبُخَارِيِّ، وَشَيْخِ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُمُ اللهُ-، وَغَيرِهِم مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، يَذْكُرُونَ أَهْلَ الحَدِيثِ، وَيَذْكُرُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ مُبَيِّنِينَ اعْتِقَادَهُمْ، وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ.

فَهَذَا الإِمَامُ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ فِي عَقِيدَتِهِ: «إِنَّ أَصْحَابَ الحَدِيثِ المُتَمَسِّكِينَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ -حَفِظَ اللهُ أَحْيَاءَهُمْ وَرَحِمَ أَمْوَاتَهُمْ- يَشْهَدُونَ للهِ تَعَالَى بِالوَحْدَانِيَّةِ، وَلِلرَّسُولِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ...

إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَدْ أَعَاذَ اللهُ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَالتَّكْيِيفِ،

السحيمي

- **ثانيًا: أهل الحديث:**

من الأَسْمَاء الَّتِي يُسمى بِها أهل السنة والجماعة: "أهل الحديث"، وهذا يرد كثيرًا فِي كلام كثير من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من أهل العلم قبله وبعده يذكرون أهل الحديث، وأهل السنة مُبيِّنين اعتقادهم، ولا يُفرِّقون بين المصطلحين.

فهذا الإمام الصابوني يقول فِي عقيدته: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة -حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتَهم- يشهدون لله تعالَى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ...

إلَى أن يقول: وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه،

(١) "مجموع الفتاوى" (٢/٣٧٥).

رسلان

وَالتَّشْبِيهِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِالتَّعْرِيفِ وَالتَّفْهِيمِ»[1].

وَيَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَذْهَبُ السَّلَفِ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ»[2].

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِأَهْلِ الْحَدِيثِ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى سَمَاعِهِ أَوْ عَلَى كِتَابَتِهِ وَرِوَايَتِهِ، بَلْ نَعْنِي بِهِمْ: كُلَّ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِحِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَاتِّبَاعِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْقُرْآنِ»[3].

السحيمي

٣٣ كن سلفيًا على الجادة

ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم"[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة"[2].

فالمراد بأهل الحديث في كتب عقائد السلف: هم أهل السنة.

يقول ابن تيمية: "ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه، أو كتابته وروايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن"[3].

السحيمي

- **ثالثًا: الأثرية أو أهل الأثر:**

وهذا الاسم يطلقه كثير من أهل العلم، ويريدون به أهل السنة والحديث:

قال ابن أبي حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا: اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذهب أهل الأثر، مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل"[٤].

وقال في موضع آخر: "وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مُجبرة، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مُخالفة ونقصانية، وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة"[٥].

وورد ذلك في كلام كثير من الأئمة مثل: أبي نصر السجزي، وابن تيمية،

(١) "عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص ٤٢٣).

(٢) "درء تعارض العقل والنقل" (٢٠٣/١).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٩٥/٤).

(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١٧٩/١).

(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

والسفاريني، وغيرهم من أهل العلم[١] وسُمُّوا بذلك نسبة إلى الأثر، وفي الاصطلاح: الأثر مرادفٌ للحديث.

ومعنى أهل الأثر كما يقول السفاريني: "أي: الذين إنَّما يأخذون عقيدتَهم من المأثور عن الله -جل شأنه- في كتابه، أو في سنة النَّبي ﷺ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم الفخام ..."[٢]. وهذا بمعنى "أهل السنة" في إطلاق السلف[٣].

- **رابعا: الفرقة الناجية:**

أي: الناجية من النار؛ حيث استثناها النَّبي ﷺ لَما ذكر الفرق وقال: «**كلها في النار إلا واحدة**». يعني: ليست في النار[٤].

* **وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ الثَّالِثَةُ فَهِيَ: أَهْلُ الأَثَرِ**، وَسُمُّوا بِذَلِكَ نِسْبَةً إِلَى الأَثَرِ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ: الأَثَرُ: مُرَادِفٌ لِلْحَدِيثِ.

وَمَعْنَى أَهْلِ الأَثَرِ كَمَا قَالَ السَّفَّارِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: الَّذِينَ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ عَقِيدَتَهُمْ مِنَ المَأْثُورِ عَنِ اللهِ -جَلَّ شَأْنُهُ- فِي كِتَابِهِ، أَوْ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَا ثَبَتَ وَصَحَّ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ الفِخَامِ»[١].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَذْهَبُنَا وَاخْتِيَارُنَا: اتِّبَاعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الأَثَرِ، مِثْلُ: أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ...»[٢].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «وَعَلَامَةُ أَهْلِ البِدَعِ الوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ، وَعَلَامَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً، وَعَلَامَةُ القَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرَةً، وَعَلَامَةُ المُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً، وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً»[٣].

* **وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ الرَّابِعَةُ فَهِيَ: الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ** -أَي: النَّاجِيَةُ مِنَ النَّارِ-؛ حَيْثُ اسْتَثْنَاهَا النَّبِيُّ المُخْتَارُ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الفِرَقَ وَقَالَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»[٤].

(١) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٦٤).

(٢) أخرجه اللالكائي (١/ ١٨٠).

(٣) أخرجه اللالكائي (١/ ١٧٩).

(٤) تقدم تخريجه (ص٤٣).

رسلان

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَعَارِجِ القَبُولِ»: «وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ﷺ أَنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ؛ هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ ﷺ وَأَصْحَابُهُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-»(١).

* وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ الخَامِسَةُ فَهِيَ: الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(٢).

* وَمِنَ الإِطْلَاقَاتِ أَيْضًا عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: السَّلَفِيُّونَ، وَالسَّلَفِيَّةُ؛ نِسْبَةٌ لِلسَّلَفِ.

وَالسَّلَفُ فِي اللُّغَةِ: جَمْعُ سَالِفٍ، وَالسَّالِفُ: المُتَقَدِّمُ، وَالسَّلَفُ: الجَمَاعَةُ المُتَقَدِّمُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهَا: «وَالسَّلَفُ: مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الآبَاءِ، فَجَعَلْنَاهُمْ مُتَقَدِّمِينَ لِيَتَّعِظَ بِهِمُ الآخِرُونَ»(٢).

دعائم منهاج النبوة ٢١٧

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: «سَلَفُ الإِنْسَانِ: مَنْ تَقَدَّمَهُ بِالمَوْتِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ»(١).

السحيمي

قال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول(٥): "وقد أخبر الصادق المصدوق ن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه".

– خامسًا: الطائفة المنصورة:

وهذه التسمية مأخوذة من قوله ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «لا

٣٥
كن سلفيًا على الجادة

ـزال طائفة من أمتي ظاهرين حتَّى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون»(١).

– سادسًا: السلفية أو السلفيون:

نسبة للسلف، والسلف في اللغة: جمع سالف، والسالف: المتقدم، والسلف: لجماعة المتقدمون، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٦].

قال البغوي في تفسيرها: ". . . والسلف: من تقدم من الآباء فجعلناهم تقدمين ليتعظ بهم الآخرون".

وقال ابن الأثير: "سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، لهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح". هذا في اللغة.

أما في الاصطلاح: فما المقصود بالسلف الصالح؟ وما منهجهم في العقيدة؟ ما أبرز صفات منهجهم؟ هذا ما سنعرفه –إن شاء الله– في الدروس التالية.

رسلان

وَأَمَّا فِي الاصْطِلَاحِ:

فَالمَعْنَىٰ المَقْصُودُ بِالسَّلَفِ فِي الاصْطِلَاحِ: اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَىٰ أَقْوَالٍ عِدَّةٍ، أَهَمُّهَا:

أَنَّهُمُ الصَّحَابَةُ فَقَطْ.

وَأَنَّهُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ.

وَأَنَّهُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُو التَّابِعِينَ.

وَأَنَّهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَ الخَمْسِمِئَةِ.

وَيَزْعُمُ أَصْحَابُ هَذَا القَوْلِ أَنَّهُ مَذْهَبٌ يُحَدَّدُ بِفَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ لَا يَتَعَدَّاهَا.

يَقُولُونَ: ثُمَّ إِنَّ الفِكْرَ الإِسْلَامِيَّ!! تَطَوَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِ رِجَالِهِ، وَمِمَّنْ ذَهَبَ هَذَا المَذْهَبَ «البُوطِيُّ» فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَبَّسَ فِيهِ مَا لَبَّسَ، وَأَتَىٰ فِيهِ بِمَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ إِلَّا سَلَفُهُ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ.

فَهَلِ التَّحْدِيدُ الزَّمَنِيُّ كَافٍ لِتَحْدِيدِ مَفْهُومِ السَّلَفِ؟

إِذَا قُلْنَا بِأَنَّ المُرَادَ بِالسَّلَفِ زَمَنِيًّا هُمْ أَهْلُ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ، اسْتِئْنَاسًا

دعائم منهاج النبوة

٢١٨

بِالأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فِي تَعْيِينِ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ، فَهَلْ نَعْتَبِرُ كُلَّ مَنْ عَاشَ فِي هَذِهِ القُرُونِ سَلَفًا يُقْتَدَىٰ بِهِ؟

السحيمي

٣٦ كن سلفيًا على الجادة

١- المقصود بالسلف

تقدم فيما مضى التعريف اللغوي بمعنَى السلف، وأما المعنَى المقصود بالسلف فِي الاصطلاح فقد اختُلف فِي ذلك على أقوال عدة، أهمها:

١- أنّهم الصحابة فقط.

٢- أنّهم الصحابة والتابعون.

٣- أنّهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين.

٤- أن السلف من كان قبل الخمسمائة، ويزعم أصحاب هذا القول أنه مذهب يُحدد بفترة زمنية معينة لا يتعداها، ثُمَّ إن الفكر الإسلامي تطور بعد ذلك على يد رجاله.

فهل التحديد الزمني كافٍ لتحديد مفهوم السلف، إذا قلنا بأن المرادف بالسلف زمنيًّا هم أهل القرون الثلاثة المفضلة استئناسًا بالأحاديث الواردة فِي تعيين القرون المفضلة؛ فهل نعتبر كل من عاش فِي هذه القرون سلفًا يُقتدى به؟

رسلان

لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَأَنَّ الإِجَابَةَ عَلَىٰ هَذَا التَّسَاؤُلِ: النَّفْيُ.

فَقَدْ خَرَجَتْ كَثِيرٌ مِنَ الفِرَقِ وَالطَّوَائِفِ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ، فَهَلْ تُعَدُّ سَلَفًا يُقْتَدَىٰ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ؟!

قَدْ ظَهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الفِرَقِ وَالطَّوَائِفِ الضَّالَّةِ، الَّتِي اعْتَنَقَتِ الآرَاءَ المُنْحَرِفَةَ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ، فَهَلْ يُعَدُّ هَؤُلَاءِ سَلَفًا؟

إِذَنْ؛ لَيْسَ السَّبْقُ الزَّمَنِيُّ كَافِيًا فِي تَعْيِينِ السَّلَفِ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يُضَافَ إِلَىٰ هَذَا السَّبْقِ الزَّمَنِيِّ شَيءٌ آخَرُ؛ وَهُوَ مُوَافَقَةُ الاعتِقَادِ وَالقَولِ وَالعَمَلِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَنْ خَالَفَ اعتِقَادُهُ أَو قَوْلُهُ أَو عَمَلُهُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَلَيْسَ بِسَلَفِيٍّ وَإِنْ عَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانَي الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

هَلْ يُعَدُّ الخَارِجِيُّ الَّذِي اعْتَرَضَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَنَا سَلَفًا، وَهُوَ كَانَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؟!!

فَهَؤُلَاءِ لَابُدَّ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي كُلِّ مَا أَتَوْا بِهِ، حَتَّىٰ يَكُونُوا لَنَا سَلَفًا، فَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ فَلَا يُعَدُّ لَنَا سَلَفًا.

إِذَنْ؛ وُجُودُ الشَّخْصِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَا يَكْفِي لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ عَلَىٰ مَذْهَبِ السَّلَفِ، مَا لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، مُتَّبِعًا

السحيمي

لا شك أن ذلك غير صحيح، وأن الإجابة على هذا التساؤل هي النفي؛ فقد خرجت كثير من الفرق والطوائف في هذه الفترة الزمنية.

فليس السبق الزمني كافيًا في تعيين السلف؛ بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة؛ فمن خالف رأيه الكتاب والسنة

٣٧

كن سلفيًا على الجادة

فليس بسلفي، وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين[1].

إذن فوجود شخص ما في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه على مذهب السلف ما لم يكن موافقًا للكتاب والسنة في أقواله وأفعاله، متبعًا لا

رسلان

لَا مُبْتَدِعًا؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ العُلَمَاءِ يُقَيِّدُ هَذَا المُصْطَلَحَ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِ، فَيَقُولُ: السَّلَفُ الصَّالِحُ.

لِأَنَّ السَّلَفَ: مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبَائِكَ وَذَوِي قُرْبَاكَ، فَهُمُ السَّالِفُونَ، قَدْ يَكُونُ مِنْهُمُ الصَّالِحُ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُمُ الطَّالِحُ، فَلَابُدَّ مِنَ التَّقْيِيدِ بِهَذَا القَيْدِ.

قَالَ السَّفَّارِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُرَادُ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، وَأَعْيَانُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ، مِمَّنْ شُهِدَ لَهُ بِالإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ شَأْنِهِ فِي الدِّينِ، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ، أَوْ شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ.

مِثْلُ: الخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالمُرْجِئَةِ، وَالجَبْرِيَّةِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالمُعْتَزِلَةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ... وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ»[1].

فَلَيْسَ كُلُّ سَلَفٍ يُقْتَدَى بِهِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ القُدْوَةُ وَالأُسْوَةُ بِأُولَئِكَ السَّلَفِ الأَخْيَارِ؛ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ ﷺ، وَأَئِمَّةِ التَّابِعِينَ، وَتَابِعِيهِمْ، الَّذِينَ شُهِدَ لَهُمْ بِالخَيْرِيَّةِ، الَّذِينَ عُرِفَ تَمَسُّكُهُمْ بِالسُّنَّةِ، وَالإِمَامَةُ فِيهَا، مَعَ اجْتِنَابِ البِدْعَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا.

وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاقْتِفَاءِ آثَرِهِمْ وَسُلُوكِ مِنْهَاجِهِمْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

(١) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١ / ٢٠)

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكُلٌّ مِنَ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إِلَى اللهِ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ، وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ مِنْ أَكْبَرِ سَبِيلِهِ»[1].

السحيمي

مبتدعًا؛ لذلك فإن كثيرًا من العلماء يقيد هذا المصطلح عند استعماله فيقو[ل] السلف الصالح.

قال الإمام السفاريني: "المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممَّن شُهدَ له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف دون من رُمي ببدعة، أو شُهِر بلقب غير مُرضٍ، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[2].

فقد احترز هذا الإمام: فقيَّد السلف الذي يقتدى به بأن يكون ممَّن شُهد له بالإمامة، ولَمْ يُرمَ ببدعة؛ فليس كل سلف يُقتدى به، وإنَّما تكون القدوة والأسوة بأولئك السلف الأخيار من أصحاب رسول الله ﷺ، وأئمة التابعين وتابعيهم، الذين شُهد لَهم بالخيرية، والذين عُرف تَمسكهم بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة، والتحذير منها، وقد أمرنا الله باتباع سبيل أصحاب رسول الله ﷺ، واقتفاء أثرهم وسلوك منهجهم، فقال ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

قال الإمام ابن القيم: "وكل من الصحابة منيب إلَى الله؛ فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله"[3].

(١) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" للدكتور مُحمَّد باكريم (ص ٩٦-١٠١) بتصرف يسير، وهو كتاب قيم.

(٢) "لوامع الأنوار" (١/ ٢٠).

(٣) "إعلام الموقعين" (٤/ ١٢٠).

رسلان

وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَمَّنِ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

إِذَنْ؛ فَلَيْسَ مِنَ الِابْتِدَاعِ فِي شَيْءٍ أَنْ يَتَسَمَّىٰ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالسَّلَفِيِّينَ، بَلْ إِنَّ مُصْطَلَحَ السَّلَفِ يُسَاوِي تَمَامًا مُصْطَلَحَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُدْرَكُ ذَلِكَ بِتَأَمُّلِ اجْتِمَاعِ كُلٍّ مِنَ الْمُصْطَلَحَيْنِ فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ؛ فَهُمُ السَّلَفُ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْمُنَازَعَةُ حَيْثُ يَدَّعِي الِانْتِسَابَ إِلَى السَّلَفِ مَنْ لَيْسَ بِمُنْتَسِبٍ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً، فَحِينَئِذٍ لَابُدَّ مِنَ التَّمَيُّزِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوقِعُ فِي الِاشْتِبَاهِ؛ أَنَّهُ قَدْ يَنْتَسِبُ إِلَى السَّلَفِ مَنْ لَيْسَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ، وَمَنْ لَيْسَ بِمُنْتَمٍ إِلَيْهِمْ، وَلَا بِمُنْتَسِبٍ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً.

إِذَنْ؛ فَكَمَا يَصِحُّ لَنَا الْقَوْلُ: سُنِّيٌّ -نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَإِلَى سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ-، يَصِحُّ لَنَا الْقَوْلُ: سَلَفِيٌّ -نِسْبَةً إِلَى السَّلَفِ-، فَإِنَّهُ بَعْدَ وُجُودِ الْفِرَقِ وَحُصُولِ الِافْتِرَاقِ، أَصْبَحَ مَدْلُولُ السَّلَفِ مُنْطَبِقًا عَلَى مَنْ حَافَظَ عَلَى سَلَامَةِ

دعائم منهاج النبوة (٢٢١)

الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ طِبْقًا لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَالْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ.

وَيَكُونُ هَذَا الْمُصْطَلَحُ «السَّلَفُ»: مُرَادِفًا لِلْأَسْمَاءِ الشَّرْعِيَّةِ الْأُخْرَى لِأَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَابُدَّ مِنْ إِظْهَارِ مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَلَابُدَّ مِنْ بَيَانِ مَوْقِفِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ.

السحيمي

٣٨ كن سلفيًا على الجادة

وقد رضي الله عنهم، وعمَّن اتبعهم بإحسان، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

إذن فليس من الابتداع في شيء أن يتسمَّى أهل السنة بالسلفيين؛ بل إن مصطلح السلف يساوي تمامًا مصطلح أهل السنة والجماعة، ويدرك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين في حق الصحابة، فهم السلف، وهم أهل السنة والجماعة[1].

فكما يصح لنا القول: "سُنّي" نسبة إلى أهل السنة؛ يصح لنا القول: "سلفي" نسبة إلى السلف، لا فرق إذن؛ فإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقًا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح "السلف" مرادفًا للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة كما تقدم.

رسلان

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَصْفِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﵁: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص٤٢).
(٢) تقدم تخريجه (ص٤٣).
(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧)، وانظر: «مشكاة المصابيح» (١٩٣).

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: «أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدْعَةِ»(١).

فَجَعَلَ الأَصْلَ الأَوَّلَ: التَّمَسُّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَكَرَ الاقْتِدَاءَ بِهِمْ، وَتَرْكَ الْبِدَعِ.

وَمَا زَالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ وَعُلَمَاؤُهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، يَدْعُونَ إِلَى اتِّبَاعِ السَّلَفِ

السحيمي

٢- إظهار مذهب السلف وبيان موقفهم من أهل البدع

قال الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخُلفاء الراشدين المَهديين؛ تمسكوا بها، وعَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

وقال ﷺ في وصف الفرقة الناجية –وقد قيل له: من هي يا رسول الله؟–: «ما أنا عليه وأصحابي».

وقال ابن مسعود ﵁: «من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب مُحمَّد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم»(٢).

وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع"(٣).

وما زال أئمة السنة وعلماؤها جيلاً بعد جيل يدعون إلى اتباع السلف

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وابن حبان، وغيرهم، وهو حديث صحيح.
(٢) "شرح السنة" للبغوي (١/ ٢١٤).
(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١/ ١٥٦).

السحيمي

الصالح والاقتداء بهم، وسلوك طريقهم، وما برح أهل السنة يستدلون على دينهم وعقائدهم بما جاء في كتاب الله، وبما صح عن رسول الله ﷺ، فإن لَمْ يجدوا فيهما فبما ثبت عن السلف الصالحين من الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين المعروف عنهم الإمامة في السنة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]:

"فللناس في هذا مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق..."(١).

وقال الإمام ابن أبي العز الْحَنفي شارح الطحاوية: "وقد أحببت أن أشرحها سالكًا طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم متطفلاً عليهم؛ لعلي أنضم في سلكهم، وأدخل في عدادهم"(٢).

وقال الإمام الذهبي في مقدمة كتابه القيم "العلو للعلي الغفار": فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف؛ فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثُمَّ انظر ما قاله الصحابة والتابعون، وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما تسكت بحلم"(٣).

فقد احتاج أهل السنة إلى بيان إظهار مذهب السلف الصالح الذين لا يشك أحد في أنَّهم أهل السنة المعروفون بها -احتاجوا إلى إظهار ذلك لَمَّا بزغت

(١) "تفسير ابن كثير" (٢/٤٢٢).

(٢) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ٧٤).

(٣) (ص ١٦)، وانظر لما تقدم: "وسطية أهل السنة بين الفرق" تأليف الدكتور الفاضل مُحمَّد باكريم مُحمَّد باعبد الله (ص ١٠٢-١٠٥).

الصَّالِحِ، وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَسُلُوكِ طَرِيقِهِمْ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِهِمْ، فَمَا بَرِحَ أَهْلُ السُّنَّةِ يَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَبِمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهِمَا؛ فَبِمَا ثَبَتَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، المَعْرُوفِ عَنْهُمُ الإِمَامَةُ فِي السُّنَّةِ وَالدِّينِ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤]: «فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، وَإِنَّمَا يُسْلَكُ فِي هَذَا المَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٍ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ»(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِيُّ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ: «وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ

رسلان

أَشْرَحَهَا سَالِكًا طَرِيقَ السَّلَفِ فِي عِبَارَاتِهِمْ، وَأَنْسِجَ عَلَىٰ مِنْوَالِهِمْ، مُتَطَفِّلًا عَلَيْهِمْ، لَعَلِّي أَنْظَمُ فِي سِلْكِهِمْ، وَأُدْخَلُ فِي عِدَادِهِمْ»(١).

وَقَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «العُلُوِّ لِلْعَلِيِّ الغَفَّارِ»: «فَإِنْ أَحْبَبْتَ يَا عَبْدَ اللهِ الإِنْصَافَ فَقِفْ مَعَ نُصُوصِ القُرْآنِ وَالسُّنَنِ، ثُمَّ انْظُرْ مَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ فِي هَذِهِ الآيَاتِ، وَمَا حَكَوْهُ مِنْ مَذَاهِبِ السَّلَفِ؛ فَإِمَّا أَنْ تَنْطِقَ بِعِلْمٍ، وَإِمَّا أَنْ تَسْكُتَ بِحِلْمٍ»(٢).

فَقَدِ احْتَاجَ أَهْلُ السُّنَّةِ إِلَىٰ بَيَانِ إِظْهَارِ مَذْهَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِينَ لَا يَشُكُّ أَحَدٌ فِي أَنَّهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ المَعْرُوفُونَ بِهَا؛ لَمَّا بَزَغَتْ قُرُونُ أَهْلِ البِدَعِ وَالخِلَافِ،

رسلان

فَخَرَجَتْ تِلْكَ الطَّوَائِفُ وَالفِرَقُ، وَكَانُوا[٣] يَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ أَقْوَالِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ بِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يُنْزِلُونَهَا عَلَىٰ آرَائِهِمْ، وَيُصَرِّفُونَهَا عَلَىٰ حَسَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَيَصْرِفُونَهَا عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُهَا، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَرُبَّمَا الْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَىٰ عَامَّةِ النَّاسِ، فَهُنَا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَىٰ إِظْهَارِ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَبَيَانِهِ، وَلِذَا كَانَ أَهْلُ العِلْمِ مِنَ الأَئِمَّةِ حَرِيصِينَ عَلَىٰ أَنْ يُبَيِّنُوا أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ وَمَا قَالُوهُ مِنْ مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ هُوَ قَوْلُ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، لِيَعْلَمَ مَنْ كَانَ هُنَالِكَ مِمَّنْ خَالَفَ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٧٧- المكتب الإسلامي).

(٢) «مختصر العلو للعلي الغفار» للذهبي (ص٨٠- المكتب الإسلامي).

(٣) أي: كَانَ أَصْحَابُ هَذِهِ الفِرَقِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ حَقٍّ وَأَنَّهُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ.

أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ قَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنْ قَوْلِ التَّابِعِينَ، وَلَا مِنْ قَوْلِ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا مِنْ هَدْيِهِمْ، وَأَنَّهُ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ البِدَعِ وَالخِلَافِ.

السحيمي

قرون أهل البدع والخلاف؛ فخرجت تلك الطوائف والفرق وكانوا -أي: أصحاب هذه الفرق- يرون أنّهم على حق، وأنّهم الفرقة الناجية.

ويستدلون على أقوالهم ومذاهبهم بنصوص الكتاب والسنة، يُنْزلونها على آرائهم، ويصرفونها عمَّا دلت عليه ظواهرها، ويدَّعون أنّهم متبعون للكتاب والسنة، وربَّما التبس الأمر على عامة الناس، فهنا احتاج الناس إِلَى إظهار مذهب السلف وبيانه؛ ولذا كان أهل العلم من الأئمة حريصين على أن يبينوا أن ما ذكروه، وما قالوه من مسائل الاعتقاد هو قول من سبقهم من أئمة السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ ليعلم أن ما خالف ذلك ليس هو من قولهم، ولا من هديهم، وأنه من أقوال أهل البدع والخلاف[١].

(١) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ١٠٥-١٠٦) بتصرف يسير.

الباب الثاني

السرقات العلمية في كتابه(تمييز العلماء من المفكرين والخطباء)

وصف السرقة

❁ عمد محمد سعيد رسلان إلى فصل (التفريق بين العلماء وبين من قد يشتبه منهم)من كتاب (قواعد في التعامل مع العلماء للشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق فقام بسرقة هذا الفصل كاملا لفظا وفكرة أصلا وحواشي .

❁ قام بتغيير وتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.

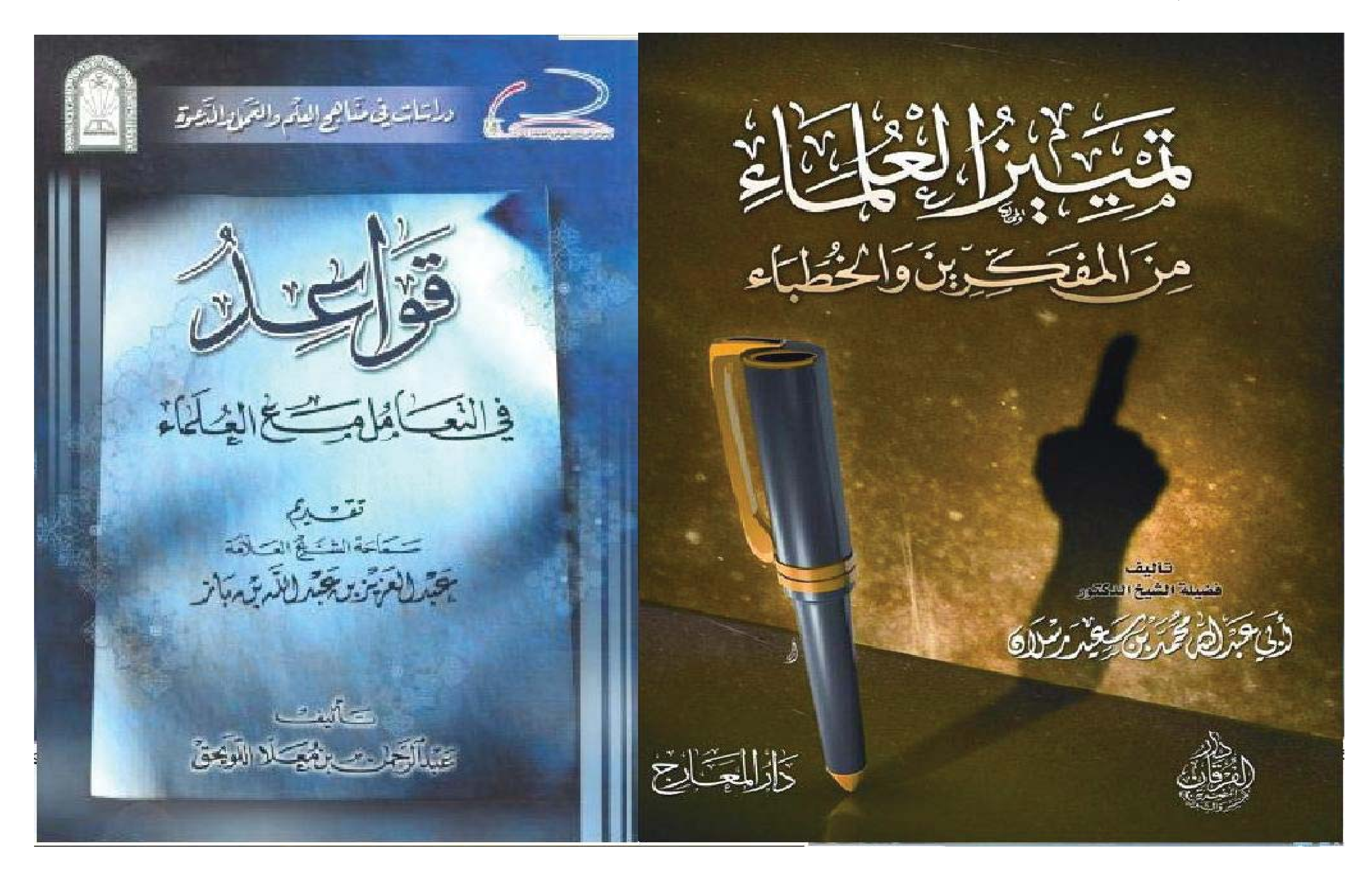
❁ وضع لهذا فصل بعد التعديل اسماً هو تقريبا نفس عنوان الفصل فسماه (تمييز العلماء من المفكرين والخطباء) .

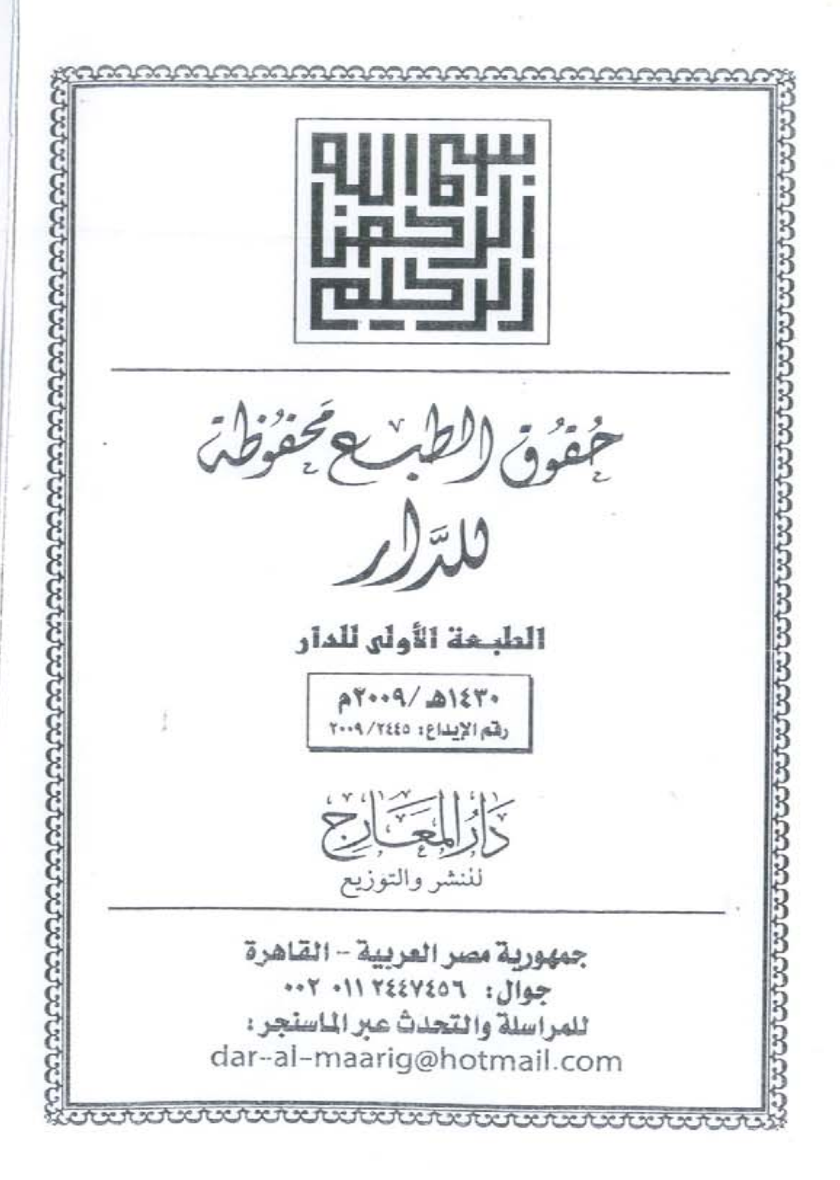
❁ تمثل هذه السرقة جزء كبيرا من الكتاب .

❁ نسب الكتاب لنفسه وقد أحال إلى الكتاب في نقلين أو ثلاثة وفي الباقي لا يشير ولا يعزو موهما أنه كلامه ومن كيسه وهذا أيضا مما يؤكد تعمده للسرقة .

❁ أحيانا يحذف اسم صاحب الكلام الأصلي –كالذهبي مثلا ويدمجه مع كلام المؤلف –اللويحق ثم لا ينسب لا للمؤلف ولا إلى الذي نقل منه وكأنه من كلامه هو وهذا أيضا مما يؤكد تعمده للسرقة.

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب عدة طبعات في مكتبة (الفرقان) .


دراسات في مناهج العلم والعمل والدعوة
قواعد
في التعامل مع العلماء
تقديم
سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
تأليف
عبد الرحمن بن معلا اللويحق
تمييز العلماء
من المفكرين والخطباء
تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
دار المعارج
دار الفرقان


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى للدار

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٤٤٥/٢٠٠٩

دار المعارج للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة

جوال: ٢٤٤٧٤٥٦ ٠١١ ٠٠٢

للمراسلة والتحدث عبر الماسنجر:

dar-al-maarig@hotmail.com

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

رسلان

الكلامَ فيه، ومَن لا عِلمَ عنده، ووقعت محنٌ عظيمةٌ، وأُريقت دماءٌ غزيرةٌ، وفتنٌ ما زالت تتوالَىٰ كما مرَّ ذِكرُ ذلكَ في الأحاديثِ[١]، وإن كانت موقوفةً علىٰ الأصحابِ -رضوانُ الله عليهم- فإنَّهَا مِمَا يتعلَّقُ بغيبٍ آتٍ، والغيبُ الآتِي لا يمكنُ أن يتكلَّمَ فيه صحابيٌّ إلا بِعلمٍ يأثرُهُ من الرسولِ ﷺ، ولذا فهذا موقوفٌ له حُكمُ المرفوعِ؛ لأنَّ الكلامَ فيهِ عن غيبِ آتٍ، ومثلُهُ لا يصدُرُ فيه عن الرأيِ المجرَّدِ، وإذن فلابدَّ أن يكونَ قد أخذَه من الرسولِ ﷺ.

تصدَّىٰ الناسُ بسببِ انتشارِ الكتبِ بينهم للنظرِ في النصوصِ دُونَ معرفةِ بأصولِ النظرِ وقواعدِ الاستنباط، ودونَ معرفةٍ بعوارضِ الأدلَّةِ وطُرُقِ دَفعِ التعارضِ وأساليبِ الترجيحِ.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **«قَدِمَ علىٰ عُمَرَ رجلٌ، فجعلَ عُمَرُ يسألُهُ عَنِ النَّاسِ** -أي: أتَىٰ من مصرٍ من الأمصار البعيدةِ من بلدٍ بعيدٍ- **فقالَ: يا أميرَ المؤمنين، قد قرأ القرآنَ منهم كذَا وكذا** -أي: جُملة غفيرةٌ قرءوا القرآن في لسانِهم، رَحمةُ الله عَليهم ورضوانُه، يعني: أنَّهم حملُوه حفظًا- **فقُلتُ**[٢]: **والله ما أحبُّ أن يسارِعُوا يومَهم هذا في القرآنِ هذهِ المسارعة**- وهذا أمرٌ غريب، لا يحبُّ ابنُ عبَّاسٍ أن يسارعُوا في حَملِ القرآنِ هذهِ المسارعةَ التي وصفَهَا الرجل لأمير المؤمنينَ عمر... كيف؟- **قال: فَزَبَرَنِي عُمَرُ ثُمَّ قالَ: مَه. فانطلقتُ إلىٰ منزلي مُكتئبًا حزينًا. فقلت: قد كُنتُ نزلتُ من هذا** -يعني: من

(١) راجعها (ص٨-١١).

(٢) القائل: هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

اللويحق

المبحث الثالث

التفريق بين العلماء وبين من قد يشتبه بهم

إنه لكي يتم التصوّر الصحيح لحقيقة العلماء فلا بد من التمييز بينهم، وبين من قد يُعَدُّ منهم، وليس منهم، ولذلك كان لزاماً أن أعقد هذا المبحث لبيان هذا الأمر:

□ **أولاً: التفريق بين العلماء والقراء:**

إن من مميزات هذا العصر تفشي القراءة فيه حتى أصبحت ظاهرة عامة، إذ صار معظم الناس يستطيع أن يقرأ، وصار الجاهل بالقراءة هو المستثنى من عموم الناس.

واقترن بتفشي القراءة كثرة الكتب التي تُخْرجها المطابع.

وانتشرت مؤلفات علماء المسلمين المحتوية على سنة سيد المرسلين ـ ﷺ ـ، وعلى الأحكام الشرعية.

وهذا الأمر مع أنه نعمة من نعم المولى ـ جلّ شأنه ـ إلا أنه قد يكون سبباً للانحراف عن الحق، وذلك إذا تصدّى الناس بسبب انتشار الكتب بينهم للنظر في النصوص دون معرفة بأصول النظر، وقواعد الاستنباط، ودون معرفة بعوارض الأدلة وطرق دفع التعارض، وأساليب الترجيح.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

(قَدِمَ على عمرَ رجلٌ فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المُسَارَعة. قال: فَزَبَرَني عمر، ثم قال: مه. فانطلقت إلى

أمير المؤمنين- بمنزلة، ولا أُرَانِي إلَّا قد سقطتُ من نفسه.

فاضطَجَعتُ علىٰ فراشي، حتىٰ عَادَنِي نسوةٌ (من) أهلي وما بي وجعٌ، فبَينَا أنَا علىٰ ذَلِكَ، قِيلَ لي: أَجب أميرَ المؤمنين، فخرجتُ فإذا هو قائمٌ علىٰ الباب ينتظرُني، فأخذ بيدي، ثمَّ خَلا بي، فقال: ما الذي كَرهتَ مِمَّا قَالَ الرجلُ آنفًا؟ قُلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، إن كُنتُ أسَأتُ فإنِّي أستغفرُ الله وأتوبُ إليه، وأنزلُ حيثُ أحببتَ، قالَ: لَتُخبِرنِّي، قُلتُ: متىٰ ما يسارعُوا -يعني في القرآنِ- هذهِ المسارعةَ يحتَقُّوا -يعني: يقولون: أنا أقرأُ منك، ومُقَدَّمٌ عنكَ، ومرفوعٌ عليك- ومتىٰ ما يحتقُّوا يختَصمُوا، ومتىٰ ما اختصموا يختلفوا، ومتىٰ ما يختلفُوا يقتتلُوا، قال: لله أبُوكَ، لقد كُنتُ أكتمُهَا الناسَ حتىٰ جئتَ بِهَا»[1].

فأقرَّهَا أميرُ المؤمنين ﵁.

العملَ العملَ، فهو ثمرةُ العلم في الحقيقة، ولا عِلمَ يقومُ في ميزانِ الشرعِ بغيرِ عمَل؛ فابنُ عباسٍ ﵄ خافَ من الناسِ وعليهم المسارعةَ في القرآنِ دونَ فقهٍ وفَهم؛ لأن المسارعة إلىٰ ذلكَ قد تؤدِّي إلىٰ انحرافٍ عن الطريق المستقيم وعن الحَق؛ لأنَّ الخوارجَ كانُوا يقرءوُنَ القرآنَ، ولكنَّهم لم يكونُوا أهلَ فَهمٍ وعِلمٍ، يقولُ الرسولُ ﷺ فيهم: «يقرءونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهم». وفي رواية: «لا يجاوزُ تَرَاقِيهم». والحديثُ في الصحيحين[2]

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (ج١١/ ص٢١٧) (رقم ٢٠٣٦٨)، والفسوي في التاريخ (ج١/ ص٥١٦)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (ج٣/ ص٣٤٨-٣٤٩) وقال مُحققه: رجالُه ثقاتٌ.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه، ومنها: كتاب المناقب، باب علامات النبوة =

منزلي مكتئباً حزيناً، فقلت: قد كنتُ نزلت من هذا بمنزلة، ولا أُراني إلاَّ قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك قيل لي: أجِبْ أميرَ المؤمنين فخرجت، فإذا هو قائمٌ على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجل آنفاً؟ قلت: يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله، وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت. قال: لتُخْبِرنِّي. قلت: متى ما يُسَارعوا هذه المسارعة يَحْتَقُّوا، ومتى ما يَحْتَقُّوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: للهِ أبوك لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها)[1].

فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ خاف على الناس المسارعة في القراءة دون فقه وفهم، والمسارعة إلى ذلك قد تؤدي إلى انحراف عن الحق.

ولقد كان الخوارج يقرؤون القرآن ولكنهم لم يكونوا أهل فهم وعلم، يقول الرسول ـ ﷺ ـ فيهم:

«يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»[2].

أي: أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه وهم لا يتفقهون فيه، ولا يعرفون مقاصده[3].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ:

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٢١٧، ح٢٠٣٦٨)، من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس، والفسوي في «التاريخ»: (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: (٣/ ٣٤٩)، وقال المحقق: رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري: (٨/ ٥٣)، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ترك قتال الخوارج للتأليف وأن لا ينفر الناس عنه، ومسلم: (٢/ ٧٤١، ح١٠٦٤)، كتاب الزكاة، بابُ ذكر الخوارج وصفاتهم من حديث أبي سعيد، الطويل في ذكر صفة الخوارج.

(٣) ينظر الشاطبي: في «الاعتصام»: (٢/ ٢٢٦).

رسلان

وهذه شهادةُ رسولِ الله ﷺ: يأخذونَ أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه، وهم لا يتفقَّهونَ فيه، ولا يعرفونَ مقاصدَه؛ يعني: ليسَ لهم حظٌّ إلاَّ مرور القرآنِ على ألسنتهم، لا يصلُ إلىٰ حلوقِهم، فضلًا عن أن يصلَ إلىٰ قلوبِهم؛ لأنَّ المطلوبَ هو تعقُّلُ القرآنِ وتدبُّرُهُ بوقوعِهِ في القلب واستقراره فيه

هٰذِهِ الظاهرةُ -تَفَشِّي القِراءة- أنتجت وجودَ طائفةٍ من الناسِ، سَمَّهم: القُرَّاء، فئة من طلبةِ العلمِ أو المثقفينَ، قرءوا نُتَفًا من العلمِ، وهم غيرُ فقهاء بذلك العلم، يجيدون القراءة، ويقرءونَ ما يُكتَبُ لهم. إلىٰ غير ذلك من تلك الأشياء.

ويُروىٰ عن أبي هريرة -بإسناد ضعيف- فيما يرفعُهُ إلىٰ الرسولِ ﷺ: **«سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَكثُرُ فِيهِ القُرَّاءُ، ويَقِلُّ فيهِ الفقهاءُ، ويُقْبَضُ العلمُ، ويَكثُرُ الهرجُ»**[1].

في الإسلام (رقم٣٦١٠، ٣٦١١) الفتح (٦/ ٧١٤-٧١٥)، وكتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف... (رقم٦٩٣٣، ٦٩٣٤) الفتح (١٢/ ٣٠٣)، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم (رقم ٧٥٦٢) الفتح (١٣/ ٥٤٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلَّفة قلوبهم ومن يُخاف علىٰ إيمانه (ج٧/ ص١٥٩-١٦٨ - شرح النووي).

(١) أخرجه الطبرانيُّ في الأوسط، والحاكم في المستدرك وصححهُ، ووافقه الذهبي، وضعفه الشيخُ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ج٣/ ص٢٢٥) (رقم ٣٢٩٥) ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. وذكره في السلسلة الضعيفة (ج٨/ ص١٩١) (رقم ٣٧١٢) ط مكتبة المعارف، الرياض ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

اللويحق

(المراد أنهم ليس لهم فيه حظٌّ إلا مروره على لسانهم[1] لا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم، لأن المطلوب تعقّله وتدبّره بوقوعه في القلب)[2].

إن هذه الظاهرة - أعني: تفشي القراءة - أنتجت وجود طائفة هم: القرّاء.

والمقصود بالقراء: فئة من طلبة العلم أو المثقفين قرؤوا نتفاً من العلم وهم غير فقهاء بذلك العلم.

قال الشيخ العلامة حمود التويجري - رحمه الله -:

(والمراد بالقراء - والله أعلم -: الذين يجيدون القراءة ويقرؤون ما يُكتب لهم)[3].

وقد بَيَّن النبي - ﷺ - أنَّه سيأتي على الناس زمانٌ يكثر فيه القراء، ويقلُّ فيه الفقهاء، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«سيأتي على الناس زمانٌ يكثر فيه القراء، ويقلُّ فيه الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج»[4].

رسلان

وقد ظهرَ مِصداقُ هذا الحديث في زمانِنَا؛ فقلَّ الفقهاءُ العارفونَ بما جَاءَ عن الله ورسولِهِ ﷺ، وكثُرَ القُرَّاءُ في الكبارِ والصغارِ والرجالِ والنساءِ بسبب كثرةِ المدارسِ وانتشارها.

لابُدَّ من أن نميِّز بَيْنَ المثقَّفِ ثقافةً دينية والعالِم؛ العالِمُ له أصولُهُ وأُسُسُه التي يرتكزُ عليها، وأما الذي هو قد تحصَّل علىٰ بعض النُّتَفِ من بعض القراءات المُبْتَسَرةِ أو المنظَّمةِ من غير ما عودةٍ إلىٰ الأصول المرعيَّةِ والقواعد الشرعيَّة، والجلوسِ في حِلَقِ العلماءِ الكبارِ ومزاحمتِهم بالرُّكَبِ، والسؤال عمَّا أشكلَ، ومحاولةِ الوصول إلىٰ الصواب عند الإعسارِ، كلُّ ذلكَ عندَمَا يُفْقَدُ، ويَتَصَدَّىٰ للكلامِ في الدِّين مَن لم يحصِّلهُ، حدَّث عن الفوضىٰ ولا حرج.

قومٌ انتموا إلىٰ العلم في الظاهرِ، ولَمْ يتقنوا منه سِوَىٰ نَزرٍ يسير، أوْهَمُوا به أنَّهم علماء فُضلاء، ولَمْ يَدُر في أذهانِهم قطُّ أنَّهم يتقرَّبُون به إلىٰ الله؛ لأنهم ما رأوا شيخًا يُقْتَدىٰ به في العلم، فصارُوا هَمَجًا، غايةُ المرءِ منهم: أن يحصِّل كتبًا مُثَمَّنةً يخزنُهَا وينظرُ فيها يومًا، فيصحِّفُ ما يُورِدهُ ولا يقرِّرُه.

وهو أمرٌ قديم؛ فقد قال واحدٌ من أولئك الرواة قديمًا – هو من قبيلة يُقال لها: عَنَزَة، فهُو عَنَزِيٌّ – قال: نحنُ قومٌ لنا شَرَفٌ، قالوا: وما ذاك؟ قال: صلَّىٰ الرسولُ ﷺ إلينا -أي: جعلهم قِبْلَةً؛ لأن قبيلتهم رُبَّمَا كانت مضاربُهَا وديارُهَا بضدِّ القِبْلَةَ-. قالُوا: كيف ذلك؟ قال: صَلَّىٰ ﷺ إلينا، فنحنُ قومٌ لَنَا شَرَفٌ. قالُوا: كيف؟ قال: أَلَمْ تسمعوا الحديث: «صلَّىٰ رسولُ الله ﷺ إلىٰ عَنَزَة»[1].

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر (رقم ٣٧٦) (الفتح ١/ ٥٧٨
=

اللويحق

قال الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - :

(وقد ظهر مصداق هذا الحديث في زماننا فقل الفقهاء العارفون بما جاء عن الله ورسوله - ﷺ - وكثر القراء في الكبار والصغار، والرجال والنساء، بسبب كثرة المدارس، وانتشارها)[5].

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب: «ألسنتهم».
(٢) نقلاً عن ابن حجر: «فتح الباري»: (١٢/ ٢٩٣) ولم أجد العبارة في «شرح مسلم» للنووي.
(٣) «إتحاف الجماعة»: (١/ ٤١٨).
(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة كما ذكره النبهاني في «الفتح الكبير»: (٢/ ١٦٢ - ١٦٣)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٤٥٧)، كتاب الفتن والملاحم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
(٥) «إتحاف الجماعة»: (١/ ٤١٨).

ويصدق عليهم - أيضاً - ما قاله الإمام الذهبي - رحمه الله - :

(قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقنوا منه سوى نزر يسير أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يَدُر في أذهانهم قطُّ أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يُقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غايةُ المدرّس منهم أن يُحَصِّل كتباً

(١) قال محقق «الجامع»: (أي يجهلون حقيقة الرواة). قال في «القاموس»: (وخَرُق بالشيء ككرم: جهله).
(٢) «الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع»: (١/ ٧٥ - ٧٧).

مثمنة يخزنها وينظر فيها يوماً، فيصحِّف ما يورده ولا يُقَرِّره. فنسأل الله النجاة والعفو)[1].

رسلان

والمراد بالعَنَزَة: تلك العَصَا، لها زُجٌّ[1]، كانَ النبي ﷺ يجعلُهَا سُترةً بَينَ يديهِ، فصحَّفَ الرجلُ، وجاءَ آخرُ فصحَّفَ المعنىٰ، ورَوَىٰ بالمعنىٰ مُصَحَّفًا؛ فأخذَ تلكَ العصَا –التي جَعَلَهاﷺ سترةً فصلَّىٰ إليها لاتجاه القبلة– جعل هذه العنَزَةَ عَنْزَةً –تلك الدابَّة، الحيوانُ التي تدبُّ علىٰ الأرضِ، تلك العَنْزَةَ المعروفة– جعلها عَنْزَةً[2]، ثُمَّ أخذَهَا آخرُ فَنَسِي فرَوَىٰ بالمعنىٰ فقال: **«صلَّىٰ النبيُّ ﷺ إلىٰ شاةٍ»**.

والعالمُ الفقيهُ ليسَ كهؤلاء، وإنَّمَا هو دَارٍ بأصولِهِ، عارفٌ بمصادرِهِ، والعلمُ في الحقيقة نور، وهو ككلِّ صنعةٍ لابُدَّ لَهَا من أدواتٍ ومعاناةٍ وأسباب.

العِلمُ لا يعطيك بعضَهُ حتىٰ تعطيهُ كُلَّك، وأنت –من إعطائه إيَّاكَ بعضه

بعدَ إذ تُعطيه كُلَّكَ– علىٰ خَطَرٍ، يعني يمكنُ أن يُعطيَكَ، ويمكنُ ألَّا يُعطيكَ؛ لأنَّ هاهنا شِقًّا آخرَ، وهو ذلك الجانب الوَهْبِيُّ، لا الكَسْبِيُّ، الذي يَهبُ الله ربُّ العالمينَ فيهِ من يشاءُ ما يشاء من نورِ هٰذَا العلمِ، فيقذِفُهُ الله ربُّ العالمينَ في قلبه، ويجعلُهُ مستقرًّا فيه، فاللهمَّ علِّمْنَا ومُنَّ علينا بالعلمِ والعملِ يا ربَّ العالمين.

قال عبد الله بن المبارك: **«لعلَّ الكلمةَ التي أنتفعُ بِهَا لَمْ أسمعها بَعْدُ»**[1]، وهذا قانون في الطلب.

وكذلك يقول أحدهم –هو الإمام أحمد بن حنبل عليه الرحمة–: **«أنا أطلبُ العلم إلىٰ أن أدخلَ القبر»**[2].

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» ص٦٨.
(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٦٨).

اللويحق

أما العالم الفقيه فليس كأولئك بل هو ذو فهمٍ شمولي عام للإسلام، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فهو لم يقرأ نتفاً، بل درس العلوم الشرعية دراسة شمولية عامة، فمر على مسائل العلم، واستطاع تخريجها على أصولها وأصبحت لديه ملكة فهم النصوص، وعرف مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة.

إن علمه لم يأته من قراءة ليلةٍ بل من سهر الليالي ومعاناة الأيام، فشأن العلماء أنهم لا يقفون عند حدٍّ في التعلّم بل هم دائمو الطلب، دائبو التعلم.

سئل الإمام ابن المبارك ـ رحمه الله ـ: إلى كم تكتب الحديث؟ فقال: (لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد)[2].

ولما سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: (حتى يموت)[3].

وقال الإمام أحمد ـ أيضاً ـ: (أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر)[4].

وما رحلات العلماء في طلب الحديث إلا براهين دالةٌ على أنهم عانوا العلم، ولم يقرأوا منه شذرات يتصدَّروا بها المجالس.

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في الإمام عبد الله بن المبارك

(١) «سير أعلام النبلاء»: (٧/ ١٥٣).
(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: (٦٨).
(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: (٦٨).
(٤) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: (٦٨).

رسلان

مُجْمَل القضايا التي تُعَدُّ مَفْرِقَ طُرقٍ بين الإسلامِ والأديانِ والمذاهبِ المُعاصرَةِ الأخرىٰ، مثل: قضية الماديَّة، وفَصْل الدِّين عن الحياةِ، والمِلْكِيةِ الفَردية، والنظام الاقتصَادِي بشكلٍ عامٍّ، والنِّظام الاجتمَاعِيِّ، مَعَ اطِّلاعٍ عَلَىٰ المَذاهبِ المَعاصرَةِ، ودرَاسة لمَنهجِ تَفسيرِ التَّاريخِ ... إِلَىٰ غَيرِ ذَلكَ[1]

هؤلاءِ مِن المثقفينَ، ومِن المُفكِّرينَ، وهُم وإنْ كَانُوا يَحملُونَ هَمَّ نَشرِ الدِّين، ويَملِكُونَ وعيًا بالقضايَا المُستَجَدَّة، ويطَّلِعونَ علىٰ الحضَارةِ الغَرْبيَةِ، وأَوْجُهِ نقْدِهَا، لكنَّهم ليسُوا مِن عُلمَاء الشَّريعَةِ، وإنَّمَا هُم مُفكِّرونَ -علىٰ فَرض صحَّةِ هذَا التَّعبيرِ- وحُكماءُ يُستَنَارُ برأيِهم، ويُستفادُ من عِلمِهم في الجوانبِ التي أجادُوا فيهَا، ولا يُخلَطُ بَين تَصَدِّيهم -باعتبارِهم مُفكِّرينَ- وبينَ العُلماءِ؛ فهؤلاءِ المُفكِّرونَ لهُم مَكانَتُهُم، وبعضُهم نفَعَ اللهُ -تبارَكَ وتعَالىٰ- بهِ، ولكنَّهم -معَ ذلكَ- لم يُغْنُوا عَن العُلماءِ شيئًا، إلَّا في حُدودِ عِلمِهم وقُدراتِهم.

وَوُجِدَ أيضًا طائفةٌ من المثقَّفين مِن الأخيارِ الصَّالحينَ، تخصَّصُوا في الطبِّ والهندسَةِ والكيمياءِ والعلومِ المسمَّاة بالعلومِ الإنسانيةِ، وغير ذلكَ، وهؤلاءِ أيضًا، وإن حُمِدَ لهم تخصُّصهم في مثلِ هذهِ العُلوم، وصارُوا مَرجعًا، إلَّا أنَّهُم غيرُ مختصِّين فِي العلومِ الشرعيَّةِ، وهُم -في الاصطِلاحِ العِلميِّ الشرعيِّ- مِن جُمهورِ المُسلمينَ وعوامِّهم؛ الذينَ يجبُ أن يكونُوا وراءَ العُلماءِ، ويُحظَرُ عَليهِم أن يتكلَّمُوا فِي دِينِ اللهِ -تبارَكَ وتعَالىٰ- استقلَالًا.

(١) راجع في ذلك: «قواعد في التعامل مع العلماء» (ص٣٧).

اللويحق

وهم إلى ذلك يحملون همَّ نشر هذا الدين، ويملكون وعياً بالقضايا المستجدة، واطلاعاً على الحضارة الغربية، وأوجه نقدها.

ومن أبرزهم: مالك بن نبي - رحمه الله -.

وهؤلاء ليسوا من علماء الشريعة، وإنما هم: (مفكرون) على فرض صحة هذا التعبير، وحكماء يستنار برأيهم، ويستفاد من علمهم في الجوانب التي أجادوا فيها.

ولا يخلط بين تصدرهم باعتبارهم: (مفكرين)، وبين العلماء فهؤلاء (المفكرون) لهم مكانتهم، وبعضهم قد نفع الله عز وجل به نفعاً كبيراً، ولكنهم مع ذلك لن يغنوا عن العلماء شيئاً إلا في حدود علمهم وقدراتهم.

كما وجد - أيضاً - طائفةٌ من المثقفين وهم: فئة من الأخيار الصالحين ذوي تخصصات علمية برزوا فيها سواء في العلوم التجريبية مثل: الطب والهندسة والكيمياء أو في العلوم المسماة بـ: (العلوم الإنسانية) مثل: علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع.

فهؤلاء وإن حُمِدَ لهم تخصصهم في مثل هذه العلوم فصاروا مرجعاً فيها فإنهم غير مختصين في العلوم الشرعية، وهم في الاصطلاح العلمي الشرعي من جمهور المسلمين، وعوامهم الذين يجب أن يكونوا وراء العلماء.

رسلان

ومَا وَقعتِ الفِتنُ التي تُعانِي مِنهَا الأمَّةُ اليومَ إلَّا عندَمَا فُتِحَ البابُ أمامَ كلِّ مَن مَلكَ لسَانًا ليتكلَّم، وصَدَق فينَا ذلكَ المثَلُ العاميُّ القديم: «**كل من قرأ كتابًا بتعريفة**[1]، **عَمَل فيها أبا ظريفة، واعترض علىٰ الشافعي ومالك وأبي حنيفة**».

هؤلاء يجب أن يَرجعُوا إلىٰ العُلماء في أمُورِ الشَّريعَةِ، ويكونُوا عَونًا لهُم في شرحِ واقعِ تَخصصَاتِهِم؛ فالطبيبُ يشرحُ الأمورَ الطبيَّةَ، والاقتصاديُّ يشرحُ الجوانبَ الاقتصاديَّةَ العصريَّةَ للعُلماءِ حتَّىٰ يَستطيعُوا الفُتيَا، وأمَّا أن يختصَّ هؤلاءِ بالفُتيَا استقلَالًا: فهَذا ضَلالٌ كَبيرٌ.

كلامُ هؤلاءِ المُفكرينَ والمُثقفينَ يجبُ أن يكونَ مَحكُومًا بالشَّرعِ، وأمَّا إذا بَنىٰ هؤلاءِ المثقَّفونَ والمُفكرونَ كَلامَهُم في أمورِ الشريعَةِ، وأحوالِ الأمَّةِ العامةِ عَلىٰ أساسٍ مِن العُقولِ والأهواءِ، وإطلاقِ القَولِ بالمصَالحِ دُونَ نظرٍ في الآثارِ؛ فإنَّهم أشبهُ ما يكونُونَ بأهلِ الكلامِ الذينَ ظهرُوا في الأمَّةِ، وكانُوا بلاءً ووبَالًا عَليهَا.

فأهلُ الكلامِ أهلُ بِدَعٍ وزَيغٍ، ولا يُعَدُّونَ عِند الجميعِ فِي جميعِ الأمصَارِ من طبقاتِ العُلماءِ، وكذلكَ المفكِّرونَ والمُثقَّفُون إذا مَا جَانَبُوا وابتعدُوا عن العُلماءِ واستقلُّوا بالكَلامِ في الدِّينِ عَلىٰ حَسَب الرَّأيِ والأهوَاءِ يكونُونَ كأهلِ الكلامِ في المتقدِّمينَ، بَلاءً ووبالًا عَلىٰ أمَّةِ مُحمدٍ ﷺ.

اللويحق

ويجب أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة، ويكونوا عوناً لهم في شرح واقع تخصصاتهم؛ فالطبيب يشرح الأمور الطِّبية، والاقتصادي يشرح الجوانب الاقتصادية العصرية وهكذا . . .

وإن كلام هؤلاء (المفكرين) والمثقفين يجب أن يكون محكوماً بالشرع، وأما إذا بنىٰ هؤلاء المثقفون و(المفكرون) كلامهم في أمور الشريعة، وأحوال الأمة العامة على أساس من العقول والأهواء، وإطلاق القول بالمصالح دون نظرٍ في الآثار فإنهم أشبه ما يكونون بأهل الكلام، وقد: (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يُعَدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهل الأثر والفقه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم)[1].

رسلان

غايةُ ما عندَ هؤلاء المتقعِّرينَ مِن العلمِ، مِن المُتكلمِين السابقينَ، ويُشبِهُهم

(١) عُملةٌ مصريةٌ أُلغِيَت، ولم تكُن لها قيمَةٌ.

٣٨ تمييز العلماء من المفكرين والخطباء

مَن ابتعدَ عن العلماءِ الشرعيِّينَ الراسِخينَ المُتمكِّنينَ، وأفتىٰ في دِين الله -تبارك وتعالَىٰ- علىٰ حَسَب هَوَاهُ وبرأيِه، وعَلىٰ حَسبِ تخصُّصِه، وتخصُّصُه بعيدٌ عن شريعَةِ اللهِ ربِّ العالمِينَ، يكُونُ مَثَلُهم حِينئذٍ كأهلِ الكلامِ، وغَايةُ ما عندَ هؤلاءِ المتقعِّرينَ عبارَاتٌ وشَقَاشِقُ لا يَعبأُ اللهُ بِهَا شَيئًا، يحرِّفُونَ بِهَا الكَلِمَ عَن مَواضِعِه

اللويحق

فالمتكلمون ليس عندهم شيءٌ من العلم بل: (غاية ما عند هؤلاء المتقعِّرين من العلم عباراتٌ وشَقَاشِقُ لا يعبأ الله بها، يُحرفون بها الكلم عن مواضعه قديماً وحديثاً، فنعوذ بالله من الكلام وأهله)[٢].

وأما أئمة السلف فكان كل همهم: علم الكتاب، والسنة.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في رجلٍ من السلف:

(إني لأغبطه مات وما يعرف إلا الحديث، ولم يكن صاحب كلام)[٣].

(١) ابن عبد البر: «جامع بيان العلم»: (٢/ ٩٦).
(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (١٠/ ٥٤٧).
(٣) ذكره الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢/ ٣٣٥).

رسلان

كان عبدُ الله بنُ عُمَرَ يجلسُ في مَجلس عُبَيد بنِ عُمَير القَاص[٢]، وكانَ

عُمر بن عبد العزيز يحضرُ مجلسَ القاصِّ مَعَ العامَّةِ بعدَ الصَّلاةِ، ويرفَعُ يدَيهِ إذا رَفع، حتَّىٰ إذا خَسَّت هذِهِ الصناعةُ تعرَّضَ لَهَا الجُهَّالُ، فأعرَضَ عَن الحضورِ المتميِّزُونَ من النَاسِ، وتعلَّقَ بالقُصَّاص والوعَّاظِ العوامُّ والنساءُ، وما زالَ قائمًا إلىٰ يَوم الناسِ هذَا.

لا يلزمُ مِن كَونِ الشخص قاصًّا أو واعظًا يعظُ الناسَ ويتكلَّم في الأمُورِ العامَّة في دِين اللهِ -تبارَك وتعَالىٰ-، أو خطيبًا مُفَوَّهًا: أن يكونَ عالِمًا؛ ليسَ بالضرورة لِزَامًا أن يكونَ ذلكَ كذَلكَ، وإنَّما يُمكنُ أن يكونَ خَطيبًا مُؤثِّرًا مُفَوَّهًا، ويمكِنُ أن يكونَ واعظًا بليغًا مُؤثرًا، ولكنَّه في الوقتِ ذاته لا يكونُ عالِمًا؛ فكم مِن واعظٍ يسلُبُ قلوبَ الناسِ بِحُسنِ حديثِهِ وحَلاوةِ مَنطقِهِ، وليسَ لَهُ من العلمِ حظٌّ ولا نصيبٌ؛ إذ ليسَ العِلمُ بالقُدرَةِ عَلىٰ الكَلامِ، ولَا بالقُدرةِ عَلىٰ شَدِّ مشَاعر النَّاسِ.

اللويحق

ثالثاً: التفريقُ بين العلماء والخطباء والوعاظ:

لقد ظهر منذ الصدر الأول لتاريخ الإسلام طائفة تسمى الوُعَّاظ أو القُصَّاص، وكانوا في البداية من العلماء والفقهاء، ثم تطوَّر الأمر حتى صار يعظ الناس من ليس بعالم ولا فقيه.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

(كان الوعاظ من قديم الزمان من العلماء والفقهاء، وقد حضر عبدالله بن عمر مجلس عبيد بن عمير وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص مع العامة بعد الصلاة ويرفع يديه إذا رفع، حتى إذا خَسَّت هذه الصناعة تعرض لها الجُهَّال فأعرض عن الحضور المميزون من الناس، وتعلَّق بهم العوام والنساء)[١].

إنه لا يلزم من كون الشخص قاصاً أو واعظاً أو خطيباً أن يكون عالماً، فكم من واعظٍ يَسْلُب قلوب الناس بحسن حديثه، وحلاوة منطقه وليس له من العلم حظٌّ أو نصيب إذ ليس العلم كما أسلفت بالقدرة على الكلام ولا بالقدرة على شدِّ مشاعر الناس.

رسلان

يقولُ ابنُ مسعُودٍ في الحَديثِ -وهُو صحيحٌ موقوفٌ عليه-: «إنَّكُم في زمانٍ، كثيرٌ علماؤُهُ، قليلٌ خطباؤُهُ -هذَا فِي زمَن الصحَابةِ ﭬ- وإنَّ بعدَكم زمانًا، كثيرٌ خطباؤُهُ، قليلٌ عُلمَاؤه»[1].

العالِمُ قد يكونُ عَيِيًّا لا يُحسِنُ الكلامَ -نسألُ الله أن يُطلِقَ ألسنَتَنا بالخَيرِ

٤٠ تمييز العلماء من المفكرين والخطباء

وقَد يكُونُ العالِمُ بطَبعِهِ قليلَ الكَلامِ غيرَ قادرٍ عَلىٰ الخطَابَةِ، وقَد يكُونُ من العَوامِّ مَن هُو بَليغُ اللسانِ، يقلِّبُ الألفاظَ كيفَ شاءَ وهُوَ من العَوامِّ.

العُلماءُ قِلَّةٌ والمتكلِّمُونَ كثيرٌ، قَال مجاهدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذهب العلماءُ فلم يَبْقَ إلاَّ المتكلِّمُون، وما المجتهدُ فيكُم إلَّا كَاللاعِبِ فيمَنْ كَانَ قَبلَكُم»[1]، يعنى:

اللويحق

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - :

(إنكم في زمانٍ كثيرٍ علماؤه قليل خطباؤه، وإن بعدكم زماناً كثير خطباؤه والعلماء فيه قليل)[2].

قواعد في التعامل مع العلماء ٤١

إن العالم قد يكون عَيِيّاً لا يحسن الكلام، أو هو - بطبعه - قليل الكلام غير قادر على الخطابة، وقد يكون من العوام من هو بليغ اللسان يُقلِّب الألفاظ كيف شاء.

العلماء قلة، والمتكلمون كثير، قال مجاهد - رحمه الله - :

(ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم)[1].

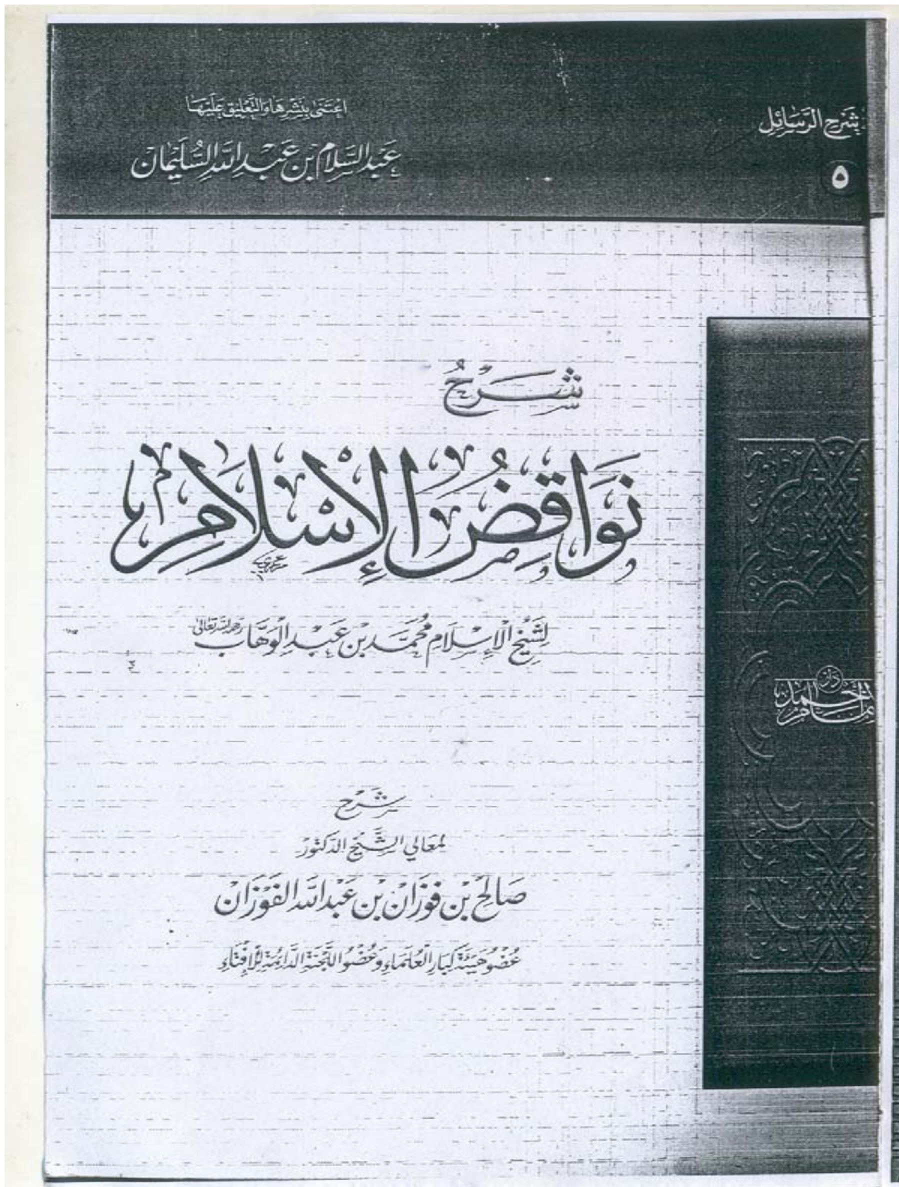
الباب الثالث

السرقات العلمية في كتابه (لا إله إلا الله)

وصف السرقة :

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (شرح نواقض الإسلام)للشيخ صالح الفوزان فقام بسرقته كاملا .
- قام بوضع هذا الكتاب في فصل كامل ضمن كتابه **(لا إله إلا الله)**.
- قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب عدة طبعات في مكتبة (الفرقان) .
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفـًا واحداً من هذا الفصل للشيخ الفوزان ولم يشر إليه قط.


لا إله إلا الله
معناها - شروطها - نواقضها - فضلها
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى


شرح الرسائل
٥
اعتنى بنشرها والتعليق عليها
عبد السلام بن عبد الله السليمان
شرح
نواقض الإسلام
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
شرح
لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

الفوزان

(أن نواقض الإسلام عشرة) النواقض: جمع ناقض، وهي المُبطلات، مثل نواقض الوضوء، أي: مبطلاته، تسمى بالنواقض، وتسمى بأسباب الردة أو أنواع الردة، ومعرفتها مهمة جدًا للمسلم من أجل أن يتجنبها ويحذر منها؛ لأن المُسلم إذا لَمْ يعرفها فإنه يُخشى أن يقع في شيء منها، وهي من الخُطورة والأهمية بمكان؛ لأنها نواقض الإسلام ومبطلاته، ومعرفة أسباب الردة عن الإسلام مهمة جدًا.

والردة عن الإسلام: معناها الرجوع عن الإسلام، مِنْ: ارتد، إذا رجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا تحذير شديد من الله للمؤمنين، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ أيها المُؤمنون ﴿عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ولم يتب قبل الموت ويرجع إلى الاسلام، فقد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطلت ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾

رسلان

٤٨ (لا إله إلا الله)

نَوَاقِضُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»

النَّوَاقِضُ: جَمْعُ نَاقِضٍ، وَهِيَ المُبطِلَاتُ؛ مِثْلُ نَوَاقِضِ الوُضُوءِ، أي: مُبطِلَاتِهِ، تُسَمَّىٰ بِالنَّوَاقِضِ.

وَنَوَاقِضُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هِيَ نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ، وَتُسَمَّىٰ بِأَسْبَابِ الرِّدَّةِ، أَو أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، وَمَعْرِفَتُهَا مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ لِيجْتَنِبَهَا المُسْلِمُ، وَيَحْذَرَ الوُقُوعَ فِيهَا.

وَالرِّدَّةُ عَنِ الإِسْلَامِ: الرُّجُوعُ عَنْهُ، مِن ارتدَّ، إِذَا رَجَعَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وَهَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، أَيُّها المُؤمِنُونَ، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، وَلَم يَتُبْ قَبْلَ المَوتِ، وَيَرْجِعْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَقَدْ ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بَطَلَتْ، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾

رسلان

﴿وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: يَرْجِعُ عَنْ دِينِهِ.

وَفِي الْآيَاتِ تَحْذِيرٌ مِنَ الرِّدَّةِ، وَوَعِيدٌ عَلَيْهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٧٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٦-)، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٢٨٥٤) مِن رِوَايَةِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

فَإِنْ كَانَ الْمُرْتَدُّونَ جَمَاعَةً ذَوِي شَوْكَةٍ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ كَمَا قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه الْمُرْتَدِّينَ، حَتَّى أَخْضَعَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنهُم عَلَى رِدَّتِهِ، وَتَابَ مَنْ تَابَ مِنهُم.

الفوزان

﴿وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [مُحمد: ٢٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ يرجع عن دينه، ففي هذه الآيات التحذير من الردة والوعيدُ عليها.

وأما الأحاديث:

فقد قال ﷺ: «**لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: الثيبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه -هذا هو الشاهد- المُفارق للجماعة**»(١)، وقال ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»(٢)، فإن كان المُرتدون جماعة لهم شوكة فإنهم يُقاتلون كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه المُرتدين، حتَّى أخضعهم للإسلام، وقُتل من قُتل منهم على رِدته، وتاب من

رسلان

وَإِن كَانَ المُرْتَدُّ وَاحِدًا فَإِنَّه يُؤْخَذُ وَيُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَلَيْس

(لا إله إلا الله)

٥٠

هُو مِثلَ الكَافِرِ الأَصْلِيِّ؛ لأَنَّ المُرْتَدَّ عَرَفَ الحَقَّ، وَدَخَلَ فِي دِينِ اللهِ بِاخْتِيَارِهِ وَطَوْعِهِ، وَاعْتَرَفَ أَنَّ الإِسْلَامَ هُو الحَقُّ، فَإِذَا ارْتَدَّ فَإِنَّه يُقْتَلُ حِمَايَةً لِلعَقِيدَةِ، وَهَذَا مِن حِفْظِ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ وَأَوَّلُهَا الدِّينُ؛ فَلَا يُتْرَكُ الدِّينُ أُلْعُوبَةً لِمَنْ يُسْلِمُ ثُمَّ يَرتَدُّ، بَلْ يُقْتَلُ حِمَايَةً لِلدِّينِ مِن التَّلَاعُبِ بِهِ.

وَمِن المُرْتَدِّينَ مَنْ يُقْتَلُ بِدُونِ اسْتِتَابَةٍ، وَهُو مَنْ تَغَلَّظَتْ رِدَّتُهُ؛ فَإِنَّه يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ حِمَايَةً لِلدِّينِ، وَحِمَايَةً لأُولَى الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ الَّتِي جَاءَ الإِسْلَامُ بِحفظِهَا.

الفوزان

وإن كان المُرتد شخصًا واحدًا فإنه يؤخذ ويُستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وليس هو مثل الكافر الأصلي؛ لأن المُرتد عرف الحق، ودخل فِي دين اللَّه باختياره وطوعه، واعترف أن الإسلام هو الحَق، فإذا ارتد فهذا تلاعب منه بالدين؛ لأنه عرف الحق ودخل فيه، فإذا ارتد فإنه يُقتل حماية للعقيدة، وهذا من حفظ الضروريات الخمس أولُها الدين، فلا يُترك الدين ألعوبة لِمن يسلِم ثُمَّ يرتد، بل يُقتل حماية للعقيدة من التلاعب، ومن المُرتدين من يُقتل بدون استتابة، وهو من تغلظت ردته، فإنه يُقتل ولا يُستتاب حماية للدين، وحماية لأول الضروريات الخمس الَّتي جاء الإسلام بِحفظها.

رسلان

وَالمُرْتَدُّ: هُو الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ:

* إِمَّا لاعْتِقَادٍ بِقَلْبِهِ.

* أَوْ شَكٍّ يَحْصُلُ لَهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ.

* أَو فِعْلٍ: كَأَنْ يَسْجُدَ لِغَيرِ اللهِ، أَو يَذْبَحَ لِغَيرِ اللهِ، أَو يَنْذِرَ لِغَيرِ اللهِ، هَذَا فِعْلٌ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدِ ارْتَدَّ.

* أَو قَولٍ: بِأَنْ يَتَكَلَّمَ بِسَبِّ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ سَبِّ الرَّسُولِ ﷺ، أَو سَبِّ دِينِ الإِسْلَامِ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فَالرِّدَّةُ تَكُونُ بِالقَولِ، وَتَكُونُ بِالفِعْلِ، وَتَكُون بِالاعتِقَادِ، وَتَكُونُ بِالشَّكِّ فِي شَيءٍ مِن أُمُورِ الدِّينِ، كَمَنْ شَكَّ فِي وُجُوبِ الصَّلَاةِ، أَو شَكَّ فِي وُجُوبِ

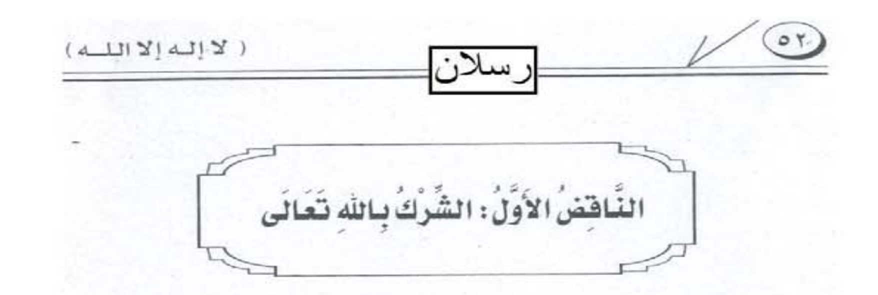
معناها، وشروطها، ونواقضها، وفضائلها ٥١

الزَّكَاةِ، أَوْ شَكَّ فِي التَّوحِيدِ، فَإِنَّه يَكْفُر، وَالشَّكُّ: هُو التَّرَدُّدُ بَينَ أَمْرَينِ.

الفوزان

قالوا: والمُرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، إما لاعتقاد بقلبه، أو شك يَحصل له في أمور الدين، أو فعل: كأن يَسجد لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، هذا فِعلٌ مَن فعَله فقد ارتد، أو قول: بأن يتكلم بسبِّ الله تعالى أو سب الرسول ﷺ، أو سب دين الإسلام: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

فالردة تكون بالقول، وتكون بالفعل، وتكون بالاعتقاد، وتكون بالشك في شيء من أمور الدين، كمن شك في وجوب الصلاة، أو شك في وجوب الزكاة، أو شك في التوحيد، فإنه يكفر، والشك: هو التردد بين أمرين.



٥٢ رسلان (لا إله إلا الله)

النَّاقِضُ الأَوَّلُ: الشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَى

وَالمُرَادُ بِهِ: الشِّرْكُ الأَكْبَرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، وَذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ، يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، أَوْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَسْتَغِيثُ بِهِمْ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُمْ، أَوْ يَذْبَحُ بِاسْمِهِمْ، أَوْ يَعْتَقِدُ جَلْبَ النَّفْعِ، أَوْ دَفْعَ الضُّرِّ مِمَّنْ هُوَ دُونَ اللهِ، فَمَنْ أَتَى بِذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وَالشِّرْكُ أَخْطَرُ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، وَهُوَ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُ اللهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، كَالدُّعَاءِ، أَوِ الذَّبْحِ، أَوْ بِالاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وَكَدُعَاءِ غَيْرِ اللهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنَ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

---

١٢ الفوزان سلسلة شرح الرسائل

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى [٢].

ونقول: نحن نكفر من خرج عن الإسلام، أما المسلم فلا يَجوز تكفيره.

[٢] أعظم أنواع الردة: الشرك في عبادة الله، بأن يعبد مع الله غيره، كأن يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يَسجد لغير الله، أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا أعظم أنواع الردة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فالشرك هو أخطر أنواع الردة، وهو أن يعبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادات: بالدعاء، بالذبح، بالنذر، بالاستغاثة، بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، يدعو الْموتى، يستغيث بالقبور، يستنجد بالأموات، هذا هو أخطر أنواع الردة وأعظمها، وهذا عليه كثير مِمَّن يدَّعون الإسلام، يبنون

رسلان

النَّاقِضُ الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الكَافِرَ الَّذِي اتَّضَحَ كُفْرُهُ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

سَوَاءٌ كَانَ الكَافِرُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا أَوْ مُشْرِكًا أَوْ مُلْحِدًا ... أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الكُفْرِ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ.

وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ كَفَّرَهُمْ، وَهَذَا الذِي لَمْ يُكَفِّرْهُمْ قَدْ ضَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَيَكُونُ مُعْتَرِضًا عَلَى اللهِ حِينَ كَفَّرَهُمْ.

فَيَجِبُ أَن يُكَفِّرَ المُسْلِمُ مَنْ كَفَّرَهُ اللهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ ﷻ، وَأَن يَتَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِن أَبِيهِ وَقَومِهِ، قَالَ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

أَو صَحَّحَ مَذْهَبَهُم: هَذِهِ أَشَدُّ، إِذَا صَحَّحَ مَذْهَبَهُم، أَوْ قَالَ: فِي الَّذِي يَعْمَلُونَهُ نَظَرٌ، هَذَا إِنَّما هُو اتِّخَاذُ وَسَائِلَ، أَوْ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ جُهَّالٌ وَقَعُوا فِي هَذَا عَن جَهْلٍ، وَيُدَافِعُ عَنْهُم، فَهَذَا أَشَدُّ كُفْرًا مِنهُم؛ لأَنَّهُ صَحَّحَ الكُفْرَ، أَو صَحَّحَ الشِّرْكَ، أو شَكَّ.

الفوزان

الثالث: من لَم يُكفِّر الْمُشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر [٧].

الشرك عبادة الأصنام فقط.

[٧] وهذه الْمَسألة خطيرة جدًّا، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، من لَمْ يكفِّر الْمُشركين، يقول: أنا والْحَمد للَّه ما عندي شرك، ولا أشركت باللَّه، ولكن الناس لا أكفرهم.

نقول له: أنت ما عرفت الدين، يَجب أن تكفر من كفره اللَّه، ومن أشرك باللَّه ﷻ، وتتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه وقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

(أو صحح مذهبهم) وهذه أشد، إذا صحح مذهبهم، أو قال في الذي يعملونه نظر، هذا إنَّمَا هو اتِّخاذ وسائل، أو يقول: هؤلاء جهال وقعوا في هذا الأمر عن جهل ويدافع عنهم، فهذا أشد كفرًا منهم؛ لأنه صحح الكفر، وصحح الشرك، أو شك.

الفوزان

الله!! تحكيم شرع الله هذا عبادة لله عز وجل، ليس القصد منه فقط حل النزاع، القصد منه العبادة بتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، وتحكيم غيره شرك، وشرك في الطاعة وشرك في الحكم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فسماه شركًا، فالذي يسوي بين حكم الله وحكم الطاغوت، والطاغوت المُراد به: كل حكم غير حكم الله، سواءٌ عوائد البادية أو أنظمة الكفار، أو قوانين الفرنس أو الإنجليز، أو عادات القبائل، كل هذا طاغوت، وكذا تحكيم الكهان.

فالذي يقول: إنهما سواء؛ كافر، وأشد منه من يقول: إن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن من الحُكم بمَا أنزل الله، هذا أشد.

فالذي يقول: الناس ما يصلح لهم اليوم إلا هذه الأنظمة، ما يصلح لهم الشرع، الشرع ما يطابق لهذا الزمان، ولا يساير

رسلان

تَحْكِيمُ شَرْعِ اللهِ عِبَادَةٌ للهِ، وَالقَصْدُ مِنهُ العِبَادَةُ بِتَحْكِيمِ شَرْعِ اللهِ، وتَحْكِيمُ غَيرِهِ شِرْكٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

فَسَمَّاهُ شِرْكًا، فَالَّذِي يُسَوِّي بَينَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ غَيرِهِ، وَيَقُولُ: هُمَا سَوَاءٌ؛ كَافِرٌ.

وَأَشَدُّ مِنهُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الحُكْمَ بِغَيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ أَحْسَنُ مِن الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ الَّذِي يَقُولُ: النَّاسُ لَا يَصْلُحُ لَهُم اليَوم إِلَّا هَذِهِ الأَنظِمَة، لَا يَصْلُحُ لَهُم الشَّرْعُ، وَالشَّرْعُ لَا يُطَابِقُ هَذَا الزَّمَانَ، وَلَا يُسَايِرُ

رسلان

الحَضَارَةَ، وَلَابُدَّ مِن
مُسَايَرَةِ العَالَمِ وَأَن تَكُونَ مَحَاكِمُ المُسْلِمِينَ كَمَحَاكِمِ العَالَمِ، هَذَا أَشَدُّ كُفْرًا.

أَمَّا إِذَا حَكَمَ بِغَيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لِهَوًى فِي نَفسِهِ، أَو جَهْلٍ بِمَا أَنْزَلَ الله، وَهُو يَعْتَقِدُ أَنَّ حُكْمَ اللهِ هُو الحَقُّ، وَهُو الوَاجِبُ، فَهَذَا فَعَلَ كَبِيرَةً مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَأَتَىٰ عَظِيمَةً مِن عَظَائِمِ الإِثْمِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

الفوزان

ه- نواقض الإسلام ٢٣

الْخَامس: من أبغض شيئًا مِما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر [٩].

الحضارة، ما يصلح إلا تحكيم القوانين، ومسايرة العالَم، تكون مَحاكمنا مثل مَحاكم العالَم، هذا أحسن من حكم اللَّه، هذا أشد كفرًا من الذي يقول: إن حكم اللَّه وحكم غيره متساويان.

أما إذا حكم بغير ما أنزل اللَّه لِهوى فِي نفسه، أو جهل بِمَا أنزل اللَّه، وهو يعتقد أن حكم اللَّه هو الحق، وهو الواجب، فهذا فَعَلَ كبيرة من كبائر الذنوب وذلك كفر دون كفر.

رسلان

النَّاقِضُ السَّادِسُ: الاستهزاء بالله أو الرسول أو بالقرآن أو بأي شعيرة من شعائر الإسلام

مَنِ اسْتَهْزَأَ بِاللهِ، أَوْ بِالرَّسُولِ، أَوْ بِالقُرْآنِ، أَوْ بِالدِّينِ، أَوْ بِالمَلَائِكَةِ، أَوْ بِالعُلَمَاءِ مِنْ أَجْلِ عِلْمِهِمْ، أَوِ اسْتَهْزَأَ بِأَيِّ شَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ، وَالطَّوَافِ بِالكَعْبَةِ، وَالوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، أَوِ اسْتَهْزَأَ بِالمَسَاجِدِ، أَوْ بِالأَذَانِ، أَوْ بِاللِّحْيَةِ، أَوْ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فَالَّذِي يَسْتَهزِئُ بِشَيءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَرْضًا أَوْ وَاجِبًا أَوْ سُنَّةً فَإِنَّه يَكُونُ مُرْتَدًّا عَن دِينِ الإِسْلَامِ.

الفوزان

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثواب الله أو عقابه؛ كفر [١٠].

---

[١٠] السادس من أنواع الردة: الاستهزاء بِمَا أنزل الله، أو بشيء مِمَّا جاء به الرسول، ولو كان من السنن والمُستحبات، كالسواك وقص الشارب وأخذ شعر الإبط وتقليم الأظافر، إذا استهزأ به صار كافرًا، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فالذي يستهزئ بشيء مِمَّا جاء به الرسول فرضًا أو واجبًا أو سنةً فإنه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام.

رسلان

فَبُغْضُ شَيءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ رِدَّةٌ، وَلَو عَمِلَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى:



(لا إله إلا الله)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، وَالكَرَاهَةُ: البُغْضُ، وَهَذَا رِدَّةٌ، وَلَو عَمِلَ بِمَا أَبْغَضَهُ، فَإِنَّه يَكْفُر، بُغْضُهُ فِي القَلْبِ كُفْرٌ، وَلَو كَانَ يَعْمَلُ بِهِ فِي الظَّاهِرِ.

الفوزان

[٩] الخامس من نواقض الإسلام: من أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرسول ﷺ، فبغض ما جاء به الرسول ردة، ولو عمل به، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد: ٩]، الكراهة هي البغض؛ هذا ردة ولو عمل به، فإنه يكفر، بغضه في القلب كفر، ولو كان يعمل به في الظاهر، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾.

رسلان

فَتَعَلُّمُ السِّحْرِ وَتَعْلِيمُهُ كُفْرٌ باللهِ ﷻ، وَهُوَ نَوْعٌ مِن أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، فَالسَّاحِرُ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا ثُمَّ سَحَرَ فَإِنَّهُ يَرْتَدُّ عَن دِينِ الإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

الفوزان

السحر تعلُّمه وتعليمه كفر بالله عز وجل، وهو نوع من أنواع الردة، فالساحر مرتد، إذا كان مؤمنًا ثُمَّ سحر فإنه يرتد عن دين الإسلام، ويُقتل ولا يُستتاب، عند بعض العلماء؛ لأنه حتَّى ولو تاب في الظاهر فهو يُخادع الناس، ولا يزول علم السحر من قلبه ولو تاب.

النَّاقِضُ الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

الْمُظَاهَرَةُ: مَعْنَاهَا: الْمُعَاوَنَةُ، وَمُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: إِعَانَةُ الْكُفَّارِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الْكُفَّارَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، وَهَذَا هُوَ التَّوَلِّي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]. يَتَوَلَّاهُم بِالْمُنَاصَرَةِ، وَالْمُعَاوَنَةِ، أَو يَتَوَلَّاهُم بِالْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ؛ لأَنَّهُ أَحَبَّ الْكُفْرَ وَأَحَبَّ الْكُفَّارَ، فَيَكْفُرُ بِذَلِكَ، إِذَا أَحَبَّهُم مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ، وَمَنْ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] [١٤].

المسلمين، أي: معاونتهم، فالْمُظاهرة معناها الْمُعاونة، بأن تُعين الكفار، على قتال المسلمين وأذية المسلمين.

وكذلك من أحب الكفار فإنه يكفر، وهذا هو التولِّي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] يتولاهم بالْمُناصرة والْمُظاهرة، أو يتولاهم بالْمَحبة، فإنه يكفر؛ لأنه أحب الكفر وأحب الكفار فيكفر بذلك، إذا أحبهم معناه: أنه لَمْ ينكر الكفر، ومن لَمْ ينكر الكفر فهو كافر.

النَّاقِضُ التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام

مَنْ أَجَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ العَالَمِينَ.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِلرَّسُولِ وَيَتَّبِعْ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، سَوَاءٌ أَكَانَ يَهُودِيًّا أَمْ نَصْرَانِيًّا أَمْ مَجُوسِيًّا، أَمْ عَلَىٰ أَيِّ مِلَّةٍ كَانَ؛ لِأَنَّهُ بِبَعْثَتِهِ ﷺ أَوْجَبَ اللهُ طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ اليَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ فَقَدْ نُسِخَ مَا هُوَ عَلَيهِ بِبَعْثَتِهِ ﷺ، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَاعَتِهِ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (١٥٣) مِن رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ».

وَأَمَّا خُرُوجُ الخَضِرِ عَن طَاعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام؛ فَلِأَنَّ مُوسَىٰ لَم يُرْسَلْ إِلَىٰ

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحمَّد ﷺ كما وسع الْخَضر الْخُروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر [١٥].

[١٥] **التاسع**: من أجاز لأحد أن يَخرج عن شريعة مُحَمَّد ﷺ؛ لأن الله بعث مُحمدًا ﷺ إِلَى الناس كافة، وأوجب طاعته على العالَمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن لَمْ يستجب للرسول ويتبع هذا الرسول فهو كافر، سواءٌ أكان يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا، أو أي ملة كان؛ لأنه ببعثته أوجب الله طاعته واتباعه، ومن كان على دين اليهودية والنصرانية فإنه قد نُسخ ببعثته ﷺ، فلا يسع أحدًا أن يَخرج عن طاعته.

أما خروج الخضر عن طاعة موسى، فلأن موسى لَم يرسَل

الفوزان

إلى الخضر ؛ لأن رسالة موسى خاصة ببني إسرائيل ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف : ٥] فرسالة موسى عليه السلام لبني إسرائيل ، ما هي عامة لجميع الناس ، فلذلك الخضر كان على عبادة لله ، واختلف العلماء في الخضر : هل هو نبي أو رجل صالح ؟ على قولين :

فالخضر ما هو من أمة موسى ؛ لأن موسى لَمْ يُبعث إِلَى الناس كافة ، فلذلك وسعه الخروج ، أما مُحَمَّد ﷺ فإنه مبعوث إِلَى الناس كافة ، فلا يسع أحدًا الخروج عن شريعته ، وهذا فيه رد على الصوفية الذين يزعمون أنَّهم يصلون إِلَى حالة ليسوا بحاجة إِلَى اتباع الرسل ، وأنهم يأخذون عن اللَّه مباشرة ، ولا يأخذون عن الرسول .

ويقولون : إن الرسل إنَّمَا هم للعوام ، أما الخواص فلا يَحتاجون إِلَى الرسل ؛ لأنَّهم يعرفون اللَّه ويصلون إِلَى اللَّه ، ويأخذون عن اللَّه مباشرة ، هذا ما عليه غلاة الصوفية ، أنهم يصلون إِلَى حالة يستغنون عن الرسول ﷺ ، ويَخرجون عن شريعته ، ولذلك لا يصلُّون ولا يصومون ولا يَحجون ، ولا يعملون بِمَا جاء به الرسول ؛ لأنَّهم خواص يقولون : ما نَحن

رسلان

معناها، وشروطها، ونواقضها، وفضائلها ٧١

الخَضِرِ؛ لأنَّ رِسَالَةَ مُوسَىٰ خَاصَّةٌ بِبَنِي إِسْرَائِيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥]، فَرِسَالَةُ مُوسَىٰ ﷺ لِبَنِي إِسْرَائِيل، وَلَم تَكُن عَامَّةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَقَد كَانَ الخَضِرُ عَلَىٰ عِبَادَةِ لله تَعَالَىٰ، وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِيهِ: هَلْ هُوَ نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ؟ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ.

وَالخَضِرُ لَم يَكُنْ مِن أُمَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام؛ لأنَّ مُوسَىٰ لَم يُبْعَثْ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، فَلِذَلِكَ وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ.

وَأَمَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّه مَبْعُوثٌ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا الخُرُوجُ عَن شَرِيعَتِهِ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم يَصِلُونَ إِلَىٰ حَالَةٍ لَا يَكُونُونَ فِيهَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُم يَأْخُذُونَ عَنِ الله تَعَالَىٰ مُبَاشَرَةً، وَلَا يَأْخُذُونَ عَنِ الرَّسُولِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا هُم للعَوَامِّ، أَمَّا الخَوَاصُّ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الرُّسُلِ، وَهُم لِذَلِكَ لَا يُصَلُّونَ، وَلَا يَصُومُونَ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ الشَّرِيعَةِ، بِزَعْمِ أَنَّهُم مِنَ الخَوَاصِّ، وَالشَّرِيعَةُ إِنَّمَا هِي للعَوَامِّ، وَهَذَا كُلُّهُ نَقْضٌ للكَلِمَة

الفوزان

[١٦] العاشر -وهو الأخير- : الإعراض عن دين الله، لا يهتم بالدين، لا يتعلم، ولو تعلم لا يعمل، يُعرض عن العلم أولًا، ثُمَّ يعرض عن العمل: نسأل اللَّه العافية، وحتى لو عمل فمن أعرض عن دين اللَّه لا يتعلمه ولا يعمل به، فإنه يكون مرتدًا عن دين الإسلام، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أعرض عن ذكري: لَمْ يتعلمه ولَم يعمل به، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]. أعرض عنها بعد ما ذُكِّرَ بِهَا.

وهناك إنسان لا يتعلم من باب الكسل، هذا لا يكفَّر ولكنه يُلام على كسله، أما إذا كان ترك طلب العلم عدم رغبة فِي العلم، هذا هو الإعراض والعياذ باللَّه، هذا هو الذي يكفر، ولكن إن كان المرء يرغب العلم ويُحب العلم ولكنه عنده كسل، لأن طلب العلم صعب يتطلب صبرًا، ويتطلب تَحملًا، ويتطلب جلوسًا، وهو كسلان، فهذا يُلام على كسله وعلى تفريطه، ولكنه لا يصل إِلَى حد الكفر.

[١٧] الإعراض الذي يدل على عدم الرغبة فِي العلم أو كراهية العلم، هذا هو الكفر والعياذ باللَّه.

رسلان

معناها، وشروطها، ونواقضها، وفضائلها ٧٥

فَالإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يَهْتَمُّ بِهِ، وَلَا يَتَعَلَّمُ، وَلَو تَعَلَّمَ لَا يَعْمَلُ، يُعْرِضُ عَنْ تَعَلُّمِ أَصْلِ الدِّينِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ المَرْءُ مُسْلِمًا، وَيُعرِضُ عَنِ العَمَلِ تَبَعًا، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، فَهُو مُرْتَدٌّ عَن دِينِ الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

أَعْرَضَ عَنْهَا بَعْدَمَا ذُكِّرَ بِهَا، أَمَّا مَنْ أَعْرَضَ كَسَلًا فَهَذَا لَا يَكْفُر، وَلَكِن يُلَامُ عَلَىٰ كَسَلِهِ، وَالإِعْرَاضُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي العِلْمِ، أَو كَرَاهِيَةِ العِلْمِ، هَذَا هُوَ الكُفْرُ بِاللهِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ.

رسلان

فَلَا فَرْقَ فِي هَذِهِ النَّوَاقِضِ العَشَرَةِ بَيْنَ الجَادِّ: الَّذِي يَقْصِدُ مَا يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ، وَالهَازِلِ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَقْصِدُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِن بَابِ المَزحِ وَاللَّعِبِ.

وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى المُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا يَكْفُر حَتَّى يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الجَادِّ وَالهَازِلِ، أَو الخَائِفِ عَلَى جَاهِهِ وَمَالِهِ، إِلَّا المُكْرَه، إِذَا أُكْرِهَ أَن يَقُولَ كَلِمَةَ الكُفْرِ، وَلَم يُمكنه التَّخَلُّصَ مِن الظُّلْمِ إِلَّا بِهَا، فَقَد رَخَّصَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، بِهَذَا الشَّرْطِ، وَيَكُونُ قَصْدُهُ دَفْعَ الإِكْرَاه فَقَط، إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَعْتَقِدُ بِمَا يَتَلَفَّظُ بِهِ.

الفوزان

[١٨] لا فرق فِي هذه النواقض العشرة بين الجاد: الذي يقصد ما يقول أو يفعل، والْهَازل: وهو الذي لا يقصد، وإنَّما يفعل هذا من باب المزح واللعب، وفِي هذا رد على الْمُرجئة الذين يقولون: لا يكفر حَتَّى يعتقد بقلبه، لا فرق بين الْجَاد والْهَازل، أو الخائف الذي يفعل هذه الأشياء دفعًا للخوف، فالواجب عليه أن يصبر.

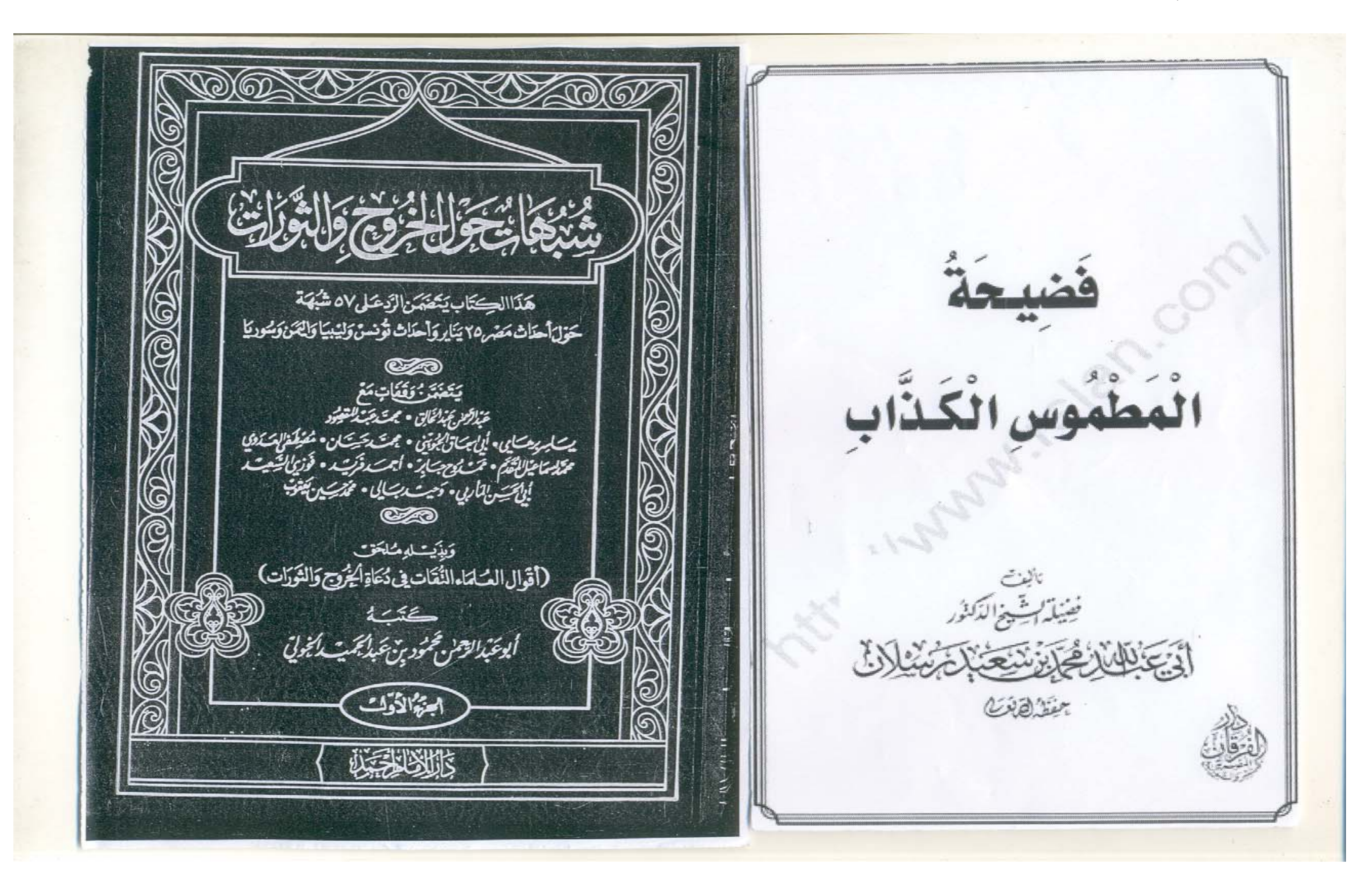
(إلا المكره) إذا أكره أن يقول كلمة فيها كفر، ولَم يُمكنه التخلص من الظلم إلا بهَا، فرخص له اللَّه فِي ذلك ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل: ١٠٦] . بِهذا الشرط، ويكون قصده دفع الإكراه فقط، إلا أن قلبه لا يعتقد بِمَا يتلفظ به.

الباب الرابع

السرقات العلمية في كتابه (الرد على المطموس الكذاب)

وصف السرقة :

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتابي (شبهات حول الخروج والثورات) فقام بسرقة حوالي أربع صفحات بحواشيها .
- قام بوضع هذه الصفحات ضمن كتابه (**الرد على المطموس الكذاب**).
- قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب عدة طبعات في مكتبة (الفرقان) .
- نسب هذه الصفحات لنفسه حيث أنه في آخر السرقة عزاه إلى كتابه المسروق (دعائم منهاج النبوة)ولا يوجد حرف واحد من هذه الصفحات في المصدر الذي عزا إليه وهذا مما يؤكد تعمده للكذب بجانب السرقة.
- لم ينسب حرفاً واحداً من هذا الصفحات لي ولم يشر إليّ قط.



فَضِيحَةُ
الْمَطْمُوسِ الْكَذَّابِ

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

دار الفرقان

شُبُهات حول الخُرُوج والثَّورات

هذا الكتاب يتضمن الرد على ٥٧ شبهة
حول أحداث مصر ٢٥ يناير وأحداث تونس وليبيا واليمن وسوريا

يتضمن وقفات مع
عبد الرحمن عبد الخالق • محمد عبد المقصود
ياسر برهامي • أبي إسحاق الحويني • محمد حسان • مصطفى العدوي
محمد إسماعيل المقدم • ممدوح جابر • أحمد فريد • فوزي السعيد
أبي الحسن المأربي • وحيد بالي • محمد حسين يعقوب

ويذيله ملحق
(أقوال العلماء الثقات في دعاة الخروج والثورات)

كتبه
أبو عبد الرحمن محمود بن عبد الحميد الخولي

الجزء الأول

دار الإمام أحمد

رسلان

تَنِقُّ بِلَا شَيءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ

وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي

ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ

فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ!!

وَكَتَبَ

أَبُو عَبْدِ اللهِ

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَسْلَانَ

- عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ -

مِصْرُ - الْمُنُوفِيَّةُ - سُبْكُ الْأَحَدِ

٦ مِنْ صَفَر ١٤٣٤ هـ

١٩ مِنْ دِيسَمْبِر ٢٠١٢ م

الخولي

ومحمد الزغبي.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ اللهم وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو عبد الرحمن

محمود بن عبد الحميد الخولي

يوم ١١ من جمادىٰ الآخرة ١٤٣٣ هـ

٢ من مايو ٢٠١٢م

مركز بدر، البحيرة، مصر

ت: ٠٠٢/٠١٠٦١٧١١٣٩٧

رسلان

فَالْقَدْرُ مِنَ الْقِصَّةِ وَالَّذِي فِيهِ «انْتِظَامُ الْبَيْعَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ فِي السِّرِّ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْخُرُوجِ عَلَىٰ السُّلْطَانِ لِبِدْعَتِهِ وَدَعْوَتِهِ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَلِمَا هُوَ عَلَيْهِ وَأُمَرَاؤُهُ وَحَاشِيَتُهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَغَيْرِهَا».

هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْقِصَّةِ قَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ كَثِيرٍ بِدُونِ إِسْنَادٍ وَالْمَتْنُ فِيهِ نَكَارَةٌ.

فَقَدْ وَرَدَ فِيهَا «مُبَايَعَةُ الْعَامَّةِ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ فِي السِّرِّ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْخُرُوجِ عَلَىٰ السُّلْطَانِ لِبِدْعَتِهِ، وَدَعْوَتِهِ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَلِمَا هُوَ عَلَيْهِ وَأُمَرَاؤُهُ وَحَاشِيَتُهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَغَيْرِهَا».

وَهَذَا الْقَدْرُ لَا يُقْبَلُ، وَهُوَ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ بِدُونِ إِسْنَادٍ، وَلَيْسَ لَهُ زِمَامٌ وَلَا خِطَامٌ، وَلِمُخَالَفَتِهِ أَصْلًا مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَكَيْفَ يَسِيرُ عَلَىٰ مُعْتَقَدِ الْخَوَارِجِ؟!

الخولي

فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه علىٰ شيء مما كان منه في مبايعته العوام علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله»[1].

فالقدر من القصة والذي فيه: **(انتظام البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر علىٰ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج علىٰ السلطان لبدعته ودعوته إلىٰ القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها)**.

هذا القدر من القصة قد أورده ابن كثير بدون إسناد والمتن فيه نكارة.

فقد ورد فيها: **(انتظام البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر علىٰ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج علىٰ السلطان لبدعته ودعوته إلىٰ القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها)**.

وهذا القدر لا يقبل وهو مردود؛ لأنه ورد بدون إسناد ولمخالفته أصلًا من أصول أهل السنة والجماعة وهو الصبر علىٰ الأئمة وترك الخروج عليهم وقتالهم.

رسلان - فضيحة المطموس الكذاب - ٣٦

وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَطِيبُ الْقَدْرَ مِنَ الْقِصَّةِ الَّذِي فِيهِ «مُبَايَعَةُ الْعَامَّةِ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ فِي السِّرِّ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْخُرُوجِ عَلَىٰ السُّلْطَانِ لِبِدْعَتِهِ وَدَعْوَتِهِ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَلِمَا هُوَ عَلَيْهِ وَأُمَرَاؤُهُ وَحَاشِيَتُهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَغَيْرِهَا».

وَإِنَّمَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ بِذِكْرِ «اجْتِمَاعِ الْخَلْقِ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ إِلَىٰ أَنْ مَلَكُوا بَغْدَادَ».

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِسْنَادُهَا فِيهِ عِلَّتَانِ ظَاهِرَتَانِ جَلِيَّتَانِ:

الْعِلَّةُ الْأُولَىٰ: مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ وَهُوَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَوَثَّقَهُ الْبَعْضُ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ»: «الْمَرْزُبَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ عُبَيْدٍ[١].

(١) رَاجِعْ فِي تَرْجَمَتِهِ:
«الْفِهْرِسْت» (١٩٠-١٩٣)، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٣/ ١٣٥-١٣٦)، وَ«الْأَنْسَاب» (ع) (٥٢١)، وَ«الْمُنْتَظَم» (٧/ ١٧٧)، وَ«مُعْجَمُ الْأُدَبَاءِ» (١٨/ ٢٦٨-٢٧٢)، وَ«إِنْبَاهُ الرُّوَاةِ» (٣/ ١٨٠-١٨٤)، وَ«اللُّبَاب» (٣/ ١٩٥)، وَ«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» (٤/ ٣٥٤-

الخولي

وأورد القصة الخطيب في «تاريخ بغداد»[٢] بالسند إليه حيث قال:

«حدثني القاضي أبو عبد الله الصيمري حدثنا محمد بن عمران المرزباني أخبرني محمد بن يحيىٰ الصولي...» وذكر القصة.

ولم يذكر الخطيب القدر من القصة الذي فيه: (**انتظام البيعة لأحمد بن**

٤٢ شبهات حول الخروج والثورات

نصر الخزاعي في السر علىٰ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج علىٰ السلطان لبدعته ودعوته إلىٰ القول بخلق القرآن ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها).

وإنما جاءت الرواية بذكر (**اجتماع الخلق من الناس إليه يأمرون بالمعروف إلىٰ أن ملكوا بغداد**).

وهذا الإسناد فيه علتان.

العلة الأولىٰ:

محمد بن عمران المرزباني وهو من المعتزلة وقد ضعفه بعض العلماء ووثقه البعض.

قال الذهبي[١] وابن حجر[٢]:

«محمد بن عمران، أبو عبيد الله المرزباني الكاتب الإخباري: قال العتيقي:

الخولي

وأما قول الإمام أحمد عن الخزاعي: «ما كان أسخاه؛ لقد جاد بنفسه»[(١)].

فكان من أجل **(القول بعدم خلق القرآن وأن الله يُرىٰ في الآخرة)** لا من أجل (خروجه علىٰ الواثق وأخذه البيعة في السر).

فإن الثابت الصحيح في كتب السير والتراجم: أن الواثق قتل الخزاعي وذبحه وصلبه بسبب **(القول بعدم خلق القرآن وأن الله يُرىٰ في الآخرة)**، فلما امتحنه الواثق في هاتين المسألتين، قام إليه الواثق فذبحه من أجل هذا، والعلماء الذين مدحوا الخزاعي وأثنوا عليه إنما كان بسبب ذلك لا من أجل الخروج علىٰ الواثق وأخذ البيعة لنفسه.

قال الخطيب البغدادي:

«وكان قتله في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن»[(٢)].

قال ابن أبي يعلىٰ:

«وذكره يحيى بن معين فترحم عليه وقال: قد ختم له بالشهادة وقتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن»[(٣)]

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ١٦٨).
(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب (٥/ ١٧٦).
(٣) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ٣٠).

رسلان

وَأَمَّا قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْخُزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا كَانَ أَسْخَاهُ لَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ»[(١)].

فَكَانَ مِنْ أَجْلِ (الْقَوْلِ بِعَدَمِ خَلْقِ الْقُرْآنِ وَأَنَّ اللهَ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ) لَا مِنْ أَجْلِ (خُرُوجِهِ عَلَىٰ الْوَاثِقِ، وَأَخْذِهِ الْبَيْعَةَ فِي السِّرِّ).

فَإِنَّ الثَّابِتَ الصَّحِيحَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّرَاجِمِ أَنَّ الْوَاثِقَ قَتَلَ الْخُزَاعِيَّ وَذَبَحَهُ وَصَلَبَهُ بِسَبَبِ (الْقَوْلِ بِعَدَمِ خَلْقِ الْقُرْآنِ وَأَنَّ اللهَ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ)، فَلَمَّا امْتَحَنَهُ الْوَاثِقُ فِي هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ قَامَ إِلَيْهِ الْوَاثِقُ فَذَبَحَهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا، وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ مَدَحُوا الْخُزَاعِيَّ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ ذَلِكَ لَا مِنْ أَجْلِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ الْوَاثِقِ وَأَخْذِ الْبَيْعَةِ لِنَفْسِهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ:

«وَكَانَ قَتْلُهُ فِي خِلَافَةِ الْوَاثِقِ؛ لِامْتِنَاعِهِ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ»[(٢)].

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٦٨).
(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٥/ ١٧٦).

قَالَ ابْنُ أَبِي يَعْلَىٰ:

«وَذَكَرَهُ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: قَدْ خُتِمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ وَقُتِلَ فِي خِلَافَةِ الْوَاثِقِ لِامْتِنَاعِهِ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ»[(١)].

(١) «طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (١/ ٣٠).

رسلان

(٤٨) فضيحة المطموس الكذاب

وَلَوْ قُلْنَا إِنَّ قِصَّةَ خُرُوجِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ صَحَّتْ تَنَزُّلًا -وَلَا تَصِحُّ-؛ فَإِنَّ قِيَامَهُ عَلَى الْوَاثِقِ وَالْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَمُبَايَعَةَ النَّاسِ لَهُ كَانَ بِسَبَبِ كُفْرِ الْوَاثِقِ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ؛ فَكَفَّرَهُ الْخُزَاعِيُّ عَلَى التَّعْيِينِ وَأَسْقَطَ وِلَايَتَهُ بِسَبَبِ قَوْلِهِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَبِسَبَبِ نَفْيِهِ رُؤْيَةَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ وَكِلَاهُمَا كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ صَحَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فَقَدْ أَخْطَأَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ تَوَفَّرَتْ عِنْدَهُمُ الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي جَعَلَهَا الْعُلَمَاءُ شَرْطًا لِلْخُرُوجِ عَلَى الْحَاكِمِ الْكَافِرِ وَمُنَاهَضَتِهِ[1].

وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمَطْمُوسُ بِسَبَبِ الْخُطْبَةِ الَّتِي فُرِّغَتْ وَطُبِعَتْ، فَأَقُولُ -حَيْثُ لَا يَعْنِينِي هَذَا الْمَطْمُوسُ، وَلَا غَيْرُهُ-: مَا قُلْتُهَا لِصَالِحِ أَحَدٍ، وَلَا ضِدَّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا قُلْتُهَا قِيَامًا بِوَاجِبِ النُّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْإِلْزَامَاتُ الَّتِي أَتَى بِهَا الْمَطْمُوسُ، وَيَأْتِي بِهَا غَيْرُهُ، تَلْزَمُهُمْ -هُمْ-، وَتَدْخُلُ مَعَهُمْ -هُمْ- قُبُورَهُمْ؛ إِذْ هِيَ بُهْتَانٌ وَزَيْفٌ.

(١) رَاجِعْ: «دَعَائِمُ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» لِأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَان.

كذب وتلبيس فلا توجد جملة واحدة في ما أحال عليه

الخولي

(٤٦) شبهات حول الخروج والثورات

الوجه الثاني:

أنها لو صحت تنزُّلًا -ولا تصح-؛ فإن قيامه علىٰ الواثق والخروج عليه ومبايعة الناس له كان بسبب كفر الواثق عند الخزاعي؛ فكفره الخزاعي علىٰ التعيين وأسقط ولايته بسبب قوله بخلق القرآن وبنفي رؤية الله في الآخرة وكلاهما كفر بإجماع المسلمين.

ثم يبقىٰ أنه أخطأ في تقدير الاستطاعة المشروطة للخروج علىٰ الحاكم الكافر.

فمما سبق يتبين بطلان ما يستدلون به، فإنهم يستدلون بالمتشابه ويتركون المحكم وهذا هو شأن أهل الأهواء والبدع.

الباب الخامس
السرقات العلمية في كتابه (حقيقة ما يحدث في مصر)

وصف السرقة

- هذا الكتاب عبارة عن تجميع لبعض خطب رسلان لاسيما بعد (أحداث مصر ٢٥ يناير)
- قام رسلان في هذا الكتاب ومن قبل خطبه بالاعتماد في ردوده على المخالفين وشبهاتهم على بعض الكتب التي وردت فيها هذه الردود ولم يشر إلى بعضها ولم يعزو إليهم وهذه بعض المواضع

الموضع الأول :

من قول (قال عائض القرني ....) إلى قول (وسفر يبين الأثر العميق في خروج المرأة للمظاهرات) (٣/ ٣٦٦:٣٧٣)

وهذا الموضع مسروق بنصه من كتاب (مدارك النضر في السياسة) مكتبة دار السلف بالرياض ط الأولى ص (٣٧٣:٣٧٦)

وهذا النص المنقول يقدر بحوالي (٨) صفحة ولم يتم العزو إلى المصدر المأخوذ منه

الموضع الثاني:

من قول (الستة الذين عينهم عمر ...)إلى قول (باستثناء ابن كثير)(٣/ ٣٦٧:٣٧٥)

وهذا الموضع مسروق بنصه من كتاب (تنوير الظلمات) مكتبة الفرقان باليمن ط الأولى ص (١٦٦:١٦٨(

ولم يتم العزو إلى المصدر المأخوذ منه والكلام المنقول يقدر بحوالي (٢) صفحة

الموضع الثالث:

نفس الكتاب من قول (أخرج ابن أبي شيبة ...)إلى قول (من أصح إسناد على وجه الأرض)(٣/ ١٧١:١٨٠)

وهذا الموضع مسروق بنصه من كتاب (تمام المنة في فقه قتال الفتنة) مكتبة الإمام الوادعي باليمن ط الأولى ص (٢٦٩:٢٧٩)

ولم يتم العزو إلى المصدر المأخوذ منه والكلام المنقول يقدر بحوالي (٩) صفحة

الموضع الرابع :

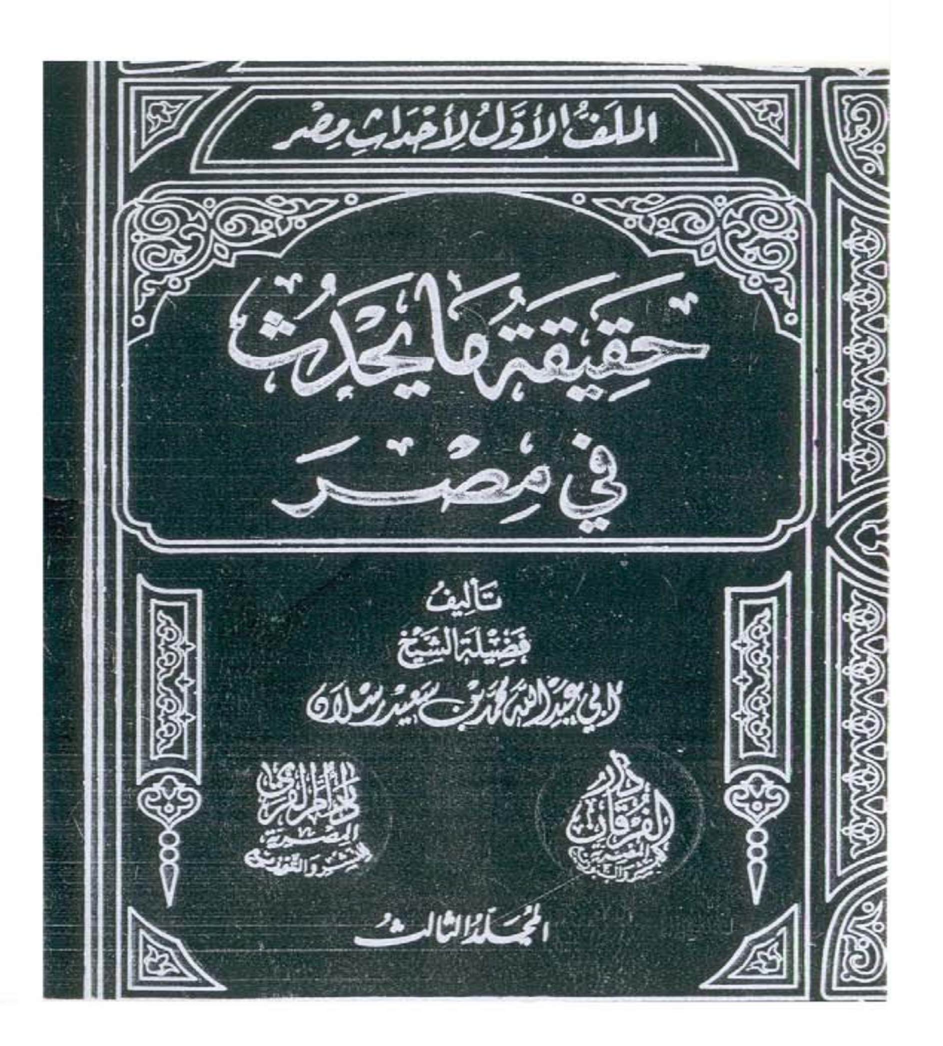
من قول (قصة احمد بن نصر الخزاعي)إلى قول (لا أنه مدحه من أجل ما قام به)(٣/ ٢٤٩:٢٥١)

وهذا الموضع مسروق بنصه من كتاب (فتنة التفجيرات والاغتيالات) لأبي الحسن المأربي ص (٢٨٤:٢٨٧)

ولم يتم العزو إلى المصدر المأخوذ منه والكلام المنقول يقدر بحوالي (٣) صفحات

۞ يُكثر في هذا الكتاب من العزو المجمل مع أنه قد نهى الأخ أحمد مصطفى[(١)] عن العزو المجمل بعلة اختلاط كلامه بكلام غيره وعدم التمييز بينهما

(١) صاحب كتاب (لا حزبية في الإسلام)



فتنة التفجيرات والاغتيالات

(الأسباب، والآثار، والعلاج)

تأليف

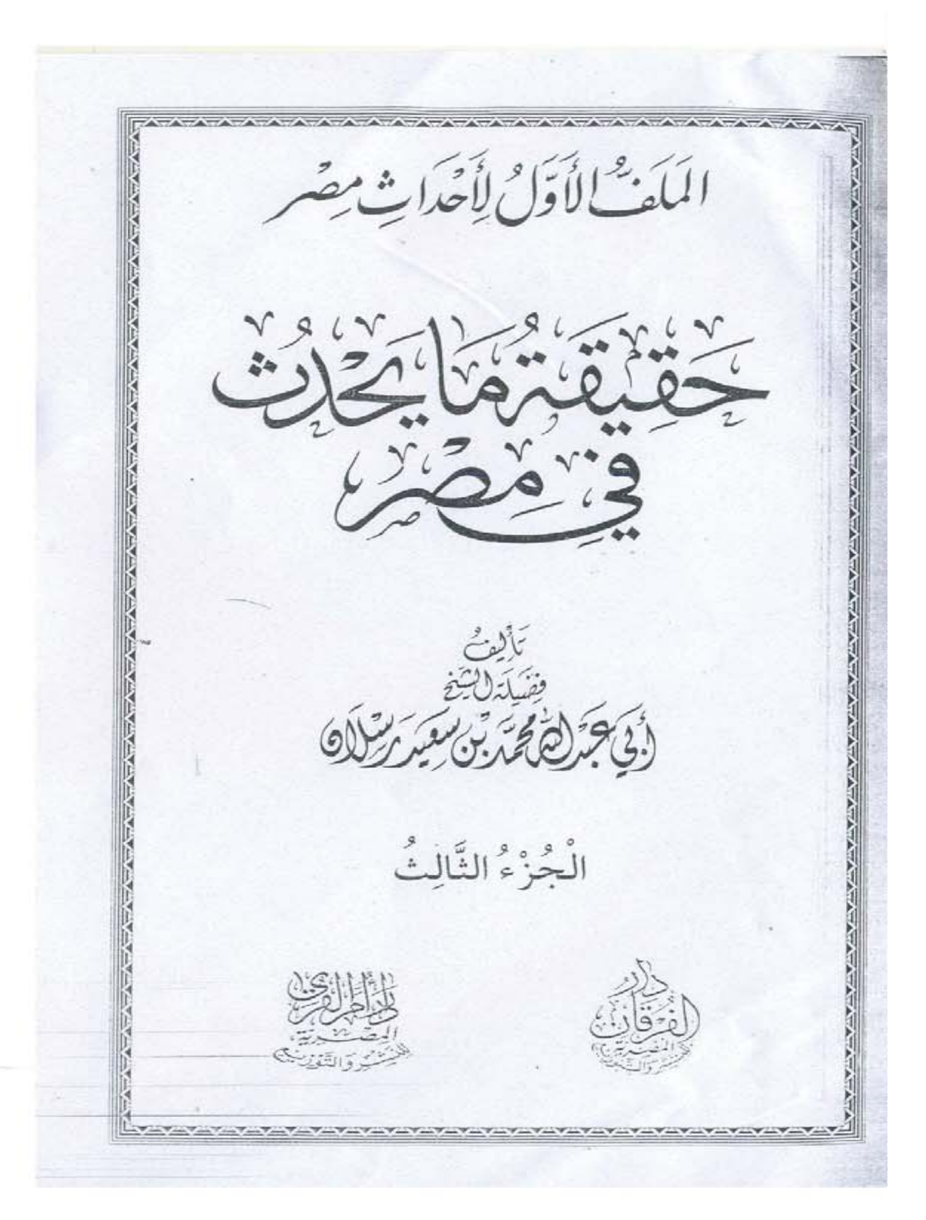
أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني

فتنة
التفجيرات والاغتيالات

(الأسباب، والآثار، والعلاج)

تأليف

أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني



○ الشبهة الثانية والعشرون ○

واستدل بعضهم على الخروج بقصة تُرْوَى عن أحمد بن نصر الخزاعي في ذلك.

قالوا: ولماذا تنكرون علينا الخروج على الحكام، وقد خرج أحمد بن نصر الخزاعي – أحد العلماء الثقات – على الواثق حاكم زمانه، ولما قتله الواثق؛ وصفه أحمد بن حنبل – مادحًا له – بأنه قد جاد بنفسه في سبيل الله، ووصفه ابن معين بأنه شهيد!!

والجواب: أن قصة خروج الخزاعي لا تصح سندًا: فقد أخرجها الخطيب في ((تاريخ بغداد))[1] فقال: حدثني القاضي أبو عبد الله الصميري قال حدثنا محمد بن عمران المزرباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: كان نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي من أهل الحديث، وكان جده من رؤساء نقباء بني العباس، وكان أحمد وسهل بن سلامة – حين كان المأمون بخراسان – بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن يدخل المأمون بغداد، فرفق بسهل حتى لبس السواد، وأخذ الأرزاق، ولزم أحمد بيته، ثم أمْرُه تحرك ببغداد في أيام الواثق، واجتمع إليه خَلْقٌ من الناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، إلى أن مَلَكُوا بغداد.

الْمُخَالِفِ – عَلَى كُلِّ مُخَالِفٍ بِمُخَالَفَتِهِ؛ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَبِدْعَةٍ، وَتَشْوِيهٍ، وَمَسْخٍ لِدِينِ اللهِ، أَمَّا النِّيَّةُ، فَلَا عَلَاقَةَ لَنَا بِهَا.

وَتَأَمَّلِ الْآنَ فِي قِصَّةٍ يُدَنْدِنُ حَوْلَهَا الْقَوْمُ، يُرِيدُونَ أَنْ يُمَرِّرُوا بِهَا أَمْرًا، لَا عَلَاقَةَ لَنَا بِالنِّيَّةِ الْبَاعِثَةِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي فَحْصٍ وَبَحْثٍ وَفَتْشِ مَا أَتَوْا بِهِ، قِصَّةِ (أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ):

قَالُوا: كَوَّنَ جَمَاعَةً، وَشَكَّلَ فِرْقَةً، وَاتَّخَذَ مَوْعِدًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْرُجَ بِهَؤُلَاءِ الدَّهْمَاءِ وَالْغَوْغَاءِ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَ هَؤُلَاءِ. إِلَى آخِرِ مَا قَالُوا، وَأَنَّهُ قُتِلَ لِأَجْلِ ذَلِكَ؛ فَمَدَحَهُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ)، وَقَالَ: جَادَ بِنَفْسِهِ، وَوَصَفَهُ (ابْنُ مَعِينٍ) بِالشَّهَادَةِ!

هَذَا مَعِيبٌ أَنْ يُؤْتَى بِهِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؛ فَهَذَا تَدْلِيسٌ، وَهَذَا كَذِبٌ.

قِصَّةُ (أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ) أَخْرَجَهَا الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخُ بَغْدَادَ»[1] بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصُّولِيِّ. السَّنَدُ لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَمَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ مَنْ شَمَّ رَائِحَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ: «ثَبِّتِ الْعَرْشَ، ثُمَّ انْقُشْ» يَعْنِي أَثْبِتِ النَّصَّ أَوَّلًا، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

فَلْنَنْظُرْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، إِسْنَادُهَا ثَابِتٌ أَوْ لَا؟ وَمَتْنُهَا هَلْ هُوَ غَيْرُ مُنْكَرٍ أَوْ لَا؟

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٧– وما بعدها).

رسلان

الْقِصَّةُ مَرْوِيَّةٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصُّولِيِّ، وَهُوَ لَمْ يُدْرِكْ زَمَنَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَلَيْسَ لَهُ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ؛ قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ سَنَةَ (إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ)؛ فَبَيْنَ قَتْلِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ وَوَفَاةِ الصُّولِيِّ خَمْسُ سَنَوَاتٍ وَمِئَةُ سَنَةٍ! فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ، وَلَمْ يُدْرِكْ هَذِهِ الْقِصَّةَ أَصْلًا.

وَالصُّولِيُّ مِنْ جُمْلَةِ مَشَايِخِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو دَاوُدَ نَفْسُهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْخُزَاعِيِّ، وَإِنَّمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنِ الْخُزَاعِيِّ بِوَاسِطَةٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِتِلْمِيذِ أَبِي دَاوُدَ؟! هَذَا مِنْ جِهَةِ الْإِسْنَادِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَتْنِ، فَفِيهِ نَكَارَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ عَنِ السَّلَفِ فِي زَمَنِ الْخُزَاعِيِّ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَلَى أُمَرَاءِ الْجَوْرِ، بَلْ يَصْبِرُونَ عَلَى أَذَاهُمْ، وَيَنْصَحُونَ لَهُمْ قِيَامًا بِوَاجِبِ النُّصْحِ، وَدَرْءًا لِلْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ وَالْفَوْضَى، فَكَيْفَ يَمْدَحُهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْخُرُوجِ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَأَحْمَدُ نَفْسُهُ -أَعْنِي ابْنَ حَنْبَلٍ- يَعُدُّ الْخُرُوجَ مِنَ الْفِتَنِ؟!!

وَقَدْ حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَيَّمَا تَحْذِيرٍ، كَمَا هُوَ ثَابِتٌ مِنْ كَلَامِهِ مَعَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ عَلَى الْوَاثِقِ، وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى عَدَلُوا عَنْ مُرَادِهِمْ، وَرَجَعُوا عَنْ قَصْدِهِمْ.

وَلِمَاذَا لَا يُحْمَلُ مَدْحُ أَحْمَدَ لِلْخُزَاعِيِّ -رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى- وَوَصْفُ ابْنِ مَعِينٍ لَهُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى ثَبَاتِ الْخُزَاعِيِّ فِي فِتْنَةِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ

المأربي

قلت: وهذا سند لا يحتجُّ به: فإن محمد بن يحيى الصولي لم يدرك زمن هـذه الواقعة، وليس له رواية عن أحمد بن نصر الخزاعي، وقد قُتِلَ أحمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١هـ، فَبَيْنَ قَتْل أحمد بن نصر ووفاة الصولي خمس سنوات ومائة سنة، فمن المؤكد أنه لم يسمع منه، ولم يدرك هذه القصة، والصولي من جملة مشايخه أبو داود، وأبو داود نفسه لم يسمع من الخزاعي، إنما روى عنه بواسطة فما ظنك بتلميذه!!

فأقول لمن يحتج بهذه القصة: ثَبِّتْ العرش ثم انقش.

هذا من جهة الإسناد، وأما من جهة المتن ففيه نكارة: لأن المعروف عن السلف - في زمن الخزاعي - أنهم لا يخرجون على أمراء الجور، بل يصبرون على أذاهم، وينصحون لهم، قيامًا بواجب النصح، ودرءًا للفتنة والفساد، فكيف يمدحه أحمد بن حنبل في الخروج على الأئمة، وأحمد نفسه يَعُدُّ الخروج من الفتن، وقد حذر من ذلك أيما تحذير، كما مر من كلامه مع من أراد أن يخرج على الواثق.

ثم لماذا لا يُحمل مدح أحمد للخزاعي - رحمهما الله تعالى - ووصف ابن معين له بالشهادة على ثبات الخزاعي في فتنة القول بخلق القرآن، لا فتنة الخروج على الولاة ؟ فتأمل كيف

الْقُرْآنِ؟! لَا فِتْنَةِ الْخُرُوجِ عَلَى الْوُلَاةِ. فَتَأَمَّلْ كَيْفَ يَسْتَشْهِدُ الْقَوْمُ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَيْفَ يُحَاوِلُونَ إِقَامَةَ أَمْرٍ، وَإِنْ هَدَمُوا بِهِ أُمُورًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْقِصَّةَ -لَوْ صَحَّتْ- فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاثِقَ قَتَلَ الْخُزَاعِيَّ لِقَوْلِهِ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، لَا لِخُرُوجِهِ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: دَعْ مَا أُخِذْتَ لَهُ. مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ هَذَا فِي الْقِصَّةِ الَّتِي لَمْ يَثْبُتْ إِسْنَادُهَا، وَلَكِنْ عَلَى فَرْضِ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ. قَالَ لَهُ: دَعْ مَا أُخِذْتَ لَهُ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ إِلَى أَنْ قَالَ -وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ الْعَفْوَ عَنْهُ-: مَا أَرَاهُ إِلَّا مُؤَدِّيًا لِكُفْرِهِ، قَائِمًا بِمَا يَعْتَقِدُهُ مِنْهُ. هَذَا كُلُّهُ لَوْ صَحَّتِ الْقِصَّةُ!

وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَتْلَهُ لَهُ إِنَّمَا كَانَ لِذَلِكَ لِقَوْلِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَأَحْمَدُ إِنَّمَا مَدَحَهُ لِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ مُقَاتِلًا دُونَ ذَلِكَ، دَاعِيًا إِلَى اعْتِقَادِهِ، مُجَاهِدًا مِنْ أَجْلِ أَلَّا يُحَرَّفَ، وَكَذَلِكَ يُنْظَرُ إِلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْخُرُوجِ عَلَى أُمَرَاءِ الْجَوْرِ، وَسَلَاطِينِ الظُّلْمِ، لَا أَنَّهُ مَدَحَهُ مِنْ أَجْلِ مَا قَامَ بِهِ مِمَّا ذَكَرَتِ الْقِصَّةُ الَّتِي لَمْ تَثْبُتْ.

هَذَا نُمُوذَجٌ مِنْ نَمَاذِجَ كَثِيرَةٍ، فِيهَا تَحْرِيفٌ لِلْقَوْلِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَوَضْعٌ لِلْأُمُورِ عَلَى غَيْرِ مَنَازِلِهَا.

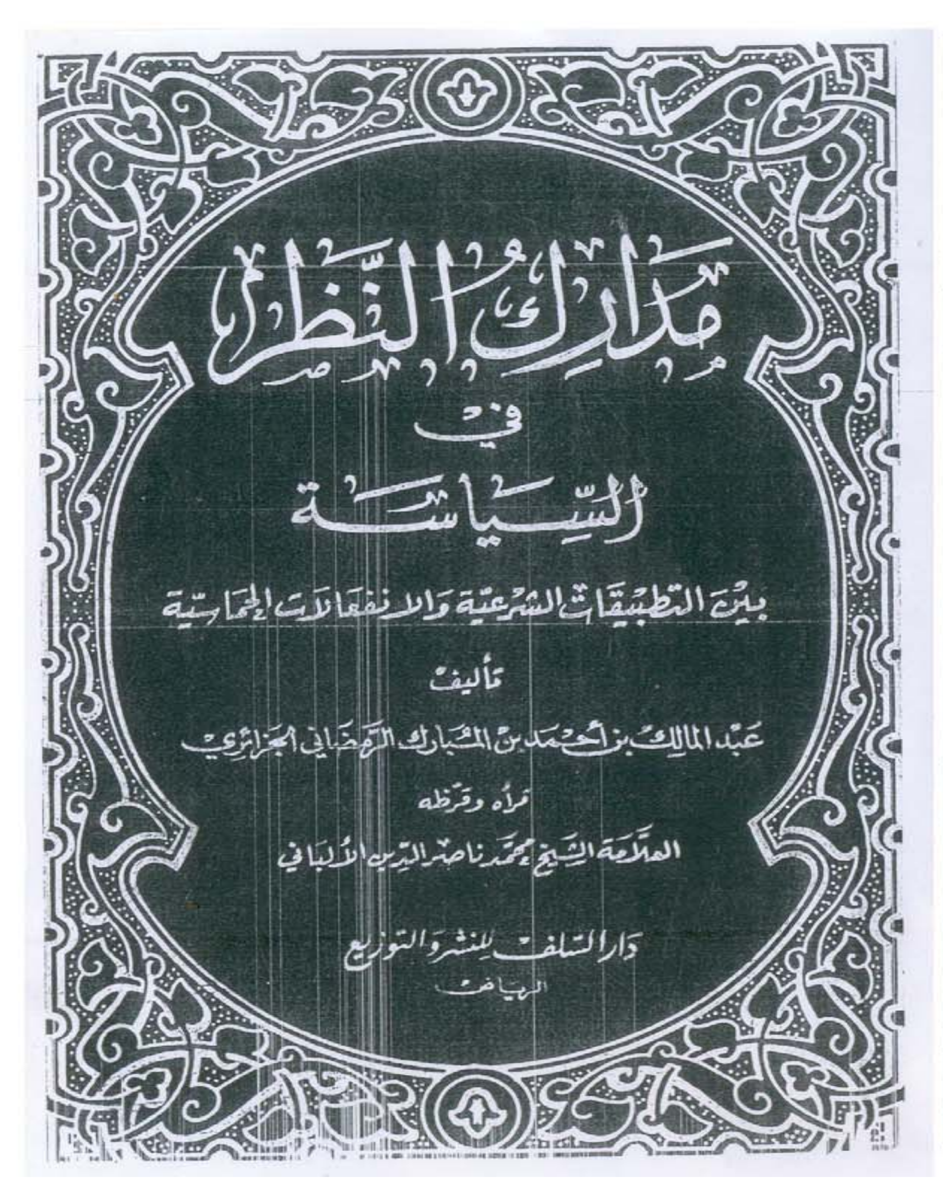
المأربي

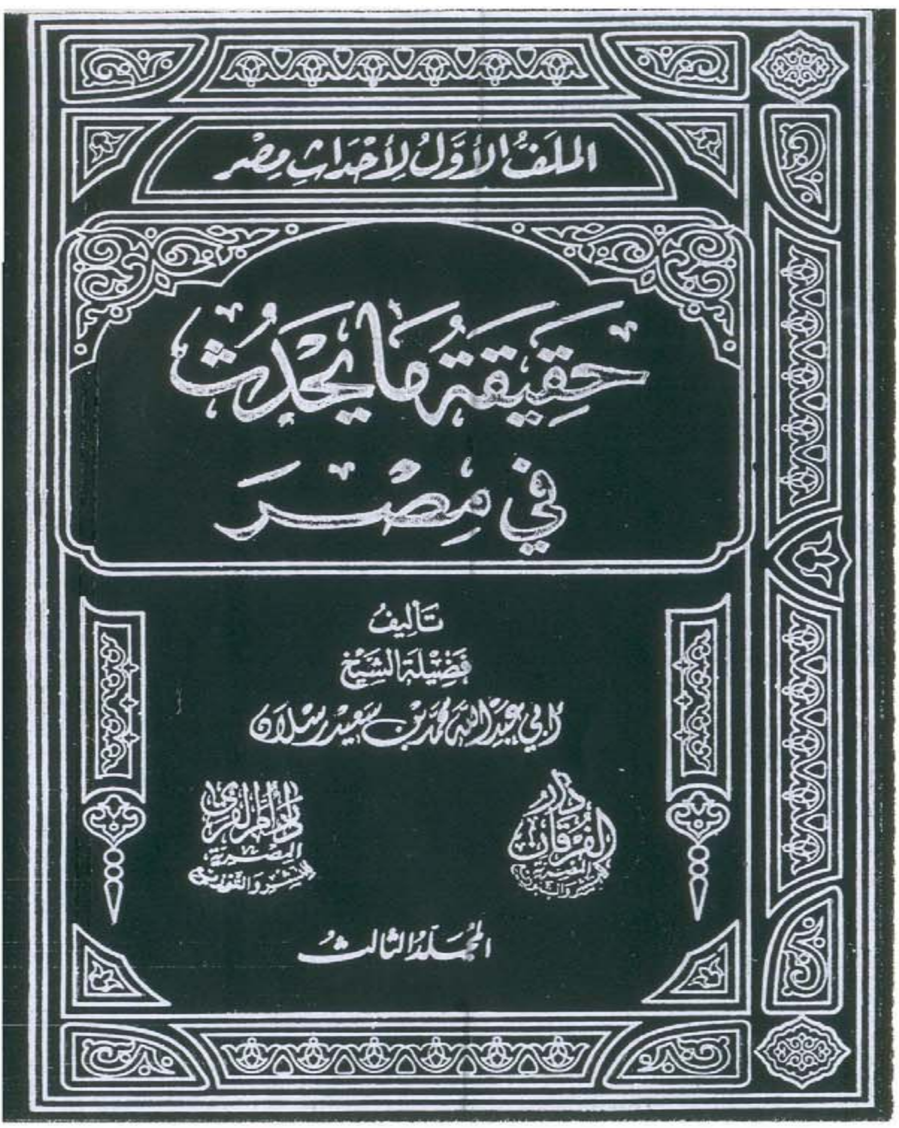
يستشهد القوم بالمتشابه من القول، وكيف يحاولون إقامة أمْرٍ وإن هدموا به أمورًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

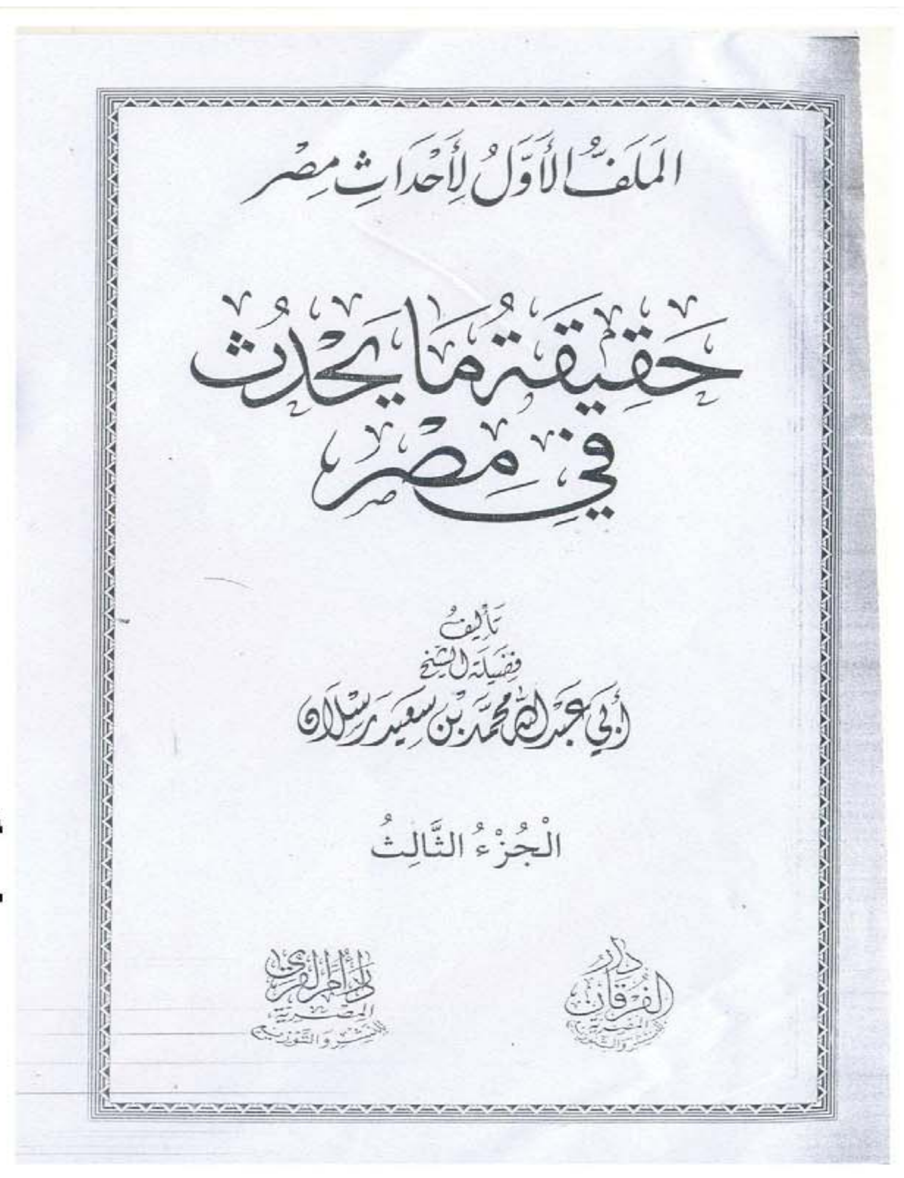
أضف إلى ذلك: أن في القصة -لو صحت- ما يدل على أن الواثق قتل الخزاعي لقوله: القرآن كلام الله غير مخلوق، لا لخروجه، فإنه قال له: ((**دَعْ ما أُخِذْتَ له، ما تقول في**

القرآن؟)) إلى أن قال -وقد طُلب منه العفو عنه-: ((**ما أراه إلا مُؤَدِّيًا لكفره؛ قائمًا بما يعتقده منه...**)).

فهذا كله -لو صحت القصة- يدل على أنه قتله لذلك، وأن أحمد مدحه لذلك، لا للخروج، لما سبق من كلام الواثق، ولأن مذهب أحمد ذم الخروج، لا مدح من قام به، كما تقدم، والله أعلم.


مدارك النظر
في
السياسة
بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية
تأليف
عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري
قرأه وقرّظه
العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
دار السلف للنشر والتوزيع
الرياض


الملف الأول لأحداث مصر
حقيقة ما يحدث
في مصر
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
المجلد الثالث



الملف الأول لأحداث مصر

حقيقة ما يحدث في مصر

تأليف فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

الجزء الثالث

دار الفرقان

دار المنهاج

مدارك النَّظر في السّياسة

بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحَماسية

تأليف

عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري

قرأه وقرّظه

العلاّمة الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني

والعلاّمة الشيخ: عبد المحسن بن حمد العبّاد البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى/ ١٤٣٣ هـ

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٦٧٣٠

الناشر

دار أم القرى للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - الفيوم - اللاهون

ت: ٠١٠٠٢٥٠٩٤٦٢

email: abuhamza٣٤٧@yahoo.com

om_elqora٢٠١١@yahoo.com

المُوَزِّع

دار البربهاري للنشر والتوزيع

القاهرة: ٢٤ ش الترعة الخمسينية بجوار مسجد الرحمة المهداة ومجمع الشرطة بالأميرية- ت: ٠١٠٨٩٦٠٦٠٥٠ - ٠١١١٨٤٢٦٢٠٥

email: darelbrbahary@yahoo.com



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

رسلان ٣٦٦ مُتَظَاهِرُونَ وَمُتَظَاهِرَاتٌ

• أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ؛ فَهَذِهِ صَفْحَةٌ مِنْ مَلَفِّ الْجَزَائِرِ، نَتَأَمَّلُ أَحْدَاثَهَا، وَنَنْظُرُ أَثْنَاءَهَا، وَنَتَلَفَّتُ حَوْلَنَا فَنَرَى تَطَابُقَ الْأَحْدَاثِ، وَتَشَاكُلَ الْوَقَائِعِ. فَلْنَسْتَلْهِمِ الْعِبْرَةَ، قَبْلَ أَلَّا تَنْقَطِعَ الْعَبْرَةُ.

قَالَ عَائِضٌ الْقَرَنِيُّ فِي خُطْبَةِ جُمُعَةٍ، فِي إِبَّانِ مَا وَقَعَ فِي الْجَزَائِرِ، وَمَا مُهِّدَ لِوُقُوعِهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ خَرَجَ فِي الْجَزَائِرِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ **سَبْعُمِئَةِ أَلْفِ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ مُتَحَجِّبَةٍ يُطَالِبْنَ بِتَحْكِيمِ شَرْعِ اللَّهِ**».

وَيَالَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ، حِينَ يَهُونُ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ؛ فَيُقْسِمُ بِهِ عَلَى عَدَدٍ وَهْمِيٍّ خَيَالِيٍّ، وَيُقْسِمُ عَلَى قَضِيَّةٍ خَاسِرَةٍ دُنْيَا وَأُخْرَى.

أَفِي الْمُظَاهَرَةِ الْمَوْرُوثَةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالشُّيُوعِيِّينَ يُبْذَلُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ؟!

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤].

أَبِأُمَّةٍ انْقَرَضَ ذُكُورُهَا حَتَّى خَرَجَ إِنَاثُهَا تَفْتَخِرُ أَيُّهَا الْخَطِيبُ؟!

أَبِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ تَحْكُمُ الْمَرْأَةُ بِشَرْعِ اللَّهِ؟!

أَلَيْسَ فِي شَرْعِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟!.

مدارك النظر في السياسة الرمضاني ٣٧٣

فقه واقع الجزائر عند عائض القرني

أما **عائض القرنيّ** فقد وقع في الخطأ الذي تواصوا به جميعا وهو زعمهم أنّ جبهة الإنقاذ امتداد لجمعية العلماء الجزائريين! وقال في خطبة جمعة: " **والذي نفسي بيده لقد خرج في الجزائر في يوم واحد سبعمائة ألف امرأة مسلمة متحجّبة يطالبن بتحكيم شرع الله** ".

النقد: يا لها من مصيبة حين يهون عليك اسم الله فتقسم به على عدد وهميّ خياليّ، و تقسم على قضيّة خاسرة دنيا وأخرى، أفي المظاهرة الموروثة من الكفار والشّيوعيّين يبذل اسم الله الأعظم؟ ألم يقل الله: ﴿ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السّوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾؟ أبأمّة انقرض ذكورها حتى خرج إناثها تفتخر ـ أيّها الخطيب؟! ـ أبالخروج من البيت تحكم المرأة بشرع الله؟ أليس في شرع الله قول الله عزّ وجلّ: ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى﴾؟! كان عليك أن تقول لهن:

رسلان

كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ لَهُنَّ: ابْدَأْنَ بِأَنْفُسِكُنَّ، فَحَكِّمْنَ الشَّرْعَ، ثُمَّ طَالِبْنَ غَيْرَكُنَّ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ، أَمْ أَنَّ السِّيَاسَةَ الْوَضْعِيَّةَ لَمْ تَتْرُكْ مَجَالًا وَلَا لِمَنِ افْتَخَرَ بِهِ، لِيُفَكِّرُوا فِي حُدُودِ الشَّرْعِ؟

لَقَدْ خَرَجَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها يَوْمَ الْجَمَلِ، فَلَمْ يَحْمَدْهَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَلَا هِيَ حَمِدَتْ فِعْلَهَا؛ فَقَدْ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله: وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ، قَالَ:

قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ -رضي الله عنه، وَعَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ أُمِّهِ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ- لِعَائِشَةَ رضي الله عنها لَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْجَمَلِ: «**مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرَ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْكُنَّ**»! يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

فَقَالَتْ: «أَبُو الْيَقْظَانِ!»

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَتْ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ -مَا عَلِمْتُ- لَقَوَّالٌ بِالْحَقِّ».

قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكِ[1].

رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَعَنْهَا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (٣/ ٦١)، وأبو الحسن الشيباني في الكامل في التاريخ (٣/ ١٤٤).

الرمضاني

ابدأن بأنفسكنّ فحكّمن الشرع، ثم طالبن غيركنّ بذلك بالطريق المشروع. أم أنّ السياسة الوضعيّة لم تترك لك مجالا - أيها الخطيب - ولا لمن افتخرتَ به لتفكّروا في حدود الشرع؟ لقد خرجت عائشة رضي الله عنها يوم الجمل فلم يحمدها عليه الصّحابة ولا هي حمدت فعلها، فقد قال ابن حجر: " وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المديني قال: قال عمار بن ياسر لعائشة لمّا فرغوا من الجمل: " ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾،

فقالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قالت: والله إنّك ما علمتُ لقوّال بالحق قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك "[1].

الرمضاني

قلت: أما بلغكَ أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تبكي على خروجها هذا بكاء شديدا؟ فعن قيس بن حازم قال: لمّا أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا فنبحت الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحَوْأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: **بل تقدمين فيراكِ المسلمون فيصلح الله ذات بينهم،** قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: « كيف بإحداكنّ تَنْبح عليها كِلاب الحَوْأَب » رواه أحمد وابن حبّان وصحّحه هو والحاكم والذّهبيّ وابن كثير وقال ابن حجر: " وسنده على شرط الصحيح "[٢]، وقال الألبانيّ: " إسناده صحيح جدّا "[٣].

فتأمّل قوله: " فيراكِ المسلمون فيصلح الله ذات بينهم "، وما بين هذه النيّة ونيّة المتظاهرات في أن يراهنّ النّاس فيتشجّع بهنّ المؤمنون ويتصاغر المجرمون في زعمهنّ

أَمَا بَلَغَ الْقَوْمَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَبْكِي عَلَى خُرُوجِهَا هَذَا بُكَاءً شَدِيدًا ؛ فَعَنْ قَيْسِ بنِ حَازِمٍ ، قَالَ : لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا ، فَنَبَحَتِ الْكِلَابُ ، فَقَالَتْ : أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟

قَالُوا : مَاءُ الْحَوْأَبِ .

قَالَتْ : مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً .

فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا : بَلْ تَقْدَمِينَ ؛ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ ، فَيُصْلِحُ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ .

قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ : «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**»[١] .

رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وابْنُ حِبَّانَ ، وَصَحَّحَهُ هُوَ والْحَاكِمُ ، والذَّهَبِيُّ ، وابْنُ كَثِيرٍ ، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «وَسَنَدُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ» . وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ : «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ جِدًّا» .

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ : «فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ» ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ النِّيَّةِ وَنِيَّةِ الْمُتَظَاهِرَاتِ فِي أَنْ يَرَاهُنَّ النَّاسُ ؛ فَيَتَشَجَّعَ بِهِنَّ الْمُؤْمِنُونَ ، وَيَتَصَاغَرَ الْمُجْرِمُونَ - فِي زَعْمِهِنَّ - ! !

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٤، ٢٤٦٥٤)، والحاكم (٣/ ١٢٠)، وابن حبان (٦٧٣٢)، وأبو يعلى (٤٨٦٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٧٤).

رسلان

تَأَمَّلْ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا ، بَيْنَ هَذِهِ النِّيَّةِ وَتِلْكَ ، مَعَ الْفَرْقِ الْوَاضِحِ بَيْنَ فِعْلِ عَائِشَةَ هَذَا ، الَّذِي لَمْ تَبْتَغِ بِهِ سِوَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ ، وَبَيْنَ فِعْلِ الْمُتَظَاهِرَاتِ الدَّاخِلَاتِ فِي السِّيَاسَةِ .

قَالَ الزَّيْلَعِيُّ فِي «نَصْبُ الرَّايَةِ»[1] : وَقَدْ أَظْهَرَتْ عَائِشَةُ النَّدَمَ .

كَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ «الِاسْتِيعَابُ» عَنْ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - ، قَالَ :

قَالَتْ عَائِشَةُ لِابْنِ عُمَرَ : «**يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي ؟**» .

قَالَ : «**رَأَيْتُ رَجُلًا غَلَبَ عَلَيْكِ**» - يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ رضي الله عنها .

فَقَالَتْ : «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ»[2] .

فَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تُقِرُّ بِخَطَئِهَا فِي الْخُرُوجِ ، مَعَ أَنَّهَا مَا كَانَتْ إِلَّا مُتَأَوِّلَةً ، قَاصِدَةً لِلْخَيْرِ ، مُرِيدَةً لِلصُّلْحِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا الْمُؤْمِنِينَ ، تَسْعَى لِحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَدَرْءِ الْقِتَالِ .

(١) نصب الراية (٤/ ٦٩) .

(٢) الاستيعاب (١/ ٢٧٥) .

الرمضاني

مع الفرق الواضح بين فعل عائشة هذا الذي لم تبتغ به سوى الإصلاح بين أبنائها المؤمنين وحقن دمائهم، وبين فعل المتظاهرات الداخلات في السياسة.

وقال الزيلعي: " وقد أظهرتْ عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » عن ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا

(١) « الفتح » (٦٣/١٣).
(٢) « الفتح » (٥٩/١٣).
(٣) انظر « الصحيحة » رقم (٤٧٤).

عبد الرحمن! ما مَنعَكَ أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيتُ رجلا غلب عليكِ - يعني ابن الزبير - فقالت: أمَا والله لو نهيتني ما خرجْتُ "[1]،

وَعَائِشَةُ : هِيَ عَائِشَةُ ، هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ، وَهِيَ زَوْجُ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ ﷺ دُنْيَا وَآخِرَةً .

قَالَ الذَّهَبِيُّ رحمه الله وَذَكَرَهُ ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةً أُخْرَى مِنْهُ فِيهَا : أَنَّ خُرُوجَهَا هَذَا جَعَلَهَا تَعْدِلُ عَنْ تَحْدِيثِ نَفْسِهَا فِي الدَّفْنِ فِي حُجْرَتِهَا كَمَا كَانَتْ تَرْجُو .

فَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسٍ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها - وَكَانَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا - : «**إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَثًا ؛ ادْفِنُونِي مَعَ أَزْوَاجِهِ**»[1] ؛ فَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ رضي الله عنها .

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» : **قُلْتُ** : تَعْنِي بِالْحَدَثِ مَسِيرَهَا يَوْمَ الْجَمَلِ ؛ فَإِنَّهَا نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً ، وَتَابَتْ مِنْ ذَلِكَ ، عَلَى أَنَّهَا مَا فَعَلَتْ ذَلِكَ إِلَّا مُتَأَوِّلَةً قَاصِدَةً لِلْخَيْرِ ، كَمَا اجْتَهَدَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَالزُّبَيْرُ ابْنُ الْعَوَّامِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكِبَارِ رضي الله عنهم . وَرَوَى هَذَا الْأَثَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» .

وَلَا تَنْسَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْهَا ؟!

وَلِذَلِكَ رَوَى الْبُخَارِيُّ[2] عَنْ أَبِي مَرْيَمَ - عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْأَسَدِيِّ - قَالَ : لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) .

الرمضاني

قال الذهبي: " وذكره، ثم ذكر رواية أخرى منه فيها أن خروجها هذا جعلها تعدل عن تحديث نفسها بالدفن في حجرتها كما كانت تأمل، فعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: قالت عائشة وكانت تُحدث نفسها أن تُدفن في بيتها، فقالت: " إني أحدثتُ بعد رسول الله ﷺ حَدَثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدُفِنَت بالبقيع رضي الله عنها ". قال الذهبي: " قلت: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، **فإنها ندمت ندامة كلية وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير**، كما اجتهد طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع "[2].

ولا تنس أنّ عائشة أمٌّ للمؤمنين جميعاً، فأين هؤلاء منها، ولذلك روى البخاريّ عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسديّ قال: " لمّا سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن

رسلان

يَاسِرٍ، وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الْكُوفَةَ فَصَعِدَا الْمِنْبَرَ؛ فَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ الْمِنْبَرِ فِي أَعْلَاهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الْحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ صَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»؟!

«وَإِنَّهَا لَزَوْجُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ - يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَمْ هِيَ؟!»

رَحِمَ اللَّهُ ﷻ زَمَانًا كَانَ أَهْلُهُ يَسْتَنْبِطُونَ حُكْمَ اللَّهِ فِي الْمَسَائِلِ السِّيَاسِيَّةِ بِمُجَرَّدِ دُخُولِ النِّسَاءِ فِيهَا، وَيَجْزِمُونَ بِفَسَادِهَا، وَلَوْ كَانَ فِيهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ[1]، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهِ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ[2] الْجَمَلِ، بَعْدَمَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ، فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ. قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسٍ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً».

قَالَ: فَنَفَعَنِي اللَّهُ ﷻ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَلَمْ أَلْحَقْ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥، ٧٠٩٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) هذا الظرف - كما لا يخفى - متعلق بالفعل «نفعني» لا بالفعل «سمعت».

الرمضاني

علي فقدِما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعت عمّارا يقول: إنّ عائشة قد سارت إلى البصرة، **والله إنّها لزوجة نبيّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنّ الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلمَ إيّاه تطيعون أم هي؟** ".

(١) « نصب الراية » (٤/٦٩-٧٠).

(٢) « السير » (٢/١٩٣) وأثر عائشة هذا رواه ابن سعد في « الطبقات » (٨/٥٩) والحاكم (٤/٦).

ورحم الله زمانا كان أهله يستنبطون حكم الله في المسائل السياسية بمجرد دخول النساء فيها ويجزمون بفسادها ولو كان فيها أمّ المؤمنين، فقد روى البخاري أيضا عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: " **لقد نفعني الله بكلمة سمعتُها من رسول الله ﷺ**، أيام الجمل بعد ما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى قال: « **لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة** ».

رسلان

بِهِمْ، وَلَمْ أَشْهَدْهَا لَا مُقَاتِلًا، وَلَا نَاظِرًا ﷺ.

«لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»، فَكَيْفَ يَزْعُمُ «الْحَوَالِيُّ»[1]، عِنْدَمَا كَانَ يُعَانِي شَرْحَ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: أَنَّ الْمُظَاهَرَةَ النِّسَوِيَّةَ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ وَالتَّأْثِيرِ!. هَذِهِ وَاللَّهِ دَاهِيَةُ الدَّوَاهِي!

وَهَذَا «سَلْمَانُ»[2] يُسَرُّ بِخُرُوجِ النِّسَاءِ لِلْمُظَاهَرَةِ؛ فَيَقُولُ فِي شَرِيطٍ سَمَّاهُ «لِلنِّسَاءِ فَقَط»: «إِنَّنَا سَمِعْنَا فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى أَخْبَارًا سَارَّةً عَنِ الْعَوْدَةِ الصَّادِقَةِ -خَاصَّةً فِي أَوْسَاطِ الْفَتَيَاتِ- إِلَى اللَّهِ ﷻ، كُلُّ النَّاسِ سَمِعُوا بِالْمُظَاهَرَةِ الصَّاخِبَةِ فِي الْجَزَائِرِ، وَقَادَتُهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَبَلَغَ الْعَدَدُ فِيهَا مَا يَزِيدُ عَلَى مِئَاتِ الْأُلُوفِ».

تَاللَّهِ إِنَّ أَمْرَ هَؤُلَاءِ لَعَجِيبٌ!

مَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ بَعْدَ دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَوْفَ تَلِدُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ!

أَبَعْدَ حَيَاةِ الْعِفَّةِ الَّتِي حَافَظَ عَلَيْهَا مُسْلِمُوهَا، يَجِيءُ «سَفَرٌ وَسَلْمَانُ وَالْقَرْنِيُّ» إِلَى النِّسَاءِ؛ لِيُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بَيْتِ عِزِّهِنَّ، تَكَثُّرًا بِهِنَّ، وَتَقَوِّيًا بِالْقَوَارِيرِ؟!

وَ«الْقَرْنِيُّ» يُؤَكِّدُهُ بِالْقَسَمِ، وَ«سَلْمَانُ» يُهَيِّجُهَا لِتَصْبِرَ عَلَى الدَّبَّابَةِ،

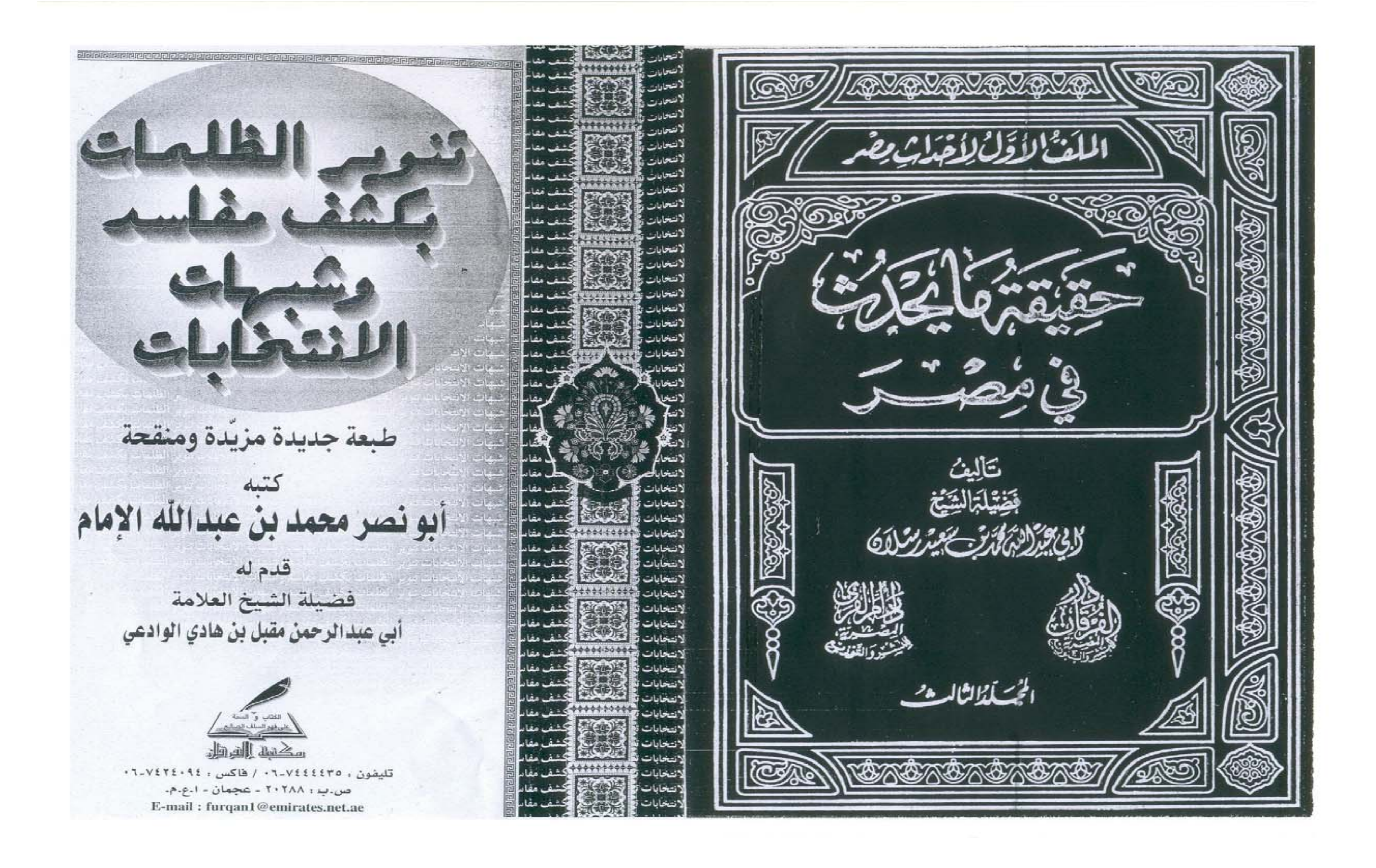
وَ«سَفَرٌ» يُبَيِّنُ الْأَثَرَ الْعَمِيقَ فِي خُرُوجِ الْمَرْأَةِ لِلْمُظَاهَرَةِ!.

الرمضاني

فكيف يزعم **سفر الحوالي** في شريط رقم (١٨٥) من « شرح العقيدة الطحاوية » **أنّ المظاهرة النسوية أسلوب من أساليب الدعوة والتأثير؟!** وهذا سلمان يُسَرُّ بخروج النساء للمظاهرة فيقول في شريط « للنساء فقط »: " إننا سمعنا في البلاد الأخرى أخبارا سارة على العودة الصادقة ـ خاصة في أوساط الفتيات ـ إلى الله عز وجل، كل الناس سمعوا **بالمظاهرة الصاخبة في الجزائر، وقادتها مجموعة من النساء**، وبلغ العدد فيها ما يزيد على مئات الألوف ".

وتالله إن أمر هؤلاء لعجب! مَن كان يتصور أن جزيرة العرب ـ بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ سوف تلد أمثال هؤلاء؟! **أبعد حياة العفة التي حافظ عليها مسلموها يجيء سفر وسلمان والقرني إلى النساء ليخرجوهن من بيت عزهن تكثرا بهن وتقوّيا بالقوارير؟! سفر يبيِّن الأثر العميق في خروج المرأة للمظاهرة! والقرني يؤكده بالقَسَم!! وسلمان يهيِّجها لتصبر على الدبابات!!! يا له من دين غريب!**[1]

(١) ومن ضحايا هذا الفكر رجل يقال له **مجالي البوق**، كان له شريط مسجَّل كثير الذيوع عندنا،


الملف الأول لأحداث مصر
حقيقة ما يحدث في مصر
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبدالله محمد بن سعيد رسلان
دار الفرقان
المجلد الثالث
تنوير الظلمات بكشف مفاسد وشبهات الانتخابات
طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
كتبه
أبو نصر محمد بن عبدالله الإمام
قدم له
فضيلة الشيخ العلامة
أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي
مكتبة الفرقان
تليفون: ٠٦-٧٤٤٤٤٣٥ / فاكس: ٠٦-٧٤٢٤٠٩٤
ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - إ.ع.م.
E-mail : furqan1@emirates.net.ae

رسلان

قِصَّةُ اسْتِشَارَةِ عَبْدِالرَّحْمَنِ النِّسَاءَ لَيْسَ لَهَا سَنَدٌ! ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» بِدُونِ سَنَدٍ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا لَا أَصْلَ لَهَا!، أَيْ لَا وُجُودَ لَهَا بِسَنَدٍ يَصِحُّ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، كَمَا قَالَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ اسْتِشَارَةِ النِّسَاءِ لَا أَصْلَ لَهَا أَنَّ أَهْلَ التَّارِيخِ كَمَا مَرَّ لَمْ يَذْكُرُوهَا، حَتَّى بِدُونِ سَنَدٍ بِاسْتِثْنَاءِ ابْنِ كَثِيرٍ.

أَثَرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ ابنِ عَبْدِاللَّهِ بنِ أَبِي فَرْوَةَ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ؛ فَالْأَثَرُ ضَعِيفٌ جِدًّا، وَلَا يُسْتَدَلُّ

بِهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ.

بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْسَبَ هَذِهِ الْقِصَّةُ إِلَى عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهَا مُنْكَرَةٌ، وَهِيَ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى نِسْبَةِ الْمُخَالَفَةِ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، وَمَا كَانَ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ أَنْ يُخَالِفَ رضي الله عنه فِعْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِعْلَ الصَّحَابَةِ مِنْ قَبْلِهِ رضي الله عنهم.

الإمام

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية ٤/١٥١) استشارة عبدالرحمن للنساء، ولكن لقصة كلها بدون سند عنده.

فعلى هذا التحقيق نستنتج أموراً:

١- صحة القصة، وهي في (البخاري) أن عبدالرحمن اجتهد في السنة فقط.

٢- أنه أيضا استشار أشراف الناس، ومن قدم من الأجناد، وهذه القصة سندها عند الطبري، ولها طرق يقوي بعضها بعضاً.

٣- قصة استشارة عبدالرحمن للنساء، ليس لها سند، ومعنى هذا أنه: لا أصل لها أي لا وجود لها بسند يصحّ في كتب السنّة، كما قاله أكثر من واحد من العلماء، كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، ومما يدل على أن ذكر استشارة النساء لا أصل له: أن أهل التواريخ -كما ذكرنا آنفا- لم يذكروها حتى بدون سند، باستثناء ابن كثير رحمه الله تعالى.

هذا نقد القصة من جهة سندها، أما من جهة متنها: فهي أيضاً مخالفةٌ لنصوص شرعية، فاختيار الأمراء على عهد رسول الله ﷺ كان عن طريقه ﷺ وعن طريق الصحابة في الاستشارة، كما حصل من أبي بكر وعمر في شأن: الأقرع بن حابس وعيينة، والقصة في (صحيح البخاري) وغيره، ولما توفي رسول الله ﷺ، وقام الصحابة باختيار الخليفة لهم، لم يطالب واحد منهم بمشاركة النساء في اختيار الخليفة، فضلاً عن أن يكون ذلك مشروعاً، كذلك جعل أبو بكر الأمر بعده لعمر، وعمر جعل الأمر في الستة المذكورين آنفا.

فعلى فرض وجود سند لها -ولا يوجد- وعلى فرض صحته، فهي مخالفة لفعل الرسول ﷺ والصحابة مِنْ قَبْلِ عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وعلى كل: فقد ظُلِم عبدالرحمن بن عوف عند أن نُسب إليه أنه يتعدّى ويخالف نصوصاً واضحة. ولكنه بريء من ذلك كما برئ الذئب من دم يوسف عليه السلام.

وعلى هذا: فلا يجوز أن تنسب هذه القصة إلى عبدالرحمن بن عوف، لأنها منكرة.

رسلان

السِّتَّةُ الذِينَ عَيَّنَهُمْ عُمَرُ هُمْ: «عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» ﷺ، وَالرِّوَايَاتُ تَذْكُرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الشُّورَى دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ صَحِيحَةٌ: أَنَّهُمْ أَهْلُ الشُّورَى

٣٧٦ مُتَظَاهِرُونَ وَمُتَظَاهِرَاتٌ

دُونَ غَيْرِهِمْ.

ذَكَرَ ذَلِكَ ابنُ جَرِيرٍ فِي «التَّارِيخِ»، وابْنُ الْأَثِيرِ فِي «تَارِيخِهِ»، وَالذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ»، وَالْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، وَأَجَلُّ مَنْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ». وَلَيْسَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ﷺ اسْتَشَارَ النِّسَاءَ!

وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ اسْتَشَارَ الرِّجَالَ- كَمَا قَالَ الْحَافِظُ -، وَأَنَّهُ دَارَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الصَّحَابَةِ، وَعَلَى مَنْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، لَا يَخْلُو بِرَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَّا أَمَرَهُ -أَيْ أَمَرَهُ الرَّجُلُ- بِعِثْمَانَ ﷺ، وَهَكَذَا عِنْدَ الْبَقِيَّةِ الْمَذْكُورِينَ مَعَ الْحَافِظِ. مَا ذَكَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ اسْتِشَارَةَ النِّسَاءِ.

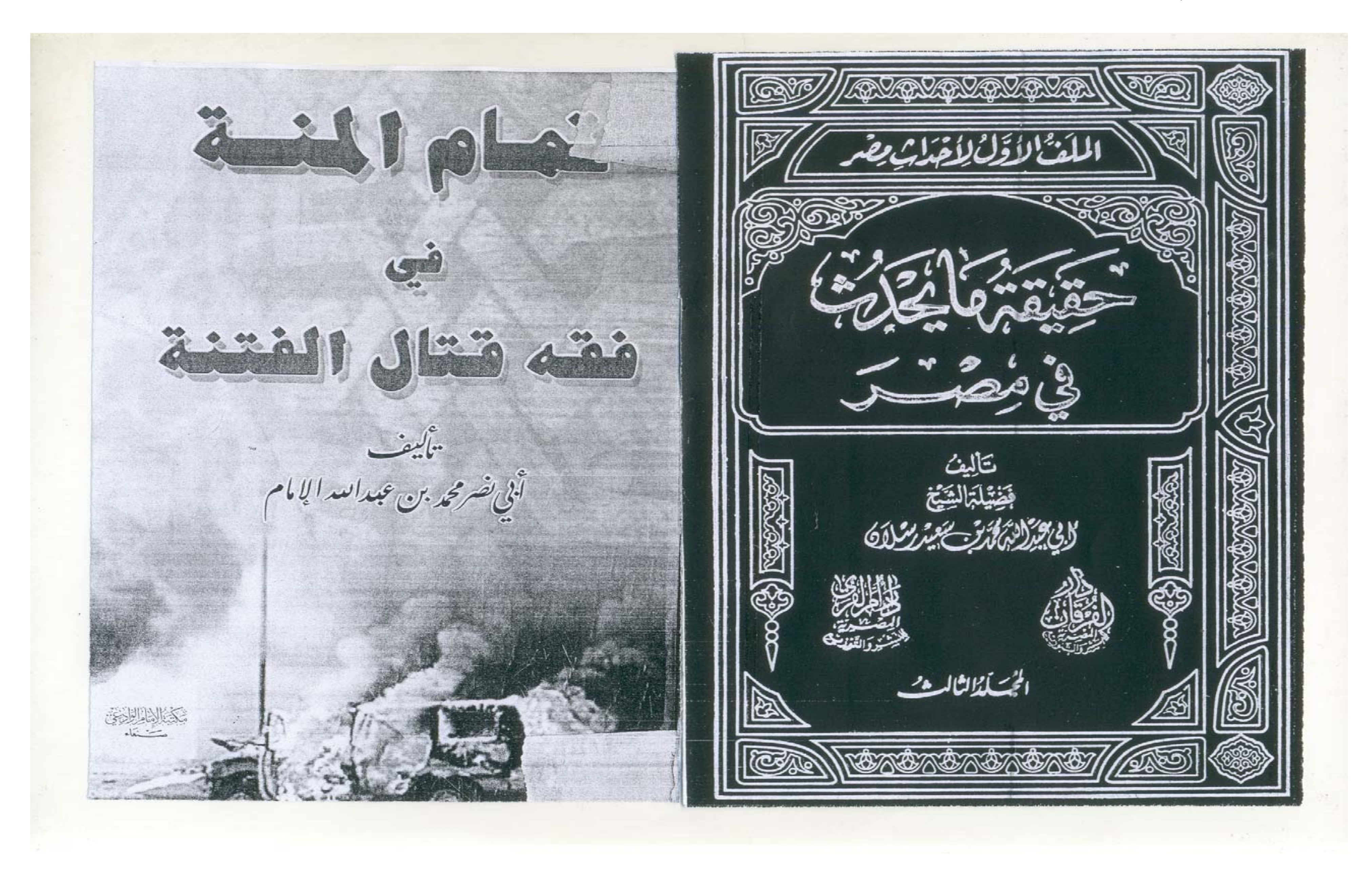
الإمام

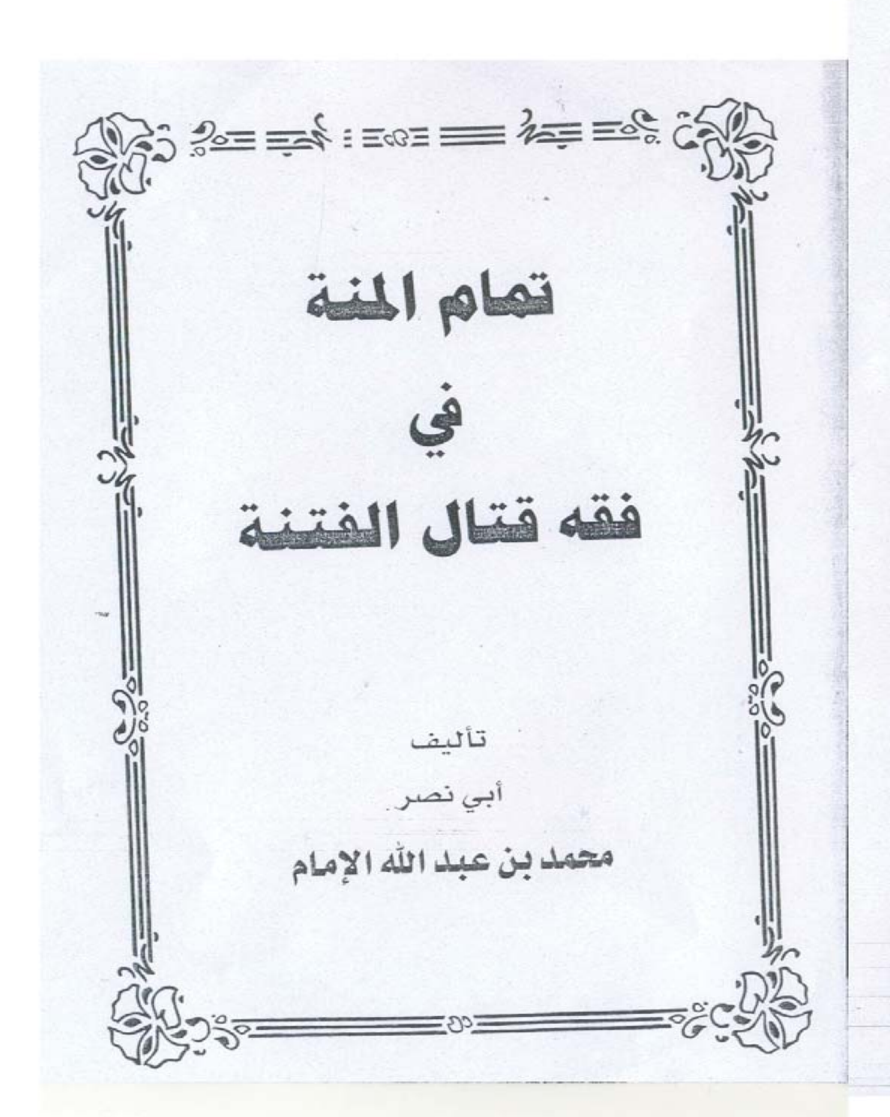
هذه القصة أخرجها البخاري (٦١/٧ مع الفتح)، وليس فيها ذكر استشارة عبدالرحمن للنساء. بل فيها: أن عبدالرحمن بن عوف قام بجمع الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم، وهم:

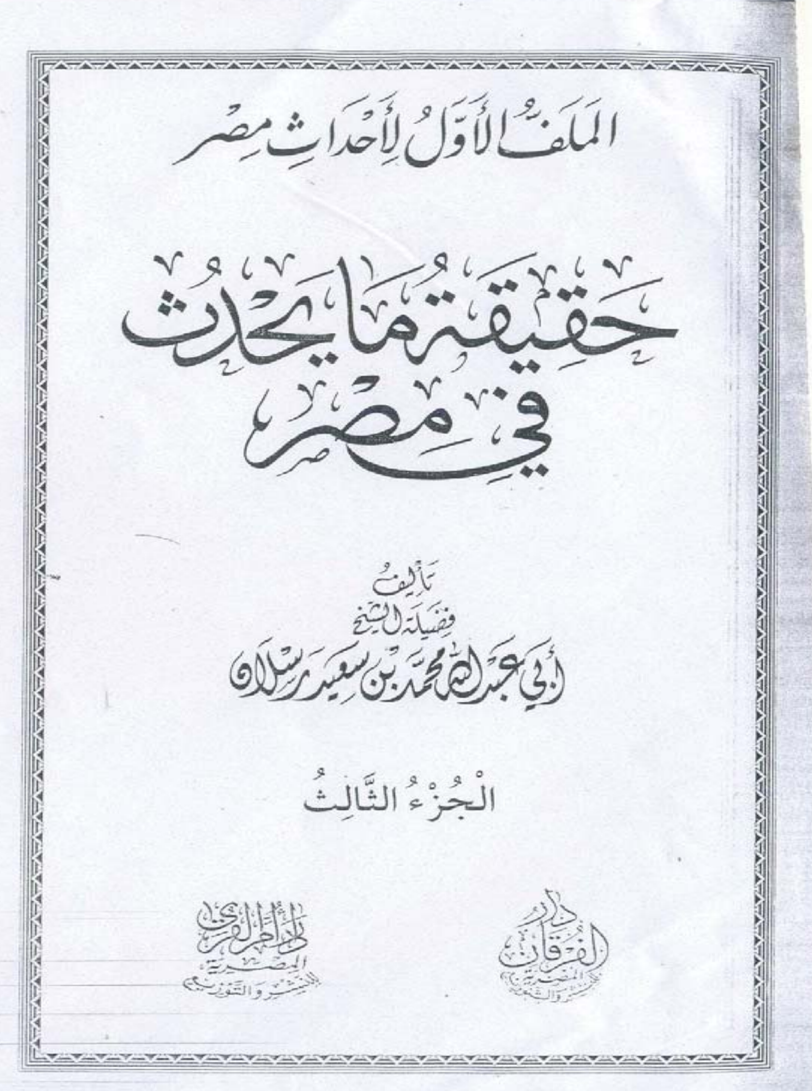
تنوير الظلمات ١٦٧ كشف مفاسد وشبهات "الانتخابات"

عثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد وعبدالرحمن رضي الله عنهم، والقصة تذكر هؤلاء الستة أنهم أهل الشورى دون غيرهم، وهي ثابتة صحيحة.

وذكرها الحافظ ابن حجر في (الفتح ٦٩/٧) والذهبي في (تاريخ الإسلام ص٣٠٣) وابن الأثير في (التاريخ ٣٦/٣) وابن جرير الطبري في (تاريخ الأمم والملوك ٢٣١/٤)، وليس عند هؤلاء: أن عبدالرحمن رضي الله عنه استشار النساء، وإنما يذكرون: أنه استشار الرجال، كما قال الحافظ، وأنه دار تلك الليلة على الصحابة، وعلى من في المدينة من أشراف الناس، لا يخلو برجل منهم إلا أمره بعثمان، وهكذا عند البقية المذكورين.


تمام المنة
في
فقه قتال الفتنة
تأليف
أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام
الملف الأول لأحداث مصر
حقيقة ما يحدث في مصر
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
المجلد الثالث


تمام المنة
في
فقه قتال الفتنة
تأليف
أبي نصر
محمد بن عبد الله الإمام


الملف الأول لأحداث مصر
حقيقة ما يحدث في مصر
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
الجزء الثالث
دار الفرقان
دار الإمام المروزي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة لدار أم القرى

الطبعة الأولى/ ١٤٣٣ هـ

رقم الإيداع: ١٦٧٣٠/ ٢٠١١

الناشر

دار أم القرى للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - الفيوم - اللَّاهَوْنَ

ت: ٠١٠٠٢٥٠٩٤٦٢

email: abuhamza٣٤٧@yahoo.com

om_elqora٢٠١١@yahoo.com

المُوَزِّع

دار البربهاري للنشر والتوزيع

القاهرة: ٢٤ ش الترعة الخمسينية بجوار مسجد الرحمة المهداة ومجمع الشرطة بالأميرية- ت: ٠١٠٨٩٦٠٦٠٥٠ - ٠١١١٨٤٢٦٢٠٥

email: darelbrbahary@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٦٩٥ /٢٠٠٩م

دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة - جوال: ٠٠٢٠١٢٤٦١٨٣٣٦

E_MAIL: DAROMARIBNELKATTAB@YAHOO.COM

مكتبة الإمام الوادعي للنشر والتوزيع

اليمن - صنعاء - شارع تعز - شميلة - جوار جامع الخير

ص ب: ١٧٣٦٤ فاكس: ٦٣٣٣٧٧١ - ١ - (٠٠٩٦٧)

تليفون المكتبة: ٧٣٤٧٥٥١٣٩(٠٠٩٦٧)

(٠٠٩٦٧)٧٧٧٧٦٣٧٤٣

E_MAIL: ALWADEY2006@MAKTOOB.COM

صَحَابِيَّةٌ وَجَدَّاهُ (رضي الله عنهم). وَالْأَمْرُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا النَّصِّ جَيِّدًا وَلْيَكُنْ مِنْكَ دَائِمًا عَلَى ذُكْرٍ.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ[1] مِنْ طَرِيقِ أَبِي الضُّحَى قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الْخُزَاعِيُّ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَعْذِرْنِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنْ يَوْمِ الْجَمَلِ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ - يَعْنِي عَلِيًّا (رضي الله عنه) - حِينَ اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَلُوذُ بِي وَيَقُولُ: يَا حَسَنُ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ حِجَّةً». وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

يَقُولُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) يَوْمَ الْجَمَلِ لَمَّا اسْتَحَرَّ الْقِتَالُ وَالْقَتْلُ لِلْحَسَنِ وَلَدِهِ (رضي الله عنه): **«يَا حَسَنُ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ حِجَّةً»**.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «السُّنَّةِ» وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»[2] وَغَيْرُهُمْ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ لِابْنِهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ: يَا حَسَنُ، لَيْتَ أَبَاكَ مَاتَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً. قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ: يَا أَبَتِ، قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. قَالَ: يَا بُنَيَّ لَمْ أَرَ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا. فَنَدِمَ عَلِيٌّ (رضي الله عنه).

(١) المصنف (٣٨٩٩٠).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٣٩٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٥٨).

توبة السلف الذين شاركوا في قتال الفتنة

قد يجتهد أهل الحق في قتال الفتنة فيرون المشاركة، ثم يظهر لهم بعد ذلك أن اجتهادهم كان خطأ فيتوجهون بالتوبة إلى الله، وهذا شأن كل صادق ومحق. والصحابة هم الصفوة في هذا الباب وغيره. فقد خبطت فتنة ببعض الصحابة (رضي الله عنهم)، وبعد ذلك ندموا على ما حدث منهم، وقد قاموا بذلك جزاهم الله عن الإسلام خيرا.

وهاأنا أسرد بعض أسماء الصحابة الذين ندموا على مشاركتهم في القتال، ومنهم الآتي:

١- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

روى ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٢٦٨ برقم (٣٨٨٣١) من طريق أبي الضحى قال: قال سليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي: اعذرني عند أمير المؤمنين، فإنما منعني من يوم الجمل كذا وكذا، قال: فقال الحسن: لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة). وسنده صحيح.

وأخرج عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ص (٢٤٣) واللفظ له والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١١٤) برقم (٢٠٣) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢/ ٤٥٨) وغيرهم عن قيس بن عباد قال: قال علي لابنه الحسن بن علي يوم الجمل: (يا حسن، يا حسن، ليت أباك مات من عشرين سنة) قال: فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني، لم أر الأمر يبلغ هذا).

رسلان

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»[1] بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: مَالِي وَلِصِفِّينَ، مَالِي وَلِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَهُ بِعَشْرِ سِنِينَ، أَمَا وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، مَا ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ، وَلَا طَعَنْتُ بِرُمْحٍ، وَلَا رَمَيْتُ بِسَهْمٍ. رضي الله عنه وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

وَأَخْرَجَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي كِتَابِ «الْفِتَنِ»[2] بِسَنَدٍ حَسَنٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قَالَ: لَوَدَّ عَلِيٌّ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مَا عَمِلَ، وَلَوَدَّ عَمَّارٌ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مَا عَمِلَ، وَلَوَدَّ طَلْحَةُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مَا عَمِلَ، وَلَوَدَّ الزُّبَيْرُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مَا عَمِلَ؛ هَبَطُوا عَلَى قَوْمٍ مُتَوَشِّحِي مَصَاحِفِهِمْ أَهْلِ آخِرَةٍ فَكَانَ السَّيْفُ بَيْنَهُمْ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»[3] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسِرْ مَسِيرِي الَّذِي سِرْتُ وَأَنَّ لِي عَشَرَةً أَوْلَادٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَكِلْتُهُمْ، كُلُّهُمْ مِثْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

تَقُولُ أُمُّنَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها نَادِمَةً: لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسِرْ مَسِيرِي الَّذِي سِرْتُ وَأَنَّ لِي عَشَرَةً أَوْلَادٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَكِلْتُهُمْ، كُلُّهُمْ مِثْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٩١٧)، ابن عساكر (٣١/ ٢٧٥)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٦٦).

(٢) الفتن (١٧١).

(٣) تاريخ دمشق (٦٢/ ٤٣٥).

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»[1]: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ كَانَ رَجُلًا شَرِيفًا سَخِيًّا مَرِيًّا. فَهَذِهِ عَائِشَةُ رضي الله عنها وَهَذَا نَدَمُهَا.

الإمام

٢- عبد الله بن عمرو بن العاص:

روى ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٦٦) وابن عساكر، عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبله بعشر

سنين، أما والله على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم). رجاله ثقات.

٣- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

قالت عائشة رضي الله عنها: (لوددت أني لم أسر مسيري الذي سرت وأن لي عشرة أولاد من رسول الله ﷺ ثكلتهم كلهم، مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٤٣٥)، وعبد الرحمن بن الحارث هذا قال فيه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٦): (وكان رجلا شريفا سخيا مريا).

رسلان

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ[٢]، وَهُوَ صَحِيحٌ، عَنْ قَيْسِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا فَنَبَحَتِ الْكِلَابُ،

فَقَالَتْ: «أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟»

قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ.

قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ.

فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا بَلْ تَقْدُمِينَ، فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ؛ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ﷻ ذَاتَ بَيْنِهِمْ.

قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟**!» قَالَ الزَّيْلَعِيُّ فِي «نَصْبِ الرَّايَةِ»[٣]: وَقَدْ أَظْهَرَتْ عَائِشَةُ النَّدَمَ.

كَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الِاسْتِيعَابِ»[٤] عَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ وَهُوَ

(١) الطبقات الكبرى (٥/ ٥-٦)، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٤، ٢٤٦٥٤)، والحاكم (٣/ ١٢٠)، وابن حبان (٦٧٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٧٤).

(٣) نصب الراية (٤/ ٦٩).

(٤) الاستيعاب (١/ ٢٧٥).

الإمام

وعن قيس بن حازم قال: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا، فنبحت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟! قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها: (بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**». رواه أحمد ٦/ ٥٣ وابن حبان رقم (٦٧٣٢)، وهو صحيح.

قال الزيلعي في "نصب الراية" (٤/ ٦٩-٧٠): (وقد أظهرت عائشة الندم كما أخرجه ابن عبد البر في "كتاب الاستيعاب" عن ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن

عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِابْنِ عُمَرَ: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي؟

قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا غَلَبَ عَلَيْكِ- يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ ابْنُ أَسْمَاءَ أُخْتِ عَائِشَةَ رضي الله عنها-.

فَقَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ.

تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ.

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»[1] عَنْ قَيْسٍ قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَثًا؛ ادْفِنُونِي مَعَ أَزْوَاجِهِ. فَدُفِنَتْ فِي الْبَقِيعِ رضي الله عنها.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رحمه الله فِي «السِّيَرِ»[2]: تَعْنِي بِالْحَدَثِ: مَسِيرَهَا يَوْمَ الْجَمَلِ؛ فَإِنَّهَا نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً، وَتَابَتْ مِنْ ذَلِكَ رضي الله عنها عَلَى أَنَّهَا مَا فَعَلَتْ ذَلِكَ إِلَّا مُتَأَوِّلَةً قَاصِدَةً لِلْخَيْرِ، كَمَا اجْتَهَدَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكِبَارِ رضي الله عنهم.

فَهَذَا طَرَفٌ مِمَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي بَعْضِ ذَلِكَ.

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٧٤)، والمستدرك (٤/ ٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).

الإمام

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلا غلب عليك -يعني: ابن الزبير- فقالت: أما والله لو نهيتني ما خرجت).

وذكره الذهبي ثم ذكر رواية أخرى منه، وفيها: أن خروجها هذا جعلها تعدل عن تحديث نفسها أن تدفن في حجرتها، كما كانت تأمل.

وروى ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩) والحاكم (٤/ ٦) عن قيس قال: قالت عائشة:

(وكانت عائشة تحدث نفسها أن تدفن في بيتها فقالت: (إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثا، ادفنوني مع أزواجه) فدفنت في البقيع رضي الله عنها.

وقال الذهبي في السير (٢/ ١٩٣): (قلت: تعني بالحدث: مسيرها يوم الجمل؛ فإنها ندمت ندامة كلية وتابت من ذلك على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع).

رسلان

وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي فِتْنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَغَيْرِهَا تَابُوا إِلَى اللَّهِ ﷻ.

أَخْرَجَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ فِي «تَارِيخِهِ»، وَالْفَسَوِيُّ فِي «الْمَعْرِفَةُ وَالتَّارِيخُ»[1] وَسَنَدُهُ حَسَنٌ: أَنَّ الشَّعْبِيَّ لَمَّا أُدْخِلَ عَلَى الْحَجَّاجِ -وَكَانَ الشَّعْبِيُّ قَدْ شَارَكَ فِي الْفِتْنَةِ- قَالَ: اكْتَحَلْنَا بَعْدَكَ السَّهَرَ، وَاسْتَحْلَسْنَا الْخَوْفَ.

اكْتَحَلْنَا بَعْدَكَ السَّهَرَ: فَلَمْ نَنْعَمْ بِغُمْضٍ.

وَاسْتَحْلَسْنَا الْخَوْفَ: أَيِ اتَّخَذْنَاه حِلْسًا وَوِطَاءً.

وَخَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ».

يَقُولُ الشَّعْبِيُّ -وَكَانَ قَدْ شَارَكَ-: وَخَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَرَةً أَتْقِيَاءَ وَلَا فَجَرَةً أَقْوِيَاءَ فَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» وَالْفَسَوِيُّ فِي «الْمَعْرِفَةُ وَالتَّارِيخُ» وَخَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ فِي تَارِيخِهِ[2] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:

(1) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٤٤).

(2) الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٧)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٣).

ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إِلَّا رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلَا أَحَدًا مِنْهُمْ نَجَا إِلَّا نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ.

الإمام

وأيضًا التابعون الذين شاركوا في فتنة ابن الأشعث وغيرها تابوا إلى الله، قال الشعبي لما أدخل على الحجاج وكان قد شارك في الفتنة: (... واكتحلنا بعدك السهر، واستحلسنا

الخوف، وخبطتنا فتنة، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء). أخرجه خليفة بن خياط في تاريخه ص (٢٨٧-٢٨٩) والفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٣٤٤١٢).

وسنده حسن.

وأخرج ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٦٣) بسند جيد عن عمرو بن مرة، وهو ممن شارك في فتنة ابن الأشعث: (إني لأغبط أهل البصرة بذينك الشيخين: الحسن، ومحمد).

وأخرج أيضًا (٧/ ١٦٣-١٦٤) عن سليمان بن علي الربعي قال: (أخبرني مرة بن ذباب أبو المعذل قال: أتيت على عقبة بن عبد الغافر وهو صريع في الخندق فقال: يا أبا المعذل، لا دنيا ولا آخرة).

وعن حماد بن زيد قال: ذكر أيوب القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث فقال: (لا أعلم أحدًا منهم قتل إلاَّ قد رغب له عن مصرعه، ولا أحدًا منهم نجا إلاَّ قد ندم على ما كان منه) رواه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٨٧) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٢) وخليفة بن خياط في تاريخه (٢٨٧) وسنده صحيح.

رسلان

أَخْرَجَ ابْنُ شَبَّةَ فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ» وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الِاسْتِذْكَارِ»[1] عَنِ ابْنِ الْأَشَجِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ لَزِمُوا بُيُوتَهُمْ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَّا إِلَى قُبُورِهِمْ ﷺ.

(١) تاريخ المدينة (٤/ ١٢٤٢)، والاستذكار (٨/ ٥٠١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: وَأَكْثَرُ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ لَمْ يُقَاتِلُوا لَا فِي هَذَا الْجَانِبِ وَلَا فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَاسْتَدَلَّ التَّارِكُونَ لِلْقِتَالِ بِالنُّصُوصِ الْكَثِيرَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ، وَبَيَّنُوا أَنَّ هَذَا قِتَالُ فِتْنَةٍ، وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أُولَئِكَ الْأَفَاضِلِ يُحْتَجُّ لَهُمْ

الإمام

وأخرج ابن أبي شيبة في "تاريخ المدينة" (٤/ ١٢٤٢) وابن عبد البر في الاستذكار (٢٧/ ٢٠٧) عن بكير بن الأشج أنه قال: (إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان؛ فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم).

وقال الخطابي في "العزلة" (٧٣): (وممن اعتزل تلك الفتنة فلم يكن مع واحد من الفريقين حتى انجلت: محمد بن مسلمة الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب في عدة كثيرة من الصحابة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كما في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٥٥): (وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا لا من هذا الجانب ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة وبينوا أن هذا قتال فتنة).

الباب السادس

السرقات العلمية في كتابه (شرح أصول السنة)

وصف السرقة

❁ عمد محمد سعيد رسلان إلى أربعة كتب في سرقة هذا الكتاب و هي:

١ كتاب (الفوائد المنهجية المستنبطة من أصول السنة) للعراقي وقد سرق منه عدة صفحات ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط

٢ كتاب (الاعتصام) للشاطبي وقد سرق منه عشرات الصفحات ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له

٣ كتاب (شرح الطحاوية) للشيخ الفوزان وقد سرق منه عشرات الصفحات ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط

٤ كتاب (شرح الواسطية) للشيخ العثيمين وجل كتابه قد أُخذ من هذا الكتاب إما بعزو مجمل وإما بعدم عزو فكتاب (شرح أصول السنة) لرسلان !!! ما هو إلا كتاب(شرح الواسطية) للشيخ العثيمين في أغلبه وبقية الكتاب مما سبق ذكره

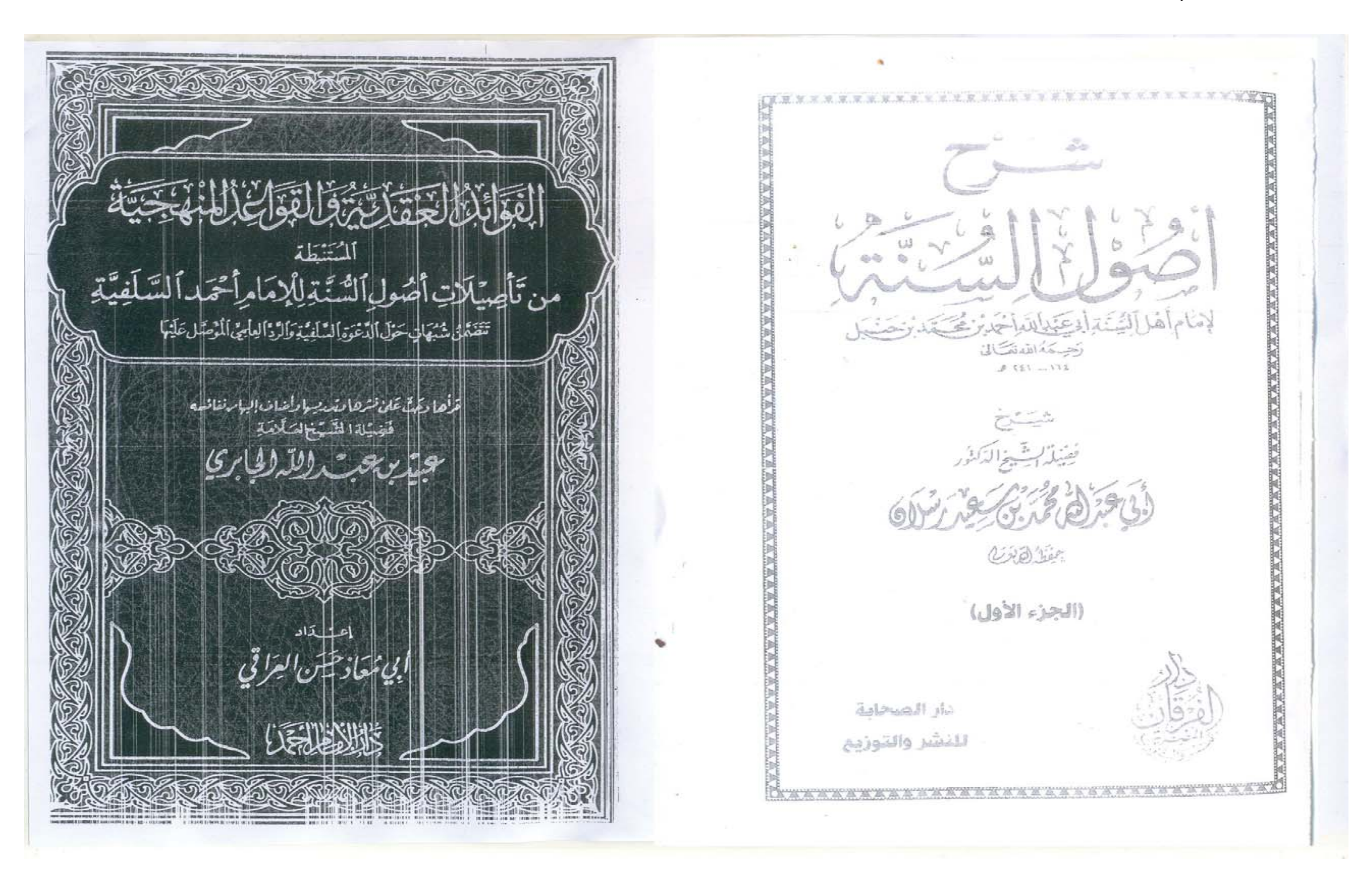
❁ أكثر جداً في هذا الكتاب من العزو المجمل لاسيما لكلام الشيخ العثيمين حيث أنه ينقل ربما عشرات الصفحات دفعة واحدة ثم يُحشِّي عليها بالعزو لكتاب الشيخ العثيمين[(١)] مع أنه قد نهى الأخ أحمد مصطفى كما مر عن العزو المجمل بعلة اختلاط كلامه بكلام غيره وعدم التمييز بينهما

❁ قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وزيادة بعض النقولات وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان)

---

(١) وهذا لم نعده في السرقات وإن كانت على مذهبه من السرقات فلقد جاء هذا في كلامه مع الأخ (أحمد مصطفى)كما مر حيث قال له الأخ : كتبت عزو مجمل..
فقال رسلان: محدش هيلتفت لده، يعني هيفكر كل الكلام إللي بيقرأه دا بتاعك إنته..، أو يقرأه وينساه؛ ما هو مش قادر يُمَيِّز؛ لأن أنت خلطت كلامك بكلام غيرك والدنيا كلها اتفتحت، فالكلام ده في الآخر هيُعْزَى ليك إنته، ده خطير جداً


شرح
أصول السنة
لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
رحمه الله تعالى
١٦٤ - ٢٤١ هـ
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله
(الجزء الأول)
دار الصحابة
للنشر والتوزيع
دار الفرقان
الفوائد العقدية والقواعد المنهجية
المستنبطة
من تأصيلات أصول السنة للإمام أحمد السلفية
تتضمن شبهات حول الدعوة السلفية والرد العلمي الموصل عليها
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله الجابري
إعداد
أبي معاذ حسن العراقي
دار الإمام أحمد

رسلان

ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ رِسَالَةَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى عَبْدُوسَ بْنِ مَالِكٍ الْعَطَّارِ[1] الَّتِي عُرِفَتْ بِـ«أُصُولِ السُّنَّةِ»، مِنَ الرَّسَائِلِ الَّتِي قَرَّرَ فِيهَا إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْإِمَامُ الْمُبَجَّلُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ أُصُولَ السُّنَّةِ؛ بِمَعْنَى الِاعْتِقَادِ.

وَقَدْ أَلَّفَ الْأَئِمَّةُ كُتُبَهُمْ فِي الِاعْتِقَادِ بِطَرِيقَتَيْنِ.

الْأُولَى: ذِكْرُ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ.

وَالثَّانِيَةُ: طَرِيقَةُ الْمُتُونِ الْمُخْتَصَرَةِ، كَمَا فِي كِتَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَكِتَابِ «شَرْحِ السُّنَّةِ» لِلْإِمَامِ الْبَرْبَهَارِيِّ[2].

(١) هُوَ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَطَّارُ، كَانَتْ لَهُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مَنْزِلَةٌ، وَلَهُ بِهِ أُنْسٌ شَدِيدٌ، وَكَانَ يُقَدِّمُهُ.
انْظُرْ: «تَارِيخَ بَغْدَادَ» (١١/ ١١٦) (ط الْعِلْمِيَّةِ)، وَابْنُ أَبِي يَعْلَى فِي «طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ»، وَ«تَارِيخَ الْإِسْلَامِ» (١٨/ ٢٤٧) (ت تَدْمُرِي).

(٢) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيُّ، شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ فِي وَقْتِهِ،

العراقي

وقد ألف الأئمة كتبهم بطريقتين:

الأولى: ذكر النصوص والآثار.

والطريقة الثانية: طريقة المتون المختصرة كما في كتاب الإمام أحمد وكتاب السنة للبربهاري.

رسلان

وَقَارِئُ كُتُبِ السَّلَفِ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي الْعَقِيدَةِ يَجِدُهَا تَدُورُ حَوْلَ أُصُولٍ رَئِيسَةٍ، مِنْهَا: بَيَانُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَهَمِّيَّةُ السُّنَّةِ، وَالِاتِّبَاعُ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَتَرْكُ الْمُحْدَثَاتِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ.

فَهَذِهِ أُصُولٌ رَئِيسَةٌ تَدُورُ حَوْلَهَا كُتُبُ السَّلَفِ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي الِاعْتِقَادِ، وَآخِرُهَا كَمَا مَرَّ فِي الذِّكْرِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ -أَعْنِي الْأَئِمَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ- يَبْدَأُ بِهَا فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ، وَهِيَ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلِلنَّاسِ فِي تَحْدِيدِ مَفْهُومِ (الْجَمَاعَةِ) مَذَاهِبُ:

فَمِنْهُمْ مَنْ يُحَدِّدُ مَفْهُومَ (الْجَمَاعَةِ) بِأَنَّهَا اتِّفَاقُ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ بِعَقْدِ بَيْعَةٍ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ السَّعْيُ إِلَى تَحْقِيقِهَا، وَلَازِمُ ذَلِكَ عَدَمُ الِاعْتِرَافِ بِجَمِيعِ الْوِلَايَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ، وَهَذَا مَفْهُومُ دُعَاةِ الْإِخْوَانِ، وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحَرَكَاتِ الْحَمَاسِيَّةِ وَالتَّكْفِيرِيَّةِ، وَغَيْرِهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ جَمِيعَ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحِزْبِيَّةِ فِي.

= تُوُفِّيَ فِي رَجَبَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. [«طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (٢/ ٤٣)].

العراقي

الفائدة الثالثة: الذي يقرأ كتب السلف في هذا الباب[1] يجدها تدور حول

أصول رئيسة[1] منها:

* بيان العقيدة الصحيحة.
* أهمية السنة.
* التمسك بمنهج السلف الصالح.
* ترك المحدثات والتحذير من البدع وأهلها.
* وعدم الخروج على ولاة الأمور، وغيرها، وشاهدنا على ذلك ما استهل به الأئمة في بداية كتبهم.
* لزوم الجماعة.

فمن هذه المذاهب الباطلة: من يحدد مفهوم الجماعة بأنها اتفاق جميع المسلمين في الشرق والغرب على إمام واحد بعقد بيعة، ويجب على المسلمين السعي إلى تحقيقها، ومعنى ذلك ولازمه عدم الاعتراف بجميع الولايات

الإقليمية، وهذا مفهوم دعاة الإخوان ومن سار في فلكهم من الحركات الحماسية والتكفيرية وغيرها.

والمذهب الثاني في تحديد الجماعة: هو أن جميع الجماعات الإسلامية

رسلان

السَّاحَةِ هِيَ (الْجَمَاعَةُ)، وَيَرَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يَخْتَارَ الْمُسْلِمُ الدُّخُولَ فِي أَيِّ جَمَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ بِدْعِيَّةً خُرَافِيَّةً.

وَلَا شَكَّ فِي بُطْلَانِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

وَمَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ فِيهِ: أَنَّ الْجَمَاعَةَ: هِيَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ[١]، وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه[٢]، وَيَعْنُونَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ سَوَادَ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ لِأَنَّ

(١) وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي أَحَادِيثَ مَرْفُوعَةٍ، وَقَدْ قَالَ الْبُوصِيرِي فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ مَاجَهْ (٣٩٥٠): «وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِطُرُقٍ فِي كُلِّهَا نَظَرٌ. قَالَهُ شَيْخُنَا الْعِرَاقِيُّ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْبَيْضَاوِيِّ»، وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظِلَالِ الْجَنَّةِ» (٨٤) (الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِي)، وَ«الْمِشْكَاةِ» ١٧٤ - [٣٥]».

قُلْتُ: وَالْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ صَحِيحٌ بِشَرْطٍ: أَنْ يَكُونَ الْغَالِبَ عَلَى النَّاسِ الصَّلَاحُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَاتِّبَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِمْ، وَيَكُونَ أَهْلُ الْمُخَالَفَةِ هُمُ الْقِلَّةَ الشَّاذَّةَ، وَأَمَا مَعَ مُرُورِ الزَّمَانِ، وَانْتِشَارِ الْجَهْلِ وَالْبِدَعِ وَقِلَّةِ الْعِلْمِ، حَتَّى يَصِيرَ الْغَالِبَ هُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، فَلَا يَنْطَبِقُ هَذَا الْوَصْفُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) ذَكَرَهُ الشَّاطِبِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ» (٢٢٠)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «شَرْحِ أُصُولِ

العراقي

والحزبية الموجودة في الساحة هي المقصودة، ولا بأس أن يختار المسلم الدخول في أي جماعة من هذه الجماعات ولو كانت بدعية خرافية.

المذهب الثالث: وهو المذهب الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

هناك ثلاث تعريفات في تحديد معنىٰ الجماعة، ولكنها ولله الحمد كلها متفقة، وهي من قبيل اختلاف التنوع، وهذه الأقوال هي:

أ- هي السواد الأعظم، وهذا التفسير منقولٌ عن ابن مسعود الهذلي الصحابي المعروف رضي الله عنه، وعن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنهما [١].

ساق ذلك عنهما جمعٌ منهم: اللالكائي في كتابه (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة).

ويعنون بـ (السواد الأعظم): السواد الأعظم في وقتهما، وهو سواد عامة صحابة رسول الله ﷺ.

رسلان

فِي مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ السَّوَادُ الأَعْظَمُ، بِذَلِكَ الْمَعْنَى، وَهِيَ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ وَالأَثَرِ وَالْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُ مَجْمُوعِ أَئِمَّةٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مِنْهُمُ: الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمِنْهُمُ الإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَمِنْهُمُ الإِمَامُ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَغَيْرُهُمْ، أَنَّ الْجَمَاعَةَ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ

العراقي

ب- (الجماعة): هم جماعة أهل العلم والسنة والأثر والحديث، هذا القول هو مجموع أقوال عددٍ من الأئمة، كما ذكر ذلك الإمام أحمد في قوله: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

(١) أرشدني الشيخ هنا إلىٰ الاستشهاد بأثر ابن مسعود ﷺ: (الجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الحَقَ، وَإِن كُنتَ وَحدَكَ. أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وَالْأَثَرِ وَالْحَدِيثِ(١)

وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّ الْجَمَاعَةَ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢)، يَعْنِي فِي زَمَنِ أَحْمَدَ، وَمَا قَارَبَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ نَفَوْا عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ.

وَتَحَصَّلَ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي الْجَمَاعَةِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: هُمُ الَّذِينَ تَابَعُوا صَحَابَةَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَابَعُوا أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ فِي أُمُورِهِمْ.

فَالْجَمَاعَةُ: هُمُ الَّذِينَ تَابَعُوا الصَّحَابَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَابَعُوا مَنْ تَابَعَ الصَّحَابَةَ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الْحَقُّ فِي الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ.

* * *

وذكر ذلك أيضًا عبد الله بن المبارك ويزيد بن هارون وجماعة من أهل العلم.

ج- وقال آخرون: هم أهل العلم، كما رواه البخاري، يعني في زمن الإمام أحمد وما قاربه، أنهم هم الذين نفوا عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

وهم الذين نصروا السنة ونصروا العقيدة الحقة وردوا على من خالفها وأعلوا عليه النكير من كل جهة.

القول الثالث: أن الجماعة أصحاب رسول الله ﷺ.

وهذا القول منسوبٌ إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي -رضي الله عنه ورحمه رحمةً واسعة-.

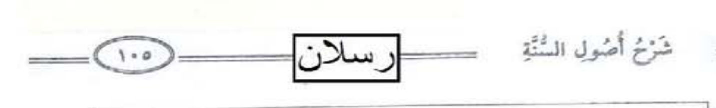
وهذه الأقوال هي من قبيل اختلاف التنوع؛ لأن (الجماعة) الذين هم: السواد الأعظم، كما فسرها ابن مسعود وأبو مسعود رضي الله عنهما، هذا يعنون به صحابة رسول الله ﷺ.

ومن فسرها -وهم أكثر أهل العلم- بأن (الجماعة) هم أهل العلم والأثر والحديث هؤلاء لأنهم تمسكوا بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد.

و(الجماعة) المراد بها أصحاب رسول الله ﷺ.

فتحصل إذن أن هذه الأقوال الثلاثة ترجع إلى معنى واحد، وأن (أهل السنة والجماعة) هم الذين تابعوا صحابة رسول الله ﷺ وتابعوا أهل العلم والحديث والأثر في أمورهم.

رسلان



أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا

* «قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُوسُ بْنُ مَالِكٍ الْعَطَّارُ؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ يَقُولُ: أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا:».

الْأُصُولُ: جَمْعُ أَصْلٍ، وَهُوَ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَالْأَصْلُ الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا: الْقَاعِدَةُ -يَعْنِي قَوَاعِدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ- وَهُوَ يُرِيدُ قَوَاعِدَهُمْ فِي الِاعْتِقَادِ.

وَالسُّنَّةُ: تُعْرَفُ، وَتُعَرَّفُ بِاعْتِبَارَاتٍ:

هِيَ كُلُّ مَا دُوِّنَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَرَدَ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ، فَكُلُّ مَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ هُوَ سُنَّةٌ.

وَتُطْلَقُ السُّنَّةُ فِي مُقَابَلَةِ الْبِدْعَةِ؛ فَيُقَالُ: سُنَّةٌ وَبِدْعَةٌ.

وَفِيمَا يُقَابِلُ الْفَرْضَ؛ فَيُقَالُ: فَرْضٌ وَسُنَّةٌ.

وَيُرَادُ بِالسُّنَّةِ: الْعَقِيدَةُ وَالْمَنْهَجُ، وَهُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا.

العراقي

قال الإمام أحمد:

(أصول السنة عندنا):

الفائدة الأولى: ابتدأ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ ببيان الأصول والقواعد التي تميز الدعوة السلفية الدعوة الحق.

«والأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، والأصل المراد به في هذا الموضع: القاعدة، يعني قواعد أهل السنة والجماعة»[1].

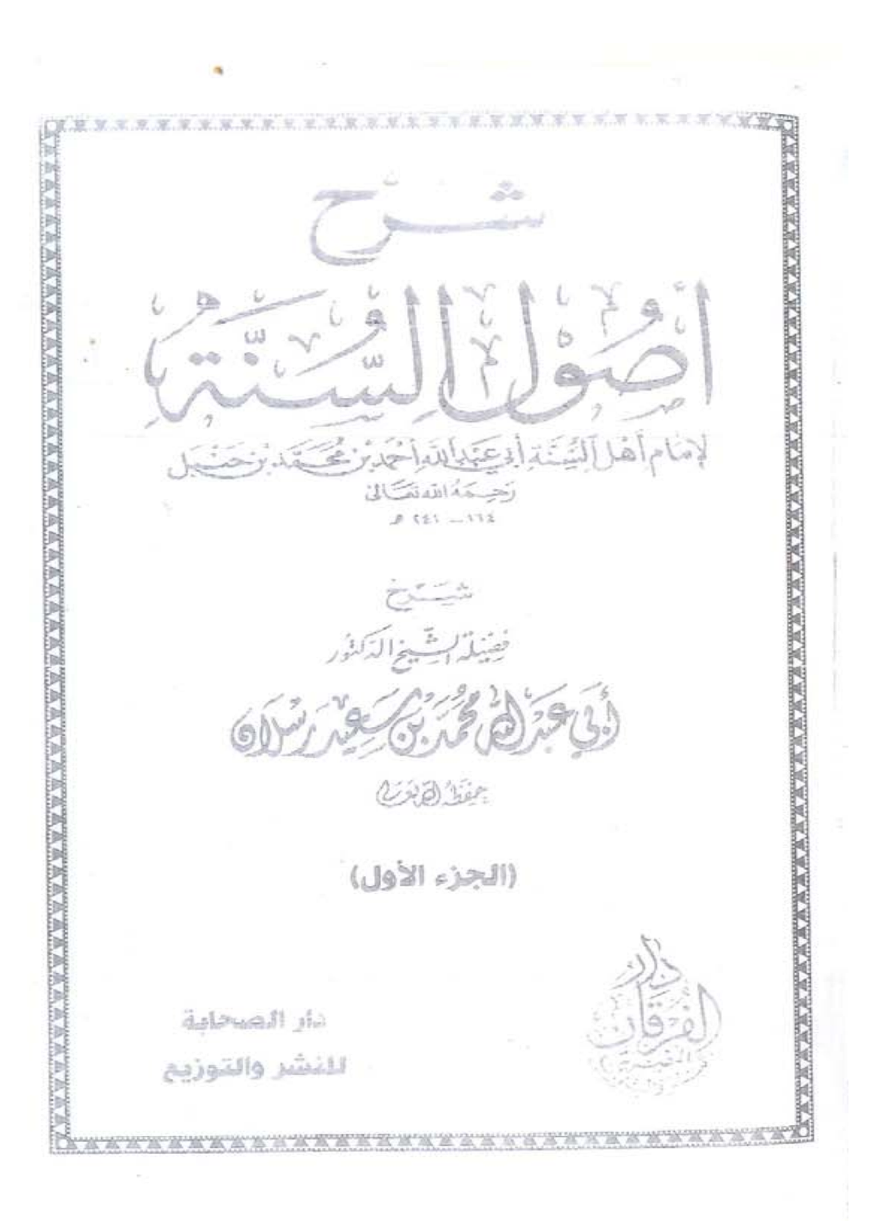
الفائدة الثانية: السنة تعرف بعدة اعتبارات:

منها: في اصطلاح المحدثين: هي كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

ومنها: ما يقابل البدعة.

وقد يراد بالسنة المنهج والعقيدة.

وهذا المعنى الأخير هو الذي قصده علماء السنة في تأليفهم كتب السنة،



الاعتصام

لأبي إسحاق الشاطبي

بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي

ت ٧٩٠ هـ

جديدة مصححة ومنقحة
ومخرجة الآيات والأحاديث

تحقيق

هاني الحاج

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر

ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

رسلان

وَالشَّرِيعَةُ جَاءَتْ كَامِلَةً، لَا تَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ، وَلَا النُّقْصَانَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِيهَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣].

وَفِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا

١٨٢ شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ

عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»[1].

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ حَتَّى أَتَى بِبَيَانِ جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَهَذَا لَا مُخَالِفَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُقْبَضْ حَتَّى أَتَى بِبَيَانِ جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، «وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَتَرَكَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا ﷺ»[2].

قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: «مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا»[3].

الشاطبي

والثاني: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأن الله تعالى قال فيها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفي حديث العرباض بن سارية[1]: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**» الحديث[2].

وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين

٥٤ الاعتصام - للإمام أبي إسحاق الشاطبي

والدنيا وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة[1].

فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون[2]: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا،

رسلان

* الْمِحْوَرُ الثَّانِي: الْمُبْتَدِعُ مُعَانِدٌ لِلشَّرْعِ مُشَاقٌّ لِلشَّرِيعَةِ.

لِأَنَّ الشَّارِعَ قَدْ عَيَّنَ الْمَطَالِبَ مَطَالِبَ الْعَبْدِ، وَعَيَّنَ لَهَا طُرُقًا خَاصَّةً عَلَى وُجُوهٍ خَاصَّةٍ، وَقَصَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْخَيْرَ فِيهَا، وَأَنَّ الشَّرَّ فِي تَعَدِّيهَا، إِلَى

غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ وَلِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرَّسُولَ ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

الْمُبْتَدِعُ رَادٌّ لِهَذَا كُلِّهِ؛ فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ ثَمَّ طُرُقًا أُخَرَ، لَيْسَ مَا حَصَرَهُ الشَّارِعُ بِمَحْصُورٍ، وَلَا مَا عَيَّنَهُ الشَّارِعُ بِمُتَعَيِّنٍ، كَأَنَّ الشَّارِعَ يَعْلَمُ، وَالْمُبْتَدِعُ أَيْضًا يَعْلَمُ، بَلْ رُبَّمَا يُفْهَمُ مِنَ اسْتِدْرَاكِ الْمُبْتَدِعِ الطُّرُقَ عَلَى الشَّارِعِ، أَنَّهُ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ الشَّارِعُ، وَهَذَا إِنْ كَانَ مَقْصُودًا لِلْمُبْتَدِعِ، فَهُوَ كُفْرٌ بِالشَّرِيعَةِ وَالشَّارِعِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَقْصُودٍ، فَهُوَ ضَلَالٌ مُبِينٌ.

الشاطبي

والثالث: أن المبتدع معاند للشرع ومشاقٌّ له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقًا خاصة على وجوه خاصة، وقَصَر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعدِّيها - إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين. فالمبتدع رادٌّ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثمَّ طرقًا أُخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم، ونحن أيضًا نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه

الشارع، وهذا إن كان مقصودًا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين. وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز[1] -رضي الله عنه -

رسلان

* **الْمِحْوَرُ الثَّالِثُ: مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ذَمِّ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، أَنَّ الْمُبْتَدِعَ نَزَّلَ نَفْسَهُ مَنْزِلَةَ الْمُضَاهِي لِلشَّارِعِ.**

لِأَنَّ الشَّارِعَ وَضَعَ الشَّرَائِعَ، وَأَلْزَمَ الْخَلْقَ الْجَرْيَ عَلَى سَنَنِهَا، وَصَارَ هُوَ الْمُنْفَرِدَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حَكَمَ بَيْنَ الْخَلْقِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ التَّشْرِيعُ مِنْ مُدْرَكَاتِ الْخَلْقِ، لَمْ تَنْزِلِ الشَّرَائِعُ، وَلَمْ يَبْقَ الْخِلَافُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا احْتِيجَ إِلَى بَعْثِ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وَهَذَا الَّذِي ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ قَدْ صَيَّرَ نَفْسَهُ نَظِيرًا وَمُضَاهِيًا لِلشَّارِعِ، حَيْثُ شَرَعَ مَعَ الشَّارِعِ، وَفَتَحَ لِلِاخْتِلَافِ بَابًا، وَرَدَّ قَصْدَ

الشَّارِعِ فِي الِانْفِرَادِ بِالتَّشْرِيعِ، وَفَتَحَ لِلِاخْتِلَافِ بَابًا؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا تَأْتِي إِلَّا بِالِاخْتِلَافِ، كَمَا أَنَّ السُّنَّةَ لَا تَأْتِي إِلَّا بِالِائْتِلَافِ.

* **الْمِحْوَرُ الرَّابِعُ: الْمُبْتَدِعُ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى:**

لِأَنَّ الْعَقْلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّبِعًا لِلشَّرْعِ، لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ، وَمَعْلُومٌ مَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَأَنَّهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: الآية ٢٦]

الشاطبي

والرابع: أن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق [لم] تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس. ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

[فـ]هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيرًا ومضاهيًا حيث شرع مع

الشارع، وفتح للاختلاف بابًا، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك.

والخامس: أنه اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين. ألا ترى قول الله تعالى: ﴿يا داودُ إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بَيْنَ النّاسِ بالحقِّ ولا تتَّبِعِ الهوَى فيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ الله، إنَّ الّذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبيلِ الله لهُمْ عذابٌ شديدٌ بِما نَسُوا يومَ الحِسابِ﴾ [ص: ٢٦].

رسلان

فَحَصَرَ الْحُكْمَ فِي أَمْرَيْنِ، لَا ثَالِثَ لَهُمَا عِنْدَهُ: الْحَقُّ، وَالْهَوَى، وَعَزَلَ الْعَقْلَ مُجَرَّدًا؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ إِلَّا ذَلِكَ، وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

فَجَعَلَ الْأَمْرَ مَحْصُورًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: اتِّبَاعِ الذِّكْرِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى.

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: الآية ٥٠].

وَهِيَ مِثْلُ مَا قَبْلَهَا، وَهِيَ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ هُدَى اللَّهِ فِي هَوَى نَفْسِهِ، فَلَا أَحَدَ أَضَلُّ مِنْهُ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُبْتَدِعِ؛ فَإِنَّهُ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَهُدَى اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ، وَمَا بَيَّنَتْهُ

الشَّرِيعَةُ، وَبَيَّنَتْهُ الْآيَةُ أَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، وَلَا صَاحِبُهُ بِضَالٍّ، مَتَى كَانَ هَوَاهُ تَابِعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ.

وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ هَوَاهُ هُوَ الْمُقَدَّمَ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، وَالْمُبْتَدِعُ قَدَّمَ هَوَى نَفْسِهِ عَلَى هُدَى اللَّهِ؛ فَكَانَ أَضَلَّ النَّاسِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى هُدًى، كَمَا هُوَ شَأْنُ كُلِّ مُبْتَدِعٍ، هُوَ أَضَلُّ النَّاسِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَظُنُّ -وَرُبَّمَا اعْتَقَدَ- أَنَّهُ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ.

وَالْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ عَيَّنَتْ لِلِاتِّبَاعِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ طَرِيقَيْنِ:

الشاطبي

فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردًا إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك.

وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] فجعل الأمر محصورًا بين أمرين، اتباع الذكر، واتباع الهوى، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وهي مثل ما قبلها. وتأملوا هذه الآية فإنها صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه، فلا أحد أضل منه.

وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله، وهدى الله هو القرآن.

وما بينته الشريعة وبينته الآية أن اتباع الهوى على ضربين:

أحدهما: أن يكون تابعًا للأمر والنهي فليس بمذموم ولا صاحبه بضال. كيف وقد قدم الهدى فاستنار به في طريق هواه، وهو شأن المؤمن التقي.

والآخر: أن يكون هواه هو المقدم بالقصد الأول، كان الأمر والنهي تابعين بالنسبة إليه أو غير تابعين وهو المذموم.

والمبتدع قدم هوى نفسه على هدى الله فكان أضل الناس وهو يظن أنه على هدى.

وقد انجر هنا معنى يتأكد التنبيه عليه، وهو أن الآية المذكورة عينت للاتباع في الأحكام الشرعية طريقين:

رسلان

أَحَدُهُمَا: الشَّرِيعَةُ، وَلَا مِرْيَةَ فِي أَنَّهَا عِلْمٌ وَحَقٌّ وَهُدًى

وَالْآخَرُ: الْهَوَى، وَهُوَ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سِيَاقِ الذَّمِّ

وَلَمْ يَجْعَلِ الشَّرْعُ طَرِيقًا ثَالِثًا، وَمَنْ تَتَبَّعَ الْآيَاتِ، أَلْفَى ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ الْهُدَى، وَإِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ الْهَوَى، وَلَمْ يَجْعَلْ ثَمَّ طَرِيقًا ثَالِثًا.

* الْمِحْوَرُ الْخَامِسُ: الْمُبْتَدِعُ غَافِلٌ عَنْ أَنَّ الْعُقُولَ لَا تَسْتَقِلُّ بِمَصَالِحِهَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالتَّجَارِبِ وَالْخِبْرَةِ أَنَّ الْعُقُولَ غَيْرُ مُسْتَقِلَّةٍ بِمَصَالِحِهَا اسْتِجْلَابًا لَهَا، أَوْ مَفَاسِدِهَا اسْتِدْفَاعًا لَهَا؛ لِأَنَّهَا إِمَّا

دُنْيَوِيَّةٌ أَوْ أُخْرَوِيَّةٌ:

فَأَمَّا الدُّنْيَوِيَّةُ: فَلَا يَسْتَقِلُّ بِإِدْرَاكِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ الْبَتَّةَ، لَا فِي ابْتِدَاءِ وَضْعِهَا، وَلَا فِي إِدْرَاكِ مَا عَسَى أَنْ يَعْرِضَ فِي طَرِيقِهَا، إِمَّا فِي السَّوَابِقِ، وَإِمَّا فِي اللَّوَاحِقِ؛ لِأَنَّ وَضْعَهَا أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِتَعْلِيمٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ بِبَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ تَسْتَقِمْ لَهُمْ حَيَاةٌ، وَلَا جَرَتْ أَحْوَالُهُمْ عَلَى كَمَالِ مَصَالِحِهِمْ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

الشاطبي

أحدهما: الشريعة ، ولا مرية في أنها علم وحق وهدى.

والآخر: الهوى، وهو المذموم، لأنه لم يذكر في القرآن إلا في سياق الذم، ولم يجعل ثمّ طريقًا ثالثًا. ومن تتبع الآيات، ألفى ذلك كذلك.

أحدها: أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلى اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها ، استجلابًا لها، أو مفاسدها، استدفاعًا لها، لأنها إما دنيوية أو أخروية.

فأما الدنيوية فلا يستقل باستدراكها على التفصيل ألبتة لا في ابتداء وضعها أولاً، ولا في استدراك ما عسى أن يعرض في طريقها، إما في السوابق، وإما في اللواحق؛ لأن وضعها أولاً لم يكن إلا بتعليم الله تعالى.

ودخل في الأصول الدواخل حسبما أظهرت ذلك أزمنة الفترات، إذ لم تجر مصالح الفترات على استقامة، لوجود الفتن والهرج، وظهور أوجه الفساد.

فلولا أن منّ الله على الخلق ببعثة الأنبياء لم تستقم لهم حياة، ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم ، وهذا معلوم بالنظر في أخبار الأولين والآخرين.

رسلان

وَأَمَّا الْمَصَالِحُ الْأُخْرَوِيَّةُ: فَأَبْعَدُ عَنْ مَجَارِي الْعُقُولِ وَالْمَعْقُولِ مِنْ جِهَةِ وَضْعِ أَسْبَابِهَا، وَهِيَ الْعِبَادَاتُ مَثَلًا؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَشْعُرُ بِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ، فَضْلًا عَنِ الْعِلْمِ بِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ.

فَعَلَى الْجُمْلَةِ: الْعُقُولُ لَا تَسْتَقِلُّ بِإِدْرَاكِ مَصَالِحِهَا دُونَ الْوَحْيِ، فَالِابْتِدَاعُ مُضَادٌّ لِهَذَا الْأَصْلِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ بِالْفَرْضِ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا مَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْعَقْلِ، فَالْمُبْتَدِعُ لَيْسَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ بِدْعَتِهِ أَنْ يَنَالَ بِسَبَبِ الْعَمَلِ بِهَا مَا رَامَ تَحْصِيلَهُ مِنْ جِهَتِهَا، فَصَارَتْ كَالْعَبَثِ.

وَالْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ فِي ذَمِّ الْبِدَعِ عَامَّةٌ لَا تَخُصُّ بِدْعَةً دُونَ بِدْعَةٍ، وَلَا تَتَعَلَّقُ بِمُحْدَثٍ دُونَ مُحْدَثٍ؛ وَلِذَا أَفَادَتِ الْأَدِلَّةُ عُمُومَ الذَّمِّ لِلْبِدَعِ وَأَهْلِهَا؛ لِأَنَّ ذَمَّ الْبِدَعِ مُتَضَمِّنٌ لِذَمِّ الْمُبْتَدِعِ.

الشاطبي

وأما المصالح الأخروية ، فأبعد عن مضالح المعقول من جهة وضع أسبابها، وهي العبادات مثلاً. فإن العقل لا يشعر بها على الجملة، فضلاً عن العلم بها على التفصيل.

ومن جهة تصور الدار الأخرى وكونها آتية، فلابد وأنها دار جزاء على الأعمال؛ فإن الذي يدرك العقل من ذلك مجرد الإمكان أن يشعر بها.

ولا يغترن ذو الحجى بأحوال الفلاسفة المدعين لإدراك الأحوال الأُخروية بمجرد العقل، قبل النظر في الشرع، فإن دعواهم بألسنتهم في المسألة بخلاف ما عليه الأمر في نفسه. لأن الشرائع لم تزل واردة على بني آدم من جهة الرسل. والأنبياء أيضًا لم يزالوا موجودين في العالم -وهم أكثر، وكل ذلك من لدن آدم عليه السلام إلى أن انتهت بهذه الشريعة المحمدية.

غير أن الشريعة كانت إذا أخذت في الدروس بعث الله نبيًا من أنبيائه يبين للناس ما خلقوا لأجله وهو التعبد لله. فلابد أن يبقى من الشريعة المفروضة - ما بين زمان أخذها في الاندراس وبين إنزال الشريعة بعدها - بعض الأصول المعلومة.

فأتى الفلاسفة إلى تلك الأصول فتلقفوها- أو تلقفوا منها-، فأرادوا أن يخرّجوه على مقتضى عقولهم، وجعلوا ذلك عقليًا لا شرعيًا؟. وليس الأمر كما زعموا. فالعقل غير مستقل ألبتة، ولا ينبني على غير أصل، وإنما ينبني على أصل متقدم مسلم على الإطلاق، ولا يمكن في أحوال الآخرة قبلهم أصل مسلم إلا من طريق الوحي.

ولهذا المعنى بسط سيأتي إن شاء الله.

فعلى الجملة ، العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي. فالابتداع مضاد لهذا الأصل؛ لأنه ليس له مستند شرعي بالفرض، فلا يبقى إلا ما ادّعوه من العقل.

في شرح
العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية

شرح أصحاب الفضيلة

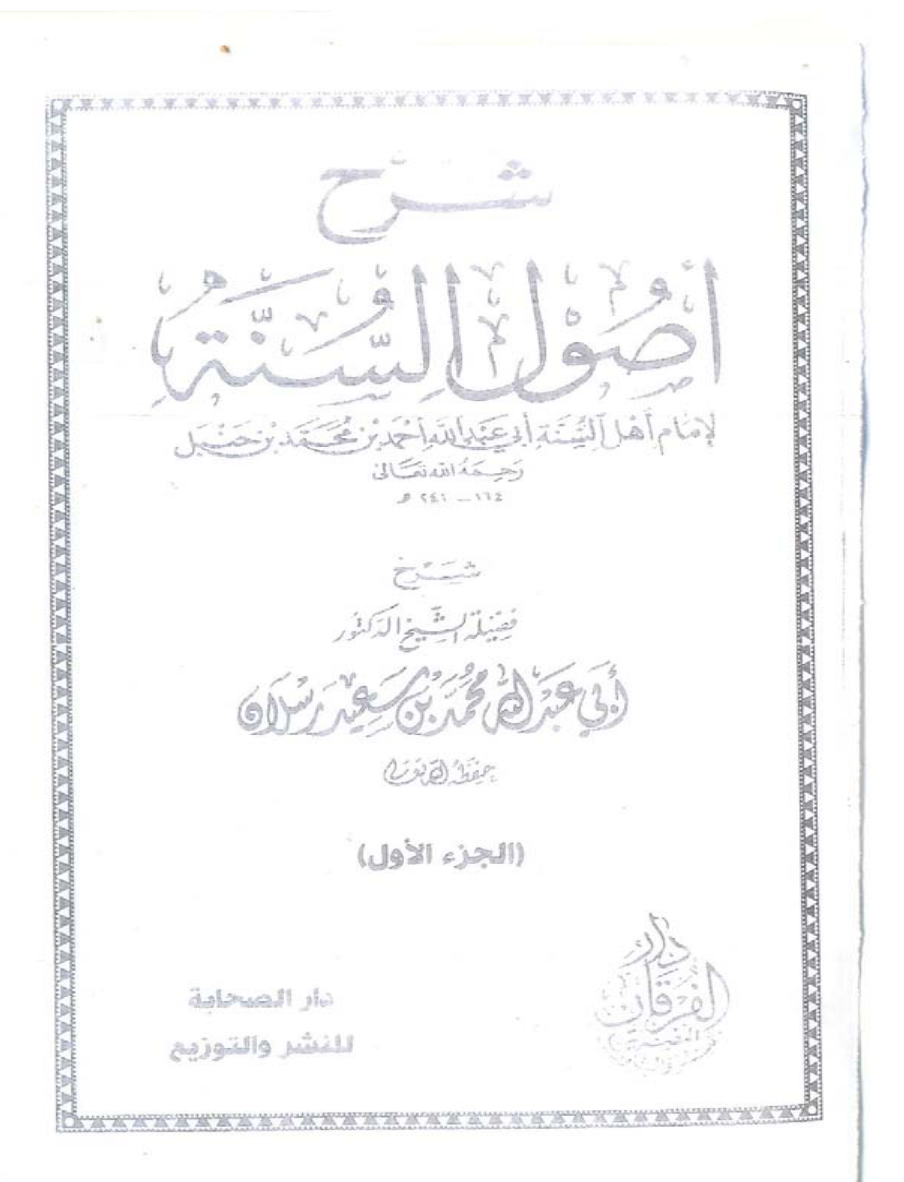
عبدالرحمن بن ناصر السعدي — فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك
محمد بن خليل هراس — محمد بن صالح العثيمين
صالح بن فوزان الفوزان

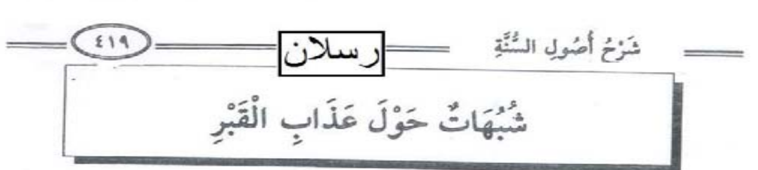
وبهامشه تعليقات أصحاب الفضيلة

عبدالعزيز بن محمد بن مانع — عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

دار ابن حزم

إعداد
مركز العروة الو...





لَوْ قَالَ قَائِلٌ: لَوْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ تَمَزَّقَ أَوْصَالًا، أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ، وَذَرَتْهُ الرِّيَاحُ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَذَابُهُ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ سُؤَالُهُ؟!

فَالْجَوَابُ: اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، هَذَا أَمْرٌ غَيْبِيٌّ، وَاللَّهُ ﷻ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، وَإِنْ كُنَّا نُشَاهِدُهَا -نَحْنُ- فِي الدُّنْيَا- مُتَمَزِّقَةً مُتَبَاعِدَةً، لَكِنْ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، رُبَّمَا يَجْمَعُهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَانْظُرْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، تَنْزِلُ لِقَبْضِ رُوحِ الْإِنْسَانِ فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٨٥]، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نُبْصِرُهُمْ، فَيَكُونُ مَنْ حَضَرَ الْمُحْتَضَرَ بِجِوَارِهِ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَلُّونَ رُوحَهُ مِنْهُ، وَهُوَ يَرَى وَيُبْصِرُ، وَمَنْ حَوْلَهُ يَنْظُرُونَ، وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ، مَلَكُ الْمَوْتِ يُكَلِّمُ الرُّوحَ، وَنَحْنُ لَا نَسْمَعُ.

وَجِبْرِيلُ يَتَمَثَّلُ أَحْيَانًا لِلرَّسُولِ ﷺ، وَيُكَلِّمُهُ بِالْوَحْيِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الْأَصْحَابُ، وَالنَّاسُ لَا يَنْظُرُونَهُ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ، فَعَالَمُ الْغَيْبِ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يُقَاسَ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَهَذِهِ مِنَ

العثيمين

فإن قال قائل: لو أن هذا الرجل تمزق أوصالًا، وأكلته السباع، وذرته الرياح، فكيف يكون عذابه، وكيف يكون سؤاله؟!

(٤٨٤) سبق تخريجه.

(٤٨٥) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فالجواب: أن الله ﷻ على كل شيء قدير، وهذا أمر غيبي؛ فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب، وإن كنا نشاهدها في الدنيا متمزقة متباعدة، لكن في عالم الغيب ربما يجمعها الله.

فانظر إلى الملائكة تنزل لقبض روح الإنسان في المكان نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة:٥٨]. ومع ذلك لا نبصرهم.

وملك الموت يكلم الروح، ونحن لا نسمع. وجبريل يتمثل أحيانًا للرسول عليه الصلاة والسلام، ويكلمه بالوحي في نفس المكان، والناس لا ينظرون ولا يسمعون.

فعالم الغيب لا يمكن أبدًا أن يقاس بعالم الشهادة، وهذه من حكمة الله ﷻ، فنفسك

رسلان

حِكْمَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

نَفْسُكَ الَّتِي فِي جَوْفِكَ، لَا تَدْرِي أَنْتَ كَيْفَ تَتَعَلَّقُ بِبَدَنِكَ؟!

رُوحُكَ؛ أَنْتَ بِهَا جَاهِلٌ.

لَا تَدْرِي كَيْفَ تَتَعَلَّقُ هَذِهِ الرُّوحُ بِالْبَدَنِ؟!

أَوْ كَيْفَ هِيَ مُوَزَّعَةٌ عَلَى الْبَدَنِ؟!

وَكَيْفَ تَخْرُجُ مِنْكَ عِنْدَ النَّوْمِ؟!

يَتَوَفَّاهَا اللَّهُ الْوَفَاةَ الصُّغْرَى.

وَهَلْ تُحِسُّ أَنْتَ عِنْدَ اسْتِيقَاظِكَ، أَنَّهَا تَرْجِعُ؟!

وَمِنْ أَيْنَ تَدْخُلُ لِجِسْمِكَ؟!

العثيمين

التي في جوفك ما تدري كيف تتعلق ببدنك؟ كيف هي موزعة على البدن؟ وكيف تخرج منك عند النوم؟ هل تحس بها عند استيقاظك بأنها ترجع؟ ومن أين تدخل لجسمك؟

رسلان

عَالَمُ الْغَيْبِ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا التَّسْلِيمُ، الْمُتَّقُونَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، مِنْ أَوَّلِ صِفَاتِهِمْ وَخِصَالِهِمْ: أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، فَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ الْوَحْيُ الْمَعْصُومُ، وَجَاءَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَبِلْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، وَسَلَّمْنَا بِهِ، وَلَمْ نُجَادِلْ، وَلَمْ نَضْرِبْ لَهُ الْأَمْثَالَ.

وَلَا نَقُولُ: لِمَ؟ وَلَا: كَيْفَ؟

كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَعَالَمُ الْغَيْبِ لَا قِيَاسَ فِيهِ، اللَّهُ

قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الْمُتَفَرِّقَاتِ مِنَ الْبَدَنِ الْمُتَمَزِّقِ، الَّذِي ذَرَتْهُ الرِّيَاحُ، ثُمَّ يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمُسَاءَلَةُ وَالْعَذَابُ أَوِ النَّعِيمُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: الْمَيِّتُ يُدْفَنُ فِي قَبْرٍ ضَيِّقٍ، فَكَيْفَ يُوَسَّعُ لَهُ مَدَّ الْبَصَرِ؟!

وَالْجَوَابُ: أَنَّ عَالَمَ الْغَيْبِ لَا يُقَاسُ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ، بَلْ إِنَّنَا لَوْ فُرِضَ أَنَّ أَحَدًا حَفَرَ حُفْرَةً مَدَّ الْبَصَرِ، وَدَفَنَ فِيهَا الْمَيِّتَ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ التُّرَابَ، فَالَّذِي لَا يَعْلَمُ بِهَذِهِ الْحُفْرَةِ، هَلْ يَرَاهَا، أَوْ لَا يَرَاهَا؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَرَاهَا مَعَ أَنَّ هَذَا فِي عَالَمِ الْحِسِّ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَرَى هَذِهِ السَّعَةَ، وَلَا يَعْلَمُ بِهَا إِلَّا مَنْ شَاهَدَهَا.

العثيمين

فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم، ولا يمكن فيه القياس إطلاقًا، فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه المتفرقات من البدن المتمزق الذي ذرته الرياح، ثم يحصل عليه المساءلة والعذاب أو النعيم؛ لأن الله سبحانه على كل شيء قدير.

فإن قال قائل: الميت يدفن في قبر ضيق؛ فكيف يوسع له مدَّ البصر؟

فالجواب: أن عالم الغيب لا يقاس بعالم الشهادة، بل إننا لو فرض أن أحدًا حفر حفرة مدَّ البصر، ودفن فيها الميت، وأطبق عليه التراب؛ فالذي لا يعلم بهذه الحفرة، هل يراها أو لا يراها؟ لا شك أنه يراها، مع أن هذا في عالم الحس، ومع ذلك لا يرى هذه السعة، ولا يعلم بها، إلا من شاهدها.

رسلان

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ : نَحْنُ نَرَى الْمَيِّتَ الْكَافِرَ إِذَا حَفَرْنَا قَبْرَهُ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، نَرَى أَنَّ أَضْلَاعَهُ لَمْ تَخْتَلِفْ ، وَلَمْ تَتَدَاخَلْ مِنَ الضِّيقِ ، لَمَّا انْضَمَّ عَلَيْهِ الْقَبْرُ .

فَالْجَوَابُ : كَمَا سَبَقَ ، هَذَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، وَهَذَا لَهُ قَانُونٌ

وَمِنَ الْجَائِزِ أَنْ تَكُونَ مُخْتَلِفَةً ، فَإِذَا كُشِفَ عَنْهَا أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَدَّ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى مَكَانِهِ ، امْتِحَانًا لِلْعِبَادِ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ مُخْتَلِفَةً ، وَنَحْنُ قَدْ دَفَنَّاهُ ، وَكَانَتْ أَضْلَاعُهُ مُسْتَقِيمَةً ، صَارَ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ إِيمَانَ شَهَادَةٍ ، لَا إِيمَانَ غَيْبٍ ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ الِاخْتِبَارُ قَائِمًا ، صَارَ الْأَمْرُ وَاضِحًا ، صَارَتْ شَهَادَةً .

العثيمين

فإذا قال قائل: نحن نرىٰ الميت الكافر إذا حفرنا قبره بعد يوم أو يومين، نرىٰ أن أضلاعه لم تختلف وتتداخل من الضيق؟

فالجواب كما سبق: أن هذا من عالم الغيب، ومن الجائز أن تكون مختلفة؛ فإذا كشف عنها؛ أعادها الله، وردَّ كل شيء إلىٰ مكانه؛ امتحانًا للعباد؛ لأنها لو بقيت مختلفة ونحن قد دفناه وأضلاعه مستقيمة؛ صار الإيمان بذلك إيمان شهادة.

رسلان

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ كَمَا قَالَ الْفَلَاسِفَةُ: نَحْنُ نَضَعُ الزِّئْبَقَ عَلَى الْمَيِّتِ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ تَحَرُّكًا وَمُرُوقًا، وَإِذَا جِئْنَا مِنَ الْغَدِ، وَجَدْنَا الزِّئْبَقَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُونَ، وَيُجْلِسُونَ هَذَا الرَّجُلَ، وَالَّذِي يَجْلِسُ كَيْفَ يَبْقَى عَلَيْهِ الزِّئْبَقُ؟!

يَعْنِي لَوْ وَضَعْنَا عَلَى صَدْرِهِ أَوْ عَلَى بَطْنِهِ الزِّئْبَقَ، وَهُوَ أَشَدُّ شَيْءٍ تَحَرُّكًا وَمُرُوقًا، لَا يَسْتَقِرُّ، فَإِذَا مَا تَحَرَّكَ أَدْنَى حَرَكَةٍ، تَحَرَّكَ هَذَا الزِّئْبَقُ، تَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَأْتِي، وَتُقْعِدُ الْمَيِّتَ، وَتَسْأَلُهُ، وَيُعَذَّبُ أَوْ يُنَعَّمُ، يَقُولُونَ: وَنَحْنُ نَأْتِي، فَنَفْتَحُ الْقَبْرَ، وَنَنْظُرُ، فَإِذَا الزِّئْبَقُ عَلَى حَالِهِ.

فَالْجَوَابُ هُوَ الْجَوَابُ الَّذِي سَبَقَ:

هَذَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، وَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ وَالتَّصْدِيقُ.

العثيمين

فإن قال قائل كما قال الفلاسفة: نحن نضع الزئبق على الميت، وهو أسرع الأشياء تحركًا ومروقًا، وإذا جئنا من الغد، وجدنا الزئبق على ما هو عليه، وأنتم تقولون: إن

في شرح العقيدة الواسطية ٦٤١

الملائكة يأتون ويجلسون هذا الرجل، والذي يجلس؛ كيف يبقى عليه الزئبق؟

فنقول أيضًا كما قلنا سابقًا: هذه من عالم الغيب، وعلينا الإيمان والتصديق ومن

رسلان

وَمِنَ الْجَائِزِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَرُدُّ هَذَا الزِّئْبَقَ إِلَى مَكَانِهِ، بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَ بِالْجُلُوسِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، نُصَدِّقُ مَا جَاءَنَا عَنْ نَبِيِّنَا مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ كِتَابًا وَسُنَّةً.

وَأَيْضًا؛ انْظُرْ إِلَى الرَّجُلِ فِي الْمَنَامِ، يَرَى أَشْيَاءَ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَرَاهَا فِي مَنَامِهِ تَكُونُ عَلَى حَسَبِ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهَا مَا بَقِيَ فِي فِرَاشِهِ فِي مَضْجَعِهِ، أَحْيَانًا تَكُونُ رُؤْيَا حَقٌّ مِنَ اللَّهِ ﷻ، فَتَقَعُ كَمَا كَانَ يَرَاهَا فِي مَنَامِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَحْنُ نُؤْمِنُ بِهَذَا الشَّيْءِ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ، أَصْبَحَ وَهُوَ مُتَكَدِّرٌ، وَإِذَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ، أَصْبَحَ وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمُورَ الرُّوحِ لَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشَاهَدَةِ، وَلَا تُقَاسُ أُمُورُ الْغَيْبِ عَلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَلَا نَرُدُّ النُّصُوصَ الصَّحِيحَةَ لِاسْتِبْعَادِنَا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ عَلَى حَسَبِ الْمُشَاهَدِ

العثيمين

الجائز أيضًا أن الله ﷻ يرد هذا الزئبق إلى مكانه بعد أن تحول بالجلوس.

ونقول أيضًا: انظروا إلى الرجل في المنام؛ يرى أشياء لو كان على حسب رؤيته إياها؛ ما بقي في فراشه على السرير، وأحيانًا تكون رؤيا حق من الله ﷻ، فتقع كما كان يراها في منامه، ومع ذلك؛ نحن نؤمن بهذا الشيء.

والإنسان إذا رأى في منامه ما يكره، أصبح وهو متكدر، وإذا رأى ما يسره، أصبح وهو مستبشر، كل هذا يدل على أن أمور الروح ليست من الأمور المشاهدة، ولا تقاس أمور الغيب بالمشاهد ولا ترد النصوص الصحيحة، لاستبعادنا ما تدل عليه حسب المشاهد.

﴿الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] الَّذِي يَضَعُهَا هُوَ اللَّهُ ﷻ؛ لِتُوزَنَ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ.

النُّصُوصُ وَرَدَتْ فِي الْمِيزَانِ بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ، وَرَدَتْ بِالْجَمْعِ: (الْمَوَازِينُ)، وَوَرَدَتْ بِالْإِفْرَادِ: (الْمِيزَانُ).

مِثَالُ الْجَمْعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وَأَمَّا الْإِفْرَادُ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١] مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ - عَلَى الْإِفْرَادِ -: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

فَقَالَ: «فِي الْمِيزَانِ»، فَأَفْرَدَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٦٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٨٠٦)، مِنْ طَرِيقِ: عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ.

العثيمين

والمؤلف يقول: «المَوَازِينُ» بالجمع، وقد وردت النصوص بالجمع والإفراد.

فمثال الجمع: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف:٨، ٩].

وأما الإفراد، فقال النبي ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان

ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٤٩٣].

فقال: «في الميزان»، فأفرد.

رسلان

كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا اللَّفْظَةُ مَجْمُوعَةً، وَهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْإِفْرَادِ؟!

الْجَوَابُ: إِنَّهَا جُمِعَتْ بِاعْتِبَارِ الْمَوْزُونِ حَيْثُ إِنَّهُ مُتَعَدِّدٌ، وَأُفْرِدَتْ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمِيزَانَ وَاحِدٌ، أَوْ مِيزَانٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمِيزَانِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» أَيْ: فِي الْوَزْنِ.

وَلَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمِيزَانَ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ جُمِعَ بِاعْتِبَارِ الْمَوْزُونِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أَيْ: ثَقُلَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، تَطِيشُ كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ، وَتَرْجَحُ وَتَثْقُلُ كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ.

* * *

العثيمين

فكيف نجمع بين الآيات القرآنية وبين هذا الحديث؟

فالجواب أن نقول:

إنها جمعت باعتبار الموزون؛ حيث إنه متعدد، وأفردت باعتبار أن الميزان واحد، أو ميزان كل أمة، أو أن المراد بالميزان في قوله عليه الصلاة والسلام: «ثقيلتان في الميزان»؛ أي: في الوزن.

ولكن الذي يظهر -والله أعلم- أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون؛ بدليل قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ [الأعراف:٨].

رسلان

وَالْعَرَصَاتُ: جَمْعُ عَرْصَةٍ، وَهِيَ الْمَكَانُ الْمُتَّسِعُ بَيْنَ الْبُنْيَانِ، كَالسَّاحَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: مَوَاقِفُ الْقِيَامَةِ: فِي مَوَاقِفِهَا فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

وَالْحَوْضُ فِي الْأَصْلِ: مَجْمَعُ الْمَاءِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: حَوْضُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ الْحَوْضِ، وَخَالَفَتْ فِي ذَلِكَ الْمُعْتَزِلَةُ، فَلَمْ تَقُلْ بِإِثْبَاتِ الْحَوْضِ، فَأَوَّلُوا النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ فِي الْحَوْضِ، وَأَحَالُوهَا عَنْ ظَاهِرِهَا.

وَأَجْمَعَ عَلَى إِثْبَاتِ الْحَوْضِ السَّلَفُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ،

الْحَوْضُ مَوْجُودٌ الْآنَ، حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ مَوْجُودٌ الْآنَ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «وَإِنِّي وَاللَّهِ، لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»[1]. وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٤٤) (١٣٩٦) (٤٠٤٢) (٤٠٨٥) (٦٤٢٦) (٦٥٩٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٩٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٢٢٣)، وَالنَّسَائِيُّ (١٩٥٤)، مِنْ طَرِيقِ: يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، بِهِ.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

«وَإِنِّي وَاللَّهِ» يُقْسِمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ».

وَأَيْضًا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[1].

وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

العثيمين

●العرصات: جمع عَرْصَة، وهي المكان المتسع بين البنيان، والمراد به هنا مواقف القيامة.

والحوض في الأصل: مجمع الماء، والمراد به هنا: حوض النبي ﷺ.

والكلام على الحوض من عدة وجوه:

أولًا: هذا الحوض موجود الآن؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه خطب ذات يوم في أصحابه، وقال: «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن»[510]، وأيضًا؛ ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «ومنبري على حوضي»[511].

(٥١٠) أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥١١) أخرجه البخاري (٦٥٨٨)، ومسلم (١٣٩١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

زَمَنُ الْحَوْضِ قَبْلَ الْعُبُورِ عَلَى الصِّرَاطِ ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِي ذَلِكَ ، حَيْثُ إِنَّ النَّاسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الشُّرْبِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ عُبُورِ الصِّرَاطِ ، كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي زِيَادَاتِهِ

رسلان

دُونَ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ مَائِهِ ، فَمَاءُ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، فَهَذَا فِي اللَّوْنِ ، وَأَمَّا فِي الطَّعْمِ ، فَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَمَّا فِي الرَّائِحَةِ ، فَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، كَمَا ثَبَتَ بِهِ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا»** .

آنِيَتُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«كَنُجُومِ السَّمَاءِ»** ، أَيْ فِي الْعَدَدِ ، وَكَذَلِكَ فِي الصَّفَاءِ ، كَنُجُومِ السَّمَاءِ بِالنُّورِ وَاللَّمَعَانِ ، فَآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ كَثْرَةً وَإِضَاءَةً .

«مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا» : حَتَّى عَلَى الصِّرَاطِ ، وَبَعْدَهُ ، وَهَذِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَشْرَبُ مِنَ الشَّرِيعَةِ فِي الدُّنْيَا لَا يَخْسَرُ أَبَدًا ، كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنَ الشَّرِيعَةِ

العثيمين

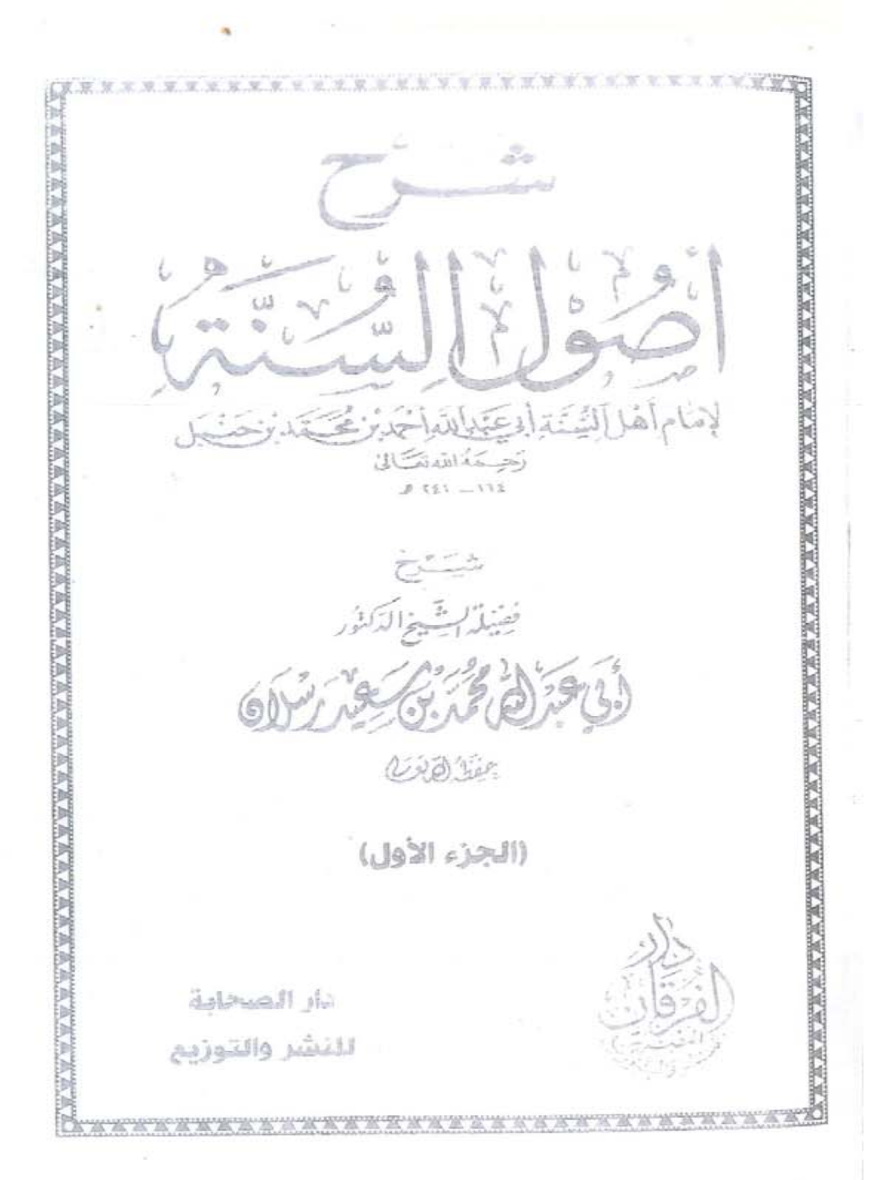
ثالثًا: زمن الحوض قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط.

رابعًا: يرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله ﷺ، المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر عن اتباع الشريعة؛ فإنه يطرد منه[٥١٣].

خامسًا: في كيفية مائه: فيقول المؤلف رحمه الله: **«ماؤه أشد بياضًا من اللبن»**. هذا في اللون، أما في الطعم، فقال: **«وأحلى من العسل»**. وفي الرائحة أطيب من ريح المسك؛ كما ثبت به الحديث عن النبي ﷺ[٥١٤].

سادسًا: في آنيته: يقول المؤلف: **«آنيته عدد نجوم السماء»**. هذا كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، وفي بعضها: **«آنيته كنجوم السماء»**. وهذا اللفظ أشمل؛ لأنه يكون كالنجوم في العدد وفي الوصف بالنور واللمعان؛ فآنيته كنجوم السماء كثرة وإضاءة.

سابعًا: آثار هذا الحوض: قال المؤلف: «من يشرب منه شربة، **لا يظمأ بعدها أبدًا»**: حتى على الصراط وبعده، وهذه من حكمة الله ﷻ؛ لأن الذي يشرب من الشريعة في الدنيا لا يخسر أبدًا كذلك.


شرح
أصول السنة
لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
رحمه الله تعالى
١٦٤ - ٢٤١ هـ

شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله

(الجزء الأول)

دار الفرقان
دار الصحابة
للنشر والتوزيع


التعليقات السلفية
على
العقيدة الطحاوية

طبعة جديدة تحتوي على
متن العقيدة الطحاوية
وعليه تعليقات

فضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن باز

فضيلة الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني

وشرح
فضيلة الشيخ العلامة
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

دار الدعوة السلفية
جمهورية مصر العربية الإسكندرية دار الريان / الجزائر

رسلان

الْإِيمَانُ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ جُمْلَةً مِنَ الْعَقَائِدِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى عَبْدُوسَ بْنِ مَالِكٍ الْعَطَّارِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِرُؤْيَةِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

نُؤْمِنُ بِأَنَّ الرُّؤْيَةَ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، وَهِيَ رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ ﷻ، يَرَوْنَهُ فِي الْآخِرَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَأَحَادِيثُ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

الفوزان

* قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:

[٥٨] الرؤية: أي رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، فإن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة، يرونه عيانًا بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، كما أخبر المصطفى ﷺ بذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة عنه عليه الصلاة والسلام(١) ولذلك قال المصنف:

رسلان

الرُّؤْيَةُ حَقٌّ، ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِيهَا إِلَّا الْمُبْتَدِعَةُ، وَأَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الْمُنْحَرِفَةِ.

الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ ﷻ كَمَا قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، نَاضِرَةٌ؛ مِنَ النَّضَارَةِ: وَهِيَ الْبَهَاءُ وَالْحُسْنُ؛ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: الآية ٢٤].

وَأَمَّا نَاظِرَةٌ، فَمَعْنَاهَا: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ.

تَقُولُ: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا. أَيْ أَبْصَرْتُهُ.

فَالنَّظَرُ لَهُ اسْتِعْمَالَاتٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ:

إِذَا عُدِّيَ بِـ: إِلَى، فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٨]؛ أَيْ: أَلَمْ يَنْظُرُوا بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَجِيبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ.

وَفِي الْآيَةِ الَّتِي مَعَنَا ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية ٢٣]، فَهِيَ مُعَدَّاةٌ بِـ(إِلَى).

الفوزان

(الرؤية حق، أي: ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، ولم يخالف فيها إلا المبتدعة وأصحاب المذاهب المنحرفة).

فالمؤمنون يرون ربهم سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وهي وجوه المؤمنين ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ يعني من النضرة وهي: البهاء والحسن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] وأما ﴿نَاظِرَةٌ﴾ فمعناها: المعاينة بالأبصار، تقول: نظرت إلى كذا، أي: أبصرته، فالنظر له استعمالات في كتاب الله عز وجل، إذا عدي بـ(إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٨]، أي: ألم ينظروا بأبصارهم إلى هذه المخلوقات العجيبة الدالة على قدرة الله عز وجل. وفي هذه الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] معداة بـ(إلى).

رسلان

وَإِذَا عُدِّيَ النَّظَرُ بِنَفْسِهِ، وَبِدُونِ وَاسِطَةٍ، فَمَعْنَاهُ: التَّوْقِيفُ وَالِانْتِظَارُ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣].

﴿ٱنظُرُونَا﴾: أَيِ انْتَظِرُونَا. مِنْ أَجْلِ أَنْ نَسْتَضِيءَ بِنُورِكُمْ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَنْطَفِئُ نُورُهُمْ عِيَاذًا بِاللَّهِ، وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّحِيمِ، فَيَبْقَوْنَ فِي ظُلْمَةٍ، فَيَطْلُبُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْتَظِرُوهُمْ حَتَّى يَقْتَبِسُوا مِنْ نُورِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]؛ أَيْ: مَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مَجِيءَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَإِذَا عُدِّيَ النَّظَرُ بِنَفْسِهِ، وَبِدُونِ وَاسِطَةٍ، فَمَعْنَاهُ: التَّوْقِيفُ وَالِانْتِظَارُ.

وَإِذَا عُدِّيَ النَّظَرُ بِـ(فِي)، فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٥]؛ أَيْ يَتَفَكَّرُوا فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْعُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ؛ لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ.

الفوزان

وإذا عدي النظر بنفسه وبدون واسطة فمعناه التوقف والانتظار: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ﴿انظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا من أجل أن نستضيء بنوركم؛ لأن المنافقين ينطفئ نورهم والعياذ بالله، فيبقون في ظلمة، فيطلبون من المؤمنين أن ينتظروهم حتى يقتبسوا من

نورهم. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: ما ينتظرون إلا مجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وإذا عدي النظر بـ(في) فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي: يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسفلية، ويستدلون بها على قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة.

رسلان

وَأَمَّا إِذَا مَا عُدِّيَ بِـ(إِلَى) كَمَا هُوَ مَعَنَا، فَمَعْنَاهُ: الرُّؤْيَةُ وَالْمُعَايَنَةُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية ٢٣].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ (الْحُسْنَى) بِأَنَّهَا (الْجَنَّةُ)، وَفَسَّرَ (الزِّيَادَةَ) بِأَنَّهَا (النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ)، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: الآية ٣٥].

وَ(الْمَزِيدُ): النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّ وَعَلَا- عَنِ الْكُفَّارِ الْمُجْرِمِينَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية ١٥].

فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ مَحْجُوبِينَ عَنِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَيْ لَا يَرَوْنَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ، وَهَذَا أَعْظَمُ حِرْمَانٍ، وَأَعْظَمُ عَذَابٍ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَالْمُؤْمِنُونَ لَيْسُوا بِمَحْجُوبِينَ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٥٢) (٣١٠٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (١٨٧)، مِنْ طَرِيقِ: حَمَّادٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، بِهِ، مَرْفُوعًا.

الفوزان

الحاصل: أن النظر هنا عدي بـ(إلى) ومعناه: الرؤية والمعاينة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦] فسر النبي ﷺ (الحسنى) بأنها الجنة، وفسر (الزيادة) بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا في صحيح مسلم(١).

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥] المزيد: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقال تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]

فإذا كان الكفار محجوبين عن الله، أي: لا يرونه؛ لأنهم كفروا به في الدنيا فهم محجوبون عن النظر إليه يوم القيامة، وهذا أعظم حرمان وأعظم عذاب، والعياذ

رسلان

فَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا بِمَحْجُوبِينَ عَنِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَرَوْهُ، وَإِنَّمَا اسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِآيَاتِهِ وَرِسَالَاتِهِ، فَأَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي الْجَنَّةِ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ ﷻ أَعْظَمُ نَعِيمٍ فِي الْجَنَّةِ.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذِهِ بَعْضُ أَدِلَّتِهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا أَدِلَّتُهُمْ مِنَ السُّنَّةِ، فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ، كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعُجَابِ «حَادِي الْأَرْوَاحِ»[1]، وَسَاقَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الرُّؤْيَةِ، وَقَدْ بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ -أَوْ- لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2].

(١) الْبَابُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

الفوزان

بالله، فدلت الآية على أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن الله يوم القيامة، وأنهم يرونه بالنظر إليه في الآخرة؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وإنما استدلوا عليه سبحانه بآياته ورسالاته، فالله أكرمهم بالنظر إليه يوم القيامة.

والنظر إلى وجه الله عز وجل أعظم نعيم في الجنة.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه بعض أدلتهم من القرآن.

وأما أدلتهم من السنة فكثيرة جداً بلغت حد التواتر، كما قال العلامة ابن القيم في كتابه القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، وساق الأحاديث الواردة في

الرؤية وقد بلغت حد التواتر.

منها قوله عليه الصلاة والسلام: « إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، لا تُضامون في رؤيته

رسلان

يَعْنِي لَا تَزْدَحِمُونَ لِأَجْلِ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَرَى وَهُوَ فِي مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ زِحَامٍ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ غَيْرِ زِحَامٍ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ فِي الْأَرْضِ وَخَفِيَ، يَزْدَحِمُونَ لِأَجْلِ رُؤْيَتِهِ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ عَالِيًا مُرْتَفِعًا كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَزْدَحِمُونَ لِرُؤْيَتِهِ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي رُؤْيَتِهِ، كَلٌّ يَرَاهُ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ.

إِذَا كَانَ هَذَا فِي الْمَخْلُوقِ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَكَيْفَ فِي الْخَالِقِ ﷻ؟!

الفوزان

أو: لا تَضامون في رؤيته»[1] يعني: لا تزدحمون على رؤية الله عز وجل؛ لأن كل واحد يرى الرب وهو في مكانه من غير زحام كما أن الناس يرون الشمس والقمر من غير زحام؛ لأن العادة إذا كان الشيء في الأرض وخفي يزدحمون على رؤيته، ولكن إذا كان الشيء مرتفعاً كالشمس والقمر فإنهم لا يزدحمون على رؤيته، كل يراه وهو في مكانه، إذا كان هذا في المخلوق الشمس والقمر، فكيف في الخالق سبحانه وتعالى؟

رسلان

وَلَمْ يُنْكِرِ الرُّؤْيَةَ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ؛ كَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ، يَقُولُونَ: يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي جِهَةٍ، وَاللَّهُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ فِي جِهَةٍ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، لَيْسَ لَهُ جِهَةٌ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْدُومٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ.

فَنَفَوُا الرُّؤْيَةَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الرَّأْيِ الْبَاطِلِ، عَلَى قَاعِدَتِهِمْ فِي نَفْيِ صِفَاتِ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-، وَتَعْطِيلِهِ ﷻ عَنْ كَمَالَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُمْ إِنْكَارُ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَثْبَتُوا الرُّؤْيَةَ، وَقَالُوا: يُرَى، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي جِهَةٍ.

وَهَذَا مِنَ التَّنَاقُضِ الْعَجِيبِ، لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُرَى، وَهُوَ لَيْسَ فِي جِهَةٍ؛ وَلِذَلِكَ رَدَّ عَلَيْهِمُ الْمُعْتَزِلَةُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْمُسْتَحِيلِ.

الفوزان

ولم ينكر الرؤية إلا أهل البدع كالجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، يقولون: يلزم من إثبات الرؤية أن يكون الله في جهة، والله عندهم ليس في جهة، وهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة، ليس في جهة، وهذا معناه أنه معدوم، تعالى الله عما يقولون، فنفوا الرؤية من أجل هذا الرأي الباطل.

وأما الأشاعرة: لما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة أثبتوا الرؤية وقالوا: يرىٰ ولكن ليس في جهة، وهذا من التناقض العجيب! ليس هناك شيء يرىٰ وهو ليس في جهة، ولذلك رد عليهم المعتزلة؛ لأن هذا من المستحيل. وأهل

رسلان

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: يُرَى ﷻ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ مِنْ فَوْقِهِمْ؛ فَالْجِهَةُ إِنْ أُرِيدَ بِهَا الْجِهَةُ الْمَخْلُوقَةُ، فَاللَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِحَالٍّ فِي خَلْقِهِ ﷻ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا الْعُلُوُّ فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهَذَا ثَابِتٌ لِلَّهِ ﷻ، فَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُ الْعُلُوُّ الذَّاتِيُّ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، فَالْجِهَةُ لَمْ يَرِدْ إِثْبَاتُهَا أَوْ نَفْيُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ.

الفوزان

السنة يقولون: يرىٰ سبحانه وتعالىٰ وهو في جهة العلو من فوقهم، فالجهة إن أريد بها الجهة المخلوقة فالله ليس في جهة؛ لأنه ليس بحالٍّ في خلقه سبحانه وتعالىٰ.

وإن أريد بها العلو فوق المخلوقات فهذا ثابت لله عز وجل، فالله في العلو فوق السموات، فالجهة لم يرد إثباتها أو نفيها في كتاب الله، ولكن يقال فيها على التفصيل السابق.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٥٤، ٨٠٦، ٧٤٣٤) ومسلم رقم (١٨٢) بلفظ: «تضارون».

رسلان

الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، يَعْنِي لَا يُحِيطُونَ بِاللَّهِ ﷻ، يَرَوْنَهُ ﷻ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ، وَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ الْإِحَاطَةُ بِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٠].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]. يَعْنِي لَا تُحِيطُ بِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ لَا تَرَاهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَقُلْ لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣].

فَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: نَعَمْ. وَالْإِدْرَاكُ شَيْءٌ، وَالرُّؤْيَةُ شَيْءٌ آخَرُ، وَالْمَنْفِيُّ هَاهُنَا لَا الرُّؤْيَةُ، وَإِنَّمَا الْمَنْفِيُّ الْإِدْرَاكُ، فَاللَّهُ ﷻ يُرَى بِدُونِ إِحَاطَةٍ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مَنِ اسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ وَقَالَ: الرُّؤْيَةُ لَا تُمْكِنُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣].

٤٦٨ شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ

فَالْجَوَابُ: أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ مَعْنَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

مَعْنَاهَا: لَا تُحِيطُ بِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْآيَةِ: لَا تَرَاهُ. لَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ.

الفوزان

التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية ٨٠

ومعنى: «بغير إحاطة ولا كيفية» أنهم لا يحيطون بالله عز وجل، ويرونه سبحانه بغير إحاطة، والله عظيم لا يمكن الإحاطة به، قال سبحانه: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال جل وعلا: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعني: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يقل: لا تراه الأبصار، إنما قال: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ فالإدراك شيء والرؤية شيء آخر، فهي تراه سبحانه بدون إحاطة، وفي هذا رد على من استدل بهذه الآية على نفي الرؤية وقال: الرؤية لا تمكن؛ لأن الله قال: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾. فنقول لهم: أنتم لا تعرفون معنى ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾.

﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾، معناها: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه، ولم يقل سبحانه: لا تراه الأبصار.

رسلان

اسْتَدَلُّوا أَيْضًا بِقَوْلِ مُوسَى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] .

قَالُوا هَذَا دَلِيلٌ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ .

فَيُقَالُ لَهُمْ : هَذَا فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ مُوسَى سَأَلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَحَدَ يَرَى اللَّهَ فِي الدُّنْيَا ، لَا الْأَنْبِيَاءُ وَلَا غَيْرُهُمْ ، يَعْنِي بِأَعْيُنِ

لَمَّا سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : قَالَ : ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] .

انْدَكَّ الْجَبَلُ ، وَصَارَ تُرَابًا ، الْجَبَلُ أَصَمٌّ صُلْبٌ ، فَكَيْفَ بِالْمَخْلُوقِ الْمُكَوَّنِ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَعَظْمٍ ؟!

وَلَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي الدُّنْيَا ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا وَمُوسَى عليه السلام سَأَلَ رَبَّهُ الرُّؤْيَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ وَإِمْكَانِهَا ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَا يَسْأَلُ رَبَّهُ شَيْئًا لَا يَجُوزُ ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ شَيْئًا يَجُوزُ ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ هَذَا فِي الدُّنْيَا ،

الفوزان

واستدلوا أيضًا فقالوا : موسى عليه السلام قال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف : ١٤٣] هذا دليل على نفي الرؤية .

نقول لهم : هذا في الدنيا ، لأن موسى سأل ذلك في الدنيا ، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم ، وأما في الآخرة ، فيرى المؤمنون ربهم ، وحال الدنيا ليست كحال الآخرة ، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم ، لا تستطيع أن ترى الله عز وجل ، وأما في الآخرة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم – جل وعلا – إكرامًا لهم .

ولهذا لما سأل موسى ربه في هذه الآية : ﴿قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف : ١٤٣] الجبل اندك وصار ترابًا ، والجبل أصم صلب ، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا .

وسؤال موسى رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها؛ لأن موسى لا يسأل ربه شيئًا لا يجوز ، إنما سأله شيئًا يجوز ، ولكن لا يكون هذا في الدنيا ، فالله سبحانه

رسلان

فَاللَّهُ ﷻ قَالَ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣].

وَلَمْ يَقُلْ: «إِنِّي لَا أُرَى»، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

يَعْنِي: فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَاللَّهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ.

وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الرُّؤْيَةِ الْأَنْبِيَاءُ.

بِلَا إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، لَا يُقَالُ: كَيْفَ يَرَوْنَ اللَّهَ؟!

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ»: «**لَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟ وَإِنَّمَا هُوَ التَّسْلِيمُ لِلنُّصُوصِ**»، إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّسْلِيمِ، كَمَا قَرَّرَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَنَعْرِفُ الْمَعْنَى، وَنُثْبِتُهُ، وَلَكِنَّ الْكَيْفِيَّةَ مَجْهُولَةٌ، لَا نَعْرِفُهَا، وَقَدْ نَطَقَ كِتَابُ رَبِّنَا بِذَلِكَ، فَقَالَ -جَلَّ

شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ ٤٧١

وَعَلَا-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فَهَذَا صَرِيحٌ أَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّهَا عُدِّيَتْ بِـ(إِلَى): ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية ٢٣].

وَقَدْ مَرَّتِ الْقَاعِدَةُ فِي ذَلِكَ، لَوْ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ، أَوْ عُدِّيَ بِـ(فِي)، أَوْ عُدِّيَ بِـ(إِلَى)، فَتَخْتَلِفُ دَلَالَةُ الْفِعْلِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، فَهُنَا عُدِّيَ بِـ(إِلَى): ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية ٢٣].

قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾، إِلَى: جَمْعٌ بِمَعْنَى نِعَمٌ؛ أَيْ: نِعَمُ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ! وَهَذَا تَحْرِيفٌ يُضْحِكُ الثَّكْلَى؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ لَا يُحَوَّلُ إِلَى جَمْعٍ.

الفوزان

التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية ٨١

قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل: إني لا أرىٰ.

فالله يرىٰ في الآخرة (١)، وأولىٰ الناس بهذه الرؤية الأنبياء.

وقوله: «ولا كيفية» أي: لا يقال: كيف يرون الله؟ لأن هذا كسائر صفات الله عز وجل لا نعرف كيفيتها، فنحن نؤمن بها ونعرف معناها ونثبتها، ولكن الكيفية مجهولة ولا نعرفها، فالله أعلم بها سبحانه.

[٥٩] هذا صريح أنه نظر إلىٰ الله بالأبصار حيث عدي بـ إلىٰ، فمعناه الرؤية بالأبصار، قالت المعتزلة: ﴿إِلَى رَبِّهَا﴾ (إلىٰ) جمع بمعنىٰ: نعم. أي: إلىٰ نعم ربها ناظرة. وهذا تخريف يضحك منه العقلاء، لأن الحرف لا يحول إلىٰ جمع.

رسلان

فمِنْ جُمْلةِ مَا يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ: مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْوَالِ وَأُمُورِ يَوْم الْقِيَامَةِ، وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَوْضُ

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ لَهُ حَوْضًا فِي الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ يَرِدُهُ أَتْبَاعُهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ، فَإِذَا شَرِبُوا مِنْهُ شَرْبَةً وَاحِدَةً، لَمْ يَظْمَئُوا بَعْدَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ شَدِيدٌ عَصِيبٌ، وَفِيهِ حَرٌّ شَدِيدٌ، لِأَنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو مِنَ الرُّءُوسِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هُوَ الْمِيلُ الْمَسَافِيُّ؟ أَوْ هُوَ الْمِيلُ الْجِرَاحِيُّ؟

سَوَاءٌ كَانَ هَذَا أَوْ هَذَا، فَهُوَ كَرْبٌ شَدِيدٌ، وَخَطْبٌ عَظِيمٌ، فَيَحْصُلُ الظَّمَأُ الشَّدِيدُ، فَجَعَلَ اللَّهُ حَوْضَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ، يُغِيثُهُمُ اللَّهُ بِهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْغَيْثَ الَّذِي يُنَزِّلُهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ، وَتَحْيَا بِهِ النُّفُوسُ، وَكَذَلِكَ الْحَوْضُ، فَإِنَّهُ غِيَاثٌ يُغِيثُ اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ عِنْدَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَاءِ.

الفوزان

* قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:

من جملة ما يعتقده أهل السنة والجماعة ما صح فيه الخبر عن رسول الله ﷺ من أمور يوم القيامة، وما يحدث في يوم القيامة من أمور، فمن ذلك:

الحوض: فإن النبي ﷺ أخبرنا أن له حوضاً (١) في يوم القيامة في المحشر يرده أتباعه الذين آمنوا به واتبعوه، فيشربون منه، فإذا شربوا منه شربة واحدة لم يظمؤوا بعدها أبداً، وذلك لأن يوم القيامة يوم شديد وعصيب وفيه حر شديد.

فيحصل الظماء الشديد، فجعل الله هذا الحوض غياثًا لأمة محمد ﷺ يغيثهم به، ومعلوم أن الغيث الذي ينزله الله من السماء تحيا به الأرض، وتحيا به النفوس، فكذلك الحوض فإنه غياث يغيث الله به العباد عند شدة حاجتهم إلى الماء.

رسلان

الْحَوْضُ مَجْمَعُ الْمَاءِ، وَقَدْ وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وَآنِيَتُهُ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً، لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَزْكَى رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ»[1].

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

الفوزان

والحوض هو مجمع الماء، وقد وصفه عليه الصلاة والسلام بأنه حوض عظيم طوله شهر، وعرضه شهر وآنيته عدد نجوم السماء، وأن من يشرب منه شربة لا

(١) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء». أخرجه البخاري رقم (٦٥٨٠) ومسلم رقم (٢٣٠٣).

التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية ٩٥

يظماء بعدها أبداً، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل [1].

رسلان

وَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرِدُهُ أَقْوَامٌ، ثُمَّ يُذَادُونَ وَيُمْنَعُونَ مِنَ الشُّرْبِ مِنْهُ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي! فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَيَقُولُ ﷺ: سُحْقًا وَبُعْدًا لِمَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1].

وَيُمْنَعُ مِنْ وُرُودِ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ أَهْلُ الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ الْمُخَالِفُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ تَوَلَّوْا وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، تَارِكِينَ السُّنَّةَ، ذَاهِبِينَ إِلَى أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مَذَاهِبَ مُنْحَرِفَةً، وَهَؤُلَاءِ يُمْنَعُونَ مِنْ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُحْقًا وَبُعْدًا لِمَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ».

لَا يَرِدُ الْحَوْضَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا.

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَى أَنَّ الْكَوْثَرَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: الآية ١] هُوَ الْحَوْضُ.

الفوزان

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يرده أقوام ثم يذادون ويمنعون من الشرب منه، فيقول الرسول ﷺ: «يا رب أمتي، أمتي» فيقول الله عز وجل: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فيقول عليه الصلاة والسلام: «سحقًا وبعدًا لمن بدل وغير»[2]، ويمنع من وروده أهل البدع المضلة المخالفون لرسول الله ﷺ الذين كفروا وارتدوا على أعقابهم، تاركين السنة، وذاهبين بأهوائهم وآرائهم المذاهب المنحرفة، هؤلاء يمنعون من حوض النبي ﷺ؛ لأنهم بدلوا وغيروا من هدي النبي ﷺ، ولا يرده إلا من كان متبعًا لسنة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً واعتقادًا، وبعض العلماء يرى أن الكوثر المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] هو الحوض، وبعض

رسلان

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَرَى أَنَّ مَعْنَى الْكَوْثَرِ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَوْضَ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْخَيْرِ الْكَثِيرِ؛ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَهَذَا هُوَ حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَنَّهُ يَصُبُّ فِي حَوْضِهِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مِيزَابَانِ مِنَ الْكَوْثَرِ، فَمَاءُ الْحَوْضِ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَالْكَوْثَرُ: فَوْعَلٌ مِنَ الْكَثْرَةِ، فَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، فَكَذَا هُوَ حَوْضُ نَبِيِّنَا ﷺ، وَكَذَا هُوَ الْكَوْثَرُ النَّهْرُ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي الْجَنَّةِ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ وَاعْتِقَادُهُ.

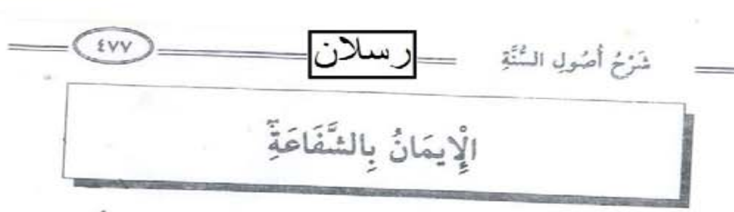
وَيَتَمَسَّكُ الْإِنْسَانُ بِالسُّنَّةِ الَّتِي صَحَّتْ ثَابِتَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى يَرِدَ هَذَا الْحَوْضَ، وَلَا يُرَدَّ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ خِزْيٌ

الفوزان

العلماء يرى أن معنى الكوثر: الخير الكثير، ولا شك أن الحوض يدخل في هذا الخير الكثير؛ لأنه خير لهذه الأمة [٣]، فهذا هو حوض النبي ﷺ، فيجب الإيمان به واعتقاده، وأن يتمسك الإنسان بالسنة، حتى يرد هذا الحوض، ولا يرد عنه يوم القيامة.

□□□

رسلان



الْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ

يَبْقَى مِمَّا ذَكَرَ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَقَائِدِ؛ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي مَرَّتْ مِنْ «أُصُولِ السُّنَّةِ»؛ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّفَاعَةِ.

وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ، وَهِيَ حَقٌّ، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ.

وَالشَّفَاعَةُ مِنْ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ الْمُهِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ضَلَّ فِي إِثْبَاتِهَا أُنَاسٌ، وَغَلَا فِي إِثْبَاتِهَا أُنَاسٌ، وَتَوَسَّطَ فِيهَا خَيْرُ النَّاسِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَتْبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَالشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى حَسَبِ النُّصُوصِ الَّتِي وَرَدَتْ، وَالنَّاسُ فِي الشَّفَاعَةِ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

قَوْمٌ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِهَا حَتَّى طَلَبُوهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَمِنَ الْمَقْبُورِينَ، وَمِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالْأَحْجَارِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: الآية ١٨].

وَكَذَا ذَكَرَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَوْلَهُمْ فِي شِرْكِهِمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: الآية ٣].

الفوزان

[٨٤] والشفاعةُ التي ادَّخرها لهمْ حقٌّ، كما رُوِيَ في الأخْبار .

الشرح •

[٨٤] قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

قلت: وهي متواترة أيضًا. و قد عقد لها ابن أبي عاصم في «السنة» ستة أبواب (١٦٣- ١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤-٨٣٣) وساق طائفة منها الشارح رحمه الله في شرحه[1]، تضمنت أن شفاعته ﷺ ثمانية أنواع فليراجعه من شاء البحث والتحقيق فإنه هام.

* قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:

الشفاعة أيضًا من مسائل العقيدة المهمة [2]؛ لأنه قد ضل في إثباتها أناس، وغلا في إثباتها أناس، وتوسط فيها أناس.

فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام:

قوم غلو في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار ﴿ ويعبدُونَ من دُون اللَّهِ مَا لاَ يضرُّهُمْ ولاَ ينفعُهُمْ ويقُولُونَ هؤُلاءِ شُفعاؤُنا عند اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿ ما نعْبُدُهُمْ إلاَّ ليُقرِّبُونا إلى اللَّه زُلْفى ﴾ [الزمر: ٣].

وَطَائِفَةٌ غَلَتْ فِي نَفْيِ الشَّفَاعَةِ؛ كَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْخَوَارِجِ، فَإِنَّهُمْ نَفَوُا الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ، وَخَالَفُوا مَا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ.

فَهَؤُلَاءِ غَلَوْا فِي الْإِثْبَاتِ، وَهَؤُلَاءِ غَلَوْا فِي النَّفْيِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَوَسَّطُوا؛ فَأَثْبَتُوا الشَّفَاعَةَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِالشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَكَذَا أَهْلُ السُّنَّةِ أَبَدًا، هُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْغُلُوِّ وَأَهْلِ الْجَفَاءِ؛ أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كَالْوَادِي بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَكَالْفَضِيلَةِ بَيْنَ الرَّذِيلَتَيْنِ.

الشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الشَّفْعِ، وَهُوَ ضِدُّ الْوَتْرِ.

وَالْوَتْرُ: الْفَرْدُ الْوَاحِدُ.

وَالشَّفْعُ: أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ؛ يَكُونُ اثْنَيْنِ، أَوْ أَرْبَعَةً، أَوْ سِتَّةً، وَهُوَ مَا يُقَالُ لَهُ: الْعَدَدُ الزَّوْجِيُّ.

وَالشَّفَاعَةُ فِي الشَّرْعِ: الْوَسَاطَةُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَسَاطَةٌ بَيْنَ مَنْ عِنْدَهُ الْحَاجَةُ وَصَاحِبِ الْحَاجَةِ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَشَفَاعَةٌ عِنْدَ الْخَلْقِ.

الفوزان

وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

والشفاعة في اللغة مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٣٠).

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤). وفيه: ائتوا النبي ﷺ «فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه».

الواحد. والشفع هو أكثر من واحد، اثنين أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي.

وشرعًا: الوساطة في قضاء الحاجات، وساطة بين من عنده الحاجة وصاحب الحاجة، وهي على قسمين: شفاعة عند الله، وشفاعة عند الخلق.

والشَّفَاعَةُ عِنْدَ الْخَلْقِ، عَلَى قِسْمَيْنِ :

رسلان

شَفَاعَةٌ حَسَنَةٌ : وَهِيَ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ النَّافِعَةِ الْمُبَاحَةِ، تَتَوَسَّطُ عِنْدَ مَنْ عِنْدَهُ حَاجَاتُ النَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْضِيَهَا لَهُمْ.

قَالَ ﷻ : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: الآية ٨٥].

وَقَالَ ﷺ : «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(١)].

فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ حَسَنَةٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، فِيهَا أَجْرٌ؛ لِأَنَّ فِيهَا نَفْعًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمُ الْمَشْرُوعَةِ، وَفِي حُصُولِهِمْ عَلَى مَطْلُوبِهِمُ الَّذِي فِيهِ نَفْعٌ لَهُمْ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَدٍّ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا ظُلْمٌ لِأَحَدٍ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمَيِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ الْخَلْقِ: شَفَاعَةٌ سَيِّئَةٌ، وَهِيَ التَّوَسُّطُ فِي أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ، كَالشَّفَاعَةِ لِإِسْقَاطِ الْحُدُودِ، إِذَا وَجَبَتْ، وَهَذَا يَدْخُلُ فِيمَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»[(٢)].

الفوزان

فالشفاعة عند الخلق على قسمين: شفاعة حسنة، وهي في الأمور الحسنة النافعة المباحة، تتوسط عند من عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم، قال سبحانه: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»[(١)] هذه شفاعة حسنة وفيها أجر؛ لأن فيها نفعًا للمسلمين في قضاء حاجاتهم وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم، وليس فيها تعد على أحد أو ظلم لأحد.

والقسم الثاني: شفاعة سيئة، وهي التوسط في أمور محرمة، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت، وهذا يدخل فيمن لعنه النبي ﷺ في قوله: «لعن الله من

وَالشَّفَاعَةُ أَيْضًا فِي أَخْذِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَفِي إِعْطَائِهَا لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: الآية ٨٥].

فَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ الْخَلْقِ عَلَى قِسْمَيْنِ: حَسَنَةٌ، وَسَيِّئَةٌ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلَيْسَتْ كَالشَّفَاعَةِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ.

الشَّفَاعَةُ عِنْدَ الْخَالِقِ؛ أَنْ يُكْرِمَ اللَّهُ ﷻ بَعْضَ عِبَادِهِ فِي أَنْ يَدْعُوَ لِأَحَدِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْعَذَابِ؛ بِسَبَبِ كَبِيرَةٍ ارْتَكَبَهَا دُونَ الشِّرْكِ، فَيُشَفَّعُ عِنْدَ اللَّهِ هَذَا الشَّافِعُ فِي أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ ذَلِكَ الْمُذْنِبِ، وَأَلَّا يُعَذِّبَهُ؛ لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ، فَيَشْفَعُ الشَّافِعُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ بِأَنْ يَعْفُوَ عَنْ ذَلِكَ الْمُذْنِبِ.

أَوْ يُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ فِي مَعْصِيَةٍ، فَيَشْفَعُ الشَّافِعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ، وَيُرْفَعَ عَنْهُ الْعَذَابُ، وَهَذِهِ تُسَمَّى بِالشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ.

وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُشْتَرَطُ لَهَا شَرْطَانِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ تَكُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا أَحَدَ يَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَأْذَنُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، أَمَّا مِنْ قَبْلِ أَنْ

الفوزان

آوى محدثًا»[٢]. والشفاعة أيضًا في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥].

أما الشفاعة عند الله فليست كالشفاعة عند المخلوق، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله جل وعلا بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبها، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه؛ لأنه مؤمن موحد، فيشفع الشافع عند الله جل وعلا بأن يعفو عنه، أو فيمن دخل النار في معصية فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى

بالشفاعة في أهل الكبائر.

لكن الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما من قبل أن

رسلان

يَأْذَنَ، فَلَا أَحَدَ يَتَقَدَّمُ إِلَى اللَّهِ ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، فَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِالشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، كَمَا يَتَقَدَّمُ لِلنَّاسِ لِلشَّفَاعَةِ عِنْدَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، فَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ، لَيْسَتْ كَالشَّفَاعَةِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ.

لَا تَكُونُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَّا بِإِذْنِهِ، بِإِذْنٍ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ فِيمَنْ يَأْذَنُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِالشَّفَاعَةِ فِيهِ: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٢٦]، يَأْذَنُ لِلشَّافِعِ، وَيَرْضَى الشَّفَاعَةَ فِي الْمَشْفُوعِ.

وَأَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي: فَأَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَمِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، مِمَّنْ يَرْضَى اللَّهُ قَوْلَهُمْ وَعَمَلَهُمْ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨]، أَيْ: رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ.

وَقَدْ جَاءَ الشَّرْطَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٢٦].

﴿أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ [النجم: الآية ٢٦]: هَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ.

﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾: هَذَا هُوَ الشَّرْطُ الثَّانِي؛ وَهُوَ الرِّضَا عَنِ الشَّافِعِ

الفوزان

يأذن فلا أحد يتقدم إلى الله عز وجل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده وإن لم يأذن، فالله جل وعلا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، أي: رضي الله قوله وعمله، وجاء الشرطان في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]. أن يأذن الله هذا الشرط الأول، ويرضى هذا الشرط الثاني.

وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: الآية ٤٨] ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: الآية ١٨].

فَالشَّفَاعَةُ فِي الْقُرْآنِ شَفَاعَتَانِ:

شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ: وَهِيَ الَّتِي انْتَفَتْ شُرُوطُهَا.

وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ: وَهِيَ الَّتِي تَحَقَّقَتْ شُرُوطُهَا.

الْكَافِرُ لَا تَنْفَعُهُ الشَّفَاعَةُ، لَوْ شَفَعَ فِيهِ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، مَا قَبِلَ اللَّهُ فِيهِ شَفَاعَتَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ بِاللَّهِ ﷻ، لَا يَرْضَى اللَّهُ قَوْلَهُ وَلَا عَمَلَهُ؛ إِلَّا مَا جَاءَ فِي شَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَيْضًا هَذِهِ الشَّفَاعَةُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَتْ مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِهِ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا هِيَ شَفَاعَةٌ مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ؛ لِمَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الْمُؤَازَرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ حِمَايَتِهِ إِيَّاهُ ﷺ، وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَشْفَعُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ فَقَطْ، لَا فِي إِخْرَاجِهِ

الفوزان

أما الكافر فإنه لا تنفعه الشفاعة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] فالشفاعة في القرآن شفاعتان؛ شفاعة منفية وهي التي انتفت شروطها، وشفاعة مثبتة وهي التي تحققت شروطها.

فالكافر لا تنفعه الشفاعة؛ لو شفع فيه أهل السموات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم؛ لأنه مشرك كافر بالله عز وجل، لا يرضى الله قوله ولا عمله، إلا ما جاء في شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة، وأيضًا ليست شفاعة من أجل خروجه من النار، إنما هي شفاعة من أجل تخفيف العذاب عن هذا الرجل؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي ﷺ وحمايته له - عليه الصلاة والسلام - والمدافعة عنه، فالنبي ﷺ يشفع في تخفيف العذاب عنه فقط.

رسلان

هَذِهِ الشَّفَاعَةُ الثَّابِتَةُ بِشُرُوطِهَا أَنْوَاعٌ: مِنْهَا أَنْوَاعٌ خَاصَّةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْوَاعٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَفْرَاطِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ، كُلُّ

٤٨٤ شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ

هَؤُلَاءِ يَشْفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

الفوزان

هذه هي الشفاعة الثابتة بشروطها، وهي أنواع:

منهـا: أنواع خاصة بالنبي ﷺ، وأنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كل هؤلاء يشفعون عند الله

رسلان

فَالشَّفَاعَةُ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةٌ، وَعَامَّةٌ يُشَارِكُهُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ، وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَكَذَا الْأَفْرَاطُ، وَلَكِنْ هُنَالِكَ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أَوَّلُ ذَلِكَ شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، إِذَا طَالَ الْمَوْقِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ، وَاشْتَدَّ الزِّحَامُ، وَدَنَتِ الشَّمْسُ مِنَ الرُّءُوسِ، وَحَصَلَ الْكَرْبُ الْعَظِيمُ، وَأَهْلُ الْمَحْشَرِ يُرِيدُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَصَرْفِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ.

فَيَذْهَبُونَ إِلَى آدَمَ عليه السلام، فَيَعْتَذِرُ لِهَيْبَةِ الْمَقَامِ وَجَلَالَتِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى نُوحٍ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى نُوحٍ عليه السلام، وَهُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ، فَيَعْتَذِرُ فَيَذْهَبُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، فَيَعْتَذِرُ كَمَا اعْتَذَرَ الْخَلِيلُ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى عِيسَى عليه السلام، فَيَعْتَذِرُ أَيْضًا، وَيَدُلُّ

الفوزان

التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية ٩٩

سبحانه وتعالى.

وأما الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ فهي أنواع:

أولها: شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الموقف إذا طال الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرءوس، وحصل الكرب العظيم، أهل المحشر يريدون من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرفهم من هذ الموقف: إما إلى جنة وإما إلى نار؛ يذهبون إلى آدم عليه السلام فيعتذر لهيبة المقام وجلالته، ثم يذهبون إلى نوح عليه السلام أول الرسل فيعتذر، ثم يذهبون إلى موسى كليم الله فيعتذر، ثم يذهبون إلى عيسى عليه السلام فيعتذر أيضًا، ثم

مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَالَ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**» ﷺ.

ثُمَّ يَأْتِي، فَيَخِرُّ سَاجِدًا عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عز وجل، يَحْمَدُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَدْعُوهُ، يَقُولُ: «**فَيَفْتَحُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيَّ بِمَحَامِدَ لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ، حَتَّى يُقَالَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1].

بَعْدَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِئْذَانِ يُؤْذَنُ لَهُ، لَا يَشْفَعُ مُبَاشَرَةً، وَإِنَّمَا يَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَيَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا يَعْلَمُهَا، يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَا سَاعَتَئِذٍ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.

الفوزان

يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها، أنا لها**» ثم يأتي فيخر ساجداً بين يدي الله عز وجل، ويحمده ويثني عليه ويدعوه حتى يقال له: «**ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع**»[1] بعد الدعاء والاستئذان، لا يشفع مباشرة، بل يسجد ويدعو ويثني على الله ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، ثم يشفع للفصل بين

رسلان

يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالشَّفَاعَةِ، وَيُؤْذَنُ لَهُ بِهَا، فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِلْخَلَائِقِ لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمْ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ شَفَاعَتَهُ، وَيَأْتِي ﷻ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: الآية ٢٢].

فَيَجِيءُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِلْفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَهِيَ مَقَامٌ عَظِيمٌ شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩].

لِأَنَّهُ يَحْمَدُهُ عَلَيْهِ، وَيَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيَظْهَرُ فَضْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ إِلَّا

الفوزان

الخلائق فيقبل الله شفاعته، ويأتي سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده، قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢] وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

هذه شفاعته عليه الصلاة والسلام في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرف الله به النبي ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر فضله عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف العظيم.

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤).

رسلان

شَفَاعَةٌ أُخْرَى خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ: وَهِيَ شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه[1].

فَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ هُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَعَنْ أَنَسٍ فِيمَا رَوَى مُسْلِمٌ[2] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

فَهُوَ أَوَّلُ آخِذٍ بِحِلَقِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الشَّفِيعُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، أَيْ دُخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ دَاخِلٍ لِلْجَنَّةِ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ، فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ

الفوزان

التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية ١٠٠

الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة[1]، فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ، وهو أول من يدخلها[2]، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

رسلان

شَفَاعَةٌ ثَالِثَةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ : وَهِيَ شَفَاعَتُهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ مَنَازِلَهُمْ وَدَرَجَاتِهِمْ ، فَيَشْفَعُ فِي أُنَاسٍ فِي أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَرْفَعُهُمُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ .

وَالشَّفَاعَةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي مَرَّتْ ، وَهِيَ شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ فِي كَافِرٍ لَا لِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ ، وَلَا لِلْإِخْرَاجِ مِنَ النَّارِ ، سِوَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُشَفِّعُهُ فِي عَمِّهِ حَتَّى يَكُونَ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا .

الشَّفَاعَةُ الرَّابِعَةُ مُشْتَرَكَةٌ: وَهِيَ شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فِيمَنِ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ أَلَّا يَدْخُلَهَا ، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا ، وَهَذِهِ هِيَ مَحَطُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْفِرَقِ ، فَالْجَهْمِيَّةُ وَالْخَوَارِجُ وَأَضْرَابُهُمْ أَنْكَرُوهَا ، وَقَالُوا : مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَثْبَتُوهَا كَمَا جَاءَتْ وَاعْتَقَدُوهَا .

الفوزان

الشفاعة الثالثة : الخاصة بالنبي ﷺ : شفاعته لأهل الجنة بأن يرفع الله منازلهم ودرجاتهم ، فيشفع في أناس في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة ، فيرفعهم الله بشفاعته عليه الصلاة والسلام .

الشفاعة الرابعة : - وهي مشتركة - الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها ، وهذه هي محط الخلاف بين الفرق ؛ فالجهمية والخوارج وأضرابهم أنكروها وقالوا : من دخل النار لا يخرج منها ، وأهل السنة والجماعة أثبتوها كما جاءت واعتقدوها ، ويجب على

رسلان

وَعَلَى الْمُسْلِمِ مَعَ اعْتِقَادِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانِ بِهِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَ فِيهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ لِأَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى الشَّفَاعَةِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يَرْزُقَنَا شَفَاعَةَ نَبِيِّنَا ﷺ.

الشَّفَاعَةُ الْخَامِسَةُ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ: هِيَ شَفَاعَتُهُ -كَمَا مَرَّ- فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، قَدْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، كَمَا وَرَدَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١]، مَاتَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَهُ، وَمَاتَ عَلَيْهِ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْخَالِدِينَ فِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يُشَفِّعُ رَسُولَهُ ﷺ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ؛ لِيَكُونَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، مَعَ أَنَّهُ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا.

وَالشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ مُشْتَرَكَةٌ؛ الْمَلَائِكَةُ يَشْفَعُونَ،

وَالْأَنْبِيَاءُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطُ كَذَلِكَ يَشْفَعُونَ.

الفوزان

المسلم أن يعتقدها ويؤمن بها، وأن يسأل الله أن يشفع فيه نبيه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه بحاجة إليها.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبي ﷺ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك، قال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها. ولكن الله عز وجل يشفع رسوله عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، مع أنه أهون أهل النار عذابًا[٣].

والشفاعة في أهل الكبائر مشتركة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون[١]، والأفراط يشفعون لآبائهم.

رسلان

وَكَذَلِكَ الجِدَالُ فِي تَفْسِيرِ مَعَانِي القُرْآنِ، لَا نُفَسِّرُ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا، فَالقُرْآنُ لَا يُفَسَّرُ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ الَّتِي أُنْزِلَ بِهَا كِتَابُ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-.

فَلَا نَقُولُ فِيهِ بِعُقُولِنَا القَاصِرَةِ، وَإِنَّمَا يُفَسِّرُهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الَّذِي نَزَّلَهُ، أَوِ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي وُكِّلَ إِلَيْهِ بَيَانُهُ، أَوِ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ تَتَلْمَذُوا عَلَى يَدَيْ نَبِيِّنَا وَنَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوِ التَّابِعُونَ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْ تَلَامِيذِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ، أَوْ يُفَسَّرُ بِاللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا مَرَّ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.

أَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمَا يَقُولُهُ الطَّبِيبُ الفُلَانِيُّ، وَالمُفَكِّرُ الفُلَانِيُّ، وَالفَلَكِيُّ الفُلَانِيُّ، وَالجِيُولُوجِيُّ الفُلَانِيُّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ التَّفْسِيرُ العِلْمِيُّ، فَهَذَا كُلُّهُ خَلْطٌ فِي خَلْطٍ، وَخَبْطٌ فِي خَبْطٍ، وَالنَّظَرِيَّاتُ تَخْتَلِفُ!!

الفوزان

تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلابد أن يتصوره القائل به، وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارىٰ تتكلم بلا علم؛ فكان كلامهم متناقضًا، ولم يحصل لهم قول معقول. كذلك من تكلم في كلام الله تعالىٰ بلا علم كان كلامه متناقضًا، ولم يحصل له قول يعقل. ولهذا كان مما يشنع به علىٰ هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام؛ كلام الله وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد قال طائفة: إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية، أو مسمىٰ لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلىٰ قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعرًا نصرانيًا اسمه الأخطل...» انتهىٰ ملخصًا من «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٩٤- ٣٩٧).

* **قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:**

قوله: (لا نجادل في القرآن) يشمل عدم القول بأنه ليس من عند الله، كما يقوله الكفار، ويقولون: هو من عند محمد ﷺ.

{وكذلك الجدال في تفسير معاني القرآن، فلا نفسر القرآن من عند أنفسنا، فالقرآن لا يفسر إلا بما جاء في كتاب الله أو ما جاء في سنة رسول الله ﷺ أو ما قاله الصحابة أو ما قاله التابعون، أو ما اقتضته اللغة العربية التي نزل بها.

فلا نقول فيه بعقولنا القاصرة، إنما يفسره الله سبحانه الذي نزله، أو النبي عليه الصلاة والسلام الذي وكل إليه بيانه، أو الصحابة الذين تتلمذوا علىٰ المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، أو التابعون الذين رووا عن تلاميذ النبي ﷺ، أو باللغة التي نزل بها؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين. أما تفسيره بما يقوله الطبيب الفلاني أو المفكر الفلاني أو الفلكي الفلاني، فالنظريات تختلف|

رسلان

الْعَظِيمَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَذَا الْوَحْيُ الثَّانِي، وَهُوَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

نَشْهَدُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبَلَّغَهُ إِلَى نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ، وَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُمَّتِهِ، وَبَلَّغَتْهُ أُمَّتُهُ؛ كُلُّ جِيلٍ إِلَى الْجِيلِ الَّذِي بَعْدَهُ بِالتَّوَاتُرِ، نَكْتُبُهُ، وَنَقْرَؤُهُ، وَنَحْمِلُهُ -أَيْ: نَحْفَظُهُ- وَهُوَ بِذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ، مَا هُوَ بِكَلَامِنَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يُنْسَبُ إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا،

الفوزان

الجهال اليوم ويقولون: هذا من الإعجاز العلمي.

وقوله: (ونشهد أنه كلام رب العالمين) نشهد أن القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل من الله، وبلغه إلى النبي ﷺ، وبلغه محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمته، وبلغته أمته كل جيل إلى الجيل الذي بعده، نحن نكتبه ونقرؤه ونحفظه، وهو بذلك كلام الله ما هو بكلامنا، ولا كلام النبي ﷺ، ولا كلام جبريل عليه السلام.

رسلان

الرُّوحُ الأَمِينُ: جِبْرِيلُ؛ سُمِّيَ بِهَذَا لِأَنَّهُ مُؤْتَمَنٌ، لَا يُغَيِّرُ وَلَا يُبَدِّلُ، مُؤْتَمَنٌ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَا يُتَّهَمُ

بِالْخِيَانَةِ، كَمَا تَقُولُ الْيَهُودُ، يَقُولُونَ: جِبْرِيلُ عَدُوُّنَا، أَوْ كَمَا يَقُولُ الرَّوَافِضُ، يَقُولُونَ: الرِّسَالَةُ كَانَتْ لِعَلِيٍّ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ خَانَ، وَبَلَّغَهَا إِلَى مُحَمَّدٍ!!

وَمَا مَصْلَحَةُ جِبْرِيلَ فِي هَذَا؟!!

وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ أَمِينًا، وَلَكِنْ كَذَا يَقُولُونَ!!

الفوزان

[١٢٨] قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:

الروح الأمين هو جبريل، وسمي بهذا لأنه مؤتمن لا يغير ولا يبدل؛ مؤتمن على ما حمله الله، لا يتهم بالخيانة كما تقوله اليهود يقولون: جبريل عدونا. أو كما يقوله غلاة الشيعة: إن الرسالة لعلي ولكن جبريل خان وبلغها إلى محمد ﷺ. فهذا تكذيب لله؛ لأن الله سماه أمينًا.

رسلان

أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْيَهُودِ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٧].

ثُمَّ قَالَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨].

مَنْ عَادَى جِبْرِيلَ أَوْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّهُ، وَكَذَا مَنْ عَادَى رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

مَنْ عَادَى وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مُبَارِزٌ لِلَّهِ -تَعَالَى- بِالْمُحَارَبَةِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[1] مِنْ رِوَايَةِ

الفوزان

فأنزل الله في اليهود: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة:٩٧]، ثم قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

من عادى جبريل، أو ملكًا من الملائكة، فإن الله عدوه وكذا من عادى رسولاً من الرسل، فهو كافر، ومن عادى وليًّا من أولياء الله فإنه مبارز الله بالمحاربة، كما صح في الحديث[1].

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي=

رسلان

هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، فَهُوَ لِلَّهِ وَلِيٌّ.

جِبْرِيلُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ لِرَسُولِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: الآية ٥].

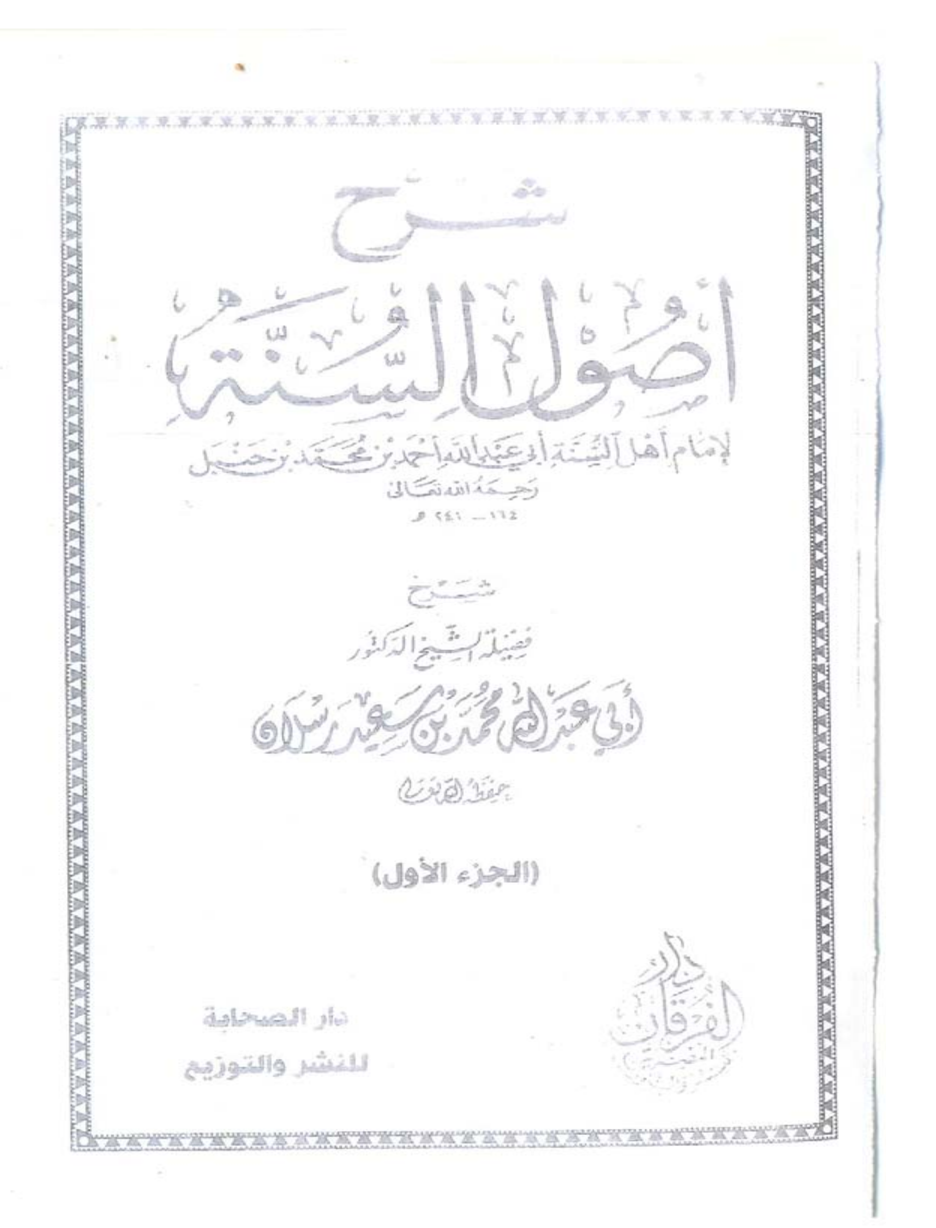
ضَمِيرُ الْمَفْعُولِ فِي: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾: رَاجِعٌ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ.

وَ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: هُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام.

فَعَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِهِ.

الفوزان

[فجبريل علمه للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٥] وضمير المفعول في (علمه) راجع إلى النبي ﷺ، وشديد القوى: جبريل عليه الصلاة والسلام، فعلم النبي ﷺ بأمر الله]



شرح
أصول السنة
لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
رحمه الله تعالى
١٦٤ - ٢٤١ هـ

شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

(الجزء الأول)

دار الصحابة
للنشر والتوزيع

دار الفرقان

جامع الدروس العقدية

في شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

شرح أصحاب الفضيلة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي — فيصل بن عبد العزيز آل مبارك

محمد بن خليل هراس — محمد بن صالح العثيمين

صالح بن فوزان الفوزان

وبهامشه تعليقات أصحاب السماحة

عبد العزيز بن محمد بن مانع — عبد العزيز بن عبد الله بن باز

إعداد
مركز العروة الوثقى

دار ابن حزم

رسلان

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ؟

فَالدَّلِيلُ هُوَ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١].

هَذَا تَعْرِيفُ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ. فَهَذَا قَوْلُ الْقَلْبِ.

أَمَّا عَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، فَدَلِيلُهُ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظِ السَّبْعِينَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

وَأَمَّا الْبُخَارِيُّ، فَقَدْ رَوَاهُ بِلَفْظِ السِّتِّينَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢].

فَهَذَا قَوْلُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُهُ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ.

وَأَمَّا الْحَيَاءُ، فَعَمَلُ قَلْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

وَهُوَ انْكِسَارٌ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ وَيَعْتَرِيهِ عِنْدَ وُجُودِ مَا يَسْتَلْزِمُ الْحَيَاءَ، فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، يَشْمَلُهَا كُلَّهَا شَرْعًا.

العثيمين

في شرح العقيدة الواسطية — ٧٣٥

وأما عمل الجوارح، فواضح، ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانًا شرعًا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان.

فإذا قال قائل: أين الدليل على أن الإيمان يشمل هذه الأشياء؟

قلنا: قال النبي ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[٥٧٧]: فهذا قول القلب: أما عمل القلب واللسان والجوارح، فدليله قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٥٧٨] فهذا قول اللسان وعمله وعمل الجوارح، والحياء عمل قلبي، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

فتبين بهذا أن الإيمان يشمل هذه الأشياء كلها شرعًا.

رسلان

الْإِيمَانُ يَشْمَلُ الْأُمُورَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ، وَقَوْلِهِ، وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَنُطْقِ اللِّسَانِ، يَشْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهَا، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُؤْمِنًا مَعَ تَخَلُّفِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ، لَكِنَّهُ يَنْقُصُ إِيمَانُهُ بِقَدْرِ مَا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ.

وَخَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي هَذَا طَائِفَتَانِ بِدْعِيَّتَانِ مُتَطَرِّفَتَانِ:

الطَّائِفَةُ الْأُولَى: الْمُرْجِئَةُ: يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِالْقَلْبِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ؛ لِأَنَّهُ إِقْرَارُ الْقَلْبِ، وَإِقْرَارُ الْقَلْبِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَالنَّاسُ فِيهِ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ، فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَالَّذِي يَعْصِي اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مَا دَامَتْ مَعْصِيَتُهُ لَا تُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

العثيمين

وشموله لهذه الأشياء الأربعة لا يعني أنه لا يتم إلا بها، بل قد يكون الإنسان مؤمنًا مع تخلف بعض الأعمال، لكنه ينقص إيمانه بقدر ما نقص من عمله

وخالف أهلَ السنة في هذا طائفتان بدعيتان متطرفتان:

الطائفة الأولى: المرجئة: يقولون: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب، وما عدا ذلك، فليس من الإيمان!

ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم؛ لأنه إقرار القلب، والناس فيه سواء، فالإنسان الذي يعبد الله آناء الليل والنهار كالذي يعصي الله آناء الليل والنهار عندهم، ما دامت معصيته لا تخرجه من الدين!

رسلان

هَذَا دِينُ الْمُرْجِئَةِ فَلَوْ وَجَدْنَا رَجُلًا يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَعْتَدِي عَلَى النَّاسِ، وَرَجُلًا آخَرُ مُتَّقِيًا لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بَعِيدًا عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَكَانَا عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ فِي الْإِيمَانِ وَالرَّجَاءِ سَوَاءً، كُلٌّ مِنْهُمَا لَا يُعَذَّبُ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ.

العثيمين

فلو وجدنا رجلًا يزني ويسرق ويشرب الخمر ويعتدي على الناس، ورجلًا آخر متقيًا لله بعيدًا عن هذه الأشياء كلها؛ لكانا عند المرجئة في الإيمان والرجاء سواء، كل منهما لا يعذب؛ لأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان.

---

(٥٧٧) سبق تخريجه.

(٥٧٨) أخرجه مُسْلِم (٣٥)، وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ.

رسلان

الخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا: إِنَّ الأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ، وَأَنَّهَا شَرْطٌ فِي بَقَائِهِ، وَأَنَّ الأَعْمَالَ شَرْطٌ فِي بَقَاءِ

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٧/ ٣٩٤).

الْإِيمَانِ، فَمَنْ فَعَلَ مَعْصِيَةً مِنَ الْكَبَائِرِ، خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ.

لَكِنَّ الْخَوَارِجَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَافِرٌ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: هُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

قَالُوا: فَلَا نَقُولُ مُؤْمِنٌ، وَلَا نَقُولُ كَافِرٌ، بَلْ نَقُولُ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْكُفْرِ، وَصَارَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ كَذَا يَقُول المُعْتَزِلَةُ: خَرَجَ مِنَ الإِيمانِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الكفرِ.

هَذِهِ أَقْوَالُ النَّاسِ فِي الْإِيمَانِ، فَاعْرِفْ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي

العثيمين

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة، قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وإنها شرط في بقائه، فمن فعل معصيته من الكبائر خرج من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: إنه كافر، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين منزلتين، فلا نقول: مؤمن، ولا نقول: كافر، بل نقول: خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين منزلتين.

هذه أقوال الناس في الإيمان.

أَسْبَابُ نَقْصِ الْإِيمَانِ

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْبَابٍ لِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَهُنَاكَ ضِدُّهَا مِنَ الْأَسْبَابِ أَرْبَعَةٌ أَيْضًا؛ هِيَ أَسْبَابُ نَقْصِ الْإِيمَانِ:

- **أَوَّلُ أَسْبَابِ نَقْصِ الْإِيمَانِ: الْإِعْرَاضُ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ** بِعَكْسِ مَا مَرَّ مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، فَمِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَالْإِعْرَاضُ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ أَسْبَابِ نَقْصِ الْإِيمَانِ.

- **وَالسَّبَبُ الثَّانِي مِنْ أَسْبَابِ نَقْصِ الْإِيمَانِ: الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ، وَالْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا يُوجِبُ الْغَفْلَةَ، وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ.**

- **وَالسَّبَبُ الثَّالِثُ مِنْ أَسْبَابِ نَقْصِ الْإِيمَانِ: قِلَّةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ**؛ يَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا مَرَّ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] عِنْدَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلنِّسَاءِ: **«مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»**.

العثيمين

أسباب نقص الإيمان أربعة:

الأول: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية، فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب.

الثالث: قلة العمل الصالح، ويدل لذلك قول النبي ﷺ في النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» قالوا: يا رسول الله، كيف

رسلان

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُقْصَانُ دِينِهَا؟

قَالَ : «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ، لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» .

فَلَمَّا قَلَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، نَقَصَ الدِّينُ، وَنَقَصَ الْإِيمَانُ وَقَلَّ، فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ صَحِيحٌ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، بَلْ قِلَّةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُؤَدِّي إِلَى نَقْصِ الْإِيمَانِ، «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» .

- السَّبَبُ الرَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِ نَقْصِ الْإِيمَانِ: فِعْلُ الْمَعَاصِي؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: الآية ١٤] .

العثيمين

نقصان دينها؟ قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟»[٥٨٠].

الرابع: فعل المعاصي؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭﴾ [المطففين: ١٤].

رسلان

خَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقَوْلِ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ طَائِفَتَانِ:

الطَّائِفَةُ الْأُولَى: الْمُرْجِئَةُ.

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

الطَّائِفَةُ الْأُولَى: وَهُمُ الْمُرْجِئَةُ؛ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَزِيدَ الْإِيمَانُ بِزِيَادَتِهَا، وَيَنْقُصَ الْإِيمَانُ بِنَقْصِهَا، فَالْإِيمَانُ هُوَ إِقْرَارُ الْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، كَمَا يَقُولُ الْمُرْجِئَةُ.

كَيْفَ تَرُدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ؟ كَيْفَ يُرَدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ الضُّلَّالِ؟

العثيمين

وخالف أهل السنة والجماعة في القول بالزيادة والنقصان طائفتان:

الطائفة الأولى: المرجئة، والطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة.

الطائفة الأولى: المرجئة قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الأعمال ليست من الإيمان، حتى يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها، فالإيمان هو إقرار القلب، والإقرار لا يزيد ولا ينقص.

رسلان

تَقُولُ:

أَوَّلًا: إِخْرَاجُكُمُ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ، وَيَكْفِي أَنْ تَنْظُرَ فِي قَوْلِ رَبِّكَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].

فَسَمَّى اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الصَّلَاةَ إِيمَانًا، وَهِيَ عَمَلُ جَوَارِحَ، وَعَقْدُ قَلْبٍ، وَنُطْقُ لِسَانٍ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ.

ثَانِيًا: تَقُولُ لَهُمْ: قَوْلُكُمْ إِنَّ الْإِقْرَارَ بِالْقَلْبِ لَا يَخْتَلِفُ زِيَادَةً وَنَقْصًا، هَذَا كَلَامٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِقْرَارَ لَا يَخْتَلِفُ زِيَادَةً وَنَقْصًا، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلِ الْإِقْرَارُ بِالْقَلْبِ يَتَفَاضَلُ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ إِيمَانِي كَإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى وَيَقُولَ: إِنَّ إِيمَانِي كَإِيمَانِ الرَّسُولِ ﷺ.

العثيمين

ونحن نرد عليهم فنقول:

أولًا: إخراجكم الأعمال من الإيمان ليس بصحيح؛ فإن الأعمال داخلة في الإيمان، وقد سبق ذكر الدليل.

(٥٨٠) سبق تخريجه.

ثانيًا: قولكم: إن الإقرار بالقلب لا يختلف زيادة ونقصًا: ليس بصحيح، بل الإقرار بالقلب يتفاضل، فلا يمكن لأحد أن يقول: إن إيماني كإيمان أبي بكر، بل يتعدى ويقول: إن إيماني كإيمان الرسول عليه الصلاة والسلام.

رسلان

وَتَقُولُ أَيْضًا لِلْمُرْجِئَةِ: إِنَّ الْإِقْرَارَ بِالْقَلْبِ يَقْبَلُ التَّفَاضُلَ، فَإِقْرَارُ الْقَلْبِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ لَيْسَ كَإِقْرَارِهِ بِخَبَرِ اثْنَيْنِ، وَإِقْرَارُهُ بِمَا سَمِعَ لَيْسَ كَإِقْرَارِهِ بِمَا شَاهَدَ، هَذَا أَمْرٌ بَدَهِيٌّ، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُنْكِرَهُ، يَعْنِي أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]؟!

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْكَائِنَ فِي الْقَلْبِ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ، هُوَ مُوقِنٌ بِأَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

العثيمين

ثم نقول: إن الإقرار بالقلب يقبل التفاضل، فإقرار القلب بخبر الواحد ليس كإقراره بخبر اثنين وإقراره بما سمع ليس كإقراره بما شاهد، ألم تسمعوا قول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠]، فهذا دليل على أن الإيمان الكائن في القلب يقبل الزيادة والنقص.

مَرْكُوزَةٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِذَلِكَ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ دَرَجَاتِ الْيَقِينِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

هِيَ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧]، فَذَكَرَ عِلْمَ الْيَقِينِ، وَذَكَرَ عَيْنَ الْيَقِينِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١] كَمَا فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ.

ولهذا قسم العلماء درجات اليقين ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر:٥-٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة:٥١].

وَلَا تَنْقُصُ، بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ مُرَكَّبَةٌ تَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَتَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ الْمُخَالِفَةُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: هُمْ طَائِفَةُ الْوَعِيدِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُرْجِئَةَ ذَهَبُوا إِلَى نُصُوصِ الْوَعْدِ، فَغَلَّبُوا جَانِبَ الْوَعْدِ عَلَى جَانِبِ الْوَعِيدِ، وَأَمَّا الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، فَإِنَّهُمْ غَلَّبُوا جَانِبَ الْوَعِيدِ عَلَى جَانِبِ الْوَعْدِ؛ فَقِيلَ لَهُمْ: الْوَعِيدِيَّةُ، وَهُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ سُمُّوا وَعِيدِيَّةً؛ لِأَنَّهُمْ يُغَلِّبُونَ نُصُوصَ الْوَعِيدِ عَلَى نُصُوصِ الْوَعْدِ، وَيُخْرِجُونَ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْإِيمَانِ، الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ يُخْرِجُونَ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْإِيمَانِ.

الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ دَاخِلٌ فِي الْكُفْرِ، فَيُكَفِّرُونَهُ قَوْلًا وَاحِدًا، وَإِذَا مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ النَّارَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.

وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ، غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْكُفْرِ، بَلْ هُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهَذَا مِنِ اخْتِرَاعَاتِهِمْ.

العثيمين

الطائفة الثانية: المخالفة لأهل السنة طائفة الوعيدية، وهم الخوارج والمعتزلة، وسموا وعيدية؛ لأنهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد؛ أي: يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد، فيخرجون فاعل الكبيرة من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: إنه خارج من الإيمان داخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: خارج من الإيمان غير داخل في الكفر، بل هو في منزلة بين منزلتين.

رسلان

الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ، كَمَا مَرَّ.

أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ.

وَأَهْلُ الْقِبْلَةِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَوْ كَانُوا عُصَاةً؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ قِبْلَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ الْكَعْبَةُ.

الْمُسْلِمُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُكَفَّرُ بِمُطْلَقِ الْكَبَائِرِ؛ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي.

الْمَعَاصِي مِنْهَا مَا يَكُونُ كُفْرًا، وَأَمَّا مُطْلَقُ الْمَعْصِيَةِ، فَلَا يَكُونُ كُفْرًا.

الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْءِ الْمُطْلَقِ، وَمُطْلَقِ الشَّيْءِ:

هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الشَّيْءِ الْمُطْلَقِ، وَمُطْلَقِ الشَّيْءِ:

الشَّيْءُ الْمُطْلَقُ: يَعْنِي الْكَمَالَ، وَأَمَّا مُطْلَقُ الشَّيْءِ، فَيَعْنِي أَصْلَ الشَّيْءِ.

العثيمين

ومناقشة هاتين الطائفتين المرجئة والوعيدية في الكتب المطولات.

❑ قوله: «وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ...»:

● أي مع قولهم: إن الإيمان قول وعمل.

«لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ». أهل القبلة هم المسلمون، وإن كانوا عصاة؛ لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة.

فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر.

وتأمل قول المؤلف: «بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي»: ولم يقل: بالمعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي منها ما يكون كفرًا، وأما مطلق المعصية؛ فلا يكون كفرًا.

والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء: أن الشيء المطلق؛ يعني: الكمال، ومطلق الشيء؛ يعني: أصل الشيء.

الباب السابع

السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب نواقض الإسلام)

وصف السرقة

❁ عمد محمد سعيد رسلان إلى كتابين في سرقة هذا الكتاب وهما:

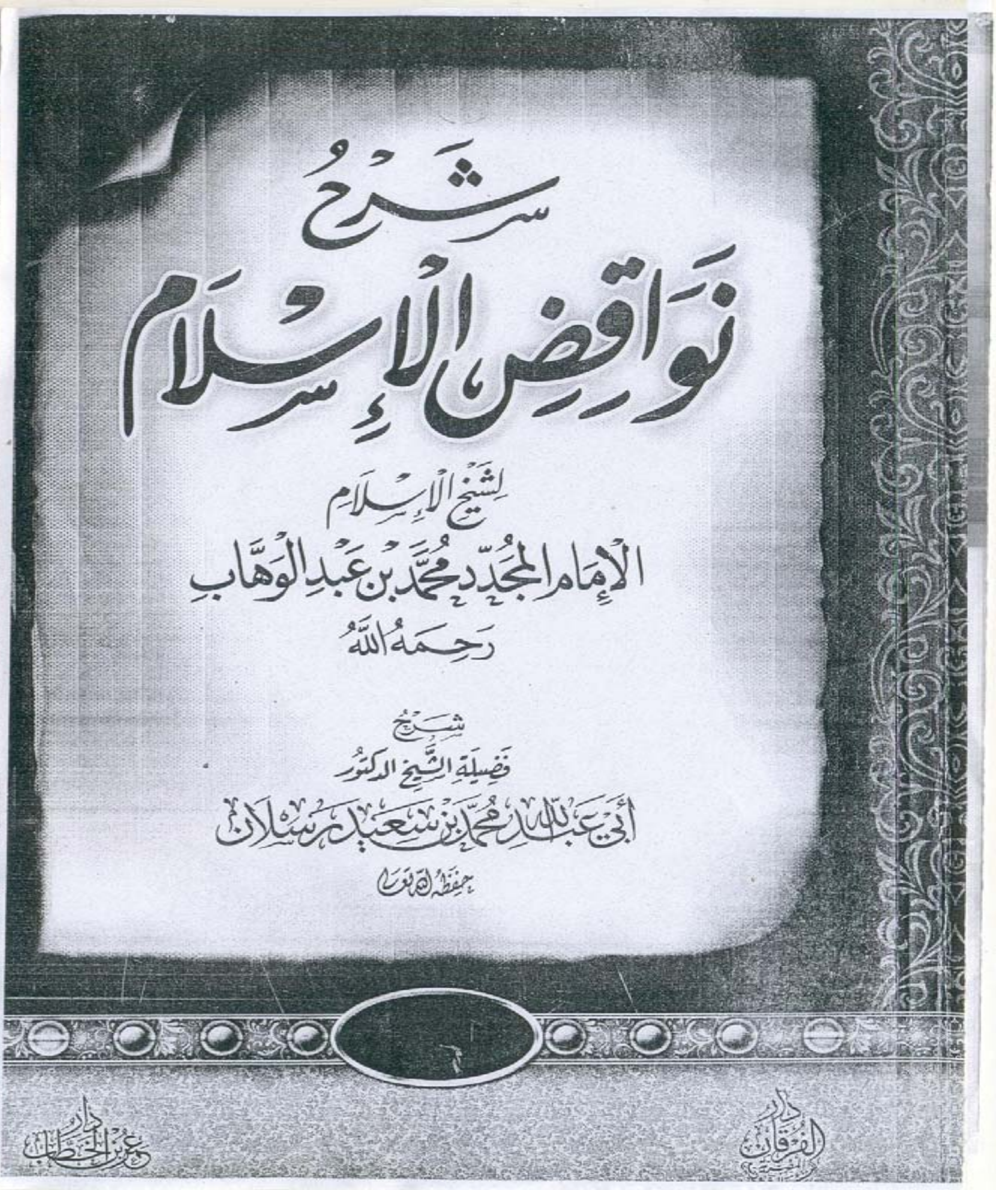
١-كتاب (شرح نواقض الإسلام) لناصر العدني وقد سرق منه مجمل كتابه بأصله وحواشيه ومراجعه بأرقامها ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط.

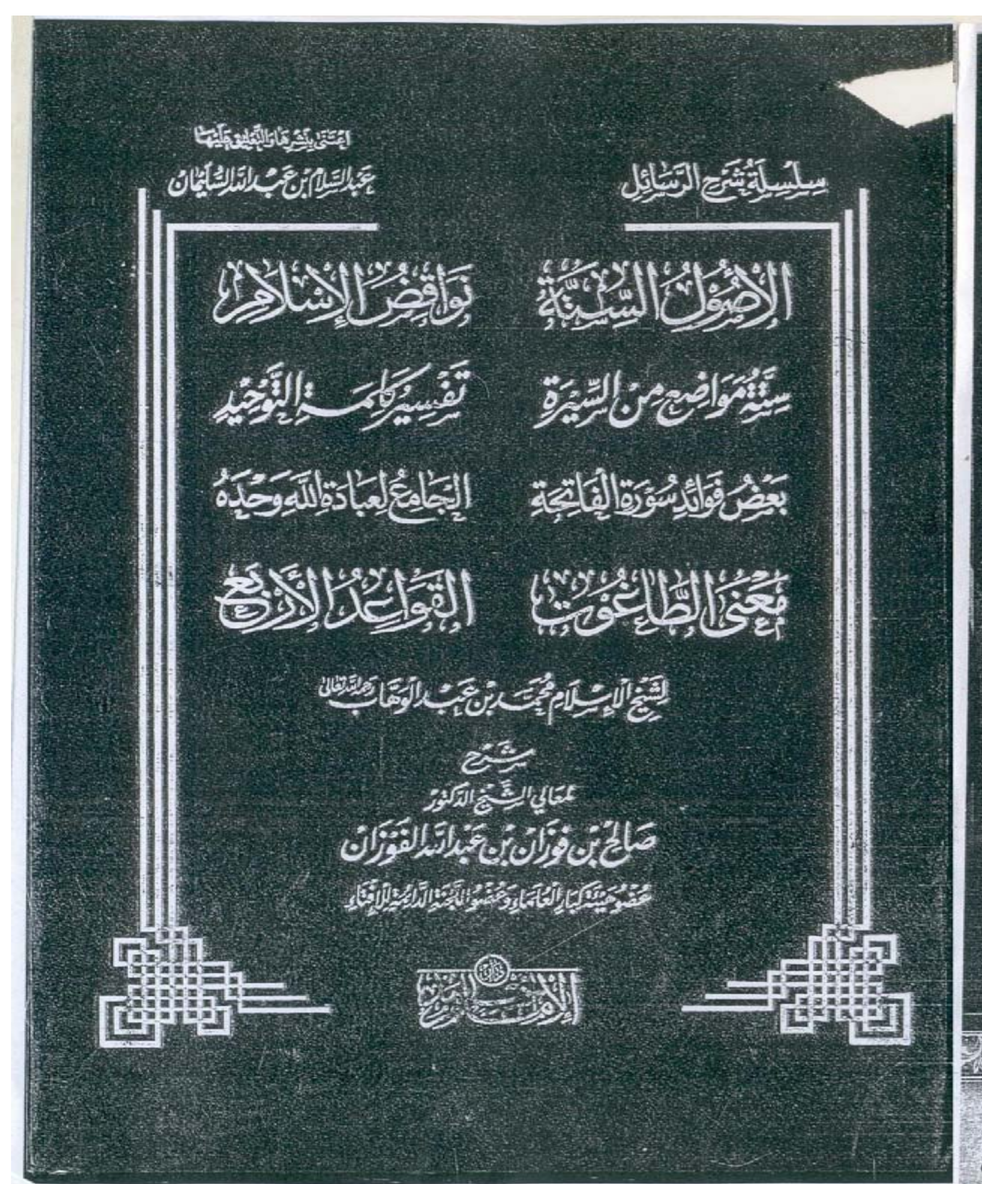
٢- كتاب (شرح نواقض الإسلام) للشيخ الفوزان وقد سرق من الشيخ الفوزان جل كتابه ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط .

❁ قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وزيادة بعض النقولات وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.

❁ مما يدل على السرقة أنه قد سرق الحوشي والمراجع بأرقامها وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) و(عمر بن الخطاب).


شرح
نواقض الإسلام
لشيخ الإسلام
الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله
دار الفرقان
دار عمر بن الخطاب


سلسلة شرح الرسائل
اعتنى بشرحها والتعليق عليها
عبد السلام بن عبد الله السليمان
نواقض الإسلام
الأصول الستة
تفسير كلمة التوحيد
ستة مواضع من السيرة
الجامع لعبادة الله وحده
بعض فوائد سورة الفاتحة
القواعد الأربع
معنى الطاغوت
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
شرح
معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

شَرْحُ رِسَالَةِ

نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

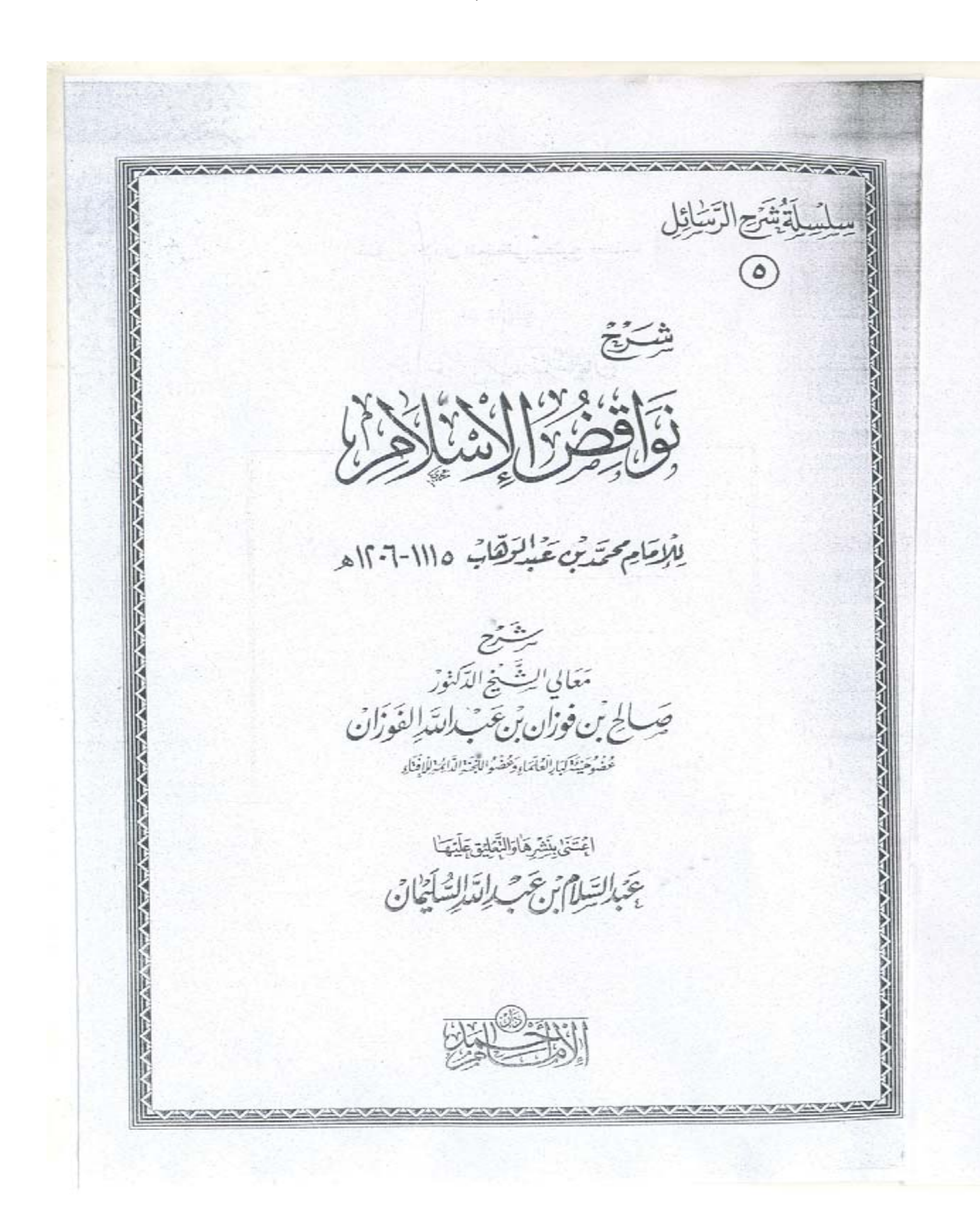
لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

الناشر

دَارُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



سلسلة شرح الرسائل

(٥)

شرح

نواقض الإسلام

للإمام محمد بن عبد الوهاب ١١١٥-١٢٠٦هـ

شرح

معالي الشيخ الدكتور

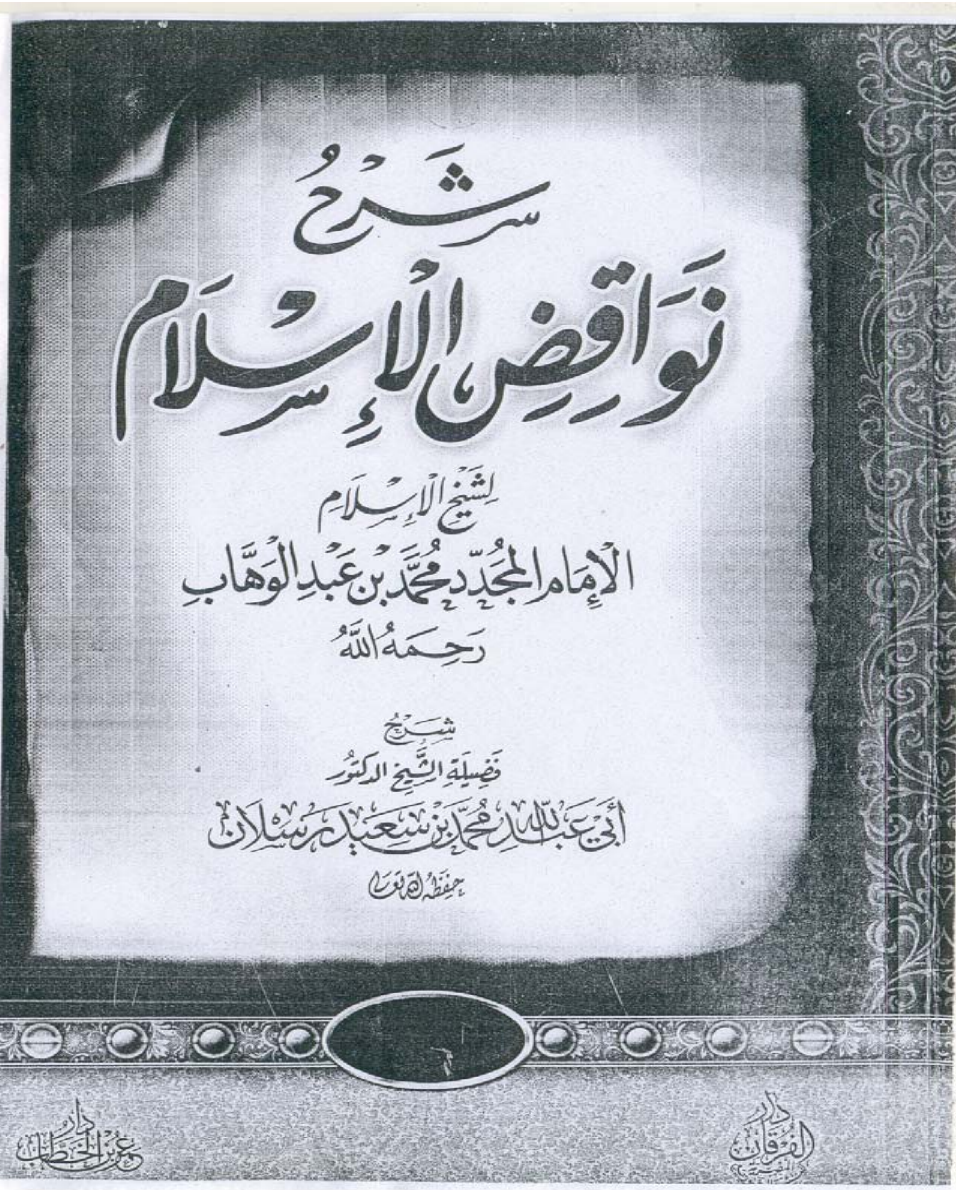
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

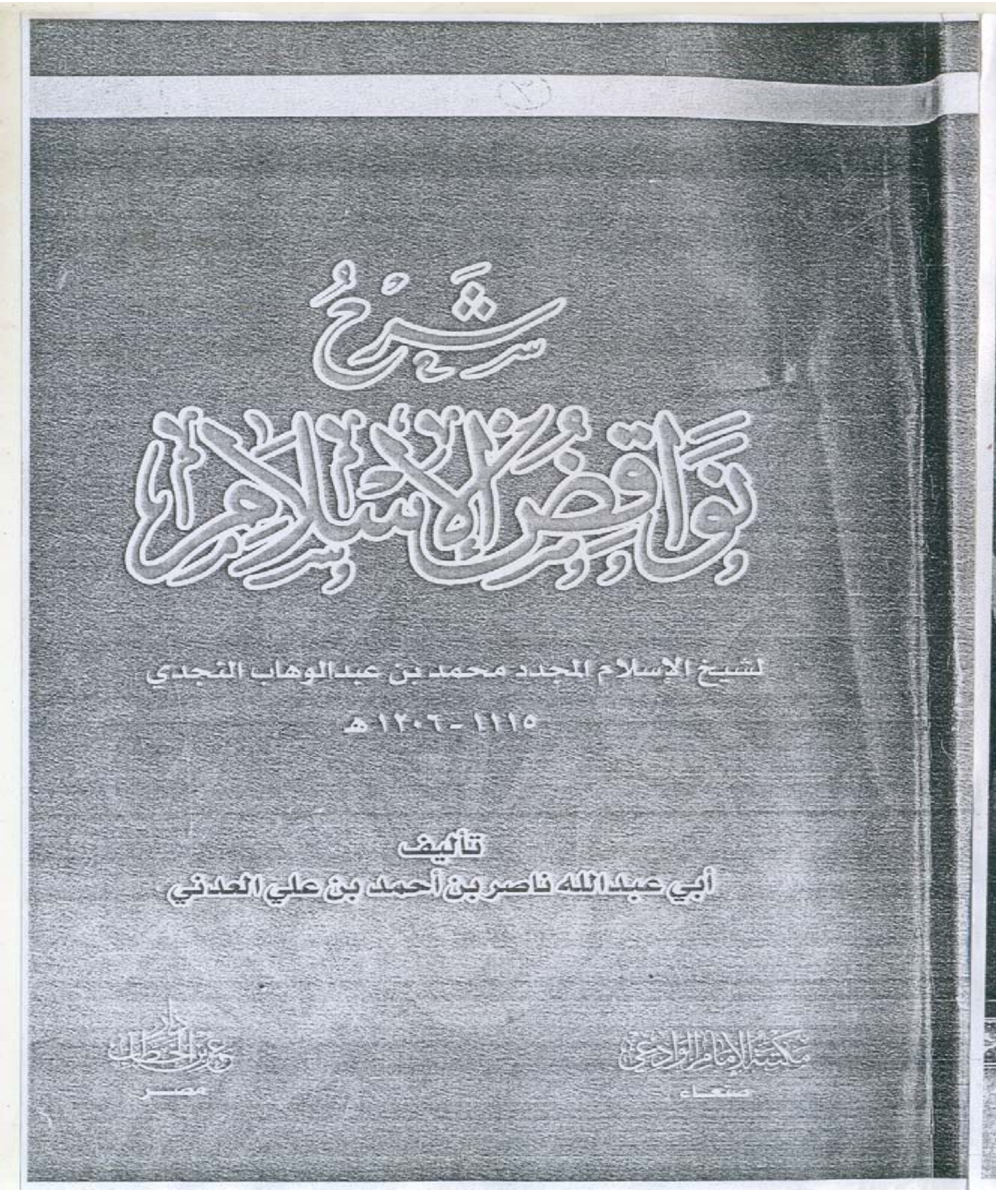
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

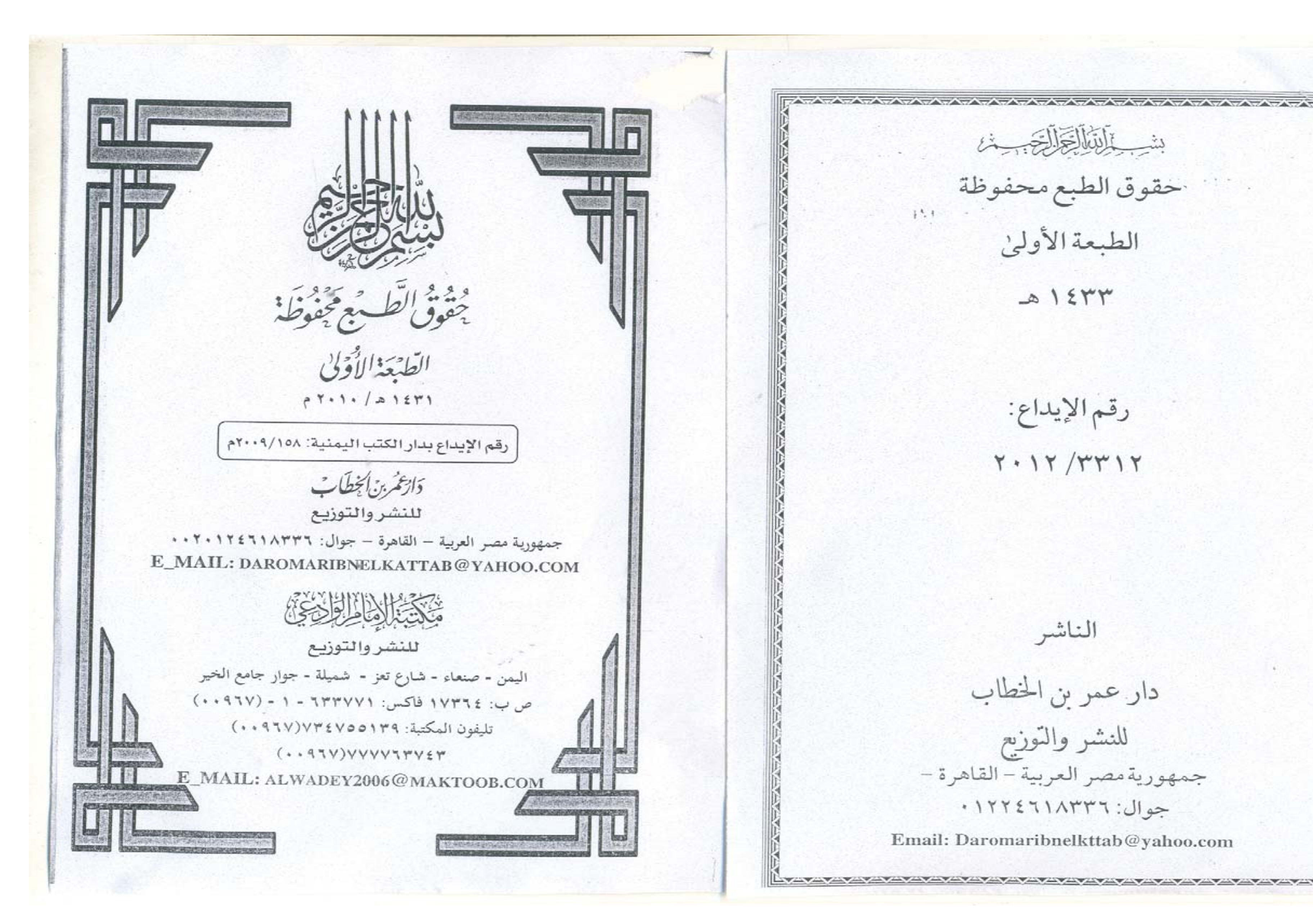
اعتنى بنشرها والتعليق عليها

عبد السلام بن عبد الله السليمان

دار الإمام أحمد


شرح
نواقض الإسلام
لشيخ الإسلام
الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله
دار الفرقان
دار عمر بن الخطاب


شرح
نواقض الإسلام
لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب النجدي
١١١٥ - ١٢٠٦هـ
تأليف
أبي عبدالله ناصر بن أحمد بن علي العدني
مكتبة الإمام الوادعي
صنعاء
دار عمر بن الخطاب
مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م
رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: ١٥٨/ ٢٠٠٩م
دار عمر بن الخطاب
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة - جوال: ٠٠٢٠١٢٢٤٦١٨٣٣٦
E_MAIL: DAROMARIBNELKATTAB@YAHOO.COM
مكتبة الإمام الوادعي
للنشر والتوزيع
اليمن - صنعاء - شارع تعز - شميلة - جوار جامع الخير
ص ب: ١٧٣٦٤ فاكس: ٦٣٣٧٧١ - ١ - (٠٠٩٦٧)
تليفون المكتبة: ٧٣٤٧٥٥١٣٩(٠٠٩٦٧)
(٠٠٩٦٧)٧٧٧٧٦٣٧٤٣
E_MAIL: ALWADEY2006@MAKTOOB.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ
رقم الإيداع:
٣٣١٢/ ٢٠١٢
الناشر
دار عمر بن الخطاب
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة -
جوال: ٠١٢٢٤٦١٨٣٣٦
Email: Daromaribnelkttab@yahoo.com


شرح نواقض الإسلام — العدني — ٦

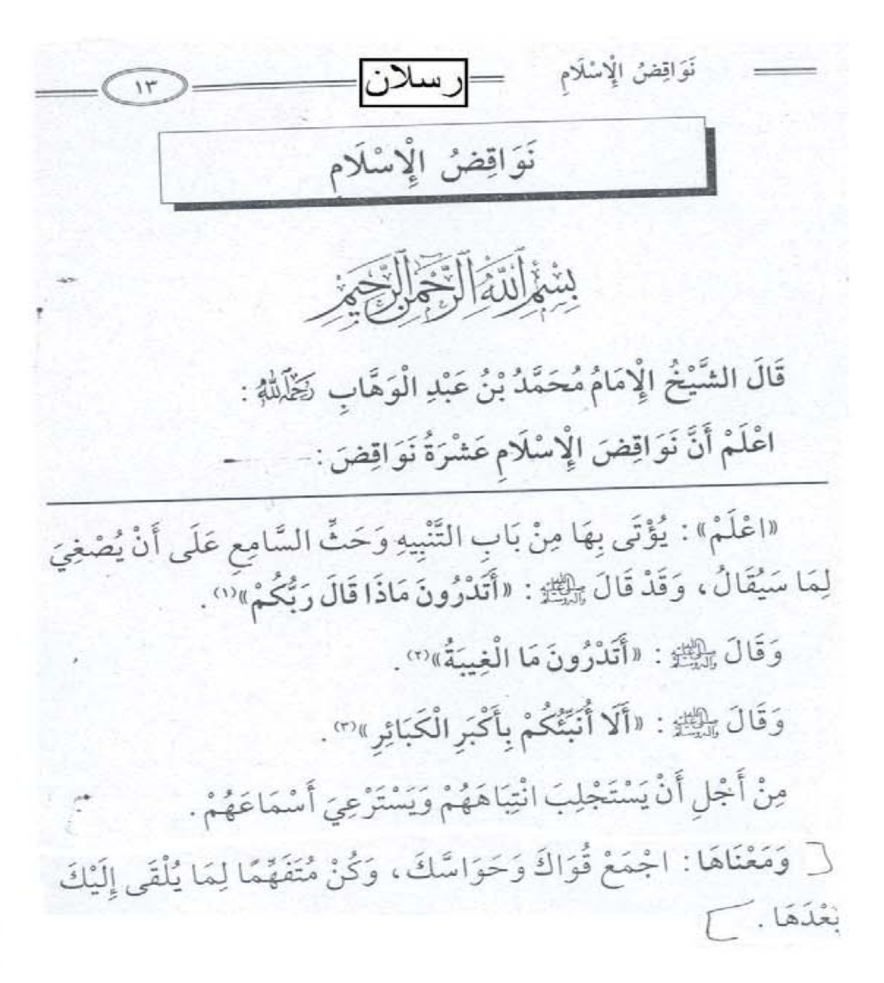
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قوله:«اعلم»:

هذه الكلمة يؤتى بها عند ذكر الشيء الذي له أهمية وينبغي أن يصغي إليه المستمع ويتفهم ما يلقى إليه.

ومعناها: إجمع قواك وحواسك وكن متفهمًا لما يلقى إليك بعدها. اهـ راجع «التعليقات على كشف الشبهات» للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٩-٢٠)


نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ — رسلان — ١٣

نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشْرَةُ نَوَاقِضَ:

«اعْلَمْ»: يُؤْتَى بِهَا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ وَحَثِّ السَّامِعِ عَلَى أَنْ يُصْغِيَ لِمَا سَيُقَالُ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ»(٣).

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَجْلِبَ انْتِبَاهَهُمْ وَيَسْتَرْعِيَ أَسْمَاعَهُمْ.

وَمَعْنَاهَا: اجْمَعْ قُوَاكَ وَحَوَاسَّكَ، وَكُنْ مُتَفَهِّمًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ بَعْدَهَا.

رسلان

النَّوَاقِضُ: جَمْعُ نَاقِضٍ، وَهِيَ الْمُبْطِلَاتُ؛ مِثْلُ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ، أَيْ مُبْطِلَاتِهِ، تُسَمَّى بِالنَّوَاقِضِ.

وَنَاقِضُ الشَّيْءِ: مُبْطِلُهُ وَمُفْسِدُهُ.

وَالنَّقْضُ فِي اللُّغَةِ: إِفْسَادُ الشَّيْءِ بَعْدَ إِحْكَامِهِ، يُقَالُ: نَقَضَ الْبِنَاءَ: إِذَا هَدَمَهُ، وَنَقَضَ الْحَبْلَ وَالْغَزْلَ: إِذَا حَلَّ طَاقَاتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: الآية ٩٢][1].

وَالنَّقْضُ هُوَ: «إِفْسَادُ مَا أَبْرَمْتَ مِنْ عَقْدٍ أَوْ بِنَاءٍ، وَيَعْنِي نَقْضَ الْبِنَاءِ وَالْحَبْلِ، وَالْعَهْدِ»[2].

وَنَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ قَدْ تَكُونُ فِعْلِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ عَقَدِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ عَمَلِيَّةً.

«فَالْكُفْرُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ، وَالْفِعْلِ، وَالتَّرْكِ، وَالِاعْتِقَادِ، وَالشَّكِّ، كَمَا قَامَتْ عَلَى ذَلِكَ الدَّلَائِلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»[3].

«وَالنَّوَاقِضُ الْقَوْلِيَّةُ: كَسَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِاللَّهِ،

(١) «المعجم الوسيط» (٩٨٧).
(٢) «لسان العرب»، مادة (ن ق ض).
(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٠٢١٢).

الفوزان

(أن نواقض الإسلام عشرة) النواقض: جمع ناقض، وهي المُبطلات، مثل نواقض الوضوء، أي: مبطلاته، تسمى بالنواقض، وتسمى بأسباب الردة أو أنواع الردة، ومعرفتها مهمة جدًا للمسلم من أجل أن يتجنبها ويحذر منها؛ لأن

العدني

قوله: «نواقض»:

النقض في اللغة: هو إفساد الشيء بعد إحكامه، يقال: نقض البناء إذا هدمه، ونقض الحبل والغزل إذا حلَّ طاقاته، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل:٩٢]. اهـ «المعجم الوسيط» (٩٨٧)

تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله؛ حسدًا أو كبرًا، أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة. اهـ.

ونواقض الإسلام قد تكون فعلية، وقد تكون إعتقادية وقد تكون عملية: جاء في فتاوى اللجنة (٢٠٢١٢): إن الكفر يكون بالقول والفعل والترك والاعتقاد والشك كما قامت على ذلك الدلائل من الكتاب والسنة. اهـ.

النوع الأول: نواقض قولية، كَسَبِّ الله ورسوله، والاستهزاء بالله وآياته

نَوَاقِضُ الإِسْلامِ ١٥

رسلان

وَآيَاتِهِ، وَرَسُولِهِ.

وَالنَّوَاقِضُ الاعْتِقَادِيَّةُ: كَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا لِهَذَا الْكَوْنِ، وَكَمَثَلِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

وَالنَّوَاقِضُ الْعَمَلِيَّةُ: كَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوِ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ»[1].

وَنَوَاقِضُ الإِسْلَامِ -وَتُسَمَّى بِأَسْبَابِ الرِّدَّةِ، أَوْ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ- مَعْرِفَتُهَا مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ؛ لِيَجْتَنِبَهَا الْمُسْلِمُ، وَيَحْذَرَ الْوُقُوعَ فِيهَا.

وَالرِّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ: الرُّجُوعُ عَنْهُ، مِنَ: ارْتَدَّ، إِذَا رَجَعَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٧].

وَهَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ ممن

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة»، رقم (٧١٥٠).

العدني

ورسوله.

النوع الثاني: نواقض اعتقادية: كمن يعتقد أن مع الله خالقًا ومدبرًا لهذا الكون، وكمثل المنافقين الذين يبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام.

النوع الثالث: نواقض عملية: كالذبح لغير الله أو السجود لغير الله. اهـ

«الدرر السنية» (١٠/ ٨٧و ٨٨) و«فتاوى اللجنة» رقم (٧١٥٠).

سلسلة شرح الرسائل ٦

الفوزان

المُسلم إذا لَمْ يعرفها فإنه يُخشى أن يقع في شيء منها، وهي من الخُطورة والأهمية بِمكان؛ لأنها نواقض الإسلام ومبطلاته، ومعرفة أسباب الردة عن الإسلام مهمة جدًا.

والردة عن الإسلام: معناها الرجوع عن الإسلام، مِنْ: ارتد، إذا رجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن

دِينِهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧] ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧] ، وَلَمْ يَتُبْ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَيَرْجِعْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَدْ ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧] ؛ أَيْ: بَطَلَتْ، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: الآية ٢٥] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٤] .

﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [المَائدة: الآية ٥٤] : يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ.

وَفِي الْآيَاتِ تَحْذِيرٌ مِنَ الرِّدَّةِ، وَوَعِيدٌ عَلَيْهَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢).

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا تحذير شديد من الله للمؤمنين، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ولم يتب قبل الموت ويرجع إلى الإسلام، فقد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ يرجع عن دينه، ففي هذه الآيات التحذير من الردة والوعيدُ عليها.

وأما الأحاديث:

فقد قال ﷺ: «**لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: الثيبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه -هذا هو الشاهد- المُفارق للجماعة**»(١)، وقال ﷺ: «**من بدَّلَ دينه**

فَإِنْ كَانَ الْمُرْتَدُّونَ جَمَاعَةً ذَوِي شَوْكَةٍ، فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ؛ كَمَا قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه الْمُرْتَدِّينَ، حَتَّى أَخْضَعَهُمْ لِلإِسْلَامِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ عَلَى رِدَّتِهِ، وَتَابَ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ.

وَإِنْ كَانَ الْمُرْتَدُّ وَاحِدًا، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ وَيُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَ الْكَافِرِ الأَصْلِيِّ؛ لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ عَرَفَ الْحَقَّ، وَدَخَلَ فِي دِينِ اللَّهِ بِاخْتِيَارِهِ وَطَوْعِهِ، وَاعْتَرَفَ أَنَّ الإِسْلَامَ هُوَ الْحَقُّ، فَإِذَا ارْتَدَّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ حِمَايَةً لِلْعَقِيدَةِ، وَهَذَا مِنْ حِفْظِ الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ وَأَوَّلُهَا الدِّينُ؛ فَلَا يُتْرَكُ الدِّينُ أُلْعُوبَةً لِمَنْ يُسْلِمُ ثُمَّ يَرْتَدُّ، بَلْ يُقْتَلُ حِمَايَةً لِلدِّينِ مِنَ التَّلَاعُبِ بِهِ.

وَمِنَ الْمُرْتَدِّينَ مَنْ يُقْتَلُ بِدُونِ اسْتِتَابَةٍ، وَهُوَ مَنْ تَغَلَّظَتْ رِدَّتُهُ؛ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ حِمَايَةً لِلدِّينِ، وَحِمَايَةً لِأُولَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ الَّتِي جَاءَ الإِسْلَامُ بِحِفْظِهَا.

وَالْمُرْتَدُّ: هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ:

- إِمَّا لِاعْتِقَادٍ بِقَلْبِهِ.
- أَوْ شَكٍّ يَحْصُلُ لَهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ.
- أَوْ فِعْلٍ: كَأَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَنْذِرَ لِغَيْرِ اللَّهِ، هَذَا فِعْلٌ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدِ ارْتَدَّ.

الفوزان

فاقتلوه»[٢]، فإن كان الْمُرتدون جماعة لَهم شوكة فإنهم يُقاتلون كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الْمُرتدين، حَتَّى أخضعهم للإسلام، وقُتل من قُتل منهم على رَدته، وتاب من تاب منهم، فقاتلهم رضي الله عنه مُحققًا بذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

وإن كان الْمُرتد شخصًا واحدًا فإنه يؤخذ ويُستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وليس هو مثل الكافر الأصلي؛ لأن الْمُرتد عرف الحق، ودخل فِي دين اللَّه باختياره وطوعه، واعترف أن الإسلام هو الْحَق، فإذا ارتد فهذا تلاعب منه بالدين؛ لأنه عرف الحق ودخل فيه، فإذا ارتد فإنه يُقتل حماية للعقيدة، وهذا من حفظ الضروريات الخمس أولُها الدين، فلا يُترك الدين ألعوبة لِمن يسلِم ثُمَّ يرتد، بل يُقتل حماية للعقيدة من التلاعب، ومن الْمُرتدين من يُقتل بدون استتابة، وهو من تغلظت ردته، فإنه يُقتل ولا يُستتاب حماية للدين، وحماية لأول الضروريات الخمس الَّتِي جاء الإسلام بحفظها.

قالوا: والْمُرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، إما لاعتقاد بقلبه، أو شك يَحصل له فِي أمور الدين، أو فعلٍ: كأن يَسجد لغير اللَّه، أو يذبح لغير اللَّه، أو ينذر لغير اللَّه، هذا فِعْلٌ مَنْ

رسلان

١٨ نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ

- أَوْ قَوْلٍ: بِأَنْ يَتَكَلَّمَ بِسَبِّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ سَبِّ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ سَبِّ دِينِ الإِسْلَامِ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٥-٦٦].

فَهَذِهِ النَّوَاقِضُ الْعَشْرَةُ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كَوْنِهَا نَاقِضَةً لِلإِسْلَامِ

١٩ نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ

بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ نَاقِضٍ، لَكِنَّ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ هُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ؛ يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ»[١].

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ نَفْسُهُ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا لِأَجْلِ شُهْرَتِهَا، وَكَثْرَةِ وُقُوعِ النَّاسِ فِيهَا[٢].

(١) «الدرر السنية» (٢/ ٢٦٠).
(٢) «الدرر السنية» (١٠/ ٨٤).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٦)

الفوزان

فعَلَه فقد ارتد، أو قول: بأن يتكلم بسبِّ اللَّه تعالى أو سب الرسول ﷺ، أو سب دين الإسلام: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

العدني

٨ شرح نواقض الإسلام

الوجه الأول: أن هذه النواقض العشرة هي التي قد اتفق عليها العلماء، فلم يختلفوا في كونها تناقض الإسلام بالكلية؛ ولهذا اقتصر عليها الشيخ، قال الشيخ سليمان بن سحمان، كما في «الدرر السنية» (٢/ ٢٦٠): قد ذكر أهل العلم نواقض الإسلام وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمائة ناقض، لكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام -أي: محمد بن عبد الوهاب-. اهـ

الوجه الثاني: إنما كان اقتصار الشيخ عليها؛ لأجل شهرتها، وكثرة وقوع الناس فيها، وهذا هو الذي ذكره الشيخ المؤلف نفسه، كما في «الدرر السنية» (١٠/ ٨٤، ٨٥) والله أعلم.

رسلان

وَالشِّرْكُ أَخْطَرُ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِن أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ كَالدُّعَاءِ، أَوِ الذَّبْحِ، أَوْ بِالِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

وَقَدْ بَدَأَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ذِكْرَ النَّوَاقِضِ بِالشِّرْكِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٤٨]، وَذَكَرَ تَعَالَى قَوْلَ لُقْمَانَ فِي مَوْعِظَتِهِ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ..»[1]. الْحَدِيثَ.

وَلِأَنَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ -ثَلَاثًا- الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ وَقَوْلُ الزُّورِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

الفوزان

فالشرك هو أخطر أنواع الردة، وهو أن يعبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادات: بالدعاء، بالذبح، بالنذر، بالاستغاثة، بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، يدعو الْمَوتى، يستغيث بالقبور، يستنجد بالأموات، هذا هو أخطر أنواع الردة وأعظمها، وهذا عليه كثير مِمَّن يدَّعون الإسلام، يبنون

العدني

الناقض الأول

(الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له)، والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] ومنه: الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن والقباب. اهـ.

الكلام على هذا الناقض سيكون إن شاء الله تعالى في عدة مسائل:

المسألة الأولى:

كون المؤلف رحمه الله تعالى بدأ بالشرك عن سائر النواقض؛ وذلك لعدة أمور:

١- أن الشرك أعظم ذنب عُصي الله به، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] وقال تعالى عن لقمان في موعظته لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك».

٢- أنه أكبر الكبائر: دليله: ما رواه الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «ألا أ نبئكم بأكبر الكبائر؟»، قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...». الحديث.

مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ [1].

وَلِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٤٨].

وَلِأَنَّهُ مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ مُشْرِكًا خُلِّدَ فِي النَّارِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: الآية ٧٢].

وَلِأَنَّ الْمُشْرِكَ شِرْكًا أَكْبَرَ تَحْبَطُ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٨].

العدني

٣- أن الشرك يحبط جميع الأعمال: إن كان أكبر لقوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

٤- أن الشرك لا يغفره الله عز وجل إلا بالتوبة قبل الموت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

٨- أن المشرك شركًا أكبر تحرم عليه الجنة، ويخلد في النار إن مات على شركه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

رسلان

وَلأَنَّ الْمُشْرِكَ يُحِلُّ شِرْكُهُ دَمَهُ وَمَالَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: الآية ٥].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»**[1].

وَلأَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلٌ حَتَّى يَدَعَ شِرْكَهُ، وَيُسْلِمَ لِرَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٣- ٥٤].

العدني

٥- أن المشرك حلال الدم والمال؛ لقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥]، ولقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) فمن قال: (لا إله إلا الله) فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله». رواه مسلم برقم (١٢٤)، والبخاري برقم (١٣٩٩)، عن ابن مسعود رضيَّ الله عنه.

وجاء عند «البخاري» و«مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة...» وجاء عن غيره.

٩- أن المشرك لا يقبل له عمل عند الله حتى يدع شركه، ويدخل في الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٣-٥٤].

رسلان

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْأَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَكِنْ يُنْقِصُ التَّوْحِيدَ.

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ، وَالْأَصْغَرُ لَا يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ إِنْ دَخَلَهَا.

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُحْبِطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يُحْبِطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّمَا يُحْبِطُ الرِّيَاءُ وَالْعَمَلُ لِأَجْلِ الدُّنْيَا الْعَمَلَ الَّذِي خَالَطَاهُ فَقَطْ.

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُبِيحُ الدَّمَ وَالْمَالَ، وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يُبِيحُهُمَا.

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ.

وَالشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يَقَعُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ الْمُعْطِيَ أَوِ الْمَانِعَ أَوِ الضَّارَّ أَوِ النَّافِعَ، أَوِ الْمُعِزَّ أَوِ الْمُذِلَّ غَيْرُ اللَّهِ، أَوْ هُوَ مَعَ اللَّهِ كَذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ[1].

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٩٢).

العدني

❁ المسألة الخامسة: الفرق بين النوعين: ذكر العلماء بينهما فروقًا، منها:

أ- أن الشرك الأكبر يخرج عن الملة، أما الأصغر فلا يخرج عن الملة.

ب- الأكبر يحبط جميع الأعمال،-أما الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي التبس به الشرك.

ج- الأكبر يحلّ المال والنفس، الأصغر لا يحل النفس ولا المال.

د- الأكبر إن مات صاحبه عليه فهو مخلد في النار، الأصغر لا يخلد صاحبه في النار وإن مات عليه.

هـ- الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة قبل الموت، الأصغر تحت مشيئة الله تعالى، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

❁❁❁

❁ المسألة السادسة: أن الشرك الأكبر يحصل في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وأمثلة ذلك:

أولًا: في الربوبية: بيان هذا هو: أن الرب جل ذكره المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل، فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غير الله أو هو مع الله كذلك فقد أشرك في الربوبية. اهـ «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٩٢ و٩٣).

رسلان

وَمَنِ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ نِدًّا فِي عِبَادَتِهِ، كَمَنْ يُحِبُّ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حُبًّا، أَوْ خَافَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ كَخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ، أَوْ دَعَا الْأَمْوَاتَ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، رَاجِيًا حُصُولَ مَطْلُوبِهِ مِنْ جِهَتِهِمْ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَكَذَلِكَ مَنْ صَرَفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ أَوِ الْبَاطِنَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَعَلَى قِسْمَيْنِ:

شِرْكُ التَّعْطِيلِ، وَهُوَ تَعْطِيلُ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى، كَمَا وَقَعَ مِنْ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَ: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعات: الآية ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعراء: الآية ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: الآية ٣٨].

وَالثَّانِي: شِرْكُ التَّمْثِيلِ، وَهُوَ قِسْمَانِ:

الْأَوَّلُ: تَمْثِيلُ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ، كَشِرْكِ النَّصَارَى الَّذِينَ شَبَّهُوا عِيسَى -عليه السلام- بِاللَّهِ، وَجَعَلُوهُ إِلَهًا، وَجَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ.

وَالثَّانِي: تَمْثِيلُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَهُوَ مَا حَصَلَ مِنَ الْمُمَثِّلَةِ الَّذِينَ قَالُوا: صِفَاتُ اللَّهِ كَصِفَاتِنَا.

العدني

ثانيًا: في الألوهية: هو كمن اتخذ مع الله ندًا في عبادته، كمن يحب مع الله غيره كمحبة الله أو أشد حبًا، أو خاف من غير الله كخوفه من الله، أو دعا الأموات فيما لا يقدر عليه إلا الله، راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر. اهـ «التيسير» للشيخ سليمان (٤٠).

ثالثًا: الشرك في الأسماء والصفات: هو على قسمين:

الأول: شرك تعطيل: وهو تعطيل ذات الرب جل ذكره، كما حصل من فرعون إذ قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] وقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

الثاني: شرك تمثيل: وهو قسمان:

١- تمثيل المخلوق بالخالق، كشرك النصارى الذين شبهوا عيسى عليه السلام بالله وجعلوه إلهًا، وجعلوه ثالث ثلاثة.

٢- تمثيل الخالق بالمخلوق -عكس الأول- وهو ما حصل من الـمُمثلة الذين قالوا: صفات الله كصفاتنا، فيده كأيدينا، ووجهه كوجوهنا، قال قائلهم: أنا أثبت لله كل شيء إلا الفرج واللحية. تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا. اهـ راجع لهذا: «فتاوى شيخ الإسلام» (١/ ٩١-٩٢)، «الداء والدواء» (١٩٨ إلى ٢٠٦)، «التنبيهات السنية على الواسطية» (١٢٦)، «أعلام السنة المنشورة» لحافظ الحكمي (٥٠ إلى ٨٤)، «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٩ إلى ٣٤٧)، و«تيسير العزيز الحميد» (٤٣ إلى ٤٦).

❁❁❁

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.

وَالذَّبْحُ عِبَادَةٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، فَهُوَ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ الْقَصْدِ وَإِخْلَاصِ الْفِعْلِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، طَاعَةً لَهُ تَعَالَى وَتَعْظِيمًا، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى كَوْنِهِ عِبَادَةً:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٢-١٦٣].

فَقَرَنَ سُبْحَانَهُ النُّسُكَ -وَهُوَ الذَّبْحُ- بِالصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ، فَالنُّسُكُ عِبَادَةٌ.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: الآية ٢].

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ قَرَنَ الذَّبْحَ بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ، وَكَذَلِكَ أَمَرَ بِهِ، وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ مَحْبُوبٌ إِلَيْهِ ﷻ، إِذْ لَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِالْمُبَاحِ، وَلَا يَمْدَحُ الْمُبَاحَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يُحِبُّهُ، وَالْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَمَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يَجُوزُ صَرْفُهُ لِغَيْرِهِ، وَمَنْ صَرَفَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ شِرْكًا أَكْبَرَ.

العدني

قوله: [ومنه الذبح لغير الله... إلخ].

❁ المسألة التاسعة: إثبات كون الذبح عبادة لله تعالى: اعلم أن الذبح من أجل العبادات والقرب البدنية والقلبية التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى فهو عبادة بدنية باعتبار الفعل الذي هو إزهاق الروح وقطع الأوداج بالآلة، وهو كذلك عبادة قلبية وقربه باعتبار القصد وإخلاص الذبح لله وحده لا شريك له وتعظيمه، والأدلة على أن الذبح عبادة كثيرة، أذكر واحدًا:

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] ووجه الدلالة من الآية أن الله قرنه بالصلاة التي هي من أَجَلِّ العبادات، وكذلك أمر به، وكل ما أمر الله به فهو محبوب إليه عز و جل؛ إذ لا يأمر الله بالمباح ولا يمدح المباح، فدل على أن ما أمر الله به فهو يحبه، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه...) راجع: «تعليقات الشيخ ابن باز على كتاب التوحيد» (٧٩).

قال شيخ الإسلام، كما في «الفتاوى» (١٦/ ٥٣١): أمره الله تعالى أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك -أي: الذبح- الدالتان على القُرْب والتواضع والافتقار، وحسن الظن وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدَتِه وأمره وفضله وخَلْفِه... اهـ المراد.

❁ المسألة العاشرة: أن ما ثبت كونه عبادة لله وحده لا شريك له، لا يجوز صرفه لغيره، ومن صرفه لغير الله، فقد أشرك شركًا أكبر.

النَّاقِضُ الثَّانِي

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

هَذَا النَّاقِضُ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَلَا يُعَدُّ تَكْرَارًا، أَوْ هُوَ نَوْعٌ مِنَ النَّاقِضِ الْأَوَّلِ، وَإِنَّمَا يُفْرَدُ وَيُجْعَلُ نَوْعًا مُسْتَقِلًّا لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ، وَمَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ لِكَشْفِ الضُّرِّ أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ، أَوْ يَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ، أَوْ فِي حَالَةِ الْغَيْبَةِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ، وَالنَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي بَيَانِ الْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِ مُتَّخِذِي الْوَسَائِطِ عِنْدَ اللَّهِ**: «مَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ، وَسَدَّ الْفَاقَاتِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ»(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢٤).

وَالْوَسَائِطُ: جَمْعُ وَاسِطَةٍ، وَهِيَ: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ

الناقض الثاني

(من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعًا).

هذا الناقض ليس تكرارًا للأول فإن الأول عام وهذا خاص فهو من باب عطف الخاص على العام، وهذا لبيان خطورة الأمر، وكثرة وقوع الناس فيه من حيث لا يشعرون. اهـ «شرح الشيخ الفوزان للنواقض العشرة» (٧٣).

أولًا: الإجماع على كفر من فعل هذا الفعل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته «الواسطة بين الحق والخلق» (١١٦-١٢١) ضمن مجموعة التوحيد: من جعل بينه وبين الله واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألهم ذلك ويرجو إليهم فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين. اهـ

ونقله في «كشاف القناع» (٦/ ١٦٨)، وراجع: «الصواعق المرسلة الشهابية» لسليمان بن سحمان (١٥٤).

ثانيًا: معنى الوسائط:

الوسائط جمع واسطة: وهي ما يتوصل به إلى الشيء.

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي

وَمَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ الْوَسَائِطَ فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

فَهَذِهِ الْوَسَائِطُ تُطَاعُ وَتُتَّبَعُ وَيُقْتَدَى بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية ٨٠].

وَإِنْ أَرَادَ بِالْوَسَاطَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وَاسِطَةٍ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ وَاسِطَةً فِي رِزْقِ الْعِبَادِ، وَنَصْرِهِمْ، وَهُدَاهُمْ، يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الشِّرْكِ الَّذِي كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، حَيْثُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَشُفَعَاءَ، يَجْتَلِبُونَ بِهِمُ الْمَنَافِعَ وَيَجْتَنِبُونَ بِهِمُ الْمَضَارَّ»[1].

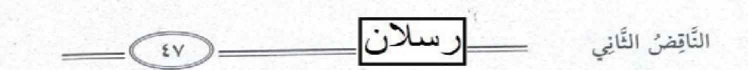
* * *

(١) «الواسطة بين الحقّ والخلق»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٦ – ٢٠)

فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل، بحيث يستغني عن الرسل، فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب. اهـ

❁ القسم الثاني: الوسائط الشركية:

قال شيخ الإسلام جوابًا عن سؤال أنه لابد من اتخاذ الوسائط:... وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين. اهـ راجع رسالة: «الواسطة بين الحق والخلق» (١١٦/١٢١ ضمن مجموعة التوحيد)، و«الاستغاثة» لشيخ الإسلام (٢٣٧/١)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٥٤٩) ضمن مجموعة التوحيد، «الفتاوى» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى» (٢٧٩/٥)، «أضواء البيان» للشنقيطي (٨٦/٢)، «تفسير القرطبي» (١٥٩/٦).



النَّاقِضُ الثَّانِي — **رسلان** — ٤٧

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ».

وَالشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ: جَعْلُ الْوَتْرِ شَفْعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: الآية ٣].

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: هِيَ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ، فَهِيَ طَلَبُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ.

العدني

أما في الشرع: فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. فإذًا: هي بمعنى الطلب للغير. اهـ «القول المفيد» للعثيمين (١/ ٣٤٦) الطبعة الأولى

رسلان

فَالشَّفَاعَةُ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، لَيْسَ لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، شَفَاعَةٌ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: الآية

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: الآية ٤٤]؛ أَيْ: هُوَ مَالِكُهَا، وَلَيْسَ لِمَنْ تُطْلَبُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَإِنَّمَا تُطْلَبُ مِمَّنْ يَمْلِكُهَا دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ وَتَأَلُّهٌ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ إِذْنِهِ لِمَنْ وَحَّدَهُ، وَالَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الشِّرْكِيَّةُ الَّتِي فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَّخِذِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ، فَيُعَامَلُونَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ، وَيَفُوزُ بِهَا الْمُوَحِّدُونَ.

وَالشَّفَاعَةُ الشِّرْكِيَّةُ كَأَنْ يَسْأَلَ الْمَيِّتَ عِنْدَ قَبْرِهِ الشَّفَاعَةَ وَالْوَسَاطَةَ؛ كَالَّذِي يَقَعُ مِنَ الْقَبْرِيِّينَ حَيْثُ يُنَادُونَ صَاحِبَ الْقَبْرِ: يَا أَيُّهَا الْوَلِيُّ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَتَوَسَّطْ لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا.

وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُ الْمَيِّتَ لَا عِنْدَ قَبْرِهِ، بَلْ بَعِيدًا عَنْهُ، أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ.

العدني

إذا عُلِمَ هذا وأن الشفاعة حق محض لله ليس لملك مقرب شفاعة ولا لنبي مرسل إلا بعد إذن الله له، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

ولهذا لا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلًا عن غيرهما؛ فإن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب، أثّر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه.اهـ من «الدرر السنية» (١٠/ ٣٠٠).

واعلم أن هذه الشفاعة الشركية لها صورتان:

الصورة الأولى: أن يسأل الميت عند قبره الشفاعة والوساطة، كالذي يقع من الزائرين للأموات حيث ينادون صاحب القبر: يا أيها الولي الفلاني، اشفع لنا عند ربك، وتوسط لنا في كذا وكذا.

الصورة الثانية: أن يسأل الميت بعيدًا عن قبره، كالذي يقع من المتعلقين بالصالحين، حيث يكون هجِّيرَاهم ودأبهم في حِلهم وترحالهم طلب الشفاعة من الولي الفلاني. اهـ من كتاب «الدعاء» (٥١٢-٥١٦).

النَّاقِضُ الثَّالِثُ

«الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ؛ كَفَرَ».

هَذَا هُوَ النَّاقِضُ الثَّالِثُ مِنْ نَوَاقِضِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَيَجِبُ أَنْ يُكَفِّرَ الْمُسْلِمُ مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ﷻ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، قَالَ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزمر: الآية ٢٦-٢٧].

وَكَذَلِكَ إِذَا مَا صَحَّحَ مَذْهَبَ الْكُفَّارِ الْمُجْرِمِينَ هَذِهِ أَشَدُّ، إِذَا صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، أَوْ قَالَ: فِي الَّذِي يَعْمَلُونَهُ نَظَرٌ، هَذَا إِنَّمَا هُوَ اتِّخَاذُ وَسَائِلَ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ. أَوْ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ جُهَّالٌ وَقَعُوا فِي هَذَا عَنْ جَهْلٍ، وَيُدَافِعُ عَنْهُمْ، فَهَذَا أَشَدُّ كُفْرًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ صَحَّحَ الْكُفْرَ، أَوْ صَحَّحَ الشِّرْكَ، أَوْ شَكَّ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

الثالث: من لَم يُكفِّر الْمُشركين، أو شك فِي كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر [٧].

الشرك عبادة الأصنام فقط.

[٧] وهذه الْمَسألة خطيرة جدًّا، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، من لَمْ يكفِّر الْمُشركين، يقول: أنا والْحَمد للَّه ما عندي شرك، ولا أشركت باللَّه، ولكن الناس لا أكفرهم.

نقول له: أنت ما عرفت الدين، يَجب أن تكفر من كفره اللَّه، ومن أشرك باللَّه ﷯، وتتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه وقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

أو صحح مذهبهم، وهذه أشد، إذا صحح مذهبهم، أو قال فِي الذي يعملونه نظر، هذا إنَّمَا هو اتِّخاذ وسائل، أو يقول: هؤلاء جهال وقعوا فِي هذا الأمر عن جهل ويدافع عنهم، فهذا أشد كفرًا منهم؛ لأنه صحح الكفر، وصحح الشرك، أو شك.

رسلان

وَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي هَذَا النَّاقِضِ هُوَ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَقَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشِّفَا»، فَقَالَ: «وَقَامَ الْإِجْمَاعُ عَلَى كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَكُلَّ مَنْ فَارَقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ وَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ شَكَّ»[1].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ بَعْدَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَنْ يَكُونَ مُسْلِمٌ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَمَنْ لَمْ يُحَرِّمِ التَّدَيُّنَ بَعْدَ مَبْعَثِهِ ﷺ بِدِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بَلْ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ وَيُبْغِضْهُمْ، فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ»[2].

(١) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٢٨١).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٦٤).

العدني

أولًا: الإجماع على كفر من لم يكفر من ثبت كفره بنص شرعي:

قال القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٢٨١): وقام الإجماع على كفر من لم يكفر أحدًا من اليهود والنصارى، وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في

الناقض الثالث ٣٣

تكفيرهم أو شك. اهـ

وممن نقل الإجماع أيضاً شيخ الإسلام فقد قال كما في «الفتاوى» (٢٧/ ٤٦٤): ومن لم يقر بأن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لن يكون مسلم إلا من آمن به واتبعه باطنًا وظاهرًا فليس بمسلم، ومن لم يحرم التدين -بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم - بدين اليهود والنصارى، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين. اهـ

وَالتَّكْفِيرُ حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَا يَجُوزُ التَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ ... بِالنَّصِّ يَثْبُتُ لَا بِقَوْلِ فُلَانِ
مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ ... قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الْكُفْرَانِ

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ التَّكْفِيرُ فِي مَسْأَلَةٍ أَوْ عَلَى مُعَيَّنٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا يُكَفَّرُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا بِذَنْبٍ، وَلَا بِمُجَرَّدِ بُغْضٍ، أَوْ كَرَاهِيَةٍ، أَوْ لِشَهْوَةٍ، أَوْ شُبْهَةٍ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْإِيجَابُ وَالتَّحْرِيمُ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالتَّكْفِيرُ وَالتَّفْسِيقُ، هُوَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِي هَذَا حُكْمٌ، وَإِنَّمَا عَلَى النَّاسِ إِيجَابُ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»(١).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، وتحريم ما حرمه الله ورسوله).

❁ ويقول: (فإن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله ورسوله كافرًا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقًا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنًا مسلمًا...).

❁ وقال رحمه الله تعالى: (والكفر هو من الأحكام الشرعية، وليس كل من خالف شيئًا عُلِمَ بنظر العقل، يكون كافرًا، ولو علم أنه جحد بعض صرائح العقول لم يُحكم بكفره، حتى يكون قوله كفرًا في الشريعة). اهـ من كتاب «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» (١/ ٣٧-٣٨).

❁ ويقول ابن القيم في النونية:

الكفر حقُّ الله ثم رسوله ... بالنص يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده ... قد كفّراه فذاك ذو الكفران

حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ٥٦] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ٦٥] .

تَحْكِيمُ شَرْعِ اللَّهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ الْعِبَادَةُ بِتَحْكِيمِ شَرْعِ اللَّهِ، وَتَحْكِيمُ غَيْرِهِ شِرْكٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢١] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٢١] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] .

فَسَمَّاهُ شِرْكًا، فَالَّذِي يُسَوِّي بَيْنَ حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ غَيْرِهِ، وَيَقُولُ: هُمَا سَوَاءٌ؛ كَافِرٌ.

وَأَشَدُّ مِنْهُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَحْسَنُ مِنَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ؛ الَّذِي يَقُولُ: النَّاسُ لَا يَصْلُحُ لَهُمُ الْيَوْمَ إِلَّا هَذِهِ الْأَنْظِمَةُ، لَا يَصْلُحُ لَهُمُ الشَّرْعُ، وَالشَّرْعُ لَا يُطَابِقُ هَذَا الزَّمَانَ، وَلَا يُسَايِرُ الْحَضَارَةَ، وَلَا بُدَّ مِنْ مُسَايَرَةِ الْعَالَمِ وَأَنْ تَكُونَ مَحَاكِمُ

الله!! تحكيم شرع الله هذا عبادة لله عز وجل، ليس القصد منه فقط حل النزاع، القصد منه العبادة بتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، وتحكيم غيره شرك، وشرك في الطاعة وشرك في الحكم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فسماه شركًا، فالذي يسوي بين حكم الله وحكم الطاغوت، والطاغوت المُراد به: كل حكم غير حكم الله، سواءٌ عوائد البادية أو أنظمة الكفار، أو قوانينُ الفرنس أو الإنجليز، أو عادات القبائل، كل هذا طاغوت، وكذا تحكيم الكهان.

فالذي يقول: إنهما سواء؛ كافر، وأشد منه من يقول: إن الحُكم بغير ما أنزل الله أحسن من الحُكم بِمَا أنزل الله، هذا أشد.

فالذي يقول: الناس ما يصلح لهم اليوم إلا هذه الأنظمة، ما يصلح لهم الشرع، الشرع ما يطابق لهذا الزمان، ولا يساير

٥- نواقض الإسلام

الفوزان

(٢٣)

الْخَامس : من أبغض شيئًا مِما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر [٩].

الحضارة، ما يصلح إلا تَحكيم القوانين، ومسايرة العالَم، تكون مَحاكمنا مثل مَحاكم العالَم، هذا أحسن من حكم اللَّه، هذا أشد كفرًا من الذي يقول: إن حكم اللَّه وحكم غيره متساويان.

أما إذا حكم بغير ما أنزل اللَّه لِهوى في نفسه، أو جهل بِمَا أنزل اللَّه، وهو يعتقد أن حكم اللَّه هو الحق، وهو الواجب، فهذا فَعَلَ كبيرة من كبائر الذنوب وذلك كفر دون كفر.

النَّاقِضُ الرَّابِعُ

رسلان

(٦٣)

الْمُسْلِمِينَ كَمَحَاكِمِ الْعَالَمِ، هَذَا أَشَدُّ كُفْرًا.

أَمَّا إِذَا حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِهَوًى فِي نَفْسِهِ، أَوْ جَهْلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْوَاجِبُ، فَهَذَا فَعَلَ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَأَتَى عَظِيمَةً مِنْ عَظَائِمِ الْإِثْمِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ فَهَذَا تفصيل السَّلفِ فِي الْمَسْأَلَةِ.

رسلان

فَبُغْضُ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ رِدَّةٌ، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: الآية ٩]، وَالْكَرَاهَةُ: الْبُغْضُ، وَهَذَا رِدَّةٌ، وَلَوْ عَمِلَ بِمَا أَبْغَضَهُ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بُغْضُهُ فِي الْقَلْبِ كُفْرٌ، وَلَوْ كَانَ يَعْمَلُ بِهِ فِي الظَّاهِرِ.

الفوزان

[٩] الخامس من نواقض الإسلام: من أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرسول ﷺ، فبغض ما جاء به الرسول ردة، ولو عمل به، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩]، الكراهة هي البغض؛ هذا ردة ولو عمل به، فإنه يكفر، بغضه في القلب كفر، ولو كان يعمل به في الظاهر، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

قَالَ الرَّاغِبُ فِي «الْمُفْرَدَاتِ»:

«الْكَرْهُ وَالْكُرْهُ وَاحِدٌ، نَحْوُ: الضَّعْفُ وَالضُّعْفُ، وَقِيلَ: الْكَرْهُ: الْمَشَقَّةُ الَّتِي تَنَالُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ فِيمَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ بِإِكْرَاهٍ، وَالْكُرْهُ: مَا يَنَالُهُ مِنْ ذَاتِهِ وَهُوَ يَعَافُهُ، وَذَلِكَ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُعَافُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ.

وَالثَّانِي: مَا يُعَافُ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ.

وَلِهَذَا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ: إِنِّي أُرِيدُهُ وَأَكْرَهُهُ؛ بِمَعْنَى أَنِّي أُرِيدُهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ، وَأَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ، أَوْ أُرِيدُهُ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ، وَأَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص ٧٠٧).

الناقض الخامس

(من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، كفر إجماعًا...) الدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

❁ المسألة الأولى:

اعلم أن الكره ينقسم إلى قسمين، طبعيّ، وشرعيّ، قال الراغب في «مفردات القرآن» (٧٠٧): الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج مما يُحمل عليه بإكراه، والكره، ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

❁ الأول: ما يُعاف من حيث الطبع.

❁ الثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع.

ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكرهه بمعنى أني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] أي: تكرهونه من حيث الطبع. اهـ وراجع «الفروق» للعسكري (١٤٧)، وراجع أيضًا «المعجم الوسيط» (٨٤).

رسلان

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]:

«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]: هُوَ كُرْهُ الطِّبَاعِ. وَإِنَّمَا كَانَ الْجِهَادُ كُرْهًا لِأَنَّ فِيهِ إِخْرَاجَ الْمَالِ، وَمُفَارَقَةَ الْوَطَنِ وَالْأَهْلِ، وَالتَّعَرُّضَ بِالْجَسَدِ لِلشِّجَاجِ وَقَطْعِ الْأَطْرَافِ وَذَهَابِ الْأَنْفُسِ.

فَكَانَتْ كَرَاهِيَتُهُمْ لِذَلِكَ، لَا أَنَّهُمْ كَرِهُوا فَرْضَ اللَّهِ تَعَالَى»(١).

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«جُمْلَةُ: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦] فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ؛ وَالضَّمِيرُ: ﴿هُوَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩] يَعُودُ عَلَى الْقِتَالِ، وَلَيْسَ يَعُودُ عَلَى الْكِتَابَةِ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَكْرَهُونَ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّنَا نَكْرَهُ مَا فَرَضَ اللَّهُ مِنَ الْقِتَالِ، وَبَيْنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّنَا نَكْرَهُ الْقِتَالَ، فَكَرَاهَةُ الْقِتَالِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فَيَقْتُلَهُ، فَيُصْبِحُ مَقْتُولًا، لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْقِتَالُ مَفْرُوضًا

العدني

وقال القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٨- ٣٩): وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: هو كره الطباع، وإنما كان الجهاد كرهًا؛ لأن فيه إخراج المال، ومفارقة الوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح، وقطع الأطراف وذهاب النفس؛ فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين في تفسيره لسورة البقرة (٣/ ٤٨) معلقًا على قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] قال: جملة ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ في محل نصب على الحال، والضمير [هو] يعود على القتال، وليس يعود على الكتابة؛ فإن المسلمين لا يكرهون ما فرضه الله عليهم، وإنما يكرهون القتال بمقتضى الطبيعة البشرية، وفرق بين أن يقال: إننا نكره ما فرض الله من القتال وبين أن يقال: إننا نكره القتال، فكراهة القتال أمر طبيعي؛ فإن الإنسان يكره أن يقاتل أحدًا من الناس فيقتله فيصبح مقتولًا، لكن إذا كان هذا القتال مفروضًا

رسلان

عَلَيْنَا صَارَ مَحْبُوبًا إِلَيْنَا مِنْ وَجْهٍ، وَمَكْرُوهًا لَنَا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ؛ فَبِاعْتِبَارِ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَهُ عَلَيْنَا يَكُونُ مَحْبُوبًا إِلَيْنَا، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَأْتُونَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يُصِرُّونَ أَنْ يُقَاتِلُوا، وَبِاعْتِبَارِ أَنَّ النَّفْسَ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣/ ٤٣).

تَنْفِرُ مِنْهُ يَكُونُ مَكْرُوهًا إِلَيْنَا»[١].

وَنَحْوًا مِنْ ذَلِكَ قَالَهُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]: أَيْ: شَاقٌّ عَلَيْكُمْ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعَانِي: هَذَا الْكُرْهُ مِنْ حَيْثُ نُفُورُ الطَّبْعِ عَنْهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مُؤْنَةِ الْمَالِ، وَمَشَقَّةِ النَّفْسِ، وَخَطَرِ الرُّوحِ، لَا أَنَّهُمْ كَرِهُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى»[٢].

فَفَرَّقَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ الْكُرْهِ الطَّبْعِيِّ، وَالْكُرْهِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ.

فَالْأَوَّلُ: يَعُودُ إِلَى الْمَشَقَّةِ، أَوْ إِلَى الطَّبْعِ الْمُجَرَّدِ، وَيَجِدُهُ الْكَارِهُ فِي نَفْسِهِ سَوَاءٌ عَلِمَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِهِ أَمْ لَا.

وَالثَّانِي: لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ بِهِ، فَهُوَ عَائِدٌ إِلَى كَوْنِ اللَّهِ أَمَرَ

العدني

علينا صار محبوبًا إلينا من وجه ومكروهًا لنا من وجه آخر، فباعتبار أن الله فرضه علينا يكون محبوبًا إلينا ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون إلى الرسول ﷺ يصرون أن يقاتلوا، وباعتبار أن النفس تنفر منه يكون مكروهًا إلينا. اهـ

شيء مما جاء به الرسول ﷺ كفر وخروج عن الدين؛ لأنه أبغض شرع الله تعالى وإن عمل به مع كراهيته فهو كافر، فمن أبغض شيئًا مما جاء به النبي ﷺ، كفر بلا خلاف. وسيأتي -إن شاء الله- الأدلة على هذا، لكن ينبغي أن يُعلَم أن وجود الكره الطبْعي لا ينافي وجود الحب الشرعي لأوامر الله تعالى ولما جاء به الرسول ﷺ، والدليل: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» عند هذه الآية

(١/ ١٨٨) طبعة دار المعرفة:

قوله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي: شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه؛ لما فيه من مؤنة المال، ومشقة النفس، وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى. اهـ

رسلان

وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

«مَنْ قَالَ : أَنَا لَا أُقِرُّ بِذَلِكَ -يَعْنِي : الشَّرِيعَةَ- وَلَا أَلْتَزِمُهُ ، وَأُبْغِضُ هَذَا الْحَقَّ ، وَأَنْفِرُ عَنْهُ ، فَتَكْفِيرُ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَكْفِيرِ مِثْلِ هَذَا النَّوْعِ»(٣) .

(١) «تفسير سورة البقرة» للعثيمين (٣/ ٤٨).

(٢) «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ١٨٨).

(٣) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص ٥٢٤).

وَقَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى كُفْرِ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الْمَرْدَاوِيُّ فِي «الْإِنْصَافِ»، عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ :

«قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ : لَوْ كَانَ مُبْغِضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ لِمَا جَاءَ بِهِ ، كَفَرَ اتِّفَاقًا»(١) .

* * *

(١) «الإنصاف» للمرداوي (١٠/ ٢٨٣).

العدني

❁ المسألة الرابعة: إجماع العلماء على كفر من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

(أ) قال المرداوي في «الإنصاف» (١٠/ ٢٨٣) طبعة دار الكتب العلمية: قال الشيخ تقي الدين -هو: شيخ الإسلام ابن تيمية-: لو كان مبغضًا لرسول الله ﷺ، أو لما جاء به، كفر اتفاقًا. اهـ

(ب) قال الإمام ابن بطة في كتابه «الإبانة الصغرى» (٢١١): وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل؛ فهو حق لازم فلو أن رجلًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا، كان بردِّ ذلك الشيء كافرًا عند جميع العلماء. اهـ.

(ج) قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: في رسالته «وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ، وكفر من أنكرها» ضمن «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٢١٩-٢٢٠) طبعة مكتبة المعارف: وهما (أي: الكتاب والسنة): أصلان متلازمان، مَنْ جحد واحدًا منهما فقد جحد الآخر وكذب به، وذلك كفر وضلال، وخروج عن دائرة الإسلام بإجماع أهل العلم والإيمان. اهـ. راجع «رسالة الكلمات النافعة» (٣٠٠) ضمن مجموعة التوحيد النجدية، وراجع «كشاف القناع» (٦/ ١٦٨).

❁ المسألة الخامسة: كلام العلماء في كفر من أبغض شيئًا من الدين:

❁ قال شيخ الإسلام في كتابه «الصارم المسلول» (٥٢٤) طبعة دار الجيل: مَنْ قال أنا لا أُقِرُّ بذلك -يعني: الشريعة- ولا ألتزمه وأُبْغِضُ هذا الحق وأَنْفِرُ عنه. فتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع. اهـ

كَالْمَزْحِ، يُقَالُ: هَزِئْتَ مِنْهُ، وَاسْتَهْزَأْتُ.

وَالِاسْتِهْزَاءُ: ارْتِيَادُ الْهُزْءِ وَإِنْ كَانَ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ تَعَاطِي الْهُزُؤِ، كَالِاسْتِجَابَةِ فِي كَوْنِهَا ارْتِيَادًا لِلْإِجَابَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَجْرِي مَجْرَى الْإِجَابَةِ»[1].

الِاسْتِهْزَاءُ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (هـ، ز، أ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى السُّخْرِيَةِ، أَوْ عَلَى مَزْحٍ فِي خِفْيَةٍ، أَوْ عَلَى السُّخْرِيَّةِ وَاللَّعِبِ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «الْهُزْءُ -بِالسُّكُونِ-، وَالْهُزُءُ -بِالضَّمِّ-: السُّخْرِيَةُ، تَقُولُ: هَزِئْتُ مِنْهُ، وَهَزِئْتُ بِهِ، وَاسْتَهْزَأْتُ بِهِ، وَتَهَزَّأْتُ بِهِ، وَهَزَأْتُ بِهِ أَيْضًا، هُزْءًا، وَمَهْزَأَةً، وَرَجُلٌ هُزْءَةٌ بِالتَّسْكِينِ، أَيْ يُهْزَأُ بِهِ، وَهُزَأَةٌ بِالتَّحْرِيكِ يَهْزَأُ بِالنَّاسِ»[2].

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: «مادة (هـ، ز، أ) الْهَاءُ وَالزَّايُ وَالْهَمْزَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، يُقَالُ: هَزِئَ وَاسْتَهْزَأَ إِذَا سَخِرَ»[3].

وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: «الِاسْتِهْزَاءُ الِاسْتِخْفَافُ وَالسُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهَانَةُ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ عَلَى وَجْهٍ يُضْحَكُ

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص ٨٤١).

(٢) «الصحاح» للجوهري (١/ ٨٣).

(٣) «مقاييس اللغة» لابن فارس (ص ١٠٧٠).

الناقض السادس

(من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه، كفر، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

المسألة الأولى: معنى الاستهزاء لغة وشرعًا.

(أ) أولًا لغة: قال ابن فارس في «معجم المقاييس» (١٠٧٠) مادة هزأ: الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة: يقال: هزئ واستهزأ إذا سخر. اهـ راجع «المفردات للراغب» (٨٤١).

وقال الخليل في كتابه «العين» (١٠١٢): الهُزْءُ: السخرية، يقال: هزئ به يهزأ به، واستهزأ به، وتهزّأ به.

قال الشاعر:

ألا هزئـــت وأعجبهـــا المـــشيبُ ... فــلا نُكْــرٌ لــديك ولا عجيــبُ

اهـ راجع «اللسان» (١٥/ ٨٤).

(ب) معناه شرعًا:

قال الألوسي في تفسيره المسمى «روح المعاني» (١/ ٢٥٥) عند تفسير آية البقرة رقم (١٤): الاستهزاء الاستخفاف والسخرية والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول والإشارة والإيماء. اهـ.

المسألة الثانية: الأدلة على كفر المستهزئ بالله أو برسوله أو بآياته: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ

رسلان

مِنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِالْمُحَاكَاةِ فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ»[1].

وَقَدْ سَاقَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ دَلِيلًا عَلَى كُفْرِ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ، أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ، فَقَالَ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وَبِالْآيَةِ اسْتَدَلَّ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ:

«مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَرَ، سَوَاءٌ كَانَ مَازِحًا أَوْ جَادًّا، وَكَذَلِكَ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِآيَاتِهِ أَوْ بِرُسُلِهِ أَوْ بِكُتُبِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»[2].

(١) «روح المعاني» للآلوسي (١/ ٢٥٥).

(٢) «المغني» لابن قدامة (١٢/ ٢٩٨).

العدني

كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

قال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (٣٣) عند الآية: وهذا نص صريح في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر.اهـ. وراجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٥/ ٤٨و٤٩).

وقال ابن قدامة في «المغنى» (١٢/ ٢٩٨) طبعة [هجر]: مَنْ سبَّ الله تعالى كفر، سواء كان مازحًا أو جادًّا، وكذلك من استهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].اهـ

رسلان

وَذَكَرَهَا شَيْخُ الإِسْلَامِ، وَقَالَ: «وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ»[1].

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الدِّينِ مَبْنِيٌّ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِ دِينِهِ وَرَسُولِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُنَافٍ لِهَذَا الْأَصْلِ وَمُنَاقِضٌ لَهُ أَشَدَّ الْمُنَاقَضَةِ.

وَفِي الْآيَاتِ أَنَّ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ، أَوْ سَخِرَ بِذَلِكَ، أَوْ تَنَقَّصَهُ، أَوِ اسْتَهْزَأَ بِالرَّسُولِ، أَوْ تَنَقَّصَهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»[2].

وَالْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَهْزِئَ يَكْفُرُ، جَادًّا كَانَ أَوْ هَازِلًا.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بَعْدَ ذِكْرِ الْآيَةِ: «لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ فِي ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ؛ فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْحَقِّ وَالْعِلْمِ، وَالْهَزْلُ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ»[3].

(١) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص ٣٣).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي.
(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٩٧٦).

العدني

❁ قال ابن حزم في كتابه «الفِصَل» (٣/ ٢٩٩): صح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه، فهو كافر.اهـ

❁ وقال الإمام السعدي في تفسيره عند هذه الآية: إن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة... وفي هذه الآيات... أن من استهزأ بشيء من كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول، أو تنقصه فإنه كافر بالله العظيم. اهـ.

❁ وقال الرازي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٤): إن الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله؛ وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان -والجمع بينهما- أي: بين تعظيم الله والاستهزاء به، محال. اهـ.

المسألة الثالثة:

لا فرق في كفر المستهزئ بين أن يكون مازحًا أو قاصدًا لحقيقة الاستهزاء، بلا خلاف بين العلماء:

(أ) قال ابن العربي المالكي في كتابه «أحكام القرآن» (٢/ ٩٧٦) عند آية الاستهزاء: لا يخلو أن يكون ما قالوه في ذلك جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كفر؛ فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة؛ فإن التحقيق أخو الحق والعلم، والهزل أخو الباطل والجهل. اهـ

رسلان

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: الآية ٦٥]، ذَكَرَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ أَنَّ مَعْنَاهَا عَامٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيمَنِ اسْتَهْزَأَ بِاللَّهِ أَوْ بِالْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ.

وَصِفَةُ كَلَامِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، يَصِفُونَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالْعُلَمَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا نَقَلَ الْكَلَامَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ أَتَى الْقَائِلُ يَعْتَذِرُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ اللَّعِبِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُسَافِرُونَ، فَنَزَلَ الْوَحْيُ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْمُزَاحِ وَاللَّعِبِ، وَالَّذِي يَعْتَذِرُ يَظُنُّ أَنَّ الْكُفْرَ إِذَا قَالَهُ جَادًّا لَا لَاعِبًا»[1].

وَالَّذِي قَالَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبَرِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ

(١) «الدرر السنية» (١٠/ ١٢١)

العدني

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي، كما في «الدرر السنية»

(١٠/ ١٢١): قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]: ذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة، فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول، وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يصفون بذلك رسول الله ﷺ والعلماء من أصحابه.

فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قال ذلك على وجه اللعب كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزاح واللعب، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادًّا لا لاعبًا.اهـ.

راجع «المحلى» لابن حزم (١٣/ ٥٠١-٥٠٢) ط/ حسين زيدان، «الصارم المسلول» (٥١٥) ط/ دار الجيل، «تفسير الرازي» (١٦/ ١٢٤) «حاشية على كتاب التوحيد» لابن القاسم (٣١٩)، «القول المفيد» للعثيمين (٣/ ٢٥)، «الشفا» للقاضي عياض (٢-١١٠١) «الدرر السنية» (١٠/ ١٢٠و١٢١).

٢- سبب نزول الآية، وهو ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٦٣) والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء!، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك

رسلان

فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحُقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٥] »[1].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ، لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ، فَلَا يُقَالُ: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٦]، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا كَافِرِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمُ الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمُ الْإِيمَانَ، فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إِلَّا لِخَوَاصِّهِمْ، وَهُمْ مَعَ خَوَاصِّهِمْ مَا زَالُوا هَكَذَا.

بَلْ لَمَّا نَافَقُوا وَحَذِرُوا أَنْ تُنَزَّلَ سُورَةٌ تُبَيِّنُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ، وَتَكَلَّمُوا بِالِاسْتِهْزَاءِ، صَارُوا كَافِرِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَلَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُنَافِقِينَ.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ٦٣)، وتفسير الطبري (١٠/ ١٧٢)، وصححه الشيخ مقبل في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ١٢٣).

العدني

نافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر: أنا رأيته متعلقًا بحُقُب ناقة رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥]. اهـ وصحح هذا الحديث شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله تعالى في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول»

(١٢٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتابه «الإيمان» (٢٥٩وبعد) بتحقيق الشيخ الألباني. طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: وقول من يقول عن مثل هذه الآيات: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد: أنكم أظهرتم الكفر بعد

إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا، بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق، وتكلموا بالاستهزاء، صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين...

رسلان

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: الآية ٦٥]، فَاعْتَرَفُوا وَاعْتَذَرُوا؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: الآية ٦٦]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ قَدْ أَتَوْا كُفْرًا، بَلْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِكُفْرٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ ضَعِيفٌ، فَفَعَلُوا هَذَا الْمُحَرَّمَ الَّذِي عَرَفُوا أَنَّهُ مُحَرَّمٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوهُ كُفْرًا وَكَانَ كُفْرًا كَفَرُوا بِهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوا جَوَازَهُ»[1].

(١) «الإيمان» لابن تيمية (ص ٢٥٩).

العدني

فاعترفوا واعتذروا، ولهذا قيل فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦] فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكنهم لم يظنوه كفرًا وكان كفرًا كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه.اهـ المراد، راجع «تيسير العزيز الحميد» (٦١٩).

رسلان

الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ خَطِيرَةٌ جِدًّا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ أَوْقَعَتْ بِصَاحِبِهَا الْبَلَاءَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ؛ فَقَدْ يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ.

فَمَنِ اسْتَهْزَأَ بِالصَّلَاةِ -وَلَوْ نَافِلَةً- أَوْ بِالزَّكَاةِ، أَوِ الصَّوْمِ، أَوِ الْحَجِّ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، كَذَلِكَ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِالْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ بِأَنْ قَالَ مَثَلًا: إِنَّ وُجُودَ الْحَرِّ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ سَفَهٌ، أَوْ قَالَ: إِنَّ وُجُودَ الْبَرْدِ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ سَفَهٌ؛ فَهَذَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ أَفْعَالُهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَقَدْ لَا نَسْتَطِيعُ بُلُوغَهَا، بَلْ

٩٣ النَّاقِضُ السَّادِسُ

لَا نَسْتَطِيعُ بُلُوغَهَا»(١)

(١) «القول المفيد» لابن عثيمين (٢/ ٢٦٧).

العدني

المسألة السابعة: بعض صور الاستهزاء:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «القول المفيد» (٢/ ٢٦٧) دار ابن الجوزي: من استهزأ بالصلاة ولو نافلة أو بالزكاة أو الصوم أو الحج، فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك من استهزأ بالآيات الكونية بأن قال مثلًا: إن وجود الحر في أيام الشتاء سفه. أو قال: إن وجود البرد في أيام الصيف سفه. فهذا كفر مخرج من الملة؛ لأن الرب عز وجل كل أفعاله مبنية على الحكمة، وقد لا نستطيع بلوغها، بل لا نستطيع. اهـ.

رسلان

الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ:

«وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ خَطِيرَةٌ جِدًّا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ أَوْقَعَتْ بِصَاحِبِهَا الْبَلَاءَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ؛ فَقَدْ يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ﷻ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ.

فَمَنِ اسْتَهْزَأَ بِالصَّلَاةِ -وَلَوْ نَافِلَةً- أَوْ بِالزَّكَاةِ، أَوِ الصَّوْمِ، أَوِ الْحَجِّ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، كَذَلِكَ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِالْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ بِأَنْ قَالَ مَثَلًا: إِنَّ وُجُودَ الْحَرِّ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ سَفَهٌ، أَوْ قَالَ: إِنَّ وُجُودَ الْبَرْدِ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ سَفَهٌ؛ فَهَذَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ ﷻ أَفْعَالُهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَقَدْ لَا نَسْتَطِيعُ بُلُوغَهَا، بَلْ

٩٣ النَّاقِضُ السَّادِسُ

لَا نَسْتَطِيعُ بُلُوغَهَا»[1]

(١) «القول المفيد» لابن عثيمين (٢/ ٢٦٧).

العدني

المسألة السابعة: بعض صور الاستهزاء:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «القول المفيد» (٢/ ٢٦٧) دار ابن الجوزي: من استهزأ بالصلاة ولو نافلة أو بالزكاة أو الصوم أو الحج، فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك من استهزأ بالآيات الكونية بأن قال مثلًا: إن وجود الحر في أيام الشتاء سفه. أو قال: إن وجود البرد في أيام الصيف سفه. فهذا كفر مخرج من الملة؛ لأن الرب عز وجل كل أفعاله مبنية على الحكمة، وقد لا نستطيع بلوغها، بل لا نستطيع. اهـ.

نَصَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْبَقَرَةِ، فَهُوَ كَافِرٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢].

فَتَعَلُّمُ السِّحْرِ وَتَعْلِيمُهُ كُفْرٌ بِاللَّهِ ﷻ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، فَالسَّاحِرُ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا ثُمَّ سَحَرَ فَإِنَّهُ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢].

وَفِي السِّحْرِ اسْتِخْدَامُ الشَّيَاطِينِ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِمْ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِمْ بِمَا يُحِبُّونَهُ، وَفِيهِ دَعْوَى عِلْمِ الْغَيْبِ، وَدَعْوَى مُشَارَكَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ.

وَقَدْ قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ السِّحْرَ بِالشِّرْكِ، فَقَالَ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»(١).

الثامن: مظاهرة الْمُشركين ومعاونتهم على الْمُسلمين [١٣].

الأشياء إلى حقيقتها، والسحر كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

السحر تعلُّمه وتعليمه كفر بالله ﷻ، وهو نوع من أنواع الردة، فالساحر مرتد، إذا كان مؤمنًا ثُمَّ سحر فإنه يرتد عن دين الإسلام، ويُقتل ولا يُستتاب، عند بعض العلماء؛ لأنه حتَّى ولو تاب في الظاهر فهو يُخادع الناس، ولا يزول علم السحر من قلبه ولو تاب.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] الله -جل وعلا- أنزل ملكين من السماء يعلمان السحر، ابتلاءً للناس، وامتحانًا للناس، فإذا جاءهم من يريد تعلم السحر نصحاه، وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني: لا تتعلم السحر فدل على أن تعلم السحر كفر.

[١٣] الثامن من أنواع الردة: مظاهرة الْمُشركين على

السِّحْرُ لُغَةً: كُلُّ شَيْءٍ خَفِيَ سَبَبُهُ، وَلَطُفَ وَدَقَّ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ فِي الشَّيْءِ الْخَفِيِّ الشَّدِيدِ الْخَفَاءِ: أَخْفَى مِنَ السِّحْرِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الأَنْصَارِيِّ:

جَعَلْتِ عَلَامَاتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا   مَصَائِدَ لَحْظٍ هُنَّ أَخْفَى مِنَ السِّحْرِ

وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّحُورُ سَحُورًا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ خَفِيًّا»[1].

وَقَالَ الرَّاغِبُ فِي «الْمُفْرَدَاتِ»:

«السِّحْرُ يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ:

الْأَوَّلُ: الْخِدَاعُ وَتَخَيُّلَاتٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، نَحْوُ مَا يَفْعَلُهُ الْمُشَعْبِذُ بِصَرْفِ الْأَبْصَارِ عَمَّا يَفْعَلُهُ لِخِفَّةِ يَدٍ، وَمَا يَفْعَلُهُ النَّمَّامُ بِقَوْلٍ مُزَخْرَفٍ عَائِقٍ لِلْأَسْمَاعِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١١٦]، وَقَالَ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾ [طه: ٦٦].

وَالثَّانِي: اسْتِجْلَابُ مُعَاوَنَةِ الشَّيْطَانِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ.

وَالثَّالِثُ: مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الأَغْتَامُ، وَهُوَ اسْمٌ لِفِعْلٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ قُوَّتِهِ يُغَيِّرُ الصُّوَرَ وَالطَّبَائِعَ»[2].

(١) انظر: «لسان العرب» (٦/ ١٨٩) مادة (س ح ر)، و«المعجم الوسيط» (٤١٩).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن»، (ص ٤٠٠).

الناقض السابع

(السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر). والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

الكلام على هذا الناقض سيكون -إن شاء الله- في مسائل:

❁ **المسألة الأولى**: معنى السحر في اللغة.

السحر لغة: عبارة عن كل شيء خفي سببه، ولطف ودق، منه قول العرب في الشيء الخفي الشديد الخفاء: أخفى من السحر. ومنه قول مسلم بن الوليد الأنصاري:

جعلْتِ علامات المودة بيننا   مصائدَ لحظٍ هُنَّ أخفى من السحرِ

ومنه سمي السَّحُور سحورًا؛ لأنه يكون في آخر الليل؛ لأنه يكون خفيًّا.

راجع لهذا: «لسان العرب» (٦/ ١٨٩)، و«المصباح المنير» (١٠٢)، «معجم مقاييس اللغة» (٥٠٦) طبعة دار الفكر، «المعجم الوسيط» (٤٤٥)، «تفسير الرازي» (٣/ ٢٠٥)، «تفسير القرطبي» (٢/ ٤٣)، «أضواء البيان» (٤/ ٤٤٤)، «كتاب العين» للخليل الفراهيدي (٤١٢)، و«تفسير ابن كثير» بتحقيق الإمام الوادعي (١/ ٢٧٢).

وَسَدًّا لِبَابِ الْفَوْضَى.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ»[١].

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّحْقِيقَ فِي كُفْرِ السَّاحِرِ، فَقَالَ:

«التَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ التَّفْصِيلُ، فَإِنْ كَانَ السِّحْرُ مِمَّا يُعَظَّمُ فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ كَالْكَوَاكِبِ وَالْجِنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ فَهُوَ كُفْرٌ بِلَا نِزَاعٍ، وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ سِحْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِلَا نِزَاعٍ.

وَإِنْ كَانَ السِّحْرُ لَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ؛ كَالِاسْتِغَاثَةِ بِخَوَاصِّ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مِنْ دِهَانَاتٍ وَغَيْرِهَا فَهُوَ حَرَامٌ حُرْمَةً شَدِيدَةً، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ الْكُفْرَ، وَهَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ»[٢].

وَلِلسِّحْرِ حَقِيقَةٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُؤَثِّرٌ حَقِيقَةً، وَلَكِنْ هَلْ يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ؟ أَوْ لَا؟

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (رقم ٤٨٠٤).

(٢) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ٤٥٦).

العدني:

وقال الإمام الشنقيطي (٤/ ٤٥٦): التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك، مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة فإنه كفر بلا نزاع... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر وهذا هو التحقيق -إن شاء الله تعالى- في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء. اهـ.

رسلان

وَأَمَّا أَنَّ السِّحْرَ يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ، فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَمَّا مَنْ صَدَّقَ بِأَنَّ السِّحْرَ يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِ الْأَعْيَانِ بِحَيْثُ يَجْعَلُ الْخَشَبَ ذَهَبًا وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَلَا شَكَّ فِي دُخُولِهِ فِي الْوَعِيدِ، لِأَنَّ هَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).
(٢) «القول المفيد» (٢/ ١٤).

العدني

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في «القول المفيد» (٢/ ١٤) في أثناء كلامه على تصديق الكاهن أما من صدّق بأن السحر يؤثر في قلب الأعيان بحيث يجعل الخشب ذهباً أو نحو ذلك، فلا شك في دخوله في الوعيد؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. اهـ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : «لِلسِّحْرِ حَقِيقَةٌ وَلَا شَكَّ ، وَهُوَ مُؤَثِّرٌ حَقِيقَةً ، لَكِنَّ كَوْنَهُ يَقْلِبُ الشَّيْءَ أَوْ يُحَرِّكُ السَّاكِنَ أَوْ يُسَكِّنُ الْمُتَحَرِّكَ ، فَهَذَا خَيَالٌ وَلَيْسَ حَقِيقَةً .

فَالسِّحْرُ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ ، بِتَحْرِيكِ السَّاكِنِ ، أَوْ تَسْكِينِ الْمُتَحَرِّكِ لَيْسَ لَهُ أَثَرٌ ، لَكِنْ فِي كَوْنِهِ يَسْحَرُ أَوْ يُؤَثِّرُ عَلَى الْمَسْحُورِ حَتَّى يَرَى السَّاكِنَ مُتَحَرِّكًا ، وَالْمُتَحَرِّكَ سَاكِنًا يُؤَثِّرُ أَثَرًا ظَاهِرًا جِدًّا .

إِذَنْ ، فَلَهُ حَقِيقَةٌ ، وَيُؤَثِّرُ عَلَى بَدَنِ الْمَسْحُورِ وَحَوَاسِّهِ ، وَرُبَّمَا يُهْلِكُهُ»[1] .

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢/ ١٧٥).

كما في «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٧٥): للسحر حقيقة ولا شك وهو مؤثر حقيقة، لكن كونه يقلب الشيء أو يحرك الساكن أو يُسَكِّنُ المتحرك فهذا خيال وليس حقيقة... فالسحر في قلب الأشياء، بتحريك الساكن أو تسكين المتحرك ليس له أثر، لكن في كونه يسحر أو يؤثر على المسحور حتى يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا أثرًا ظاهرًا جدًّا، إذن فله حقيقة ويؤثر على بدن المسحور وحواسه، وربما يهلكه. اهـ

فعُلم من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، أن السحر لا تقلب به الحقائق (أي: الأعيان) من حاله إلى حالة حقيقة، وأن هذا من باب قسم الخيال، كما وقع من سحرة فرعون حين سحروا أعين الناس، حتى رأوا الحبال والعصي أنها حيات تسعى.

العدني

وأختم هذا المسألة بكلام المحقق الإمام الشنقيطي في «أضواء البيان» (٤/٤٦٦) قال: اعلم أن العلماء اختلفوا في تحقيق القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور، واعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين:

طرف لا خلاف في أن تأثير السحر يبلغه، كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر، ونحو ذلك. ثم ذكر الأدلة التي سبق ذكر بعضها...

❁ ثم قال: وطرف لا خلاف في أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه، كإحياء

النَّاقِضُ السَّابِعُ ١٠٧

وَطَرَفٌ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ، كَإِحْيَاءِ

رسلان

وَقَالَ الشَّيْخُ الشَّنْقِيطِيُّ فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ:

«اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي تَحْقِيقِ الْقَدْرِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ تَأْثِيرُ السِّحْرِ فِي الْمَسْحُورِ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَاسِطَةً وَطَرَفَيْنِ:

طَرَفٌ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ السِّحْرَ يَبْلُغُهُ؛ كَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ، وَكَالْمَرَضِ الَّذِي يُصِيبُ الْمَسْحُورَ مِنَ السِّحْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ..

رسلان

الْمَوْتَى، وَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . .

وَأَمَّا الْوَاسِطَةُ فَهِيَ مَحَلُّ خِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَهِيَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْقَلِبَ بِالسِّحْرِ الْإِنْسَانُ حِمَارًا مَثَلًا، وَالْحِمَارُ إِنْسَانًا؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَطِيرَ السَّاحِرُ فِي الْهَوَاءِ؟ وَأَنْ يَسْتَدِقَّ جِسْمُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مِنْ كُوَّةٍ ضَيِّقَةٍ؟

فَبَعْضُ النَّاسِ يُجِيزُ هَذَا، وَجَزَمَ بِجَوَازِهِ الْفَخْرُ الرَّازِي فِي «تَفْسِيرِهِ»، وَبَعْضُهُمْ يَمْنَعُ مِثْلَ هَذَا.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُسَبِّبُ مَا شَاءَ مِنَ الْمُسَبَّبَاتِ عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مُنَاسَبَةٌ عَقْلِيَّةٌ بَيْنَ الْمُسَبَّبِ وَالسَّبَبِ، فَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢].

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثُبُوتِ وُقُوعِ مِثْلِ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ فَلَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مُقْنِعٌ؛ لِأَنَّ غَالِبَ مَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِهِ قَائِلُهُ حِكَايَاتٌ لَمْ تَثْبُتْ عَنْ عُدُولٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا وَقَعَ مِنْهَا مِنْ جِنْسِ الشَّعْوَذَةِ وَالْأَخْذِ

بِالْعُيُونِ، لَا قَلْبِ الْحَقِيقَةِ مَثَلًا إِلَى حَقِيقَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ»(١).

العدني

الموتى وفلق البحر، ونحو ذلك. ثم ذكر الإجماع الذي نقله القرطبي، وسبق ذكره أول هذه المسألة.

✿ ثم قال: وأما الواسطة فهي محل خلاف بين العلماء، وهي: هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حمارًا مثلًا، والحمار إنسانًا، وهل يصح أن يطير الساحر في الهواء، وأن يستدق جسمه حتى يدخل من كوة ضيقة... فبعض الناس يجيز هذا، وجزم بجوازه الفخر الرازي في «تفسيره»، وبعضهم يمنع مثل هذا.

✿ ثم قال رحمه الله: أما بالنسبة إلى أن الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب، وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين المسبب والسبب، فلا مانع من ذلك، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]. وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل، فلم يقع عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، و يجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلًا إلى حقيقة أخرى، وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم. اهـ

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] [١٤].

فالمُظاهرة معناها المُعاونة، بأن تُعين الكفار، على قتال المسلمين وأذية المسلمين، أي: معاونتهم المسلمين.

وكذلك من أحب الكفار فإنه يكفر، وهذا هو التولي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] يتولاهم بالمُناصرة والمُظاهرة، أو يتولاهم بالمَحبة، فإنه يكفر؛ لأنه أحب الكفر وأحب الكفار فيكفر بذلك، إذا أحبهم معناه: أنه لَمْ ينكر الكفر، ومن لَمْ ينكر الكفر فهو كافر.

النَّاقِضُ الثَّامِنُ

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥١].

الْمُظَاهَرَةُ: مَعْنَاهَا: الْمُعَاوَنَةُ، وَمُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: إِعَانَةُ الْكُفَّارِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الْكُفَّارَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، وَهَذَا هُوَ التَّوَلِّي: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥١]. يَتَوَلَّاهُمْ بِالْمُنَاصَرَةِ، وَالْمُعَاوَنَةِ، أَوْ يَتَوَلَّاهُمْ بِالْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ؛ لِأَنَّهُ أَحَبَّ الْكُفْرَ وَأَحَبَّ الْكُفَّارَ، فَيَكْفُرُ بِذَلِكَ، إِذَا أَحَبَّهُمْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ، وَمَنْ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

رسلان

[الْمُظَاهَرَةُ: الْمُعَاوَنَةُ.

قَالَ الرَّاغِبُ: «ظَهَرَ عَلَيْهِ: غَلَبَهُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٠]، وَظَاهَرْتُهُ: عَاوَنْتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [المُمتحنة: الآية ٩]، ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: الآية ٤]، أَيْ: تَعَاوَنَا»[1].

قَالَ الْخَلِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظَّهِيرُ: الْعَوْنُ، وَالْمُظَاهِرُ: الْمُعَاوِنُ، وَهُمَا يَتَظَاهَرَانِ أَيْ يَتَعَاوَنَانِ»[2].

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: الآية ٨٦]، أَيْ: مُوَالِيًا وَمُسَاعِدًا.

وَأَصْلُ الْمُوَالَاةِ: الْقُرْبُ وَالْمَحَبَّةُ، فَالْمُوَالِي هُوَ الْمُحِبُّ وَالْقَرِيبُ.]

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: «الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ، مِنْ ذَلِكَ: الْوَلْيُ: الْقُرْبُ، يُقَالُ: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلْيٍ، أَيْ: بَعْدَ قُرْبٍ، وَالْبَابُ كُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى الْقُرْبِ»[3].

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص ٥٤٠).

(٢) «العين» للخليل (ص ٥٩٠).

(٣) «مقاييس اللغة» (٦/ ١٤١، ١٤٢).

العدني

الناقض الثامن

(مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

✿ المسألة الأولى: معنى قوله: (مظاهرة المشركين) المظاهرة: هي المساعدة والموالاة، [كما قال تعالى لنبيه ﷺ «ولا تكونن ظهيرًا للكافرين» أي: مواليًا ومساعدًا.] راجع «المصباح المنير» (١٤٧). [قال الخليل الفراهيدي في كتابه «العين» (٥٩٠): الظهير العون، والمظاهر المعاون، وهما يتظاهران أي يتعاونان. اهـ]

[والموالي هو المحب والقريب؛ لأن أصل الموالاة هي القُرْب والمحبة.]

✿ قال ابن فارس في «معجم المقاييس» (١١٠٤) طبعة دار الفكر عند ماد (ولي): [الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب. اهـ]

رسلان

فَلَا يَتِمُّ الدِّينُ، وَلَا يُقَامُ عَلَمُ الْجِهَادِ، أَوْ عَلَمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا بِالْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةِ فِي اللَّهِ وَالْمُوَالَاةِ فِي اللَّهِ.

وَلَوْ كَانَ النَّاسُ مُتَّفِقِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَحَبَّةٍ مِنْ غَيْرِ عَدَاوَةٍ وَلَا بَغْضَاءَ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا بَيْنَ

١٢٢ نواقض الإسلام

الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَلَا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.

العدني

١٠٨ شرح نواقض الإسلام

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في رسالته «أوثق عرى الإيمان» (١٤٨وبعد) ضمن المجموعة: فهل يتم الدين أو يقام عَلَم الجهاد وعَلَم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فُرْقَانٌ بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. اهـ.

رسلان

وَالْمُظَاهَرَةُ مِنَ الْمُوَالَاةِ الدَّالَّةِ بِمَادَّتِهَا عَلَى الْقُرْبِ وَالْحُبِّ، وَالنُّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ، وَهَذَا هُوَ مُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا النَّاقِضِ، فَمُرَادُهُ هُوَ نُصْرَةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِمْ، وَالْقُرْبُ مِنْهُمْ، وَمَحَبَّتُهُمْ، وَتَأْيِيدُهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَإِعَانَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْعَتَادِ وَالرَّأْيِ، وَالْأُنْسُ بِهِمْ وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمُوَالَاةِ كُفْرٌ.

وَعَدَاوَةُ الْكُفَّارِ لَا يَكْفِي كَوْنُهَا بِالْقَلْبِ فَحَسْبُ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْبَدَنِ، فَأَمَّا كَوْنُهَا بِالْقَلْبِ فَبِوُجُودِهَا وَكَيْنُونَتِهَا فِيهِ، وَأَمَّا بِاللِّسَانِ فَبِسَبِّهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَبَيَانِ بَاطِلِهِمْ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ، وَأَمَّا بِالْبَدَنِ فَبِهَجْرِهِمْ وَمُجَانَبَتِهِمْ، وَعَدَمِ غِشْيَانِ مَجَالِسِهِمْ.

العدني

❁ خلاصة هذا: أن المظاهرة من الموالاة الدالة بمادتها على القرب والحب

والنصرة والتأييد كما قاله علماء اللغة، وهذا هو مراد الشيخ رحمه الله في هذا الناقض فمراده هو نصرة المشركين على المؤمنين والقرب منهم ومحبتهم وتأييدهم على ما هم عليه، وإعانتهم على المسلمين بالمال والنفس والعتاد والرأي والأنس بهم، وهذا النوع من الموالاة كفر كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

❁ إذا علمت هذا فاعلم أن عداوة الكفار لا يكفي كونها بالقلب فحسب، بل لا بد أن تكون بالقلب واللسان والبدن، فأما كونها بالقلب فبوجودها وكينونتها فيه، وأما باللسان فبسبهم والبراءة منهم وبيان باطلهم والتحذير منهم، وأما بالبدن فبهجرهم ومجانبتهم، وعدم غشيان مجالسهم.اهـ راجع «الدرر السنية» (٨/ ٣٣٨) و (١٠/ ١٣٩-١٤٠).

رسلان

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَادِيَ فِي اللَّهِ وَيُوَالِيَ فِي اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُؤْمِنٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَالِيَهُ، وَإِنْ ظَلَمَهُ، فَإِنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْطَعُ الْمُوَالَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: الآية ٩]، فَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً مَعَ وُجُودِ الْقِتَالِ وَالْبَغْيِ، وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ.

فَلْيَتَدَبَّرِ الْمُؤْمِنُ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ تَجِبُ مُوَالَاتُهُ وَإِنْ ظَلَمَكَ وَاعْتَدَى عَلَيْكَ، وَالْكَافِرَ تَجِبُ مُعَادَاتُهُ وَإِنْ أَعْطَاكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، فَيَكُونُ الْحُبُّ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْبُغْضُ لِأَعْدَائِهِ، وَالْإِكْرَامُ وَالثَّوَابُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْإِهَانَةُ وَالْعِقَابُ لِأَعْدَائِهِ»[1].

العدني

أما الإجماع:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، كما في «مجموع الفتاوى» (٢٠٨/٢٨و٢٠٩): المؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩-١٠] فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهما.

فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

النَّاقِضُ التَّاسِعُ

التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام، فَهُوَ كَافِرٌ.

مَنْ أَجَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِلرَّسُولِ وَيَتَّبِعْ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، سَوَاءٌ أَكَانَ يَهُودِيًّا أَمْ نَصْرَانِيًّا أَمْ مَجُوسِيًّا، أَمْ عَلَى أَيِّ مِلَّةٍ كَانَ؛ لِأَنَّهُ بِبِعْثَتِهِ ﷺ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ فَقَدْ نُسِخَ مَا هُوَ عَلَيْهِ بِبِعْثَتِهِ ﷺ، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَاعَتِهِ.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحمَّد ﷺ كما وسع الْخَضر الْخُروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر [١٥].

[١٥] التاسع: من أجاز لأحد أن يَخرج عن شريعة مُحَمَّد ﷺ؛ لأن الله بعث مُحمدًا ﷺ إلى الناس كافة، وأوجب طاعته على العالَمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن لَمْ يستجب للرسول ويتبع هذا الرسول فهو كافر، سواءٌ أكان يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا، أو أي ملة كان؛ لأنه ببعثته أوجب الله طاعته واتباعه، ومن كان على دين اليهودية والنصرانية فإنه قد نُسخ ببعثته ﷺ، فلا يسع أحدًا أن يَخرج عن طاعته.

رسلان

١٣٢ نواقض الإسلام

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وَأَمَّا خُرُوجُ الْخَضِرِ عَنْ طَاعَةِ مُوسَى عليه السلام؛ فَلِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُرْسَلْ إِلَى الْخَضِرِ؛ لِأَنَّ رِسَالَةَ مُوسَى خَاصَّةٌ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصَّف: الآية ٥]، فَرِسَالَةُ مُوسَى عليه السلام لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَقَدْ كَانَ الْخَضِرُ عَلَى عِبَادَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ: هَلْ هُوَ نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.

الفوزان

أما خروج الخضر عن طاعة موسى، فلأن موسى لَمْ يرسَل إلى الخضر؛ لأن رسالة موسى خاصة ببني إسرائيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ

٣٢ سلسلة شرح الرسائل

إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] فرسالة موسى عليه السلام لبني إسرائيل، ما هي عامة لجميع الناس، فلذلك الخضر كان على عبادة لله، واختلف العلماء في الخضر: هل هو نبي أو رجل صالح؟ على قولين:

رسلان

وَالْخَضِرُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى ﷺ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُبْعَثْ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَلِذَلِكَ وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى، وَأَمَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﷺ فَإِنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى حَالَةٍ لَا يَكُونُونَ فِيهَا بِحَاجَةٍ إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً، وَلَا يَأْخُذُونَ عَنِ الرَّسُولِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا هُمْ لِلْعَوَامِّ، أَمَّا الْخَوَاصُّ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرُّسُلِ، وَهُمْ لِذَلِكَ لَا يُصَلُّونَ، وَلَا يَصُومُونَ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى الشَّرِيعَةِ، بِزَعْمِ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَوَاصِّ، وَالشَّرِيعَةُ إِنَّمَا هِـ لِلْعَوَامِّ، وَهَذَا كُلُّهُ نَقْضٌ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»،

الفوزان

فالخضر ما هو من أمة موسى؛ لأن موسى لَمْ يُبعث إلَى الناس كافة، فلذلك وسعه الخروج، أما مُحَمَّد ﷺ فإنه مبعوث إلَى الناس كافة، فلا يسع أحدًا الخروج عن شريعته، وهذا فيه رد علَى الصوفية الذين يزعمون أنَّهم يصلون إلَى حالة ليسوا بِحاجة إلَى اتباع الرسل، وأنهم يأخذون عن اللَّه مباشرة، ولا يأخذون عن الرسول.

ويقولون: إن الرسل إنَّمَا هم للعوام، أما الخواص فلا يَحتاجون إلَى الرسل؛ لأنَّهم يعرفون اللَّه ويصلون إلَى اللَّه، ويأخذون عن اللَّه مباشرة، هذا ما عليه غلاة الصوفية، أنهم يصلون إلَى حالة يستغنون عن الرسول ﷺ، ويَخرجون عن شريعته، ولذلك لا يصلُّون ولا يصومون ولا يَحجون، ولا يعملون بِمَا جاء به الرسول؛ لأنَّهم خواص يقولون: ما نَحن بِحاجة إلَى الرسول، نَحن وصلنا إلَى اللَّه . . . نسأل اللَّه العافية، هذا قصد الشيخ من ذكر هذه المَسألة، هذا رد على

رسلان

[فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٢٢٠)، وحسَّنه الألباني في «مختصر العلو» (ص ٦٠)، وفي «الإرواء» (١٥٨٩).

فَمِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:

– قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ١١٥].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: الآية ١١٥]: وَمَنْ يُبَايِنِ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ، مُعَادِيًا

العدني

المسألة الثانية: إذا تبين هذا عُلِمَ أن من اعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعته ﷺ فهو كافر خارج عن الإسلام بنص الكتاب والسنة والإجماع.

١ – أما من الكتاب:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

قال الإمام ابن جرير في تفسير هذه الآية (٩/ ٢٠٤):

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: ومن يباين الرسول محمدًا

رسلان

لَهُ ، فَيُفَارِقُهُ عَلَى الْعَدَاوَةِ لَهُ : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: الآية ١١٥] ، يَعْنِي : مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١١٥] ، يَقُولُ : وَيَتَّبِعُ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ ، وَيَسْلُكُ مِنْهَاجًا غَيْرَ مِنْهَاجِهِمْ ، وَذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ ، لِأَنَّ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غَيْرُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرُ مِنْهَاجِهِمْ»[1] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: الآية ١٤] .

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْمَعْصِيَةِ الْكُفْرُ فَمَا دُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا شُبْهَةٌ لِلْخَوَارِجِ الْقَائِلِينَ بِكُفْرِ أَهْلِ

(١) «تفسير الطبري» (٩/ ٢٠٤)

العدني

١٣٠ شرح نواقض الإسلام

ﷺ معاديًا له، فيفارقه على العداوة له: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله؛ لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم. اهـ.

(ج) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[النساء:١٤].

قال الإمام السعدي في «تفسيره» (١٧١): ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي؛ فإن

رسلان

الْمَعَاصِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَرَتَّبَ دُخُولَ النَّارِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ طَاعَةً تَامَّةً دَخَلَ الْجَنَّةَ، بِلَا عَذَابٍ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعْصِيَةً تَامَّةً يَدْخُلُ فِيهَا الشِّرْكُ فَمَا دُونَهُ، دَخَلَ النَّارَ وَخُلِّدَ فِيهَا، وَمَنِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ وَطَاعَةٌ كَانَ فِيهِ مِنْ مُوجِبِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ»(١).

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ٦٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النُّور: ٦٣]، أَيْ: عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَبِيلُهُ وَمِنْهَاجُهُ وَطَرِيقَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَشَرِيعَتُهُ، فَتُوزَنُ الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ بِأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ وَفَاعِلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ.

أَيْ: فَلْيَحْذَرْ وَلْيَخْشَ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النُّور: الآية ٦٣]، أَيْ: فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ بِدْعَةٍ، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ٦٣]، أَيْ:

(١) «تيسير الكريم الرحمن».

فِي الدُّنْيَا، بِقَتْلٍ، أَوْ حَدٍّ، أَوْ حَبْسٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ»(١).

العدني

الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله، ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاع طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه دخل النار وخُلِّد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. اهـ

(ب) قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

❁ قال الإمام ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية (٣/ ٢٨٨): أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن رسول الله ﷺ

قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد». أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك. اهـ

رسلان

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ حَكَاهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ:

«مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ رِجَالًا خَوَاصًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلِ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ، كَمَا اسْتَغْنَى الْخَضِرُ عَنْ مُوسَى . . . فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ»[١].

وَقَدْ حَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِجْمَاعَ فِي «الشِّفَا» (٢/ ١٠٧١).

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي «مِفْتَاحِ الْجَنَّةِ»: «اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللَّهُ- أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ كَوْنَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا بِشَرْطِهِ الْمَعْرُوفِ فِي الْأُصُولِ حُجَّةً: كَفَرَ وَخَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، وَحُشِرَ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَوْ مَعَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ فِرَقِ الْكَفَرَةِ»[٢].

وَنَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيِّ، فَقَالَ:

«وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِطَاعَةِ رُسُلِهِ فِي كُلِّ مَا جَاءُوا بِهِ، وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِمَا أَمَرُوا بِهِ، فَإِنَّ فِيهِ الْهُدَى.

وَقَدْ حَصَلَ الْعِلْمُ الْيَقِينِيُّ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ، فَمَنِ ادَّعَى

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٣٤).
(٢) «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة» للسيوطي (ص ١٩).

العدني

إليها عباده إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته أكرم الأمم وشريعته أكمل الشرائع وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لا نسخ له بعده ولا تحويل ولا تبديل. اهـ.

٣- أما الإجماع: فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٣٤-٤٣٥): من اعتقد أن لله رجالًا خواصًا لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ، بل استغنوا عنه، كما استغنى الخضر عن موسى... فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام. اهـ.

وقال القرطبي أبو العباس، كما في فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٩٢): والله عز وجل أمر بطاعة رسله في كل ما جاءوا به، وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به فإن فيه الهدى . وقد حصل العلم اليقيني وإجماع السلف على ذلك، فمن

أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقًا أُخْرَى يَعْرِفُ بِهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ غَيْرَ الطُّرُقِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ يَسْتَغْنِي بِهَا عَنِ الرَّسُولِ، فَهُوَ كَافِرٌ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، وَهِيَ دَعْوَى تَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نَبِيِّنَا؛ لِأَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَأْخُذُ عَنْ قَلْبِهِ، لِأَنَّ الَّذِي فِيهِ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، فَقَدْ أَثْبَتَ خَاصَّةَ النُّبُوَّةِ.

وَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا لَا آخُذُ عَنِ الْمَوْتَى، وَإِنَّمَا آخُذُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَكَذَا قَالَ آخَرُ: أَنَا آخُذُ عَنْ قَلْبِي عَنْ رَبِّي.

وَكُلُّ ذَلِكَ كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الشَّرَائِعِ»[1].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنْ يَظُنُّ أَنَّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مَنْ يَسُوغُ لَهُ الْخُرُوجُ عَنِ الشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ، كَمَا سَاغَ لِلْخَضِرِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَةِ مُوسَى، وَأَنَّهُ يَكُونُ لِلْوَلِيِّ مِنَ الْمُكَاشَفَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِ أَوْ بَعْضِهَا . . .

كُلُّ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ مِنْ أَعْظَمِ الْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ النِّفَاقِ وَالْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ»[2].

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٩٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٢٢).

العدني

ادعى أن هناك طريقا أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الطرق التي جاءت بها الرسل يستغني بها عن الرسول، فهو كافر يقتل ولا يستتاب، وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا؛ لأن من قال إنه يأخذ عن قلبه؛ لأن الذي يقع فيه هو حكم الله وأنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة.

وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: أنا لا آخذ عن الموتى، وإنما آخذ عن الحي الذي لا يموت. وكذا قال آخر: أنا آخذ عن قلبي عن ربي.

وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع. اهـ

❁ المسألة الثالثة: كلام أهل العلم فيمن اعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ:

١- قال شيخ الإسلام، كما في «الفتاوى» (٣/ ٤٢٢): مَنْ يظن أن مِن

الأولياء مَنْ يَسُوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى، وأنه قد يكون للولي المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها... وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر. اهـ

رسلان

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَغْنِي عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ بِمَا يُلْقَى فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْهَوَاجِسِ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ كُفْرًا، وَكَذَلِكَ إِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَكْتَفِي بِهَذَا تَارَةً، وَبِهَذَا تَارَةً، فَمَا يُلْقَى فِي الْقُلُوبِ لَا عِبْرَةَ وَلَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يُعْرَضْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَيُشْهَدْ لَهُ بِالْمُوَافَقَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ إِلْقَاءِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ»[1].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ»:

«وَأَمَّا مَنْ يَتَعَلَّقُ بِقِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ فِي تَجْوِيزِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْوَحْيِ بِالْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ الَّذِي يَدَّعِيهِ بَعْضُ مَنْ عَدِمَ التَّوْفِيقَ، فَهُوَ مُلْحِدٌ زِنْدِيقٌ.

فَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَالْخَضِرِ مَعَ مُوسَى، وَجَوَّزَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيُجَدِّدْ إِسْلَامَهُ، وَلْيَشْهَدْ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ مُفَارِقٌ لِدِينِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ»[2].

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٤٤).

(٢) «شرح الطحاوية» (ص٥١١).

العدني

٢- قال الإمام ابن القيم في كتابه «الإغاثة» (١/ ١٤٤): من ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول مما يُلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفرًا، و كذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة، وبهذا تارة، فما يلقى في القلوب لا عبرة ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ويشهد له بالموافقة، وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان. اهـ طبعة دار الكتب بتحقيق محمد حامد الفقي.

* وقال في المدارج (٢/ ٣٨٢)، ط. دار الحديث: وأما قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحادٌ، وكفر مُخْرِجٌ عن الإسلام موجب لإراقة الدم. اهـ

٣- قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية (٥١١) بتحقيق الألباني رحمه الله:

وأما مَنْ يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق، فهو ملحد زنديق... فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، وجوّز ذلك لأحد من الأمة، فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان. اهـ وانظر المدارج (٢/ ٣٨٣).

رسلان

وَقَالَ الشَّيْخُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ غَنِيٌّ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَا يُرْضِي رَبَّهُ عَنِ الرُّسُلِ، وَمَا جَاءُوا بِهِ وَلَوْ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَا شَكَّ فِي زَنْدَقَتِهِ، وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا لَا تُحْصَى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى نُلْقِيَ فِي الْقُلُوبِ إِلْهَامًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]، وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ بِمِثْلِ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا يَدَّعِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهَلَةِ الْمُدَّعِينَ التَّصَوُّفَ مِنْ أَنَّ لَهُمْ وَلِأَشْيَاخِهِمْ طَرِيقًا بَاطِنَةً تُوَافِقُ الْحَقَّ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لِظَاهِرِ الشَّرْعِ كَمُخَالَفَةِ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ لِظَاهِرِ الْعِلْمِ الَّذِي عِنْدَ مُوسَى، زَنْدَقَةٌ وَذَرِيعَةٌ إِلَى الِانْحِلَالِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، بِدَعْوَى أَنَّ الْحَقَّ فِي أُمُورٍ بَاطِنَةٍ تُخَالِفُ ظَاهِرَهُ»[1].

عُمُومُ رِسَالَتِهِ ﷺ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى عُمُومِ الرِّسَالَةِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَدَلَّ

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٥٩).

العدني

٥- قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ١٥٩-١٦٠): من ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهامًا، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] والآيات والأحاديث في هذه كثيرة جدًّا... وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف مِنْ أن لهم ولأشياخهم طريقًا باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره. اهـ

عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ.

- فَمِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٧٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، إِطْلَاقُ لَفْظِ لِنَّاسِ عَلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: الآية ٥٧]: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ»[1].

(١) «البخاري» (٧٤٤٣)، ومسلم (٣٠٣٠).

الناقض التاسع

(من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر)

❁ **المسألة الأولى:** اعلم أن نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن رسالة نبينا محمد ﷺ عامة لجميع الثقلين؛ فلا يجوز لأحد الخروج عنها.

١- أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام:١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

ولفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما في «الصحيحين» عن ابن مسعود في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآية، قال رضي الله عنه: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم. اهـ

رسلان

- وَمِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأنبياء قَبْلِي** - وذكر منها -:

«**وكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»(٢).

- **وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ:**

فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمه الله: «وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَمْ يَبْقَ إِنْسِيٌّ وَلَا جِنِّيٌّ إِلَّا وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَاتِّبَاعُهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِرِسَالَتِهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ؛ سَوَاءٌ كَانَ إِنْسِيًّا أَوْ جِنِّيًّا.

فَمُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَى الثَّقَلَيْنِ، وَقَدِ اسْتَمَعَتِ الْجِنُّ الْقُرْآنَ،

نواقض الإسلام (١٤٤)

وَوَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ بِبَطْنِ نَخْلَةَ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ، وَأَخْبَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٩](١).

العدني

الناقض التاسع (١٢٩)

«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».

٣- أما الإجماع: فقد قال شيخ الإسلام في كتابه «الفرقان» (٦٦٩) ضمن مجموعة التوحيد: ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به، فهو كافر، سواء كان إنسيًّا أو جنيًّا، (**ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين**)، وقد استمعت الجن القرآن وولّوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ....﴾ الآيات [الأحقاف: من الآية٢٩]. اهـ المراد.

رسلان

الرَّدُّ عَلَى مَن احْتَجَّ بِالْخَضِرِ لِيَخْرُجَ عَلَى الشَّرِيعَةِ:

الرَّدُّ مِنْ وُجُوه:

الْأَوَّلُ: أَنَّ مُوسَى كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إِلَى الْخَضِرِ، فَلَمْ يَكُنْ يَلْزَمُ الْخَضِرَ اتِّبَاعُهُ، وَرِسَالَةُ مُوسَى عليه السلام كَانَتْ خَاصَّةً بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَرِسَالَتُهُ عَامَّةٌ

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية (ص ٢٦١).

١٤٥ النَّاقِضُ التَّاسِعُ

لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِنَّ مُوسَى لَمَّا سَلَّمَ عَلَى الْخَضِرِ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ بَعْدَ أَنْ رَدَّ السَّلَامَ: «وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟»، فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ الْخَضِرُ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: نَعَمْ»(١). فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَوْمِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا سَاغَ لَهُ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ، كَذَلِكَ لَعَرَفَهُ أَوَّلَ مَا رَآهُ، وَلَلَزِمَهُ أَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِ وَيُؤْمِنَ بِهِ وَيَقِفَ مَعَهُ، وَكَذَلِكَ لَمَّا جَازَ لِمُوسَى أَنْ يَرْحَلَ إِلَى الْخَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْمِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا -أَيْ: مُوسَى- وَيَتَعَلَّمُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ قَوْمِهِ؟!(٢)

الثَّانِي: أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِشَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام، وَمُوسَى لَمْ يَكُنْ عَلِمَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُبِيحُ ذَلِكَ، فَلَمَّا بَيَّنَهَا لَهُ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِشَرِيعَتِهِ لَمْ يُوَافِقْ بِحَالٍ(٣).

العدني

الناقض التاسع ١٣٥

المسألة الرابعة: الرد على شبهة الصوفية في أنه يسعهم الخروج عن الشريعة كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، من وجوه:

الوجه الأول: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، وما كان على الخضر اتباع موسى عليه السلام؛ فإن موسى عليه السلام كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل خاصة؛ بدليل قوله ﷺ في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام؟! «إن موسى لما سلَّم على الخضر قال له الخضر بعد أن رد عليه: أنى بأرضك السلام، قال أنا موسى بني إسرائيل...» أخرجاه عن ابن عباس رضي الله عنهما، فدل على أنه لم يكن من قومه؛ إذ لو كان كذلك لما ساغ له أن يبعد عنه، كذلك لعرفه أول ما يراه، وللزمه أن يرحل إليه ويؤمن به ويقف معه، وكذلك لما جاز لموسى أن يرحل إلى الخضر ويتعلم منه، وهو من قومه، فكيف يكون نبيًا -أي: موسى- ويتعلم من أحد من قومه؟! وقد أخبر النبي ﷺ «أن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة». كما في «الصحيحين». اهـ «رسائل ومسائل» لشيخ الإسلام (٤/ ٦٧) و «الفتاوى» لشيخ الإسلام كذلك (٢/ ٢٣٣) و (٢٧/ ٥٩).

الوجه الثاني: أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة، بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر، لهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك، ولو كان مخالفًا لشريعته لم يوافق بحال. اهـ «فتاوى شيخ الإسلام» (٢/ ٢٣٤).

رسلان

كَانَ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً

الرَّابِعُ: أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ وَحْيٍ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَالْوَحْيُ قَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَنِ ادَّعَى حُصُولَهُ كَفَرَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ: أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِجَمِيعِ النَّاسِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَزُهَّادِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَنَّهَا بَاقِيَةٌ دَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَلْ عَامَّةٌ لِلثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَمُلَازَمَةِ مَا يَشْرَعُهُ لِأُمَّتِهِ مِنَ الدِّينِ، وَمَا سَنَّهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ، بَلْ لَوْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ أَحْيَاءً لَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مُتَابَعَتُهُ وَمُطَاوَعَتُهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

العدني

الوجه السادس: ما قاله شيخ الإسلام، كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٢٢ وبعد): قد علم بالاضطرار من دين الإسلام: أن رسالة محمد بن عبدالله ﷺ لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة الثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمته ما يشرعه لأمته من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

رسلان

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ، لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَأَمَرَهُ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَى أُمَّتِهِ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ حَيٌّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ.

وَثَبَتَ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِشَرِيعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ وَنَصْرُهُ عَلَى مَنْ يُدْرِكُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ؟

بَلْ مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِمَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ أَنْ يَتَّبِعَ شَرِيعَةَ رَسُولٍ غَيْرِهِ كَعِيسَى وَمُوسَى، فَإِنْ لَمْ يَجُزِ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ إِلَى شَرِيعَةِ رَسُولٍ، فَكَيْفَ بِالْخُرُوجِ عَنْهُ وَالرُّسُلِ؟!»[1].

العدني

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١] قال ابن عباس: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وثبت بالأحاديث الصحيحة (أن المسيح عيسى ابن مريم إذا نزل من السماء فإنه يكون متبعًا لشريعة محمد بن عبدالله ﷺ، فإذا كان ﷺ يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء، فكيف بمن دونهم؟ بل مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى، فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول، فكيف بالخروج عنه والرسل؟ }اهـ وبه ينتهي الرد على الصوفية.

رسلان

اخْتُلِفَ فِي الْخَضِرِ عليه السلام عَلَى أَقْوَالٍ هِيَ : أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ وَلِيًّا لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا ، وَالثَّالِثُ : أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ قَوْلُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُحَقِّقِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ ، وَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ ، أَذْكُرُ أَحَدَهَا مِنْ كَلَامِ الْعَلَّامَةِ الشَّنْقِيطِيِّ ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٢٢).

١٤٨ نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ

«مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ فِي أَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْعِلْمَ اللَّدُنِّيَّ امْتَنَّ اللَّهُ بِهِمَا عَلَى عَبْدِهِ الْخَضِرِ عَنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُ : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: الآية ٨٢] ، أَيْ : إِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عز وجل ، وَأَمْرُ اللَّهِ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ ؛ إِذْ لَا طَرِيقَ تُعْرَفُ بِهَا أَوَامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ إِلَّا الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَلَا سِيَّمَا قَتْلُ الْأَنْفُسِ الْبَرِيئَةِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ، وَتَعْيِيبُ سُفُنِ النَّاسِ بِخَرْقِهَا ؛ لِأَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى أَنْفُسِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ حَصَرَ تَعَالَى طُرُقَ الْإِنْذَارِ فِي الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٥] وَ(إِنَّمَا) صِيغَةُ حَصْرٍ»(١)

العدني

المسألة الخامسة: وهي الأخيرة، هل الخضر رسول أم نبي أم هو ولي؟

واختُلف في خضر أهل العقول قيل نبي أو ولي أو رسول

وهذا الخلاف على ثلاثة أقوال بينهم على المشهور:

القول الأول: هو قول جماهير العلماء من المحدثين والمحققين والفقهاء والمفسرين إلى أنه نبي بعثه الله تعالى واستدلوا بأدلة كثيرة، منها:

الناقض التاسع ١٣٧

الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى، وقد حصر تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وإنما صيغة حصر،

قال الإمام الشنقيطي في «أضواء البيان» (٤/ ١٥٨-١٥٩): من أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ أي: إنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

«إِنْ لَمْ يُوجَدْ مَعَهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَكُفْرُهُ هُوَ سَبَبُ الْإِعْرَاضِ عَنْ تَعَلُّمِ دِينِهِ، لَا عِلْمَهُ، وَلَا تَعَلَّمَهُ، وَلَا عَمِلَ بِهِ»(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَوْلُ السَّائِلِ : وَمَا الْإِعْرَاضُ الَّذِي هُوَ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ؟ وَمَا الَّذِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْإِعْرَاضُ؟».

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «نَذْكُرُ هُنَا مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا عَبْدُ اللَّطِيفِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، لَمَّا سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَقَالَ : إِنَّ أَحْوَالَ النَّاسِ تَتَفَاوَتُ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَتَفَاوُتُهُمْ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْإِيمَانِ إِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِيمَانِ مَوْجُودًا، وَالتَّفْرِيطُ وَالتَّرْكُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

وَأَمَّا إِذَا عُدِمَ الْأَصْلُ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَعْرَضَ عَنْ هَذَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَهَذَا كُفْرُ إِعْرَاضٍ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤].

وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْأَصْلِ

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع»، لسليمان بن سحمان (ص ٨٠).

العدني

بعض المستحبات.

قال الشيخ عبداللطيف كما نقله عنه تلميذه ابن سحمان، حين سئل عن الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟

فقال ابن سحمان: نذكر هنا ما ذكره شيخنا عبداللطيف رحمه الله تعالى لما سئل عن هذه المسألة فقال: الجواب أن أحوال الناس تتفاوت تفاوتًا عظيمًا، وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان، إذا كان أصل الإيمان موجودًا، والتفريط والشرك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، وأما إذا عُدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام وأعرض عن هذا بالكلية، فهذا كفر إعراض فيه، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأعراف:١٧٩] وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤].

رسلان

وَحَقِيقَةِ الْقَاعِدَةِ وَإِنِ اخْتَلَفَ التَّعْبِيرُ وَاللَّفْظُ، فَإِنَّ كَثِيرًا يَعْرِفُ الْأَصْلَ وَالْقَاعِدَةَ، وَيُعَبِّرُ بِغَيْرِ التَّعْبِيرِ الْمَشْهُورِ.

وَتَعْزِيرُهُمْ وَتَوْقِيرُهُمْ كَذَلِكَ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ أَيْضًا، أَعْظَمُهَا رَفْعُ شَأْنِهِمْ، وَنُصْرَتِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ، وَتَصْوِيبُ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَهَذَا وَجِنْسُهُ مِنَ الْمُكَفِّرَاتِ، وَدُونَهُ مَرَاتِبُ مِنَ التَّوْقِيرِ بِالْأُمُورِ الْجُزْئِيَّةِ. انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنْ تَعَلُّمِ الْأَصْلِ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَمَّا مَنْ ظَاهِرُهُ لَا إِسْلَامٌ وَلَا كُفْرٌ بَلْ هُوَ جَاهِلٌ، فَنَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ الْجَاهِلُ إِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَلَوْ كَانَ جَاهِلًا بِتَفَاصِيلِ دِينِهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنْ يَعْرِفُوا عَلَى التَّفْصِيلِ مَا يَعْرِفُهُ مَنْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ

العدني

❁ قال الشيخ ابن سحمان بعد هذا الكلام: فتبين من كلام الشيخ أن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، لا بترك الواجبات والمستحبات. اهـ من «الدرر السنية» (٨/ ٣٦٠) و (١٠/ ٤٧٢-٤٧٣)، «منهج أهل الحق والإتباع» لابن سحمان (٨١، ٨٢).

❁ وقال الشيخ ابن سمحان رحمه الله تعالى في كتابه «منهج أهل الحق والإتباع في مخالفة أهل الجهل والإبتداع» (٧٨-٨٠): وقد سئل عدة أسئلة كان فيها هذا السؤال: كيف يعامل من ظاهره لا إسلام ولا كفر، بل جاهل؟

فقال رحمه الله تعالى: وأما من ظاهره لا إسلام ولا كفر، بل هو جاهل فنقول: هذا الرجل الجاهل إن كان معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو مسلم، ولو كان جاهلاً بتفاصيل دينه، فإنه ليس على عوام المسلمين ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله، أن يعرفوا على التفصيل ما يعرفه

مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْيَانِهِمْ، فِيمَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ إِيمَانًا عَامًّا مُجْمَلًا، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي (الْمِنْهَاجِ).

وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مَعَهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَكُفْرُهُ هُوَ بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنْ تَعَلُّمِ دِينِهِ لَا عَلِمَهُ وَلَا تَعَلَّمَهُ وَلَا عَمِلَ بِهِ.

وَالتَّعْبِيرُ بِأَنَّ ظَاهِرَهُ لَا إِسْلَامٌ وَلَا كُفْرٌ لَا مَعْنَى لَهُ عِنْدِي، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا جَاهِلًا أَوْ كَافِرًا جَاهِلًا»(١).

من أقدره الله على ذلك من علماء المسلمين وأعيانهم فيما شرعه الله ورسوله من الأحكام الدينية، بل عليهم أن يؤمنوا بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً كما قرر ذلك شيخ الإسلام في «المنهاج»، وإن لم يوجد معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو كافر، وكفره هو بسبب الإعراض عن تعلم دينه، لا عَلِمَهُ ولا تَعَلَّمَهُ ولا عمل به، والتعبير بأن ظاهره لا إسلام ولا كفر لا معنى له عندي، لأنه لا بد أن يكون جاهلاً مسلماً أو كافراً جاهلاً. اهـ

رسلان

وَمَنْ أَعْرَضَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْهُ وَلَا عَارَضَهُ بِمَعْقُولٍ أَوْ رَأْيٍ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ الْبَسِيطِ، وَهُوَ أَصْلُ الْمُرَكَّبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ خَالِيًا مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَاعْتِقَادِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ كَانَ مُعْرِضًا؛ لِاعْتِقَادِ نَقِيضِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، لَا

١٥٦ نواقض الإسلام

سِيَّمَا فِي الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي هِيَ غَايَةُ مَطَالِبِ الْبَرِيَّةِ»[١].

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ١١٣١).

العدني

ومن أعرض عما جاء به الرسول ولم يعرفه ولم يتبينه ولا عارضه بعقول أو رأي، فهو من أهل الجهل البسيط، وهو أصل المركب؛ فإن القلب إذا كان خاليًا من معرفة الحق واعتقاده والتصديق به ومحبته كان معرضًا؛ لاعتقاد نقيضه والتصديق به، لاسيما في الأمور الإلهية التي هي غاية مطالب البرية... اهـ المراد

رسلان

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْوَحْيِ، الْمُعَارِضِينَ لَهُ بِعُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ بِالْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَالْحَيْرَةِ وَالشَّكِّ وَالْعَمَى وَالرَّيْبِ، فَلَا يَجُوزُ وَصْفُهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْهُدَى، وَمَنْشَأُ ضَلَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ شَيْئَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْإِعْرَاضُ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

الثَّانِي: مُعَارَضَتُهُ بِمَا يُنَاقِضُهُ، فَمِنْ ذَلِكَ نَشَأَتِ الِاعْتِقَادَاتُ الْمُخَالِفَةُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكُلُّ مَنْ أَخْبَرَ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ نَاقَضَهُ وَعَارَضَهُ، سَوَاءٌ اعْتَقَدَ ذَلِكَ بِجَنَانِهِ أَوْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ أَوْ كَتَبَهُ بِبَنَانِهِ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ.

العدني

وبين المعترض على دين الله تعالى، فالثاني أعظم كفرًا؛ لأن فيه زيادة مناقضة مع الإعراض ومصادمة للنصوص الشرعية وصدٌّ عن سبيل الله تعالى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١١٣١) طبعة دار العاصمة بتحقيق علي بن محمد الدخيل: إن الله سبحانه وصف المعرضين عن الوحي المعارضين له بعقولهم وآرائهم بالجهل والضلال والحيرة والشك والعمى والريب، فلا يجوز وصفهم بالعلم والعقل والهدى، ومنشأ ضلال هؤلاء من شيئين:

أحدهما: الإعراض عما جاء به الرسول.

الثاني: معارضته بما يناقضه، فمن ذلك نشأت الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة، فكل من أخبر بخلاف ما أخبر به الرسول عن شيء من أمر الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله واليوم الآخر، أو غير ذلك، فقد ناقضه وعارضه، سواءٌ اعتقد ذلك بجَنَانِهِ أو قاله بلسانه أو كتبه ببنانه، وهذا حال أهل الجهل المركب؛

رسلان

وَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ الِاهْتِدَاءِ -بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ- فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ لِهَذَا عُذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هُدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٠].

قِيلَ: لَا عُذْرَ لِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنَ الضُّلَّالِ الَّذِينَ مَنْشَأُ ضَلَالِهِمُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ فَإِنَّهُ مُفَرِّطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اتِّبَاعِ دَاعِي الْهُدَى، فَإِذَا ضَلَّ فَإِنَّمَا أُتِيَ مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَنْ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، فَذَاكَ لَهُ حُكْمٌ آخَرُ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلَ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ»(١).

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٢٠٨)

العدني

قال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٠٨) بتحقيق علي بن حسن: كل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بُدَّ أن يقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨] فإن قيل: فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على هدى، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠].

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله من الضُّلَّال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظنّ أنه مهتد فإنه مفرِّط بإعراضه عن اتباع

١٥١

داعي الهُدى، فإذا ضلّ فإنما أُتي من تفريطه وإعراضه، وهذا بخلاف من كان على ضلالة لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها، فذاك له حكمٌ آخر، والوعيد في القرآن إنما يتناول الأول أما الثاني فإن الله لا يُعذِّب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء:١٥] وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]. اهـ وراجع «طريق الهجرتين» (٤١٢-٤١٤) طبعة دار الكتب العلمية. اهـ.

رسلان

فَهاهُنا ثَلاثَةُ أَقْسام:

الْأَوَّلُ: مَنْ أَعْرَضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ، لَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يُوالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ أَلْبَتَّةَ، فَهَذَا كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ، أَعْرَضَ عَنْ تَعَلُّمِ الْأَصْلِ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ.

الثَّانِي: مَنْ أَعْرَضَ عَنْ تَعَلُّمِ تَفَاصِيلِ الدِّينِ، وَتَفَاصِيلِ الْأَحْكَامِ؛ بِسَبَبِ الْكَسَلِ أَوْ عَدَمِ التَّفَرُّغِ لِذَلِكَ، فَهَذَا الْإِعْرَاضُ مَعْصِيَةٌ، وَلَا يُعَدُّ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ.

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٢٠٨).

١٥٩ النَّاقِضُ الْعَاشِرُ

الثَّالِثُ: مَنْ كَانَ ضَلَالُهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ، وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

العدني

فتبين من كلام ابن القيم أن من أعرض بسمعه، وقلبه عن الرسول لا يصدقه، ولا يكذبه، ولا يواليه، ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، عمدًا، واستهتارًا، واستكبارًا، كافر كفرًا أكبر، ليس معه أصل الإسلام، وستأتي الأدلة

✿ قال العلامة الفوزان في شرحه للنواقص (١٩٢): الإعراض إذا كان عن تعلم أصول الدين والعقيدة، فهذا ناقض من نواقض الإسلام، وأما إذا كان الإعراض عن تعلم تفاصيل الدين وتفاصيل الأحكام؛ بسبب الكسل أو عدم التفرغ لذلك، فهو معصية، ولا يعدُّ ناقضًا من نواقض الإسلام، وأما أصول الدين والتي لا يستقيم دين العبد إلا بها فهذا مَنْ أعرض عنه فإنه ينقض إسلامه، وأما الأمور التفصيلية وأحكام المعاملات فيكون تاركها تاركًا للسنة تاركًا لفرض كفائي، إن كان تعلمه كفائيًا، أو سنة إن كان سنة.اهـ.

✿ **المسألة السادسة**: التفريق بين من كان منشأ ضلاله إعراضًا عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ وتفريطًا بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، وبين من كان على ضلالة؛ لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها، فالأول لا عذر له، والثاني تقام عليه الحجة، والكلام في هذا الناقض على النوع الأول.

رسلان

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

«فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِصْغَاءِ لَهُ وَتَدَبُّرِ مَا فِيهِ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ بَشِيرًا لَهُمْ وَنَذِيرًا»[٢].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ١٠٤٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٢٨).

العدني

[فصلت:٣-٤].

〈قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية (٢١/ ٤٢٨): فاستكبروا عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذه القرآن بشيرًا لهم ونذيرًا. اهـ〉

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَه، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَلَا فَرْقَ فِي هَذِهِ النَّوَاقِضِ الْعَشْرَةِ بَيْنَ الْجَادِّ: الَّذِي يَقْصِدُ مَا يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ، وَالْهَازِلِ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَقْصِدُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ.

وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا يَكْفُرُ حَتَّى يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْجَادِّ وَالْهَازِلِ، أَوِ الْخَائِفِ عَلَى جَاهِهِ وَمَالِهِ، إِلَّا الْمُكْرَه، إِذَا أُكْرِهَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَلَمْ يُمْكِنْهُ التَّخَلُّصُ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا بِهَا فَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، بِهَذَا الشَّرْطِ، وَيَكُونُ قَصْدُهُ دَفْعَ الْإِكْرَاهِ فَقَطْ، إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَعْتَقِدُ بِمَا يَتَلَفَّظُ بِهِ.

والْخَائف إلا الْمُكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعًا فينبغي للمسلم أن يَحذرها ويَخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه [١٨].

[١٨] لا فرق في هذه النواقض العشرة بين الجاد: الذي يقصد ما يقول أو يفعل، والْهَازل: وهو الذي لا يقصد، وإنَّما يفعل هذا من باب المزح واللعب، وفي هذا رد على الْمُرجئة الذين يقولون: لا يكفر حتَّى يعتقد بقلبه، لا فرق بين الْجَاد والْهَازل، أو الخائف الذي يفعل هذه الأشياء دفعًا للخوف، فالواجب عليه أن يصبر.

(إلا الْمكره) إذا أُكره أن يقول كلمة فيها كفر، ولَم يُمكنه التخلص من الظلم إلا بِهَا، فرخص له الله في ذلك ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. بِهذا الشرط، ويكون قصده دفع الإكراه فقط، إلا أن قلبه لا يعتقد بِمَا يتلفظ به.

رسلان

مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

وَعَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ شَرْطٌ فِي الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: «ذَكَرَ جُمْلَةً شَرْطِيَّةً تَقْتَضِي أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ الشَّرْطُ وُجِدَ الْمَشْرُوطُ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْمَذْكُورَ يَنْفِي اتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَيُضَادُّهُ؛ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَاتِّخَاذُهُمْ أَوْلِيَاءَ فِي الْقَلْبِ.

وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَا فَعَلَ الْإِيمَانَ الْوَاجِبَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ»(١).

وَعَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْمُوَالَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ،

(١) «الإيمان» لابن تيمية (ص ١٣).

السناني

* الثاني: أنَّ الولاء والبراء شرط في الإيمان: كما قال تعالىٰ ﴿ترى كثيراً مِّنْهُمْ يتولَّوْنَ الَّذين كفروا لبئس ما قدَّمت لهُم أنفُسُهُم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هُم خالدون. ولو كانوا يُؤمنون بالله والنَّبيِّ وما أُنزل إليه ما اتَّخذوهُم أولياء ولكنَّ كثيراً مِّنْهُم فاسقون﴾ (المائدة: ٨٠، ٨١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (الفتاوىٰ: ٧/ ١٧) عن هذه الآية: «فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف «لو» التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿ولو كانوا يُؤمنون بالله والنَّبيِّ وما أُنزل إليه ما اتَّخذُوهُم أولياء﴾، فدل ذلك على: أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، لا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودلَّ ذلك علىٰ أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه» أ.هـ. وهذه ليست في أهل الكتاب

* الثالث: أنَّ الولاء والبراء أوثق عرىٰ الإيمان: كما قال ﷺ «ثلاث»

الباب الثامن

السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب الجامع لعبادة الله وحده)

وصف السرقة

❁ عمد محمد سعيد رسلان إلى كتابين في سرقة هذا الكتاب وهما :

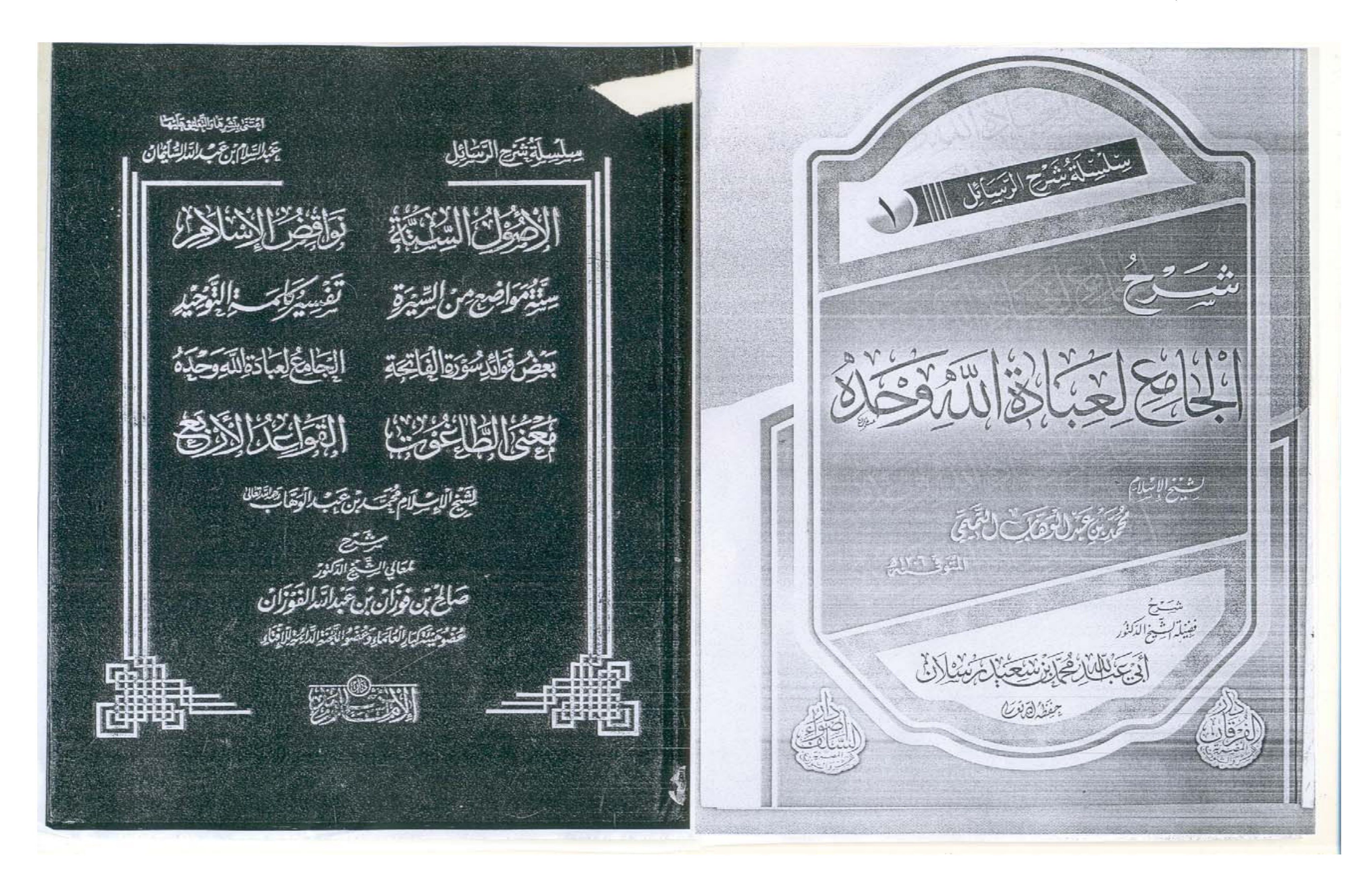
١-كتاب (شرح الأصول الثلاثة) للشيخ العثيمين وقد سرق منه جزء من كتابه ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط.

٢ -كتاب (شرح كتاب الجامع لعبادة الله وحده) للشيخ الفوزان وقد سرق منه جزء من كتابه ولم يتم العزو إليه ولا الإشارة له قط .

❁ قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وزيادة بعض النقولات وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان) و(أضواء السلف).

.


سلسلة شرح الرسائل
١
شرح
الجامع لعبادة الله وحده
لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب التميمي
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله
دار الفرقان
دار أضواء السلف
اعتنى بشرحها والتعليق عليها
عبد السلام بن عبد الله السليمان
سلسلة شرح الرسائل
الأصول الستة
نواقض الإسلام
ستة مواضع من السيرة
تفسير كلمة التوحيد
بعض فوائد سورة الفاتحة
الجامع لعبادة الله وحده
معنى الطاغوت
القواعد الأربع
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
شرح
لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ؟[١].

ولهَا قُطبانِ عليهما تدورُ؛ وهُمَا: كمالُ الحبِّ في كمالِ الذلِّ، كما قالَ العلامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللَّه تعالَىٰ- في الكافيةِ الشافيةِ:

وعبادةُ الرَّحْمَنِ غايةُ حُبِّهِ ... مَعْ ذُلِّ عابدِهِ هُمَا قُطبانِ

وعَليهِمَا فَلكُ العبادَةِ دائِرٌ ... مَا دَارَ حتَّىٰ قامتِ القُطبَانِ

ومَدَارُهُ بِالأمْرِ أمْرِ رَسُولِهِ ... لا بالْهَوَىٰ والنَّفْسِ والشَّيطَانِ

وَعَليهِما؛ أي: علَىٰ الحبِّ والذلِّ؛ فإنَّ العبادَةَ هيَ كمالُ الحبِّ في كمالِ الذُّلِّ؛ هيَ غايةُ الحُبِّ معَ غايةِ الذلِّ؛ فمَن أحبَّ شيئًا ولَم يذِلَّ لهُ لَمْ يكُن لهُ عابِدًا، ومَن ذلَّ لهُ ولَم يحبَّهُ لم يكُن لهُ عابدًا حتَّىٰ يجمعَ الأمرينِ؛ فإذَا أتَىٰ بالمحبةِ التامةِ الكاملةِ والذلِّ الكاملِ التامِّ فهُو العابدُ حَقًّا.

لَمَّا ذكرَ الإمامُ ابنُ عبد الوهابِ -رحمهُ اللَّهُ تعالَىٰ- التعريفَ الجامعَ المختصرَ للعبادَةِ، أوردَ علَىٰ نفسِهِ سُؤالاً في أنواعِ تلكَ العبادَةِ، والعبادةُ أنواعٌ كثيرةٌ كما قال شَيخُ الإسلاَمِ ابنُ تيميةَ -رَحمه اللَّهُ تعالَىٰ-: هيَ اسمٌ جامعٌ لكلِّ مَا يحبُّهُ اللَّهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ البَاطنَةِ والظاهِرَةِ.

[١] أجابَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَن هذَا السؤالِ بذِكْرِ أنواعٍ منَ العبَادَاتِ الظَّاهرةِ والباطنَةِ، وهذِهِ العباداتُ -مِمَّا ذكر وغيرُ ذلكَ مِمَّا لَم يذكُرْ- لله وحدَهُ لا شريكَ لهُ؛ فلا يحِلُّ صرفُهَا لغيرِ اللَّهِ تعالَىٰ، وقَد ذكَرَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّه تعالَىٰ- أنواعًا منَ العِبَادَاتِ سَردًا ثُم أتبعَهَا بذِكْرِ أدلَّتِها.

الفوزان التعريف الأول: أنَّها غاية الحب مع غاية الذل.

كما قال الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالَى- في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتَّى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

فلابد من الجمع بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، فمن أحب شيئًا ولَم يذل له، لَمْ يكن ذلك عبادة له.

كما يُحب الإنسان زوجته، ويُحب أولاده، لكنه لا يذل لَهم، فحب الزوج لزوجته وحبه لأولاده، وحب الولد لأبويه وأقاربه، لا يسمى عبادة، لأنه ليس معه ذل.

وكذلك من ذل لشيء ولَم يُحبه فليس ذلك عبادة له، كمن ذل لِجبار من الْجَبابرة، أو لظالِم من الظلمة، لكنه لا يُحبه، فهذا ليس بعبادة، إنَّما العبادة ما جمعت بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا للَّه ﷻ، ولابد أن تدور عليهما أفلاك العبادة بِجميع أنواعها، ولهذا قال:

رسلان

وَالْـمَحَبَّةُ[١].

= - وإنابةُ الألوهيَّةِ: وهيَ إنابةُ أوليائهِ وهِي إنابةُ العُبوديةِ وإنابةُ المحبةِ، وتتضمنُ أربعةَ أمورٍ: مَحبَّتَهُ، والخضوعَ لهُ، والإقبالَ عليهِ، والإعراضَ عمَّا سِواهُ.

فالـمُنيبُ إلى اللَّهِ: الـمُسرعُ إلى مَرضَاتِهِ، الرَّاجعُ إليهِ كلَّ وَقتٍ، الـمُتقدِّمُ إلى مَحابِّهِ -جلَّ وعَلا-، اللهمَّ اجعَلنَا منَ الـمُنيبينَ لألوهيَّتكَ يَا ربَّ العَالَـمينَ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّه تَعالَى- النَّوعَ العَاشرَ مِن أنواعِ العِبادَةِ؛ فقَالَ: «والمحَبَّةُ» وذَكَرَ دَليلَهَا فقَالَ: «ودَليلُ المحبَّةِ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]».

وَالمحبَّةُ قِسمانِ:

* مَحبَّةُ عِبادةٍ: وهيَ التي يكونُ معَهَا ذلٌّ وخُضوعٌ للمَحبوبِ، وهذهِ لا تكونُ إلا لله -جلَّ وعَلا-.

* المحبةُ الطَّبعيَّةُ: كَمَحبَّةِ المالِ، والزوجَةِ، والأولادِ، والوَالدَينِ، والدَّارِ، والسَّكنِ، والأرضِ، ومَن أحسنَ إليكَ؛ وهَذهِ لا تُعدُّ منَ العبَادَةِ؛ لأنهَا ليسَ معهَا ذلٌّ، وليسَ معهَا خضُوعٌ، ولكن لا يُقدَّمُ شيءٌ مِن هذهِ الـمَحابِّ علَى محبةِ اللَّهِ -جلَّ وعلا- ومحبةِ رسولهِ ﷺ؛ قَالَ تعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ =

الفوزان

والْمَحبة [١٢].

[١٢] الْمَحبة: لَها مقام عظيم في العبادة، وهي مَحبة اللَّه ﷻ؛ لأن الْمَحبة على قسمين:

مَحبة عبادة: وهي الَّتي يكون معها ذل وخضوع للمحبوب، وهذه لا تكون إلا للَّه ﷻ؛ لأنها مَحبة عبادة.

أما النوع الثاني: وهو الْمَحبة الطبيعية كأن تُحب الْمَال، وتُحب زوجتك، وتُحب أولادك، وتُحب والديك، وتُحب من أحسن إليك، هذه مَحبة طبيعية لا تعد من العبادة؛ لأنها ليس معها ذل، وليس معها خضوع، وإنَّما هي مودة مُجردة، إلا إذا قدم مَحبة هذه الأشياء على مَحبة اللَّه تعالَى فإنه يكون عليه وعيد شديد، كما قال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فاللَّه لا يقدَّم على مَحبته مَحبة شيء من الأموال والأولاد والبلاد وغير ذلك، فإن تعارضت مَحبة اللَّه مع مَحبة غيره من

رسلان

وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ [١]

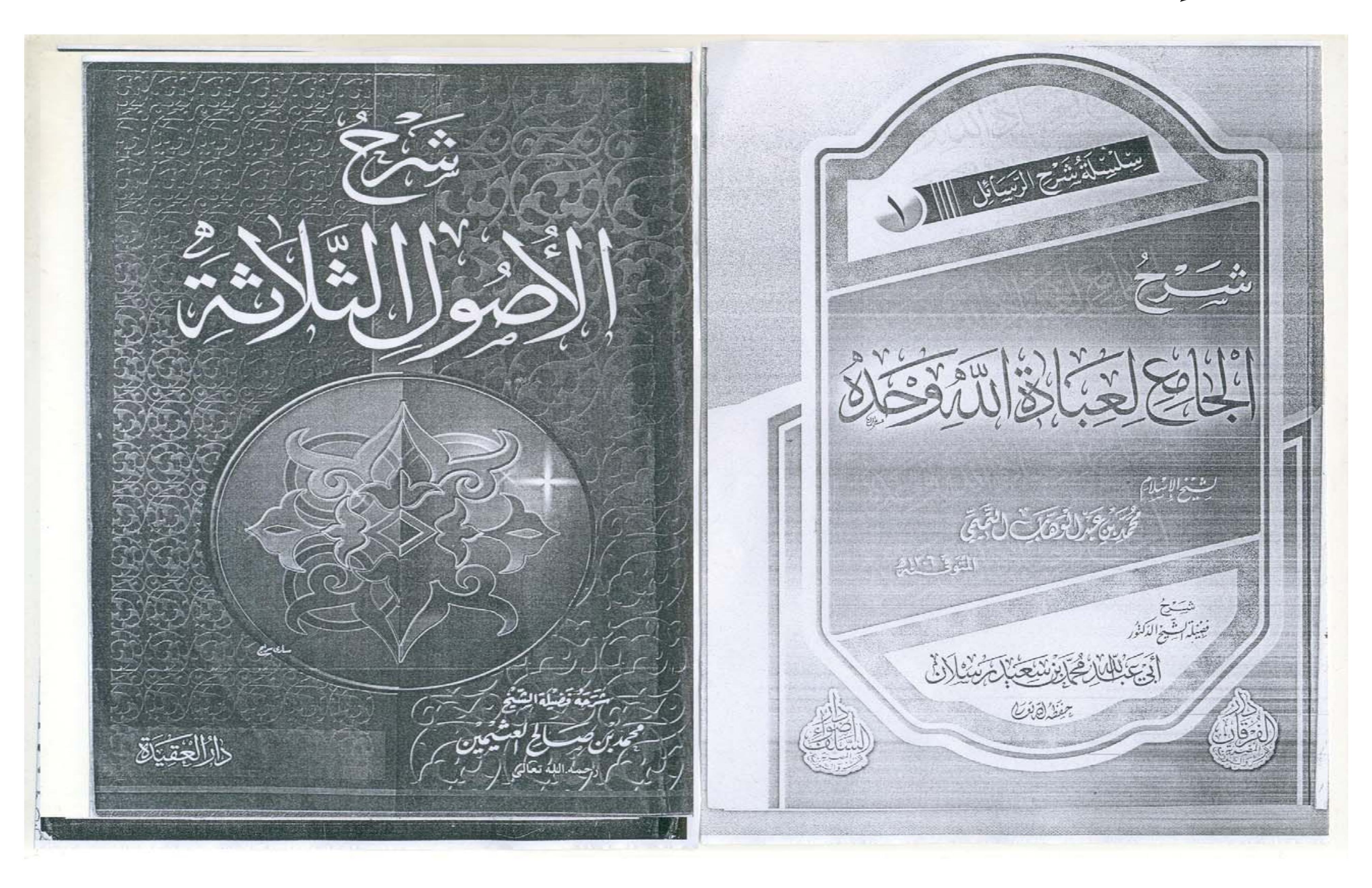
[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ -رَحِمَهُ اللَّه تعالَى- النوعَينِ الثاني عَشَرَ والثَّالثَ عَشَرَ مِن أنواعِ العبادَةِ وذكَرَ دَليلَهُما، فقَالَ: «والرَّغبةُ والرَّهبةُ»، فهاتَانِ عبادَتَانِ: «ودَليلُهُما قَولُهُ تعالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]».

والرغبةُ: مَحبَّةُ الوصولِ إلى الشيءِ المحبوبِ، والرغبةُ تتولَّدُ مِن الرَّجاءِ، لكنَّه طمعٌ، وهيَ سلوكٌ وطلبٌ، والرغبةُ تكونُ إلى اللَّـهِ بالطمعِ فيما عندَهُ، والتعلقِ بهِ سُبحانَهُ ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩] فمَنْ رَغبَ فيما عندَ اللَّـهِ حمَلَهُ ذلكَ علَى طَاعةِ اللَّـهِ وتَقديمِ رضَا اللَّـهِ تَعالَى.

الفوزان

والرغبة [١٤]. والرهبة [١٥]. والتأله [١٦].

[١٤] فالرغبة تكون إِلَى اللَّه -جل وعلا- وهي الطمع فيما عنده، قال تعالَى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وهي الرغبة فيما عند اللَّه، والتعلق باللَّه ﷻ، فإذا رغب فيما عند اللَّه حمله ذلك على طاعة اللَّه، وتقديم رضا اللَّه سبحانه وتعالى.


شرح
الأصول الثلاثة
شرح فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله تعالى
دار العقيدة
سلسلة شرح الرسائل
١
شرح
الجامع لعبادة الله وحده
لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب التميمي
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله
دار الفرقان
دار أضواء السلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [١]

[١] ابتدأَ المصنِّفُ -رَحِمهُ اللَّه تعَالَى- رسَالتَهُ بالبَسملةِ اقتِداءً بكتابِ اللَّه تعَالَى، فهُوَ مَبدوءٌ بالبسملَةِ، واقتِداءً برَسولِ اللَّه ﷺ، فإنهُ كانَ يبدَأُ كُتبَهُ بالبَسملَةِ، كَما في صَحيحِ البُخاريِّ في كتابِ بَدءِ الوَحْي: «**بِسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ، مِن محمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلىٰ هِرَقْلَ عَظيمِ الرُّومِ**...» الحَديثَ، وأخرَجهُ مُسلمٌ أيضًا في صَحيحهِ.

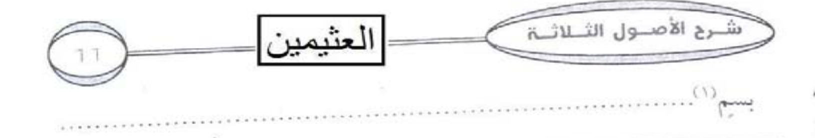
وأمَّا حَديثُ: «**كُلُّ أمرٍ ذِي بَالٍ لا يُبدَأُ فِيهِ بـ: بِاسمِ اللَّهِ؛ فهُو أبتَرُ**»[١]. فهوَ ضعيفٌ جدًّا.

فابتدَأَ المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ رسَالتَهُ بالبسمَلةِ اقتداءً بكتابِ اللَّه وتَسَنُّنًا بسُنةِ رسولِ اللَّه ﷺ.

والجارُّ وَالمجرُورُ في «**بِاسمِ اللَّه**»، متعلِّقٌ بمَحذُوفٍ فعلٍ مؤخَّرٍ مُناسبٍ للمَقامِ تقديرُهُ: باسِمِ اللَّهِ أكتبُ، أو: بِاسمِ اللَّهِ أُصنِّفُ، ونَحنُ نتكلَّمُ في هَذَا الآنَ بحَولِ اللَّه وقُوَّتِهِ لأنَّ كلَّ مُسلمٍ يحتاجُ هذَا عندَ بدئِهِ بالبسملَةِ العَظيمةِ؛ فيدرِي مَا يقولُ، ويَنوِي مَا يأتِي بهِ.

الجارُّ والمجرُورُ متعلقٌ بمَحذوفٍ فعلٍ مؤخرٍ مناسبٍ للمقامِ تقديرُهُ هنَا =

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني في إرواء الغليل (١): ضعيف جدًّا.



بسم(١)..

(٦) ابتدأ المؤلف -رحمه الله تعالى- كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله -عز وجل- فإنه مبدوء بالبسملة(١)، واتباعاً لحديث «**كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر**»(٢) واقتداءً بالرسول ﷺ، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقدير ه: بسم

رسلان

= في الرسالَةِ «**باسمِ اللَّهِ أبدأُ**»، أو «**باسمِ اللَّهِ أصنِّفُ**»، وقُدِّرَ فِعلًا لأنَّ الأصلَ في العَملِ الأفعالُ لَا الأَسْماءُ، وقُدِّرَ مُؤخرًا مَعَ أَنَّ القَاعِدَةَ أنَّ مُتعلَّقَ الْجَارِّ وَالْمَجرُورِ يُقَدَّرُ مُقَدَّمًا لفائدَتينِ:

الأولَىٰ: للتبرُّكِ بالبُداءَةِ باسْمِ اللَّهِ ﷻ.

والثانيةُ: لإفادَةِ الحَصرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يفيدُ الحَصرَ ويُفيدُ القَصرَ.

وقُدِّرَ مُناسبًا أو خاصًّا لأنه أدلُّ علىٰ المرادِ، فلو قلنَا مثلاً عندمَا نريدُ أن نقرأَ كتَابًا: «**باسمِ اللَّهِ نبتدِئ**»، ما يُدرَىٰ حينئذٍ بماذا نَبتدِئُ، ولكنْ «**باسمِ اللَّهِ أقرأُ**» يَكُون أَدَلَّ عَلَىٰ المَرادِ الَّذِي نَبْتَدِئ بِهِ، فَقُدِّرَ خاصًّا مناسبًا للمقامِ، فعندَ الشُّربِ «**باسمِ اللَّهِ أشربُ**»، وعند الأكلِ «**باسمِ اللَّه آكُلُ**»، ليكونَ أدلَّ عَلىٰ المرادِ الَّذِي ابتدِئَ بِهِ.

«باسمِ اللَّهِ»: **اللَّهُ**: علَمٌ علىٰ الذاتِ المقدَّسةِ، معناهُ: ذُو الألوهيَّةِ والعبوديَّةِ عَلىٰ خَلقِهِ أجمعينَ، ومعناهُ: المألوهُ؛ أي: المعبودُ محبةً وتذلُّلًا وتَعظيمًا.

الرَّحْمَنُ: اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ تعَالىٰ المختصَّةِ بِهِ ﷻ لا يُطلقُ عَلىٰ غَيرِه ولا يُسمَّىٰ بِهِ سوَاهُ.

الرحمنُ: المتَّصفُ بالرحمةِ الواسِعةِ، وصيغَةُ (فَعْلان) تدلُّ عَلىٰ السَّعةِ وتدلُّ عَلىٰ الامتِلاءِ. فالرحمنُ: المتصفُ بالرحمةِ الواسِعةِ.

والرحِيمُ: يُطلقُ عَلىٰ اللَّهِ تعَالىٰ وعَلىٰ غَيرِهِ، ومعناهُ: ذُو الرحمةِ الوَاصِلةِ. =

العثيمين

الله أكتب أو أصنف. وقدرناه فعلاً لأن الأصل فى العمل الأفعال. وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله

الله[1] الرحمن[2] الرحيم[3] ....

نبتدئ ما يدرى بماذا نبتدئ، لكن بسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذى أبتدئ به.[3]

(1) (**الله**) علم على البارى جل وعلا وهو الاسم الذى تتبعه جميع الأسماء حتى إنه فى قوله تعالى: ﴿كتابٌ أنزلْناهُ إليْك لتُخْرِجَ النَّاس من الظُّلُمات إلى النُّورِ بإذْن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد (١) اللَّه الَّذي له ما في السَّموات وما في الأرْض ووَيْلٌ لِّلْكافرين من عذاب شديد﴾ (إبراهيم: ١-٢) لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هى عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(2) (**الرحمن**) اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة.

(3) (**الرحيم**) يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد

رسلان

الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ[١]......................................

= فالرحمنُ: دَالٌّ علىٰ الصفةِ القائمةِ بِهِ سُبحانهُ.

والرحيمُ: دَالٌّ عَلىٰ تعلُّقِهَا بالمرحُومِ، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ولَم يَقُلْ: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحْمَنَ) فإذَن الرحمنُ دالٌّ عَلىٰ الصِّفَةِ القائمةِ بالذاتِ، والرحيمُ دَالٌّ علىٰ تعلقِهَا بالمرحُومِ، فالأولُ؛ «الرحمن»: للوصفِ، والثاني؛ «الرحيم»: للفعلِ، فَعُلِمَ أنَّ الرَّحمنَ هو الموصوفُ بالرحمةِ، وأنَّ الرحيمَ هو الراحمُ برحمتِهِ، فهذَا ما يتعلقُ بالبَسمَلةِ.

وَالبَاءُ فِي قَولِهِ: «بِاسْمِ اللهِ»، للاستِعَانَةِ، وَالاستِعَانَةُ مُصَاحِبَةٌ للإنسَانِ مِن أَوَّلِ الفِعْلِ إِلىٰ آخرِهِ، وَقَدْ تُفيدُ مَعْنَىٰ آخَرَ وَهُو التَّبَرُّكُ، إِذَا لَم نَحْمِل التَّبَرُّكَ عَلَىٰ الاستِعَانَةِ، وَنَقُولُ كُلُّ مُسْتَعِينٍ بِشَيءٍ فَإِنَّه مُتَبَرِّكٌ بِهِ، لَكِن لَا شَكَّ أَنَّ البَاءَ تُفِيدُ البَرَكَةَ العَظِيمَةَ.

وَقَد اختَارَ الزَّمَخشَرِيُّ أَنَّ البَاءَ للمُصَاحَبَةِ، وَهُو مُعتَزلِيٌّ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَنصرَ مَذهبَهُ؛ والمعتزلةُ يَرَوْنَ استقلالَ الإنسَانِ بِعَمَلِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مُستقلًّا بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَحتَاجُ للاستعَانَةِ.

لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ البَاءَ للاستعَانَةِ الَّتِي تُصاحِبُ الفعلَ كُلَّه.

[١] الحمدُ: هُو ثناءٌ باللسَانِ خاصةً علىٰ الجميلِ الاختياريِّ مِن نِعمةٍ وغَيرِهَا، وأمَّا الشُّكرُ: فهو البَذْلُ في مُقابلِ النعمَةِ، فالحمدُ يكُونُ باللسَانِ خاصةً، وأما الشكرُ فيكونُ باللسَانِ والقَلبِ والجوارِحِ.

=

العثيمين

بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يعذِّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تُقْلَبُون﴾ (العنكبوت: ٢١).

---

(٣) والباء فى قوله (بسم الله): قيل للاستعانة، وقيل للمصاحبة، وممن قال إنها للمصاحبة الزمخشرى صاحب الكشاف وهو معتزلى من المعتزلة، وكتابه الكشاف فيه اعتزاليات كثيرة قد لا يستطيع أن يعرفها كل إنسان حتى قال ابن البلقينى: أخرجت من الكشاف اعتزاليات بالمناقيش، وهذا يدل على أنها خفية. والزمخشرى رجح أنها للمصاحبة، مع أن الظاهر أنها للاستعانة! لكنه رجح المصاحبة لأن المعتزلة يرون أن الإنسان مستقل بعمله فإذا كان مستقلاً بعمله فإنه لا يحتاج للاستعانة. لكن لاشك أن المراد بالباء هو: الاستعانة التى تصاحب كل فعل، فهى فى الأصل للاستعانة وهى مصاحبة للإنسان من أول الفعل إلى آخره، وقد تفيد معنى آخر وهو التبرك إذا لم نحمل التبرك على الاستعانة، ونقول كل مستعين بشىء فإنه متبرك به لكن لاشك أن الباء تفيد البركة العظيمة أفاده فى «شرح المنظومة البيقونية» (ص ١٣-١٤).

والاسم: مشتق من السُّمُوّ وهو العلو، وقيل: من الوسم، وهو العلامة، لأن كل ما سمى فقد نوه باسمه ووسم، أفاده فى «فتح المجيد».

رسلان

والتوكلُ عَلىٰ اللَّهِ سُبحانهُ: هوَ الاعتمادُ عَليهِ سُبحانَهُ كفايةً وحَسْبًا في جَلْبِ المنافِعِ ودفع المضَارِّ، وهُو مِن تَمامِ الإيمانِ وعَلاماتِهِ؛ قَال تعَالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقَولُهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، لا عَلىٰ غَيرِهِ؛ فقدَّمَ الجارَّ والمجرورَ وحقُّهُ التأخيرُ، وتقديمُ ما حقُّهُ التأخِيرُ أسلوبٌ مِن أَساليبِ الاختصَاصِ والحصرِ والقَصرِ؛ توكَّلُوا عَليه وَحدَهُ لا عَلىٰ غَيرِهِ.

حقيقَةُ التوكُّلِ: أن يَعتَمِدَ العَبدُ عَلىٰ اللَّهِ سُبحَانَهُ اعتِمادًا صَادِقًا في مَصَالِحِ دِينِهِ ودُنيَاهُ معَ فِعلِ الأسبَابِ المأذونِ فيهَا.

=

العثيمين

(2) التوكل على الشيء الاعتماد عليه. والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً فى جلب المنافع ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، وإذا صدق العبد فى اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أى كافيه ثم طمأن المتوكل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (الطلاق: ٣) فلا يعجزه شيء أراده.

(٣٢) وانظر: «فتح المجيد» (ص ٣٧١ - ٣٧٢) «وقرة عيون الموحدين» (ص ١٨٣)، و«القول المفيد» (٢/ ٢٠-٢١)، و«معارج القبول» (٢/ ١٠٤-١٠٥).

رسلان

والرَّجَاءُ: طَمَعُ الإنسَانِ في أمرٍ قريبِ المَنَالِ، وقَد يكونُ بعيدَ المنالِ تنزيلاً لهُ مَنزِلَةَ القَرِيبِ، الرجاءُ المتضمنُ للذلِّ والخضُوعِ لا يكُونُ إلا لله، لَا يكونُ لغَيرِ اللَّهِ ربِّ العَالَمينَ؛ فإنْ كانَ الرجاءُ الذِي تضمَّنَ الذلَّ والخضوعَ مصروفًا لغيرِ اللَّهِ كانَ شِركًا: إمَّا أصغرَ وإمَّا أكبرَ؛ بِحسبِ مَا يقومُ بقَلبِ الراجِي، وتَأميلُ الْخَيرِ فيما لا يقدِرُ عليهِ إلا اللَّهُ لا يَجُوزُ، لا يَجُوزُ أنْ يُرجَىٰ إلا الله -جلَّ وعَلا- فِيما لا يقدِرُ عَليهِ إلا اللَّهُ -جلَّ وعَلا- .

والرجاءُ المحمودُ لا يكونُ إلا لِـمَنْ عمِلَ بطَاعةِ اللَّهِ ورجَا ثوابَها عندَ اللَّهِ، أو تابَ مِن معصِيتِهِ ورجَا قَبولَ تَوبتِهِ؛ فأمَّا الرجاءُ بلا عمَلٍ فهُو غُرورٌ وتَـمَنٍّ مَذمومٌ.

العثيمين

(١) الرجاء طمع الإنسان فى أمر قريب المنال، وقد يكون فى بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجى. وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

= فلَو قُلتَ لأخيكَ الحَاضِرِ: يَا عبدَ اللَّهِ، أعنِّي عَلىٰ قَطعِ هذهِ الشجرةِ فلَا بأسَ بذلكَ، أفادَهُ العلَّامةُ ابنُ بازٍ -رَحمَهُ اللَّهِ عَليهِ-؛ فهَذَا دعاءُ المسألَةِ.

وأمَّا دُعاءُ العِبَادَةِ: فأنْ يتعبَّدَ الداعِي بالدعاءِ للمدعوِّ طَلبًا لثوابِهِ وخوفًا مِن عقابِهِ، وهذَا لا يَصِحُّ إلا للهِ ربِّ العالمينَ، وَصَرفُهُ لغيرِ اللَّهِ شِركٌ أكبرُ مُخرِجٌ عنِ المِلَّةِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمهُ اللَّهُ تعَالَىٰ-: **«وكُلُّ دُعاءِ عبادةٍ مُستلزمٌ لِدُعاءِ المسألَةِ، وكُلُّ دُعاءِ مَسْألَةٍ مُتضمنٌ لِدُعاءِ العِبَادَةِ»**.

وذكَرَ الشيخُ المصنِّفُ -رَحمهُ اللَّهُ تعَالَىٰ- نوعَينِ مِن أنواعِ العبَادَةِ فقَالَ: **«والاستِعَانَةُ والاستِغَاثَةُ»**، ثُمَّ ذَكَرَ دَليلَ كُلٍّ مِنهُما فقَال: **«ودَليلُ الاستِعَانَةِ قَولُهُ تعَالَىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **ودَليلُ الاستِغَاثَةِ قَولُهُ تعَالَىٰ:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩]».

العثيمين

وأما دعاء العبادة: فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).(٣١)

(٣٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قال الله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ (الأعراف: ٥٥)، وقال: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ (الأنعام: ٤٠-٤١)، وقال: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (الجن: ١٨)، وقال: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (الرعد: ١٤)، وأمثال هذا فى القرآن فى دعاء المسألة أكثر من أن يحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة، لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات وكذلك الذاكر لله، والتالى لكتابه ونحوه، طالب من الله فى المعنى، فيكون داعياً عابداً».

وَالاسْتِعَانَةُ[١].

[١] أمَّا الاستِعَانَةُ: فَهِي نَوعٌ مِنَ العبادَةِ لله ربِّ العَالَمينَ لا يَنبغِي أن تُصرَفَ لغَيرِهِ -جلَّ وعَلا-، فالاستِعَانة: هيَ طَلَبُ العَونِ، والسِّينُ والتَّاءُ للطَّلَبِ.

والاستِعَانةُ أنواعٌ:

※ فالأولُ: الاستعانةُ باللهِ:

وهي المتضمنةُ لكَمَالِ الذلِّ منَ العبدِ لربِّهِ وتفويضِ الأمرِ إليهِ واعتقادِ كفَايتِهِ، وهذهِ لا تكونُ إلا لله تعَالى، ودَليلُها قولهُ -جلَّ وعَلا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ومَا وجهُ الاختصاصِ هاهُنَا؟ وجهُ الاختصاصِ: تقديمُ المعمولِ «إيَّاك»، وتقديمُ مَا حَقُّهُ التأخيرُ هُو القصرُ والحصرُ الذِي يفيد الاختصَاصَ. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، يعنِي لا نعبدُ إلا إيَّاكَ ولا نصرفُ العبادَةَ لِسواكَ.

وكَذلكَ الشأنُ في الاستعَانةِ؛ الاستعَانةُ التِي لا تكونُ إلا لله تتضمَّنُ ثلاثةَ أشياءَ:

- الأولُ: الخضوعُ والتذللُ لله.
- والثَّاني: الثقةُ باللهِ تعَالى.
- الثَّالثُ: الاعتمادُ علَى اللّهِ سُبحانهُ.

العثيمين

(2) الاستعانة طلب العون وهى أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهى: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى

(٣٣) حديث صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٧)، وأبو يعلى (٢٥٥٦) والبيهقى فى «الاعتقاد» (ص ١٥٦)، وفى «الأسماء والصفات» (١٢٦)، وفى «الشعب» (١٩٥) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والطبرانى فى «الكبير» (١٢٩٨٨)، وفى «الدعاء» كلهم من طريق قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس به.
وحنش هو ابن عبد الله الصنعانى ثقة، وقيس بن الحجاج صدوق، فالإسناد حسن، صحيح بمجموع طرقه، فله طرق أخرى عن ابن عباس وفيها ضعف إلا أنها تقوى الحد خرجت بعضها فى تعليقى على «الأربعين النووية».

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة التى نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص،

رسلان

= فهذهِ لا تكونُ إلا لله، فمَنِ استعانَ بغيرِ اللَّـهِ مُحقِّقًا هذهِ المعَاني فَقد أشركَ معَ اللَّه غيرَهُ.

❊ الثَّاني مِن أقسَامِ الاستعَانةِ: الاستعَانةُ بالمخلوقِ علَىٰ أمرٍ يقدرُ عليهِ:

وهذهِ علَىٰ حَسبِ الـمُستعانِ عَليه؛ فإن كَانتْ علَىٰ برٍّ ومَعروفٍ فهيَ جَائزةٌ للمُستعينِ مَشروعةٌ للمُعينِ، وإن كانَت علَىٰ إثمٍ فهِي حَرَامٌ علَىٰ الـمُستعينِ وعَلَىٰ الـمُعينِ، وإن كَانت عَلَىٰ مُباحٍ فهِيَ جَائزةٌ للمُستعينِ والـمُعينِ، وقَد يُثابُ الـمُعين علَىٰ ذَلك ثوابَ الإحسَانِ إلىٰ الغيرِ.

❊ القسمُ الثالثُ مِن أقسَامِ الاستعَانةِ: الاستعانةُ بمخلوقٍ حيٍّ حَاضرٍ غيرِ قادرٍ:

فهذهِ لَغوٌ لا طائلَ تَحتَهُ؛ كَما يقولُ الذِي يُعاني الغَرقَ لا يُحسنُ السباحةَ لكَسيحٍ عاجزٍ عَلَىٰ البَرِّ: إنِّي أستعيُن بكَ فأعنِّي حتَّىٰ لا أَغْرَقَ، فهـذَا لَغوٌ لا طَائِلَ تَـحتَهُ.

❊ والرَّابعُ مِن أقسَامِ الاستِعَانَةِ: هيَ الاستعانةُ بالأمَواتِ مُطلقًا وبالأحيَاءِ عَلىٰ أمرٍ غَائبٍ لا يقدرُونَ عَلىٰ مُباشَرتهِ:

فهذَا شِركٌ، الاستعَانةُ بالأمواتِ مُطلقًا شِركٌ، والاستعَانةُ بالأحياءِ علىٰ أمرٍ غَائبٍ لا يقدرُونَ عَلىٰ مُباشَرتِهِ شِركٌ.

❊ الْخَامسُ مِن أقسَامِها: الاستعانةُ بالأعمالِ والأحوالِ المحبوبةِ إلىٰ اللَّـهِ

العثيمين

وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه، فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢).

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين، لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير، ومن ثَمَّ تكون في حقه مشروعة، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك، لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) وقوله ﷺ: «إذا استعنت فاستعن بالله»(٣٤).

رسلان

وَالاسْتِغَاثَةُ[١].

[١] الاستغَاثةُ: هيَ طَلبُ الغَوثِ وهوَ الإنقاذُ مِنَ الشدةِ والهلاكِ؛ وهيَ أنواعٌ:

* الأَوَّلُ: الاستغَاثةُ باللهِ ﷻ: وهذهِ مِن أفضَلِ الأعمالِ ومِن أكملِ الأعمالِ، قالَ ربُّنا -جَلَّ وعَلا- : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أي: متتابعين.

* والثَّاني: الاستغَاثةُ بالأمواتِ أو بِالإحياءِ غيرِ الحاضرينَ غيرِ القادِرينَ علَىٰ الإغاثَةِ: فهذَا شِركٌ؛ لأنَّهُ لا يفعلُهُ إلا مَن يعتقدُ أن لهؤلاءِ تصرُّفًا خَفيًّا في الكَونِ فيجعلُ لهم حَظًّا في الربوبيةِ؛ وَا أسفَاهُ!!

* الثالثُ مِن أقسَامِ الاستِغَاثةِ: الاستغَاثةُ بالأحياءِ العَالِمينَ القَادرينَ عَلَىٰ الإغاثةِ: فهذَا جائزٌ، كالاستعانةِ بهِم؛ قالَ تعَالَىٰ كَما في قصةِ مُوسَىٰ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

* الرابعُ مِن أنوَاعِ الاستِغاثةِ: الاستغاثةُ بحيٍّ غَيرِ قادرٍ مِن غَيرِ أن يعتقدَ أنَّ لهُ قوةً خفيةً: كمَن يَستغيثُ بمَشلُولٍ لينقذَهُ مِنَ الغرقِ، فهذَا -كما مرَّ في الاستعانةِ- لَغوٌ وسُخريةٌ.

والفَرقُ بينَ الاستعَانةِ والاستغَاثةِ: أنَّ الاستعانةَ: هي طلبُ العَونِ علىٰ ما ينفعُهُ، والاستغَاثةُ: طلبُ إزالةِ الشدةِ، والاثنتانِ تتطلَّبانِ كمالَ الافتقارِ إلىٰ اللّهِ معَ اعتقادِ كفَايتِهِ -جلَّ وعَلا- .

العثيمين

(١) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[١] (الأنعام: ١٦٢-١٦٣). ومن السنة «لعن الله من ذبح لغير الله».(٤٤)

إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»(٤٣) وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص: ١٥).

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

رسلان

الخوفُ مِن عبادَاتِ القُلوبِ، وهُو انفِعَالٌ يَحصُلُ بتوقُّعِ مَا فيهِ هَلاكٌ أو ضَررٌ أو أذًى، والـمُرادُ: الخوفُ الذي هُو عبادَةٌ؛ وهُوَ الخوفُ الذِي يكُونُ معَهُ تَعظيمٌ ومحبةٌ للمَخُوفِ؛ وَهُوَ خَوفُ السِّرِّ، وهُو لا يجوزُ إلا لله تَعَالَى؛ فخَوفُ العبادَةِ أنْ يخَافَ أحَدًا يتعَبَّدِ بِالخوفِ لَهُ؛ فَهَذَا لا يكُونُ إلا للَّهِ، وصَرفُهُ لِغيرِ اللَّهِ تَعَالَى شِركٌ أكبَرُ.

=

شـرح: «الجامع لعبادة الله وحده» ٣٠

....

= وخَوفُ السِّرِّ: كأن يخَافَ صَاحِبَ قَبرٍ أو وَليًّا بَعِيدًا عنهُ لا يُؤثِّرُ فِيهِ وَلَكِنْ يخافُهُ مخَافَةَ سِرٍّ؛ فَهَذا أيضًا ذَكَرهُ العلماءُ وأنهُ شِركٌ؛ فَالذِينَ يقُولونَ: فُلانٌ وَتِدُ الناحِيةِ، فُلانٌ مِنَ الأوتَادِ، وهُو وَتِدُ هذِهِ الناحِيَةِ؛ فيَبيتُ الرَّجُلُ عَلَى الذَّنبِ لا يُبالِي؛ يَتَهتَّكُ، فَإذَا مَرَّ عَلَيهِ مُصْبِحًا وَقَدْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ عِندَ الجهلاءِ شُروطُ الوِلاَيةِ؛ فنَزلَ مُخاطِهُ حتَّى كسَا لِحيَتَهُ! ثُمَّ أحدَثَ عَلَى نَفسِهِ قُبُلاً ودُبُرًا! وهُو لا يَعِي ولا يَدرِي وَلا يُدرِكُ! فإذَا مرَّ بِهِ خَافهُ في سِرِّهِ؛ أنهُ مُطَّلِعٌ عليهِ، أو أنهُ سيُكاشِفُهُ بما كانَ منهُ في لَيلتِهِ؛ فهَذَا شِركٌ، وهَذَا الله وَحدَهُ هُو عالِـمُ الغَيبِ وهُو عَالِـمُ الشَّهادَةِ ﷻ

العثيمين

شـرح الأصـول الثـلاثـة 46

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1] (آل عمران: ١٧٥).

---

(١) الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

= قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: فتبين بهـذا قول شيخ الإسلام: إن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسالة. كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

إلى أن قال: «وضابط هذا: أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك، مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١٤).

شـرح الأصـول الثـلاثـة 47

(3) ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [1] (الكهف: ١١٠).

(4) ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣). وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [2] (الطلاق: ٣).

....

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.(٣٢)

= «الدعَاءُ هُو العبَادةُ»، فَمَن دَعَا غيرَ اللَّـهِ ربِّ العَالَـمينَ بشيءٍ لا يقدرُ عليهِ إلا اللَّـهُ فهُوَ مشركٌ كافرٌ سَواءٌ كانَ المدعوُّ حَيًّا أو مَيتًا، ومَن دعَا حَيًّا بِمَا يقدرُ عليه، مثلُ: أن يقولَ: يَا فُلانُ أطعِمْني، يَا فُلانُ اسقِني، فَلا شيءَ عَليهِ، ومَن دعَا ميتًا أو غائبًا بمثلِ هذَا فإنه مُشركٌ؛ لأنَّ الميتَ أو الغائبَ لا يُمكنُ أن يقُومَ بمِثلِ هذَا؛ فدعاؤُهُ إيَّاهُ يدلُّ عَلىٰ أنهُ يعتقدُ أنَّ لَهُ تصرُّفًا في الكونِ فيكونُ بذَلكَ مُشرِكًا.

قالَ تعَالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقالَ سُبحانَهُ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤]، فكيفَ يُصرفُ الدعاءُ لغيرِ اللَّـهِ منَ الأمواتِ والأشجارِ والأحجارِ والجنِّ والشياطينِ والغَائبينَ؟! كلُّ ذلكَ لا يجوزُ وكلُّ ذلكَ شِركٌ باللهِ ربِّ العَالَـمينَ.

والدعَاءُ نوعَانِ:

دعَاءُ مَسألةٍ: وهُو دعَاؤه سُبحانَهُ بجَلبِ المنفعَةِ ودَفعِ المضَرَّةِ.

ودعاءُ عبَادَةٍ: وهُو دعَاءُ اللَّـهِ تعالىٰ امتِثالاً لأمرِهِ.

فدعَاءُ المسألةِ: وهُو دُعاءُ الطَّلبِ، طلبِ الحاجَاتِ منَ اللَّـهِ ربِّ العالَـمينَ، هو عِبادةٌ إذا كَانَ مِنَ العبدِ لربِّهِ لأنهُ يتضمنُ الافتقارَ إلىٰ اللَّـهِ ربِّ العالَـمينَ واللُّجُوءَ إليهِ، ويتضمنُ اعتقادَ أنهُ قادرٌ كريمٌ وأنهُ واسعُ الفضلِ والرحمةِ، ويَجُوزُ إذَا صدَرَ مِنَ العبدِ لِمثلِهِ منَ المخلوقِينَ إذَا كانَ المدعوُّ يعقلُ الدعاءَ ويقدِرُ عَلىٰ الإجَابةِ؛ فدُعاءُ الحيِّ الحَاضرِ القَادرِ والاستعانةُ بهِ في الشيءِ المقدورِ عليهِ لا بأسَ بهِ ولَا يُعتبرُ داخِلاً في الشِّركِ. =

أستجب لكُم إنَّ الَّذين يستكبِرُون عن عبادتي سيدخُلون جهنَّم داخرين﴾ فدلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿إنَّ الَّذين يستكبِرُون عن عبادتي سيدخُلون جهنَّم داخرين﴾، فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواءً كان المدعو حياً أو ميتاً. ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعمنى، يا فلان اسقنى فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً فى الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة: هو دعاء الطلب أى طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق فى قول القائل يا فلان أطعمنى.

رسلان

= والخوفُ منَ اللَّهِ تعَالىٰ يكونُ محمودًا وغيرَ محمودٍ؛ تأمَّلْ! الخوفُ منَ اللَّهِ تعَالىٰ يكونُ محمودًا ويكونُ غيرَ محمودٍ! يكُون محمودًا إذَا مَا كانتِ الغايَةُ أن يَحولَ بينَكَ وبَينَ مَعصيةِ اللَّهِ بِحيثُ يحمِلُكَ علىٰ فِعلِ الوَاجباتِ وتَركِ المحرَّماتِ؛ فإذَا حصَلتْ هذِهِ الغَايةُ سَكنَ القلبُ واطمَأنَّ الفؤادُ وغَلبَ عَليهِ الفرحُ بنعمَةِ اللَّهِ والرَّجاءُ لثوابِهِ تَعَالىٰ.

وأمَّا الخوفُ منَ اللَّهِ خَوفًا غيرَ محمودٍ فهُو الذِي يحمِلُ العَبدَ علىٰ اليأسِ مِن رَحمةِ اللَّهِ والقُنوطِ مِن رَوحِ اللَّهِ، وحِينئِذٍ يتَمادَىٰ بِقوَّةِ يأسِهِ في المعصِيةِ؛ فهَذَا

العثيمين

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى فى المعصية لقوة يأسه.

رسلان

وأمَّا الخوفُ الطَّبْعِيُّ: كَخوفِ الإنسانِ مِنَ السَّبُعِ، وَمِنَ النارِ، وَمِنَ الحَيَّةِ، وَمِنَ الغَرقِ؛ فهذَا لا يُلامُ عَليهِ العَبدُ؛ قَالَ تَعالىٰ عَن مُوسَىٰ -عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ-: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

وَأمَّا إذَا خَافَ مِن إنسانٍ غَيرِهِ فَتركَ واجِبًا أوِ ارتكَبَ مُحرَّمًا خَوفًا منهُ، ولَم يصِلْ إلىٰ حدِّ الإكرَاهِ؛ لأنهُ لَو أُكرِهَ فَلا شَيءَ عَليهِ ولكِنْ لَم يصِلْ إلىٰ حَدِّ الإكرَاهِ؛ فهَذَا الخوفُ مَعصيةٌ؛ قَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، أي: يُخوِّفُكُم أولياءَهُ ويُخوِّفُكُم بِأوليَائِهِ، فاضبِطْ مَعنَىٰ الآيةِ، لا يُخوِّفُ أولياءَهُ، يعنِي: لَا يُوقِعُ الخوفَ علَىٰ أوليَائِهِ؛ وإنَّما يُخوِّفُكُم مِن أوليَائِهِ ويُخوِّفكُم بِأوليَائِهِ ويُعظِّمُهم في صُدُورِكُم ويُكبِّرُهُم في أعيُنِكُم؛ فأمَرَنَا ربُّنَا -تَبارَكَ وتَعالَىٰ- بِالتِي هِي أحسَنُ ونَهانَا عَنِ السُّوأَىٰ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فذَكرَ أنَّ الخوفَ شَرطٌ لصحَّةِ الإيمَانِ ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. =

العثيمين

النوع الأول: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، وهذا لا يلام عليه العبد، قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص:١٨) لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ -رحمه الله- سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً، لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

فالتوكلُ: اعتقادٌ، واعتمادٌ، وعملٌ.

وهُو أنواعٌ:

الأولُ: التوكُّلُ عَلىٰ اللَّهِ، وهُو مِن تمامِ الإيمانِ وعَلاماتِ صِدْقِهِ، وهُو وَاجبٌ لا يَتمُّ الإيمانُ إلَّا بِهِ.

والثَّاني: تَوكلُ السِّرِّ: بأنْ يعتمِدَ عَلىٰ مَيتٍ في جَلْبِ مَنفَعَةٍ أو دَفعِ مَضرَّةٍ وهذَا شِركٌ أكبرُ؛ لأنهُ لا يَقعُ إلاَّ مِـمنْ يَعتقدُ أن لـهَذَا تَصرُّفًا سِريًّا في الكونِ، فيُعطيهِ قَدرًا مِنَ الربُوبيَّةِ.

والثالثُ: التوكلُ عَلىٰ الغَيرِ فيمَا يتصرَّفُ فيهِ الغَيرُ معَ الشعورِ بعُلوِّ مرتبتِهِ وانحطَاطِ مَرتبةِ المتوكِّلِ عَنهُ، مِثل: أن يعتمِدَ عَليهِ في حُصولِ الـمَعاشِ ونَحوِهِ؛ فهَذَا نوعٌ منَ الشركِ الأصغرِ؛ لقوَّةِ تعلُّقِ القَلبِ بهِ واعتمَادِهِ عَليهِ، وأمَّا اعتمادُهُ عَليهِ عَلىٰ أنهُ سَببٌ؛ وأنَّ اللَّهَ تعَالىٰ هُوَ الذِي قدَّرَ ذَلكَ وأجرَاهُ عَلىٰ يَديهِ، فإنَّ ذلكَ لا بأسَ بهِ، إذَا كانَ لمن يَعتمِدُ عليهِ أثرٌ صَحيحٌ في حُصولِ ذَلكَ.

التوكلُ عِبادةٌ لا تجوزُ إلا لله -جَلَّ وعَلا- وإلا عَلىٰ اللَّهِ ربِّ العَالمينَ، وأمَّا التَّوكيلُ فيمَا يقدرُ عَليهِ المخلوقُ فهوَ جائزٌ، والاعتمادُ عَلىٰ السببِ شِركٌ وتَركُ السببِ قَدحٌ في الشَّريعَةِ، والكَمالُ: أن تتوكَّلَ عَلىٰ اللَّهِ -جَلَّ وعَلا- وأنْ تأخذَ بِالأسبَابِ؛ حِينئذٍ تُحقِّقُ التَّوحِيدَ، وتُحقِّقُ الاتِّبَاعَ للنبيِّ ﷺ فتأتي بالـحُسنَيينِ: بتَجريدِ التوحِيدِ للعَزيزِ المجيدِ، وتَجريدِ المتابَعةِ للمَعصُومِ ﷺ.

ودليل الرغبة(1) والرهبة(2) والخشوع(3) قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

واعلم أن التوكل أنواع:

الأول: التوكل على الله تعالى، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت فى جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً فى الكون، ولا فرق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه فى حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذى قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح فى حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره فى أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧) ووكل النبى ﷺ على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل فى إثبات الحدود وإقامتها، ووكل على بن أبى طالب رضي الله عنه فى هديه فى حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

(1) **الرغبة:** محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

(2) **والرهبة:** الخوف المثمر للهرب من المخوف فهى خوف مقرون بعمل.

(3) **الخشوع:** الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكونى والشرعى.

رسلان

وَالْخَشْيَةُ[١].

---

[١] ثُمَّ ذكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ النوعَ الحاديَ عشَرَ مِن أنواعِ العبَادَةِ وقَالَ: «الخَشيَةُ»، وذكَرَ دليلَهَا فقَالَ: «ودَلِيلُ الخَشيَةِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]».

والخَشيَةُ: هيَ الخوفُ المبنيُّ علىٰ العِلمِ بعَظَمَةِ مَن يَخشَاهُ، المبنيُّ علىٰ العِلمِ بكَمالِ سُلطانِهِ، وَالْخَشيةُ أخصُّ منَ الْخَوفِ.

ويتضحُ الفرقُ بيَن الخوفِ والخشيةِ بالمثَالِ؛ فإذَا خِفتَ مِن شَخصٍ لا تَدرِي هلْ هو قَادرٌ عليكَ أو لَا؟ فهَذَا خوفٌ، وإذَا خِفتَ مِن شخصٍ تعلَمُ أنهُ قَادرٌ عليكَ فهذِهِ خَشيةٌ؛ فالخشيةُ: خَوفٌ يشوبُهُ تَعظِيمٌ؛ وقَد قَالَ تعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠]، فَلا تُقدِّمْ خَشيةَ المخلُوقِ علىٰ خَشيةِ الخَالِقِ؛

العثيمين

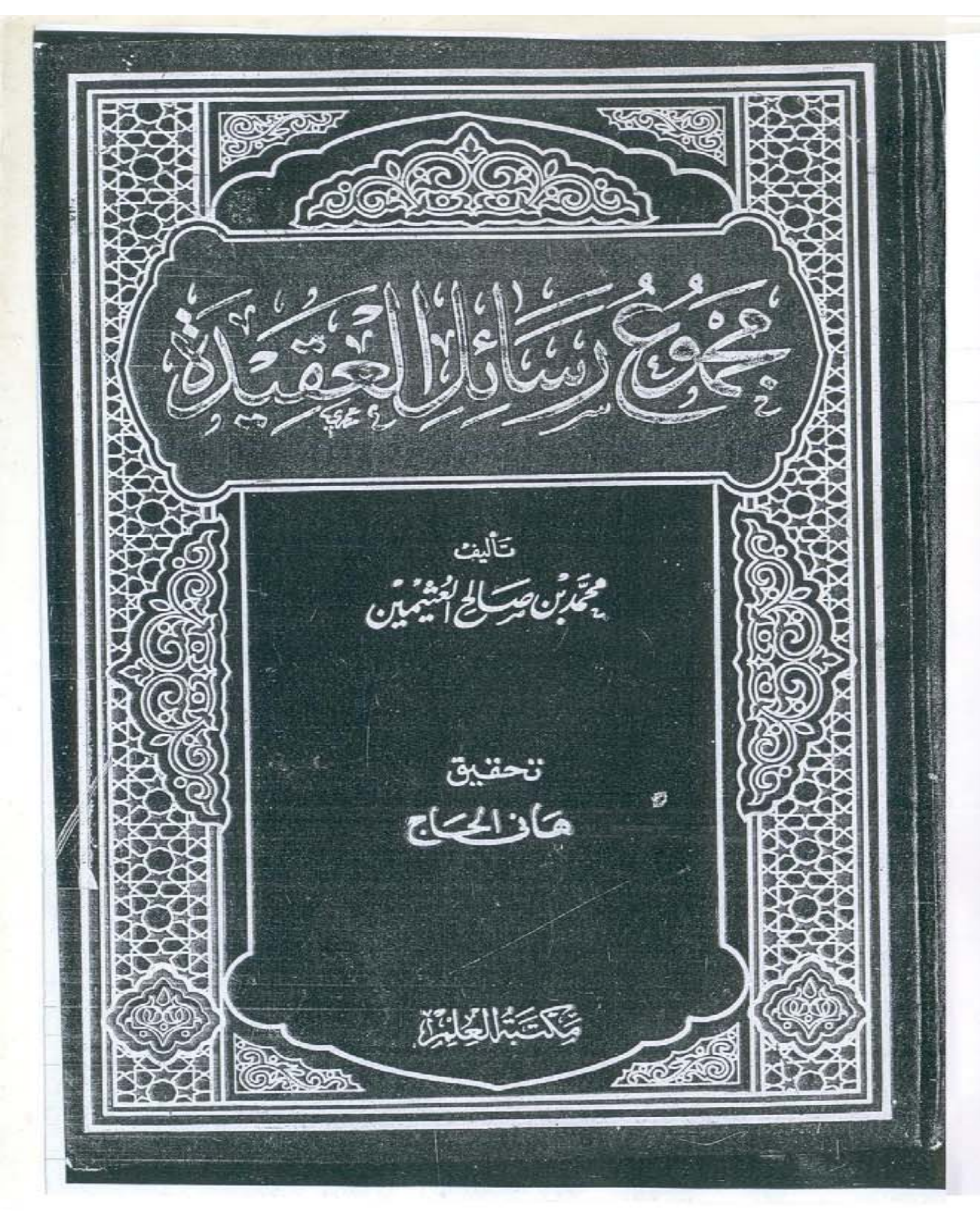
(2) الخشية هى: الخوف المبنى على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨) أى العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهى أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدرى هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.

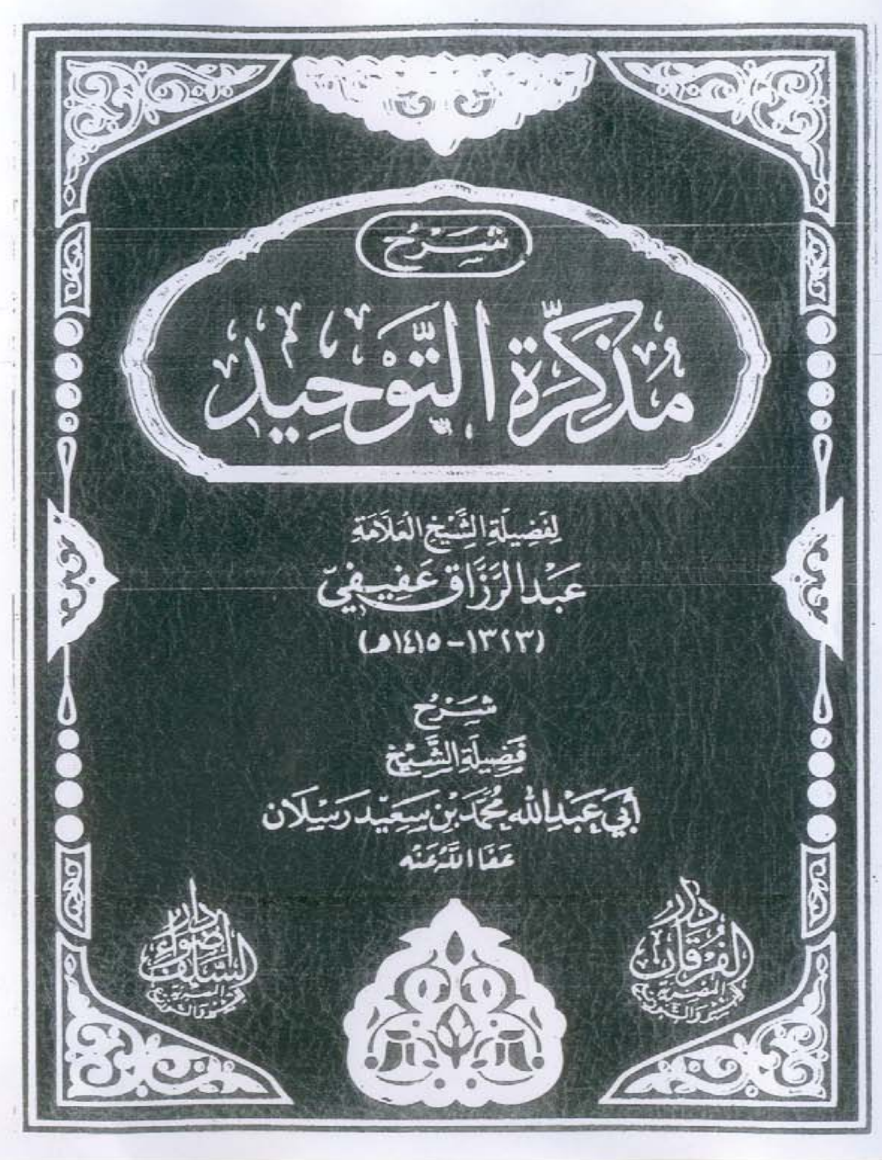
ويقال فى أقسام أحكام الخشية ما يقال فى أقسام أحكام الخوف.

الباب التاسع
السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب مذكرة التوحيد)

وصف السرقة

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (شرح الأصول الثلاثة) للشيخ العثيمين فقام بسرقة ما يزيد عن عشر صفحات
- قام بوضع هذه الصفحات ضمن كتابه (شرح كتاب مذكرة التوحيد)
- قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان)و(أضواء السلف)
- لم ينسب حرفاً واحداً من هذه الصفحات للشيخ العثيمين ولم يشر إليه قط


مجموع رسائل العقيدة
تأليف
محمد بن صالح العثيمين
تحقيق
هاني الحاج
مكتبة العلم


شرح
مذكرة التوحيد
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرزاق عفيفي
(١٣٢٣-١٤١٥هـ)
شرح
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
عفا الله عنه
دار الفرقان
دار السلف الصالح

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ بِالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ، وَالمَلَائِكَةِ الأَطْهَارِ، وَيَومِ البَعْثِ وَالجَزَاءِ، وَالقَدَرِ وَالقَضَاءِ».

الشَّرْحُ

اسْتَوفَىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ ذِكرَ أَركَانِ الإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَهَذَا -بِحَولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ- شَرحٌ مُجْمَلٌ لَهَا:

الرُّكْنُ الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ هِيَ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بُوجُودِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ وجُودِهِ تَعَالَىٰ: الفِطْرَةُ، وَالعَقْلُ، وَالشَّرعُ، وَالحِسُّ.

الثَّانِي: الإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ؛ أَي: بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الرَّبُّ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ.

وَالرَّبُّ: مَنْ لَهُ الخَلْقُ وَالمُلْكُ وَالأَمْرُ، فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا هُوَ، وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَه.

الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ؛ أَي: بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الإِلَهُ الحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالإِلَهُ بِمَعنَىٰ: المَأْلُوه؛ أَي: المَعبُود حُبًّا وَتَعظِيمًا.

الرَّابِعُ: الإِيمَانُ بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أَي: إِثبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَهُ، مِنْ غَيرِ تَحرِيفٍ وَلَا تَعطِيلٍ، وَلَا تَكيِيفٍ وَلَا تَمثِيلٍ.

العثيمين

(٧) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

● الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

● الثاني: الإيمان بربوبيته:

أى بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

(١) (صحيح): أخرجه البخارى فى (الجمعة/ باب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة/ ٩٣٣/ فتح)، مسلم فى (الاستسقاء/ باب الدعاء فى الاستسقاء/ ٨٩٧/ عبد الباقى).

● الثالث: الإيمان بألوهيته:

أى (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و «الإله» بمعنى «المألوه» أى «المعبود» حبًا وتعظيمًا، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ

● الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أى إثبات ما أثبته الله لنفسه فى كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِين

رسلان

الرُّكْنُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ.

وَهُمْ عَالَمٌ غَيبِيٌّ عَابِدُونَ للهِ تَعَالَىٰ، وَلَيسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ شَيءٌ، خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ نُورٍ، وَمَنَحَهُم الانقِيَادَ التَّامَّ لأَمْرِهِ، وَالقُوَّةَ عَلَىٰ تَنفِيذِهِ، وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحصِيهِم إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ.

وَالإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ يَتَضَمَّنُ أَربَعَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِوُجُودِهِم.

الثَّانِي: الإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمنَا اسمَهُ مِنهُمْ بِاسمِهِ كَجِبرِيلَ، وَمَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ نُؤمِنُ بِهِم إِجمَالًا.

الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِمَا عَلِمنَا مِنْ صِفَاتِهِم.

الرَّابِعُ: الإِيمَانُ بِمَا عَلِمنَا مِنْ أَعمَالِهِم الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ كَتَسبِيحِهِ، وَالتَّعَبُّدِ لَهُ لَيلًا وَنَهَارًا، دُونَ مَلَلٍ أَوْ فُتُورٍ.

وَقَدْ يَكُونُ لِبَعضِهِم أَعمَالٌ خَاصَّةٌ، فَجِبرِيلُ: الأَمِينُ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ تَعَالَىٰ، يُرْسِلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ إِلَىٰ الأَنبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَمِيكَائِيلُ مُوَكَّلٌ بِالقَطْرِ؛ أَي: بِالمَطَرِ وَالنَّبَاتِ، وَمَلَكُ المَوتِ مُوَكَّلٌ بِقَبضِ الأَروَاحِ عِندَ المَوتِ... وَغَيرِ ذَلِكَ مِنْ أَعمَالِهِم.

العثيمين

(١) الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

قال الله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق[2].

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى ـ مريم ـ فتمثل لها بشرًا سويًا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفهُ أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم[3].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهارًا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت[1].

رسلان

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِالكُتُبِ.

وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَأَنَّهَا كَلَامُهُ، وَأَنَّهَا حَقٌّ،

وَنُورٌ، وَهُدًىٰ، وَالإِيمَانُ بِمَا سَمَّىٰ اللهُ مِنهَا؛ كَالتَّورَاةِ، وَالإِنجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالقُرآنِ، وَالإِيمَانُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا.

وَيَتَضَمَّنُ الإِيمَانُ بِالكُتُبِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِأَنَّ نُزُولَهَا مِنْ عِندِ اللهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسمَهُ مِنهَا، كَالقُرآنِ، وَالتَّورَاةِ، وَالإِنجِيلِ، وَالزَّبُورِ.

الثَّالِثُ: تَصدِيقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخبَارِهَا، كَأَخبَارِ القُرْآنِ، وَأَخبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحرَّفْ مِنَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِعُ: العَمَلُ بِأَحكَامِ مَا لَمْ يُنسَخْ مِنهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسلِيمُ بِهِ، سَوَاءٌ فَهِمنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا.

العثيمين

وَكُتُبِهِ[١]، وَرُسُلِهِ[٢]، . . .

(١) الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته[1] أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال

رسلان

وَيَتَضَمَّنُ الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَتَهُم حَقٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ وَاحِدٍ مِنْهُم فَقَدْ كَفَرَ بِالجَمِيعِ.

الثَّانِي: الإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُم بِاسْمِهِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ عَنْهُم مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

الرَّابِعُ: العَمَلُ بِشَرِيعَةِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْهُم، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

العثيمين

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح ابن مريم غير متبعين له أيضًا، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وفي سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صحّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل

رسلان

الرُّكْنُ الخَامِسُ: الإِيمَانُ بِاليَومِ الآخِرِ.

وَهُوَ يَومُ القِيَامَةِ الَّذِي يَبْعَثُ اللهُ فِيهِ النَّاسَ لِلحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وسُمِّيَ بِاليَومِ الآخِرِ لأَنَّهُ لَا يَومَ بَعْدَهُ، حَيثُ يَستَقِرُّ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي دَرَجَاتِهِم، وَأَهْلُ النَّارِ فِي دَرَكَاتِهِم.

وَالإِيمَانُ بِهِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِالبَعْثِ، وَهُوَ إِحْيَاءُ المَوتَىٰ حِينَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ فَيقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً غَيرَ مُنْتَعِلِينَ، عُرَاةً غَيرَ مُسْتَتِرِينَ، غُرْلًا غَيرَ مُخْتَتِنِينَ.

العثيمين

(١) اليوم الآخر: يوم القيامة الذى يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمّى بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة فى منازلهم، وأهل النار فى منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عُراة غير مستترين، غُرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

الثَّانِي: الإيمَانُ بِالحِسَابِ وَالجَزَاءِ، فَيُحَاسَبُ العَبْدُ عَلَىٰ عَمَلِهِ وَيُجَازَىٰ بِهِ.

الثَّالِثُ: الإيمَانُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُمَا المَآلُ الأَبَدِيُّ لِلخَلْقِ.

وَالإِيمَانُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ مَعْنَاهُ: التَّصْدِيقُ الجَازِمُ بِوُجُودِهِمَا، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ الآنَ، وَأَنَّهُمَا بَاقِيَتَانِ بِإِبْقَاءِ اللهِ لَهُمَا لَا تَفْنَيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ أَبَدًا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ مَا احتَوَتْ عَلَيهِ هَذِهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَتِلْكَ مِنَ العَذَابِ، وَالجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُتَّقِين، فِيهَا مِن أَنْوَاعِ النَّعِيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

وَالنَّارُ دَارُ العَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ البَالِ.

وَيَلْحَقُ بِالإِيمَانِ بِاليَومِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعدَ المَوتِ مِثل:

١- **فِتْنَةُ القَبْرِ**: وَهِيَ سُؤَالُ المَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ، فَيَقُولُ الكَافِرُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، وَيَقُولُ المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلْتُهُ.

العثيمين

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسبَ العبد على عمله، ويجازى عليه،
الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدى للخلق، فالجنة دار النعيم التى أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعينَ لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].
وأما النار فهى دار العذاب التى أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال، ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٦].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:
(أ) فتنة القبر: وهى سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبّتُ الله

الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبيِّى محمد ﷺ. ويضلُّ الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدرى. ويقول المنافق أو المرتاب لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

رسلان

الرُّكْنُ السَّادِسُ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ.

وَالقَدَرُ: تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَى لِلكَائِنَاتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَاقْتَضَتْهُ

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا أَزَلًا وَأَبَدًا، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ، أَوْ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَعِلْمُ اللهِ تَعَالَى مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ جَمِيعَ خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَآجَالَهُمْ، وَأَقْوَالَهُمْ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَجَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَأَسْرَارِهِمْ وَعَلَانِيَاتِهِمْ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

الثَّانِي: الإِيمَانُ بِكِتَابَةِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ كَتَبَ جَمِيعَ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِاللَّوْحِ وَالقَلَمِ.

الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ اللهِ النَّافِذَةِ، وَقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ، وَهُمَا مُتَلَازِمَتَانِ مِنْ جِهَةِ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَلَا مُلَازَمَةَ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا هُوَ كَائِنٌ، فَمَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَهُوَ كَائِنٌ بِقُدْرَتِهِ لَا مَحَالَةَ، وَمَا لَمْ يَشَأِ اللهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِعَدَمِ مَشِيئَةِ اللهِ إِيَّاهُ، لَا لِعَدَمِ قُدْرَةِ اللهِ عَلَيْهِ -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَعَزَّ وَجَلَّ-.

الرَّابِعُ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا فِيمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا وَاللهُ خَالِقُهَا، وَخَالِقُ حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلعَبْدِ مَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الاخْتِيَارِيَّةِ وَقُدْرَةٌ عَلَيْهَا، لِأَنَّ الشَّرْعَ وَالوَاقِعَ دَالَّانِ عَلَى إِثْبَاتِ ذَلِكَ لَهُ.

العثيمين

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ(١).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) القدر بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلقُ بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك فى اللوح المحفوظ، وفى هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وفى صحيح مسلم ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»(1).

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال عن نبى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافى أن يكون للعبد مشيئة فى أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي المَشِيئَةِ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وَقَالَ فِي القُدرَةِ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن:١٦].

وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وَأَمَّا الوَاقِعُ: فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَشِيئَةً وَقُدْرَةً بِهِمَا يَفْعَلُ وَبِهِمَا يَتْرُكُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ كَالمَشْيِ، وَمَا يَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ كَالارْتِعَاشِ، لَكِنَّ مَشِيئَةَ العَبْدِ وَقُدْرَتَهُ وَاقِعَتَانِ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُدْرَتِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وَلأَنَّ الكَوْنَ كُلَّهُ مِلْكٌ للهِ تَعَالَىٰ؛ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ بِدُونِ عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

العثيمين

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ:٣٩] وقال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] وقال في القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن:١٦] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشى، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩] ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون فى ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

رسلان

وَإِيمَانُ العَبْدِ بِالقَدَرِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يُورِثُ الاعتِمَادَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ فِعْلِ الأَسْبَابِ، بَحَيْثُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ السَّبَبِ نَفْسِهِ؛ لأنَّ كُلَّ شَيءٍ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَيَحْمِي العَبْدَ مِنَ العُجْبِ عِنْدَ حُصُولِ مُرَادِهِ؛ لأَنَّ حُصُولَ مُرَادِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسبَابِ الخَيرِ وَالنَّجَاحِ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ يُنسِيهِ شُكْرَ النِّعْمَةِ.

٦٨ شرح مذكرة التوحيد

وَيُورِثُ الإِيمَانُ بِالقَدَرِ طُمَأْنِينَةَ القَلْبِ، وَرَاحَةَ النَّفْسِ بِمَا يَجْرِي عَلَيهِ مِنْ أَقدَارِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ صُهَيبٌ رضي الله عنه: «عَجَبًا لأَمرِ المُؤمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، وَلَيسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلمُؤمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيرًا لَهُ»[1].

العثيمين

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله

٤٤٠ شرح ثلاثة الأصول

. . . .

تعالى، بما قدره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذى له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ما أصاب من مُصيبة فِى الأرض ولا فِى أنفسكُمْ إلاَّ فِى كتاب مِّن قبْلِ أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوْا على ما فاتكُمْ ولا تفرحُوا بما آتاكُمْ والله لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣] ويقول النبى ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[1] رواه مسلم.

رسلان

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِن ذَلِكَ يَتَّضِحُ اتِّفَاقُ الفِطرَةِ، وَالعَقلِ السَّلِيمِ، وَالسَّمعِ، عَلَىٰ أَنَّ العَالَمَ مُحتَاجٌ إِلَىٰ صَانِعٍ، وَمُستَنِدٌ إِلَىٰ مُوجِدٍ أَوْجَدَهُ».

الشَّرْحُ

لَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ وجُودِ اللهِ تَعَالَىٰ أُمُورٌ هِيَ:

- **الفِطْرَةُ**؛ وَكُلُّ مَخلُوقٍ قَدْ فُطِرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِخَالِقِهِ مِن غَيرِ سَبقِ تَفكِيرٍ أَوْ تَعلِيمٍ، وَلَا يَنصَرِفُ عَن مُقتَضَىٰ هَذِهِ الفِطْرَةِ إِلَّا مَن طَرَأَ عَلَىٰ قَلبِهِ مَا يَصرِفُهُ عَنهَا؛ لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِن مَولُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَو يُنَصِّرَانِهِ أَو يُمَجِّسَانِهِ**»[1].

- **العَقْلُ**؛ وَدَلَالَةُ العَقلِ عَلَىٰ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ؛ لأَنَّ هَذِهِ المَخلُوقَاتِ سَابِقَهَا وَلاحِقَهَا لَابُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ أَوجَدَهَا؛ إِذْ لَا يُمكِنُ أَنْ تُوجِدَ نَفسَهَا بِنَفسِهَا، وَلَا يُمكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً.

لَا يُمكِنُ أَنْ تُوجِدَ نَفسَهَا بِنَفسِهَا؛ لأَنَّ الشَّيءَ لَا يَخلُقُ نَفسَهُ، لأَنَّهُ قَبلَ وُجُودِهِ مَعدُومٌ فَكَيفَ يَكُونُ خَالِقًا؟!

وَلَا يُمكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدفَةً؛ لأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْ مُحدِثٍ، وَلأَنَّ وُجُودَهَا عَلَىٰ هَذَا النِّظَامِ البَدِيعِ، وَالتَّنَاسُقِ المُتَآلِفِ، وَالارْتِبَاطِ المُلتَحِمِ بَينَ

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٢٦٥٨) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

العثيمين

١ ـ أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان

(١) تقدم تخريجه.

بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[1].

٢ ـ وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن تُوجدَ صدفة.

لا يمكن أن تُوجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلقُ نفسه، لأن قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟

ولا يمكن أن تُوجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين

الأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا وَبَيْنَ الكَائِنَاتِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ يَمنَعُ مَنْعًا بَاتًّا أَنْ يَكُونَ وجُودُهَا صُدفَةً، إِذِ المَوجُودُ صُدفَةً لَيسَ عَلَىٰ نِظَامٍ فِي أَصْلِ وجُودِهِ، فَكَيفَ يَكُونُ مُنتَظِمًا حَالَ بَقَائِهِ وَتَطَوُّرِهِ؟

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَنْ تُوجِدَ هَذِهِ المَخلُوقَاتُ نَفسَهَا بِنَفسِهَا، وَلَا أَنْ تُوجَدَ صُدفَةً؛ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُوجِدٌ، وَهُوَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الدَّلِيلَ العَقلِيَّ وَالبُرْهَانَ القَطعِيَّ فِي سُورَةِ الطُّورِ، حَيثُ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

يَعنِي: أَنَّهُم لَمْ يُخلَقُوا مِنْ غَيرِ خَالِقٍ وَلَا هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنفُسَهُم، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ خَالِقُهُم هُوَ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ جُبَيرُ بنُ مُطعِمٍ ﷺ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقرَأُ سُورَةَ الطُّورِ فَبَلَغَ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٧]. وَكَانَ جُبَيرٌ يَومَئِذٍ مُشرِكًا.

قَالَ: كَادَ قَلبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلبِي[1].

وَهَذَا مِثَالٌ يُوضِّحُ ذَلِكَ:

لَو حَدَّثَكَ شَخصٌ عَنْ قَصرٍ مَشِيدٍ أَحَاطَتْ بِهِ الحَدَائِقُ وَجَرَتْ بَينَهَا

(١) تقدم تخريجه (ص١٢٨).

العثيمين

الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعًا باتًا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام فى أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن تُوجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلى والبرهان القطعى فى سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] يعنى أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع - جبير بن مطعم - رضى الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ

(1) (صحيح): أخرجه البخارى فى (الجنائز/ باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه .../ ١٣٥٩ / فتح)، مسلم فى (القدر / باب معنى كل مولد يولد على الفطرة... / ٢٦٥٨ / عبد الباقى).

رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧] وكان - جبير - يومئذ مشركًا قال: «كاد قلبى أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبى» رواه - البخارى - مفرقًا[1].

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدَّثك شخص عن قصر مُشيَّد، أحاطت

رسلان

الأنْهَارُ، وَمُلِئَ بِالفُرُشِ وَالأَسِرَّةِ، وَزُيِّنَ بِأنوَاعِ الزِّينَةِ مِنْ مُقَوِّمَاتِهِ وَمُكَمِّلَاتِهِ، وَقَالَ لَكَ: إنَّ هَذَا القَصرَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَمَالٍ قَدْ أوجَدَ نَفسَهُ، أو وُجِدَ هَكَذَا صُدفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ، لَبَادَرْتَ إلَىٰ إنكَارِ ذَلِكَ وَتَكذِيبِهِ، وَعَدَدْتَ حَدِيثَهُ سَفَهًا مِنَ القَولِ، أفَيجُوزُ بَعدَ ذَلِكَ أنْ يَكُون هَذَا الكَونُ الوَاسِعُ بِأرْضِهِ وَسَمَائِهِ وَأفْلَاكِهِ وَأحوَالِهِ وَنِظَامِهِ البَدِيعِ البَاهِرِ قَدْ أوجَدَ نَفسَهُ، أو وُجِدَ صُدفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؟!

العثيمين

به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلِئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون مُوجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد؟!

الباب العاشر

السرقات العلمية في كتابه (شرح كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد)

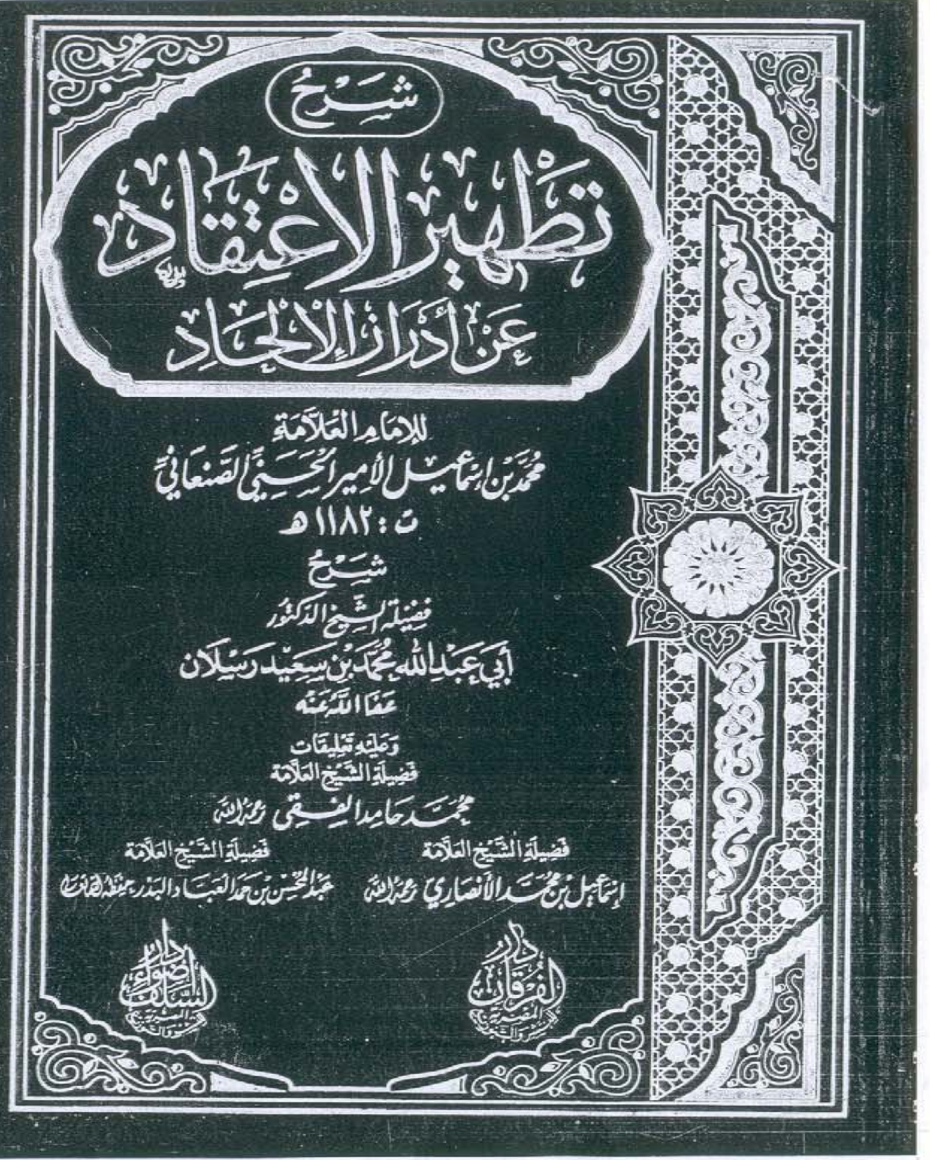
وصف السرقة:

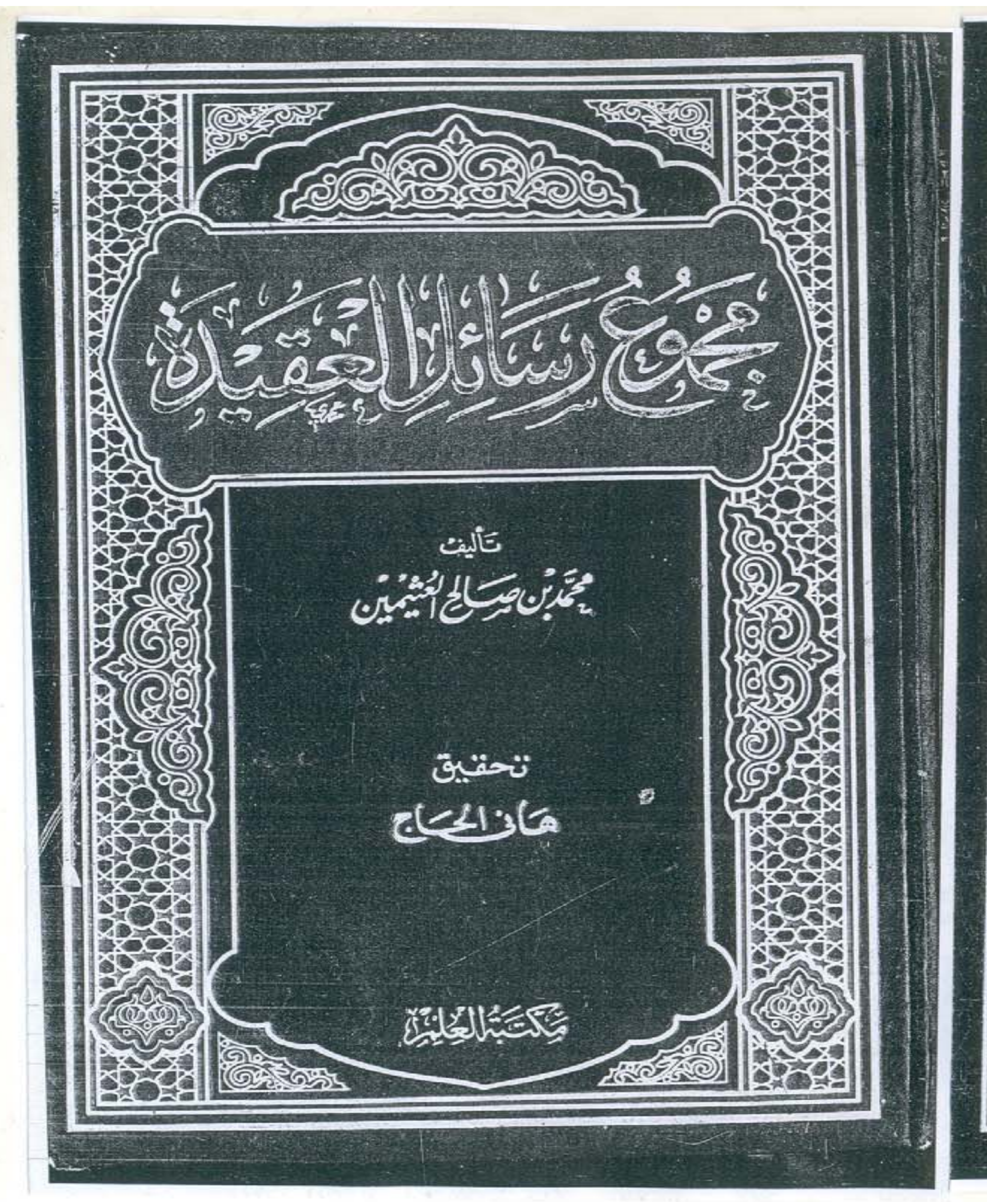
❁ عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (شرح كشف الشبهات) للشيخ العثيمين فقام بسرقة ما يزيد عن خمس وعشرين صفحة بأرقام المراجع .

❁ قام بوضع هذه الصفحات ضمن كتابه (شرح كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد).

❁ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب في مكتبة (الفرقان)و(أضواء السلف) .

❁ لم ينسب حرفاً واحداً من هذه الصفحات للشيخ العثيمين ولم يشر إليه قط.


شرح
تطهير الاعتقاد
عن أدران الإلحاد
للإمام العلامة
محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني
ت: ١١٨٢ هـ
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
عفا الله عنه
وعليه تعليقات
فضيلة الشيخ العلامة
محمد حامد الفقي رحمه الله
فضيلة الشيخ العلامة
إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمه الله
فضيلة الشيخ العلامة
عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله


مجموع رسائل العقيدة
تأليف
محمد بن صالح العثيمين
تحقيق
هاني الحاج
مكتبة العلم

إنَّمَا حَصلَ التَّطرفَ مِن هَؤلَاءِ المتَطرِّفينَ لِفهُومِهِم الخَاطِئةُ التِي شَذُّوا بِهَا وخرَجُوا عَن جَمَاعةِ المُسلِمِينَ، وَقُدوتُهم فِي ذَلِكَ الخَوَارِجُ الذِينَ شَذُّوا وخرَجُوا عَلَىٰ الصحَابَةِ نَتيجَةٌ لِفهُومِهِم الخَاطِئة، ولِكلِّ قَومٍ وَارِثٌ» فَهؤلاءِ ورثُوا مِيرَاثَ الخَوارِجِ، واللهُ المُستَعانُ، وعَلَيهِ التُّكلَانُ، وحَسبُنَا اللهُ ونِعمَ الوَكيل.

[وَقَد سُئِلَ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عَمَّا يُقَاتَلُ عَلَيهِ؟ وَعَمَّا يُكَفَّرُ الرَّجُلُ بِهِ؟

فَأَجَابَ:

أَرْكَانُ الإسلَامِ الخَمْسَةُ، أَوَّلُها الشهادتان، ثم الأركانُ الأربعةُ؛ فالأربعةُ إذا أقَرَّ بها، وَتَرَكَهَا تَهَاونًا، فنحن وإن قاتَلْنَاه علىٰ فعلِهَا، فلا نُكَفِّرُه بتركها.

والعلماءُ اخْتَلَفُوا في كُفْرِ التارِكِ لها كَسَلًا مِن غَيرِ جحودٍ، ولا نُكَفِّرُ إلا ما أَجْمَع عليه العلماءُ كُلُّهم، وهو الشهادتان.

وأيضًا نُكَفِّرُه بعدَ التعريف، إذا عَرَفَ وأَنْكَرَ، فنقولُ: أعداؤنا مَعَنَا علىٰ أنواعٍ:

النَّوعُ الأَوَّلُ: مَن عَرَفَ أن التوحيدَ دينُ اللهِ ورسولِهِ، الذي أَظْهَرْنَاه للناسِ، وَأَقَرَّ أيضًا أنَّ هذه الاعتقاداتِ في الحجرِ، والشجرِ، والبشرِ، الذي هو دينُ غالبِ الناسِ أنه الشركُ بالله، الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ يَنْهَىٰ عنه، ويُقَاتِلُ أَهْلَهُ؛ ليكونَ الدينُ كُلُّهُ للهِ.

العثيمين

(٤) تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف رحمه الله:

أولاً: لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلامًا آخر يدل على العذر بالجهل[فقد سئل رحمه الله تعالى عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجل به؟

فأجاب:

أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ فالأربعة: إذا أقر بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها؛

والعلماء: اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود؛ ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان.

وأيضًا: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذى أظهرناه للناس؛ وأقر أيضًا: أن هذه الاعتقادات فى الحجر، والشجر، والبشر، الذى هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله، الذى بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله.

ومع ذلك لم يَلْتَفِتْ إلىٰ التوحيدِ، ولا تَعَلَّمَه، ولا دَخَلَ فيه، ولا تَرَكَ الشركَ، فهو كافرٌ، نُقَاتِلُهُ بكُفْرِهِ؛ لأنه عَرَفَ دينَ الرسولِ، فلم يَتْبَعْه، وعَرَفَ الشركَ فلم يَتْرُكْه، مع أنه لا يَبْغَضُ دينَ الرسولِ، ولا مَن دَخَلَ فيه، ولا يَمْدَحُ الشركَ، ولا يُزَيِّنُهُ للناسِ.

النَّوعُ الثَّاني: مَن عَرَفَ ذلك، ولكنه تَبَيَّنَ في سبِّ دينِ الرسولِ، مع ادِّعائِهِ أنه عاملٌ به، وتَبَيَّنَ في مدحِ مَن عَبَدَ يوسُفَ، والأشْقَرَ، ومَن عَبَدَ أبا عليٍّ، والخَضِرَ مِن أهْلِ الكويتِ، وفضَّلَهم علىٰ مَن وَحَّد اللهَ، وتَرَكَ الشِّركَ.

فَهَذَا أعظمُ من الأولِ، وفيه قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، وهو ممَّن قال اللهُ فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١٢].

النَّوعُ الثَّالِثُ: مَن عَرَفَ التوحيدَ، وأَحَبَّه، واتَّبَعَه، وعَرَفَ الشركَ، وتَرَكَه، ولكن يَكْرَهُ مَن دَخَلَ في التوحيد، ويُحِبُّ مَن بَقِي علىٰ الشركِ، فهذا أيضًا كافرٌ، فيه قولُهُ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

النَّوعُ الرَّابعُ: مَن سَلِمَ مِن هذا كُلِّه، ولكنَّ أهلَ بلدِهِ يُصَرِّحُون بعَداوةِ أهْلِ التوحيدِ، واتِّباعِ أهلِ الشِّركِ، وساعُون في قتالِهم، ويَعْتَذِرُ بأنَّ تَرْكَ وَطَنِهِ يَشُقُّ عليه، فيُقاتِلُ أهلَ التوحيدِ مع أهلِ بلدِهِ، ويُجَاهِدُ بمالِهِ، ونفسِهِ.

العثيمين

ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكفره، لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه تبين في سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد يوسف، والأشقر، ومن عبد أبا علي، والخضر من أهل الكويت، وفضلهم على من وحّد الله، وترك الشرك، فهذا أعظم من الاول، وفيه قوله تعالى: ﴿فلمَّا جاءَهُم مَّا عَرَفُوا كفروا به فلعْنَةُ الله على الكافرين﴾ [البقرة:٨٩] وهو ممن قال الله فيه: ﴿وإن نَكَثُوا أيْمانَهُم مِّنْ بَعْد عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا في دِينِكُم فقاتلوا أئمة الكُفْر إنَّهُمْ لا أيْمانَ لَهُم لعلَّهُمْ ينتهُونَ﴾ [التوبة:١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد، وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضًا كافر، فيه قوله تعالى: ﴿ذلكَ بأنَّهُم كرهُوا ما أنزل اللَّهُ فأحْبطَ أعْمالهُمْ﴾ [محمد:٩].

النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر بأن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، فهذا أيضًا

فهذا أيضًا كافرٌ؛ فإنهم لو يأمُرُونَهُ بتركِ صومِ رمضانَ، ولا يُمْكِنُهُ الصيامُ إلا بفراقِهِم فَعَلَ، ولو يأمُرُونَه بتزوُّجِ امرأةِ أبيه، ولا يُمْكِنُهُ ذلك إلا بفراقِهِم فَعَلَ.

وموافقتُهُم علىٰ الجهادِ معهم بنفسِهِ ومالِهِ، مع أنهم يُريدون بذلك قَطْعَ دينِ اللهِ ورسولِهِ، أكبرُ من ذلك بكثيرٍ، كثيرٍ.

فهذا أيضًا كافرٌ، وهو ممَّن قال اللهُ فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٩١]. فهذا الذي نقولُ.

وأمَّا الكذبُ والبُهْتَانُ فمثلُ قولِهِم: إنَّا نُكَفِّرُ بالعموم، ونُوجِبُ الهجرةَ إلينا علىٰ مَن قَدَرَ علىٰ إظهارِ دينِهِ، وإنَّا نُكَفِّرُ مَن لم يُكَفِّرْ، ومَن لَم يُقَاتِلْ، ومثلُ هذا وأضعافُ أضعافِهِ، فكُلُّ هذا مِن الكذبِ والبُهْتَانِ، الذي يَصُدُّون به الناسَ عن دينِ اللهِ ورسولِهِ.

وإذا كُنا لا نُكَفِّرُ مَن عَبَدَ الصنمَ الذي علىٰ عبدِ القَادِرِ، والصنمَ الذي علىٰ قبرِ أحمدَ البَدَويِّ، وأمثالِهِمَا؛ لأجلِ جَهلِهِم، وعدمِ مَن يُنَبِّهُهُم، فكيف نُكَفِّرُ مَن لم يُشْرِكْ باللهِ إذا لم يُهَاجِرْ إلينا، أو لم يُكَفِّرْ ويُقَاتِلْ؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

كافر؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل؛ ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، كثير؛ فهذا أيضًا كافر، وهو ممن قال الله فيهم:

﴿ستجدون آخرين يُريدُون أن يأمنوكُمْ ويأمنُوا قوْمهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطانًا مُبِينًا﴾ [النساء:٩١] فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنَّا نُكَفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنَّا نُكَفِّر من لم يُكفِّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا: لا نكفر من عبد الصنم. الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبحانك هذا بُهتانٌ عظيم﴾ [النور:١٦].

بل نُكَفِّرُ تلك الأنواعَ الأربعةَ؛ لأجلِ مُحادَّتِهم للهِ ورسولِهِ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً نَظَرَ نفسَهُ، وعَرَفَ أنه مُلاقِ اللهَ، الذي عندَهُ الجنَّةُ والنَّارُ، وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّم.

* تَتِمَّةٌ:

الاختلافُ فِي مسألةِ العُذْرِ بالجهلِ كغيرِهِ من الاختلافاتِ الفقهيةِ الاجْتِهَادية، وربَّما يكونُ اختلافًا لفظيًّا في بعضِ الأحيانِ، مِن أجلِ تطبيقِ الحكمِ علىٰ الشخصِ المُعَيَّنِ؛ أي: أن الجميعَ يَتَّفِقُون علىٰ أنَّ هذا القولَ كُفْرٌ، أو هذا الفعلَ كُفْرٌ، أو هذا التركَ كُفْرٌ، ولكن هل يَصْدُقُ الحكمُ علىٰ هذا الشخصِ المعيَّنِ لقيامِ المُقْتَضِي فِي حَقِّه وانتفاءِ المَانعِ، أو لا يَنْطَبِقُ لفواتِ بَعضِ المُقْتَضياتِ، أو وجودِ بعضِ المَوانعِ.

وذلك أنَّ الجهلَ بالمُكَفِّرِ عَلَىٰ نَوعَين:

الأوَّل: أن يكونَ من شخصٍ يَدِينُ بغيرِ الإسلامِ، أو لا يَدِينُ بشيءٍ، ولم يَكُنْ يَخْطُرُ ببالِهِ أن دِينًا يُخالِفُ مَا هُو عَلَيهِ، فهذا تَجْرِي عَلَيهِ أَحْكَامُ الظاهرِ في الدنيا.

وأمَّا في الآخرةِ فأمْرُه إلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

والقولُ الراجحُ: أنه يُمْتَحَنُ فِي الآخرةِ بما يَشاءُ الله ﷻ، واللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين، لكننا نَعْلَمُ أنه لن يَدْخُلَ النارَ إلا بذنْبٍ؛ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

العثيمين

بل نُكَفِّرُ تلك الأنواع الأربعة، لأجل محادتهم لله ورسوله، فرحم الله امرءًا نظر نفسه، وعرف أنه ملاق الله، الذى عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

● تتمة ●

الاختلاف فى مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافًا لفظيًا فى بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أى أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى فى حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو

وجود بعض الموانع. وذلك أن الجهل بالمكفّر على نوعين:

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن دينًا يخالف ما هو عليه فهذا تجرى عليه أحكام الظاهر فى الدنيا، وأما فى الآخرة فأمره إلى الله تعالى والقول الراجح أنه يمتحن فى الآخرة بما يشاء الله عز وجل والله أعلم بما كانوا عاملين، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

رسلان

وإنَّما قلنا تَجْرِي عليه أحكامُ الظاهرِ في الدنيا، وهي أحكامُ الكفرِ؛ لأنه لا يَدِينُ بالإسلامِ، فلا يمكنُ أن يُعْطَى حُكْمَه.

وإنَّما قلنا بأنَّ الراجحَ أنه يُمْتَحَنُ في الآخرةِ؛ لأنه جاء في ذلك آثارٌ كثيرةٌ ذَكَرَهَا ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه «طريق الهجرتين» عِندَ كلامِهِ على المذهبِ الثامنِ في أطفالِ المشركين، تحتَ الكلامِ على الطَّبقةِ الرَّابعَةَ عَشْرَةَ[1].

النوعُ الثَّانِي: أن يكونَ مِن شخصٍ يَدِينُ بالإسلامِ، ولكنه عاش على هذا المُكَفِّرِ، ولم يَكُنْ يَخْطُرُ ببالِهِ أنه مُخَالِفٌ للإسلامِ، ولا نَبَّهَه أحدٌ على ذلك، فهذا تَجْرِي عليه أحكامُ الإسلامِ ظاهرًا.

أمَّا في الآخرةِ فَأَمْرُه إلى اللهِ ﷻ، وقد دَلَّ على ذلك الكتابُ والسُّنةُ وأقوالُ أهلِ العلمِ:

فَمِن أدلَّةِ الكتابِ:

١- قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

٢- وَقولُهُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩].

(١) طريق الهجرتين (ص٥٨٧-٥٩٥).

العثيمين

وإنما قلنا تجرى عليه أحكام الظاهر فى الدنيا وهى أحكام الكفر؛ لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطى حكمه، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن فى الآخرة لأنه جاء فى ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه «طريق الهجرتين» عند كلامه على المذهب الثامن فى أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة.

النوع الثانى: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه عاش على هذا المكفر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجرى عليه أحكام الإسلام ظاهراً، أما فى الآخرة فأمره إلى الله عز وجل وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة وأقوال أهل العلم.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء:١٥] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩] وقوله:

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

٤- وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٤].

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة:١١٥].

٦- وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام:١٥٥-١٥٧].

إِلَىٰ غيرِ ذلك مِن الآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ أن الحُجَّةَ لا تقومُ إلا بعدَ العلمِ والبيانِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ:

ففي صحيحِ مسلمٍ (١٥٣)، عن أبي هريرة ﷺ: أن النبيَّ ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ -يَعنِي أُمَّةَ الدَّعْوَةِ- يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

العثيمين

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥] وقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن

قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥ ـ ١٥٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

وأما السنة: ففي صحيح مسلم ١/ ١٣٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يعني أمة الدعوة ـ يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

رسلان

وأمَّا كلامُ أهلِ العلمِ: فقال في المغنى (٨/ ١٣١): «فإن كان ممَّن لا يَعْرِفُ الوُجوبَ؛ كحديثِ الإسلامِ، والناشِئ بغيرِ دارِ الإسلامِ، أو باديةٍ بعيدةٍ عَن الأمصارِ وأهلِ العلمِ لم يُحْكَمْ بكُفْرِهِ». اهـ

وَقَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «**الفتاوي**» (**٣/ ٢٢٩**) **مجموع ابن قاسم**:

«إني دائمًا -ومَن جَالَسَني يَعْلَمُ ذلك مني- من أعظمِ الناسِ نهيًا عن أن يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلىٰ تكفيرٍ، وتفسيقٍ، ومعصيةٍ، إلا إذا عُلِمَ أنه قد قَامَت عليه الحُجَّةُ الرِّسَاليَّةُ التي من خَالَفَهَا كان كافرًا تارةً، وفاسقًا أخرىٰ، وعاصِيًا أخرىٰ، وَإِنِّي أُقَرِّرُ أن الله تعالىٰ قد غَفَرَ لهذه الأمةِ خطأَهَا، وذلك يَعُمُّ الخطأَ في المسائلِ الخَبَرية القولية، والمسائلِ العَمَليةِ.

وما زال السلفُ يَتَنازعون في كثيرٍ من هذه المسائلِ، ولم يَشْهَدْ أحدٌ منهم علىٰ أحدٍ لا بكفرٍ، ولا بِفِسْقٍ، ولا بمعصيةٍ.

إلىٰ أن قال: وكنتُ أُبَيِّنُ أنَّ ما نُقِلَ عن السلفِ والأئمةِ مِن إطلاقِ القولِ بتكفيرِ مَن يقُولُ كذا وكذا، فهو أيضًا حقٌّ، لكن يَجِبُ التفريقُ بين الإطلاقِ والتعيينِ.

إلىٰ أن قال: والتكفيرُ هو مِن الوعيدِ؛ فإنه وإن كان القولُ تكذيبًا لِمَا قاله الرسولُ ﷺ، لكنَّ الرجلَ قد يكونُ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ، أو نَشَأَ ببادِيةٍ بعيدةٍ.

العثيمين

وأما كلام أهل العلم: فقال فى المغنى ٨/ ١٣١ «فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى ٣/ ٢٢٩ مجموع ابن قاسم: «إنى دائمًا ـ ومن جالسنى يعلم ذلك منى ـ من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإنى أقرر أن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون فى كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية ـ إلى أن قال ـ وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضًا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين ـ إلى أن قال ـ والتكفير هو من الوعيد. فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة،

رسلان

ومثلُ هذا لا يُكَفَّرُ بِجَحْدِ مَا يَجْحَدُه حتىٰ تقومَ عليه الحجةُ، وقد يكونُ الرجلُ لم يَسْمَعْ تلك النصوصَ، أو سَمِعَهَا، ولم تَثْبُتْ عندَه، أو عَارَضَهَا عندَهُ مُعَارِضٌ آخَرُ أَوْجَبَ تأويلَهَا، وإن كان مُخْطِئًا. اهـ

وَقَالَ شيخُ الإسلامِ محمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ (٥٦/١) من «الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ»: «وأمَّا التكفيرُ فأنا أُكَفِّرُ مَن عَرَفَ دينَ الرسولِ، ثم بعدَمَا عَرَفَه سَبَّه، وَنَهَى النَّاسَ عنه، وَعَادَىٰ مَن فَعَلَهُ، فهذا هو الذي أُكَفِّرُه». اهـ

وفي (ص٦٦) «وأمَّا الكذبُ والبُهْتَانُ فقولُهُم: إنَّا نُكَفِّرُ بالعمومِ، ونُوجِبُ الهجرةَ إلينا علىٰ مَن قَدَر علىٰ إظهارِ دينِهِ، فكُلُّ هذا من الكذبِ والبُهْتَانِ الذي يَصُدُّون به الناسَ عن دينِ اللهِ ورسولِهِ.

وإذا كنا لا نُكَفِّرُ مَن عَبَدَ الصَّنَمَ الذي علىٰ عبدِ القَادِرِ، والصَّنَمَ الذي علىٰ أحمدَ البَدَويِّ وأمثَالِهِمَا؛ لأجلِ جهلِهِم، وعدمِ مَن يُنَبِّهُهُم، فكيف نُكَفِّرُ مَن لم يُشْرِكْ باللهِ إذا لم يُهَاجِرْ إلينا، أو لم يُكَفِّرْ ويُقَاتِلْ». اهـ

وإذا كان هذا مُقْتَضَىٰ نصوصِ الكتابِ والسُّنةِ، وكلامِ أهلِ العلمِ فهو مُقْتَضَىٰ حكمةِ اللهِ تعالىٰ، ولُطْفِهِ، ورأفَتِهِ، فلن يُعَذِّبَ أحدًا حتَّىٰ يُعْذَرَ إليهِ.

والعقولُ لا تَسْتَقِلُّ بمعرفةِ ما يَجِبُ للهِ تعالىٰ من الحقوقِ، ولو كانت تَسْتَقِلُّ بذلك لم تَتَوَقَّفِ الحُجَّةُ علىٰ إرسالِ الرسلِ.

العثيمين

ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئًا» اهـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ١/٥٦ من الدرر السنية: «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا الذي أكفره».

وفي ص ٦٦ «وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نُكَفِّر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نُكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل» اهـ.

وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب، والسنة، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله تعالى، ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحدًا حتى يعذر إليه، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله تعالى من الحقوق، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل.

رسلان

فالأصلُ فِيمَن يَنتَسِبُ للإسلامِ بقاءُ إسلامِهِ حتىٰ يَتَحَقَّقَ زوالُ ذلك عنه بِمُقْتَضَىٰ الدليلِ الشرعيِّ، ولا يَجوزُ التَّساهُلُ فِي تكفيرِهِ؛ لأنَّ في ذلك مَحْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

أحدُهُمَا: افتراءُ الكذبِ علىٰ اللهِ تعالىٰ في الحُكْمِ، وعلىٰ المحكومِ عليه في الوصفِ الذي نَبَزَهُ به.

أما الأول: فواضحٌ حيث حَكَم بالكفرِ علىٰ مَن لم يُكَفِّرْهُ اللهُ تعالىٰ، فهو كَمَن حَرَّمَ ما أَحَلَّ اللهُ؛ لأنَّ الحُكْمَ بالتكفيرِ أو عدمِهِ إلىٰ اللهِ وحدَهُ كالحُكْمِ بالتحريمِ أو عَدَمِهِ.

وأما الثَّانِي: فلأنه وَصَفَ المسلمَ بِوَصْفٍ مُضادٍّ، فقال: إنه كافرٌ، مع أنه بريءٌ من ذلك، وحَرِيٌّ به أن يعودَ وَصْفُ الكفرِ عليه؛ لِمَا ثَبَتَ في صحيحِ مسلمٍ (٦٠)، عَنِ عبد الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**». [وأخرجه البخاريُّ (٦١٠٣)].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ: «**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**».

وله من حديثِ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**» [أخرجه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١)]؛ يعني: رَجَعَ عليه.

العثيمين

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعى، ولا يجوز التساهل فى تكفيره لأن فى ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى فى الحكم، وعلى المحكوم عليه فى الوصف الذى نبزه به.

أما الأول فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله تعالى فهو كمن حرم ما أحل الله، لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه.

وأما الثانى فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد، فقال: إنه كافر، مع أنه برىء من ذلك، وحرى به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد

باء بها أحدهما»[1]. وفى رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»[2]. وله من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[3] يعنى رجع عليه. وقوله فى

وقولُهُ في حديثِ ابنِ عمرَ: «إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ»؛ يعني: في حكمِ اللهِ تعالىٰ.

وكذلك قولُه في حديثِ أبي ذرٍّ: «وَلَيْسَ كَذَلِكَ»؛ يعني: في حكمِ اللهِ تعالىٰ.

وهذا هو **المحذورُ الثَّانِي**؛ أعني: عَوْدَ وصفِ الكفرِ عليه، إن كان أخوه بريئًا منه، وهو محذورٌ عظيمٌ يُوشِكُ أن يَقَعَ به؛ لأنَّ الغالِبَ أنَّ مَن تَسَرَّع بوصفِ المسلمِ بالكفرِ كان مُعْجَبًا بعملِهِ مُحْتَقِرًا لغيرِه، فيكونُ جامعًا بينَ الإعجابِ بعملِهِ الذي قد يُؤَدِّي إلىٰ حُبوطِهِ، وبينَ الكِبْرِ المُوجِبِ لعذابِ الله تعالىٰ في النَّارِ، كما جاء في الحديثِ الذي أخرجَهُ أحمَدُ، وأبو داودَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**». [أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، وبنحوِهِ مسلمٌ (٢٦٢٠)].

فالواجبُ قبلَ الحكمِ بالتكفيرِ أن يُنْظَرَ في أمرَيْنِ:

الأمرُ الأولُ: دلالةُ الكتابِ والسُّنةِ علىٰ أن هذا مُكَفِّرٌ؛ لئلَّا يَفْتَرِيَ عَلَىٰ اللهِ الكَذِبَ.

الثَّانِي: انطباقُ الحُكْمِ علىٰ الشخصِ المعيَّنِ بحيث تَتِمُّ شروطُ التَّكفِيرِ في حقِّه، وتَنْتَفِي الموانعُ.

وَمِن أهمِّ الشروطِ أن يكونَ عَالِمًا بمُخالفتِهِ التي أَوْجَبَت كفرَهُ؛ لقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

العثيمين

حديث ابن عمر: «إن كان كما قال» يعني في حكم الله تعالى وكذلك قوله في حديث أبي ذر: «وليس كذلك» يعني في حكم الله تعالى.

وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئًا منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبًا بعمله محتقرًا لغيره فيكون جامعًا بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالى في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[4].

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفّر لئلا يفترى على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما

فاشْتَرَطَ للعُقوبةِ بالنارِ أن تكون المُشاقَّةُ للرسولِ مِن بعدِ أن يَتَبيَّنَ الهُدىٰ له.

ولكن هل يُشْتَرَطُ أن يكونَ عالمًا بما يَتَرَتَّبُ علىٰ مخالفتِهِ من كفرٍ أو غيرِهِ أو يَكْفِي أن يكونَ عالمًا بالمخالفةِ، وإن كان جاهلًا بما يَتَرَتَّبُ عليها؟

الجَوابُ: الثاني؛ أي: أنَّ مُجردَ عِلمِهِ بالمخالفةِ كَافٍ في الحكمِ بما تَقْتَضِيه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أَوْجَب الكفَّارةَ علىٰ المُجَامعِ في نَهارِ رمضانَ[1]؛ لِعِلْمِه بالمخالفةِ مع جهلِهِ بالكفارةِ.

ولأنَّ الزَّانِيَ المُحْصَنَ العالِمَ بتحريمِ الزِّنا يُرْجَمُ، وإن كان جاهلًا بما يَتَرَتَّبُ علىٰ زِناهُ، وربما لو كان عالمًا ما زَنَا.

ومِن الموانعِ مِن التَّكفيرِ أن يُكْرَهَ علىٰ المُكفِّرِ؛ لِقَولِهِ تِعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦].

(١) روىٰ البخاري (١٩٣٦، ٢٦٠٠)، ومسلم (١١١١) عَن أبي هُرَيرةَ ﷺ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: وَمَا أَهْلَكَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: تَصَدَّقْ بِهَذَا. قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ».

تولّىٰ ونُصْلِه جهنّم وساءت مصيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له.

ولكن هل يشترط أن يكون عالمًا بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفى أن يكون عالمًا بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

الجواب: الثانى؛ أى أن مجرد علمه بالمخالفه كاف فى الحكم بما تقتضيه لأن النبى ﷺ أوجب الكفارة على المجامع فى نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة؛ ولأن الزانى المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالمًا ما زنا.

ومن الموانع من التكفير أن يكره على المُكَفِّر لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بالله من بعد إيمانه إلاَّ من أُكْرِه وقلبه مطمئنٌ بالإيمان ولكن من شرح بالكُفْر صدرًا فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَمِن المَوانِعِ أن يُغْلَقَ عليه فِكرُهُ وقَصْدُهُ بحيث لا يَدْري ما يقولُ لِشِدَّةِ فَرحٍ، أو حُزْنٍ، أو غَضَبٍ، أو خَوْفٍ ونَحوِ ذَلِكَ، لِقَولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥].

وفي صحيح مسلم (٢٧٤٧) عَن أنسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ». [وأخرجه البخاريُّ (٦٣٠٩)].

ومِن الموانعِ أيضًا أنْ يكونَ لَهُ شُبْهَةُ تأويلٍ في الكفرِ، بحيث يَظُنُّ أنه علىٰ حقٍّ؛ لأن هذا لم يَتَعَمَّدِ الإثمَ والمخالفةَ، فيكونُ داخلًا في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

ولأنَّ هذا غايةُ جُهْدِهِ فيكونُ داخلًا في قولِهِ تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

قَالَ فِي المُغني (٨/ ١٣١) «وإن اسْتَحَلَّ قَتْلَ المَعْصُومِينَ، وأخذَ أموالِهِم بغيرِ شُبْهَةٍ، وَلَا تأويلٍ، فكذلك -يعني: يكونُ كافرًا- وإن كان بتأويلِ

العثيمين

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدرى ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥] وفى صحيح مسلم ٤-٢١٠ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»(1).

ومن الموانع أيضًا أن يكون له شبهة تأويل فى الكفر بحيث يظن أنه على حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً فى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ

(1) (صحيح): أخرجه مسلم فى (التوبة/ ٢٧٤٧/ عبد الباقى).

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]. ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً فى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. قال فى المغنى ٨/ ١٣١: «وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك - يعنى يكون كافرًا -

رسلان

كالخَوَارِج[١]، فقد ذَكَرْنَا أنَّ أكثرَ الفُقَهاءِ لم يَحْكُمُوا بكفرهم مع استحلالِهِم دماءَ المسلمين وأموالَهُم، وَفِعلِهِم ذلك مُتَقَرِّبين به إلىٰ اللهِ تعالىٰ».

إلىٰ أن قال: «وَقَد عُرِفَ مِن مذهبِ الخوارجِ تكفيرُ كثيرٍ مِن الصَّحَابَةِ، ومَن بعدَهُم واستحلَالُ دِمَائِهِم، وأموَالِهِم، واعتِقَادُهُم التَّقَرُّبَ بقتلِهِم إلىٰ ربِّهِم، ومع هذا لم يَحْكُمِ الفقهاءُ بكفرِهِم لتأويلِهِم.

وكذلك يُخَرَّجُ في كلِّ مُحَرَّمٍ اسْتُحِلَّ بتأويلٍ مثلُ هذا».

وَفِي فتاوَىٰ شيخِ الإسلامِ (١٣/ ٣٠ - مجموع ابن قاسم): «وبِدْعَةُ الخَوَارِجِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِم لِلقُرآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ تَكْفِيرَ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ». اهـ

وَفِي (ص٢١٠) منه: «فَإِنَّ الخَوَارِجَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي أَمَرَ القُرآنُ بِاتِّبَاعِهَا، وَكَفَّرُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَ القُرآنُ بِمُوَالَاتِهِم، وَصَارُوا يَتَتَبَّعُونَ المُتَشَابِهَ مِن

(١) سُمُّوا بهذا الاسم؛ لخروجِهِم علىٰ الإمام علي رضي الله عنه، ونزلوا بأرض يقال لها: حَرُوراء فسُمُّوا بالحَرُورِيَّة، وهم الذين يُكَفِّرون أصحاب الكبائر، ويقولون بأنهم مخلدون في النَّار، كما يقولون بالخروج علىٰ أئمة الجور، وأن الإمامة جائزة في غير قريش، وهم يُكَفِّرون عثمانَ وعليًّا رضي الله عنهما وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ويعظِّمون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.

انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١١٣)، «الملل والنحل للشهرستاني» (١/ ١٥٤)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص١٥٠)، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (ص٩).

العثيمين

وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى» إلى أن قال: «وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج فى كل محرم استحل بتأويل مثل هذا». وفى فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٣٠ مجموع ابن قاسم: «وبدعة الخوارج إنما هى من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب» وفى ص ٢١٠ منه «فإن الخوارج خالفوا السنة التى أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم... وصاروا يتبعون

رسلان

القُرآنِ، فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُم بِمَعْنَاهُ، وَلَا رُسُوخٍ فِي العِلْمِ، وَلَا اتِّبَاعٍ لِلسُّنَّةِ، وَلَا مُرَاجَعَةٍ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ». اهـ

وَقَالَ أيضًا (٢٨/ ٥١٨) مِن المَجمُوعِ المَذكُورِ: «فَإِنَّ الأئمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ ذَمِّ الخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِم، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ». اهـ

لكنَّهُ ذَكَرَ فِي (٧/ ٢١٧): «أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكَفِّرُهُم، لَا عَلِيُّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ، وَلَا غَيرُهُ، بَلْ حَكَمُوا فِيهِم بِحُكْمِهِم فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ، كَمَا ذَكَرَت الآثَارُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ[1]». اهـ

وفِي (٢٨/ ٥١٨): «أنَّ هَذَا هُوَ المَنْصُوصُ عَنِ الأَئِمَّةِ كَأَحمَدَ وَغَيْرِهِ».

وفِي (٣/ ٢٨٢) قَالَ: «وَالخَوَارِجُ المَارِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ بِقِتَالِهِم، قَاتَلَهُم أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَاتَّفَقَ عَلَىٰ قِتَالِهِم أَئِمَّةُ الدِّينِ مِن الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَن بَعْدَهُم، وَلَمْ يُكَفِّرْهُم عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَغَيرُهُمَا مِن الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُم مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِم، وَلَمْ يُقَاتِلْهُم عَلِيٌّ حَتَّىٰ سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَىٰ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلَهُم لِدَفْعِ ظُلْمِهِم وَبَغْيِهِم، لَا لأَنَّهُم كُفَّارٌ، وَلِهَذَا لَم يَسْبِ حَرِيمَهُم، وَلَم يَغْنَم أَمْوَالَهُم.

(١) انظر في هذه الآثار: مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٨).

العثيمين

المتشابه من القران فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ فى العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن». وقال أيضًا ٢٨/ ٥١٨ من المجموع المذكور: «فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا فى تكفيرهم على قولين مشهورين» لكنه ذكر فى ٧/ ٢١٧ «أنه لم يكن فى الصحابة من يكفرهم لا على بن أبى طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم فى المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك فى غير هذا الموضع». وفى ٢٨/ ٥١٨ «أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره». وفى ٣/ ٢٨٢ قال: «والخوارج المارقون الذين أمر النبى ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من

الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، ولم يكفرهم على بن أبى طالب، وسعد ابن أبى وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم على حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم

رسلان

وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَ ضَلَالُهُم بِالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ لَمْ يُكَفَّرُوا مَعَ أَمرِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِم، فَكَيفَ بِالطَّوَائِفِ المُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِم الحَقُّ فِي مَسَائِلَ غَلِطَ فِيهَا مَن هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُم؟!

فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِن هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَن تُكَفِّرَ الأُخْرَى، وَلَا تَسْتَحِلَّ دَمَهَا وَمَالَهَا، وَإِن كَانَت فِيهَا بِدعَةٌ مُحَقَّقَةٌ، فَكَيفَ إِذَا كَانَت المُكَفِّرَةُ لَهَا مُبْتَدِعَةً أَيضًا؟ وَقَد تَكُونُ بِدعَةُ هَؤُلَاءِ أَغْلَظَ، وَالغَالِبُ أَنَّهُم جَمِيعًا جُهَّالٌ بِحَقَائِقِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَإِذَا كَانَ المُسْلِمُ مُتَأَوِّلًا فِي القِتَالِ، أَو التَّكْفِيرِ لَم يُكَفَّرْ بِذَلِكَ».

إِلَى أَنْ قَالَ فِي (ص٢٨٨): «وَقَد اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي خِطَابِ اللهِ وَرَسُولِهِ هَل يَثْبُتُ حُكْمُهُ فِي حَقِّ العَبِيدِ قَبْلَ البَلَاغِ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحمَدَ وَغَيرِهِ.

وَالصَّحِيحُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

العثيمين

يغنم أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص، والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضًا، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعًا جهال بحقائق ما يختلفون فيه» إلى أن قال: «وإذا كان المسلم متأولاً في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك» إلى أن قال في ص ٢٨٨ «وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره... والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

رسلان

وَفِي الصَّحِيحَينِ عَن النَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيهِ العُذْرُ مِن اللهِ، مِن أَجلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»[1].

والحَاصِلُ: أنَّ الجَاهِلَ مُعذُورٌ بِمَا يَقُولُهُ أو يفعلُهُ ممَّا يكون كُفرًا، كما يكُون مَعذُورًا بما يَقُولُهُ أو يفعلُهُ ممَّا يكُونُ فِسْقًا، وَذَلِكَ بِالأدِلَّةِ مِن الكِتَابِ والسُّنَّةِ، والاعتِبَارِ، وأقوَالِ أَهْلِ العِلْمِ.

العثيمين

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين»[1].

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقًا، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم.

(١) (صحيح): أخرجه البخاري في (التوحيد / ٧٤١٦ / فتح)، مسلم في (اللعان / ١٤٩٩ / عبد الباقي).

رسلان

الاسْتِغَاثَةُ: هِيَ طَلَبُ الغَوْثِ وَهُوَ الإِنقَاذُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالهَلاكِ؛ وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

الأَوَّلُ: الاسْتِغَاثَةُ بِاللهِ ﷻ: وَهَذِهِ مِن أَفْضَلِ الأَعْمَالِ وَمِن أَكْمَلِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩].

﴿مُرْدِفِينَ﴾؛ أي: مُتَتَابِعِينَ.

....

الثَّانِي: الاسْتِغَاثَةُ بِالأَمْوَاتِ أَو بِالأَحْيَاءِ، غَيرِ الحَاضِرِينَ، غَيرِ القَادِرِينَ عَلَى الإِغَاثَةِ: فَهَذَا شِرْكٌ؛ لأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَن يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الكَونِ، فَيَجْعَلُ لَهُم حَظًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

الثَّالِثُ مِن أَقْسَامِ الاسْتِغَاثَةِ: الاسْتِغَاثَةُ بِالأَحْيَاءِ العَالِمِينَ القَادِرِينَ عَلَى الإِغَاثَةِ: فَهَذَا جَائِزٌ، كَالاسْتِعَانَةِ بِهِم، قَالَ تَعَالَى كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص:١٥].

الرَّابِعُ: الاسْتِغَاثَةُ بِحَيٍّ غَيرِ قَادِرٍ مِنْ غَيرِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَهُ قُوَّةً خَفِيَّةً: كَمَنْ يَسْتَغِيثُ بِمَشْلُولٍ لِيُنقِذَهُ مِنَ الغَرَقِ، فَهَذَا لَغْوٌ وَسُخْرِيَةٌ.

العثيمين

(1) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم**

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١) (الأنعام:١٦٢-١٦٣). ومن السنة «لعن الله من ذبح لغير الله».(٤٤)

إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»(٤٣) وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل:٦٢).

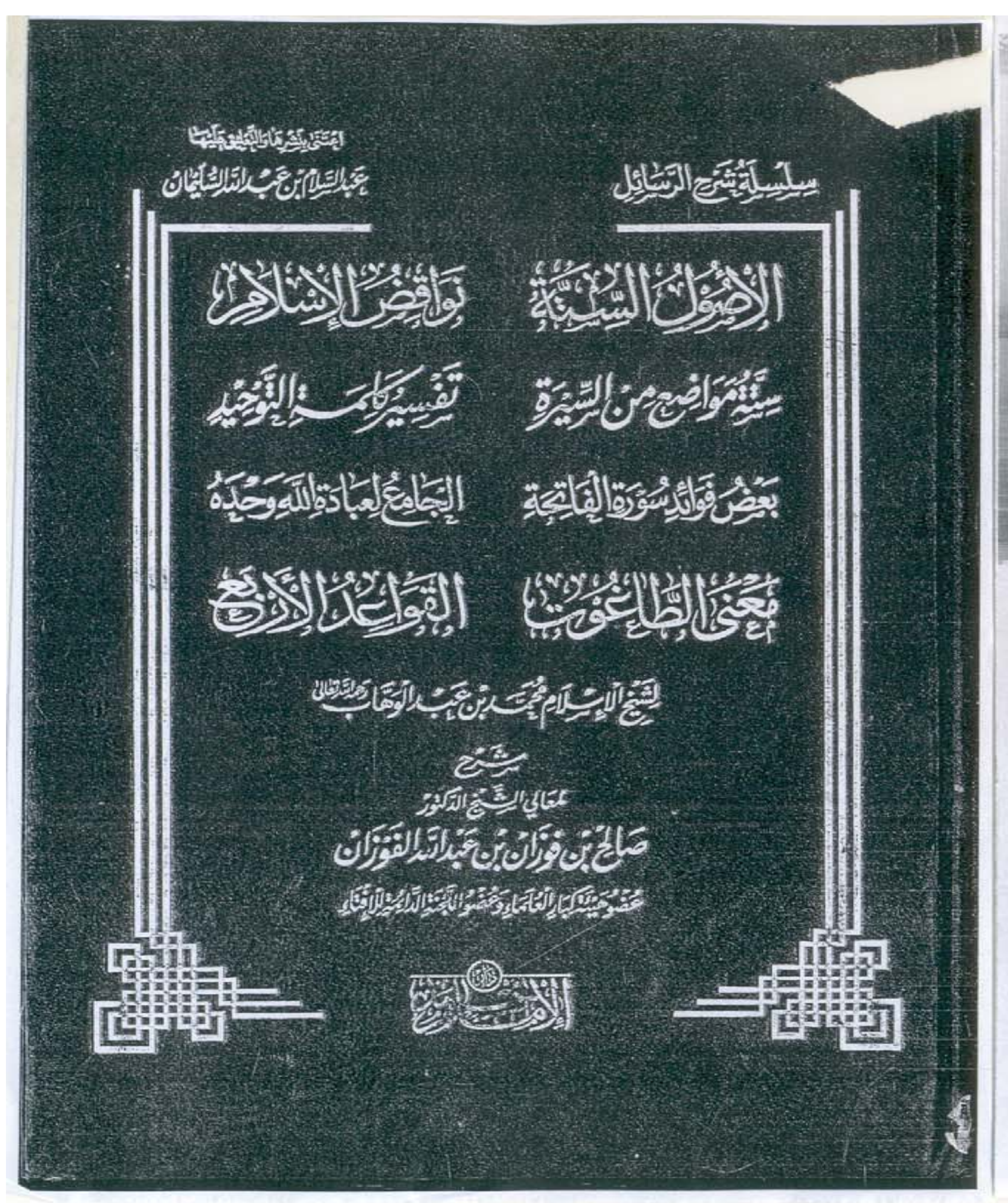
الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ**﴾ (القصص:١٥).

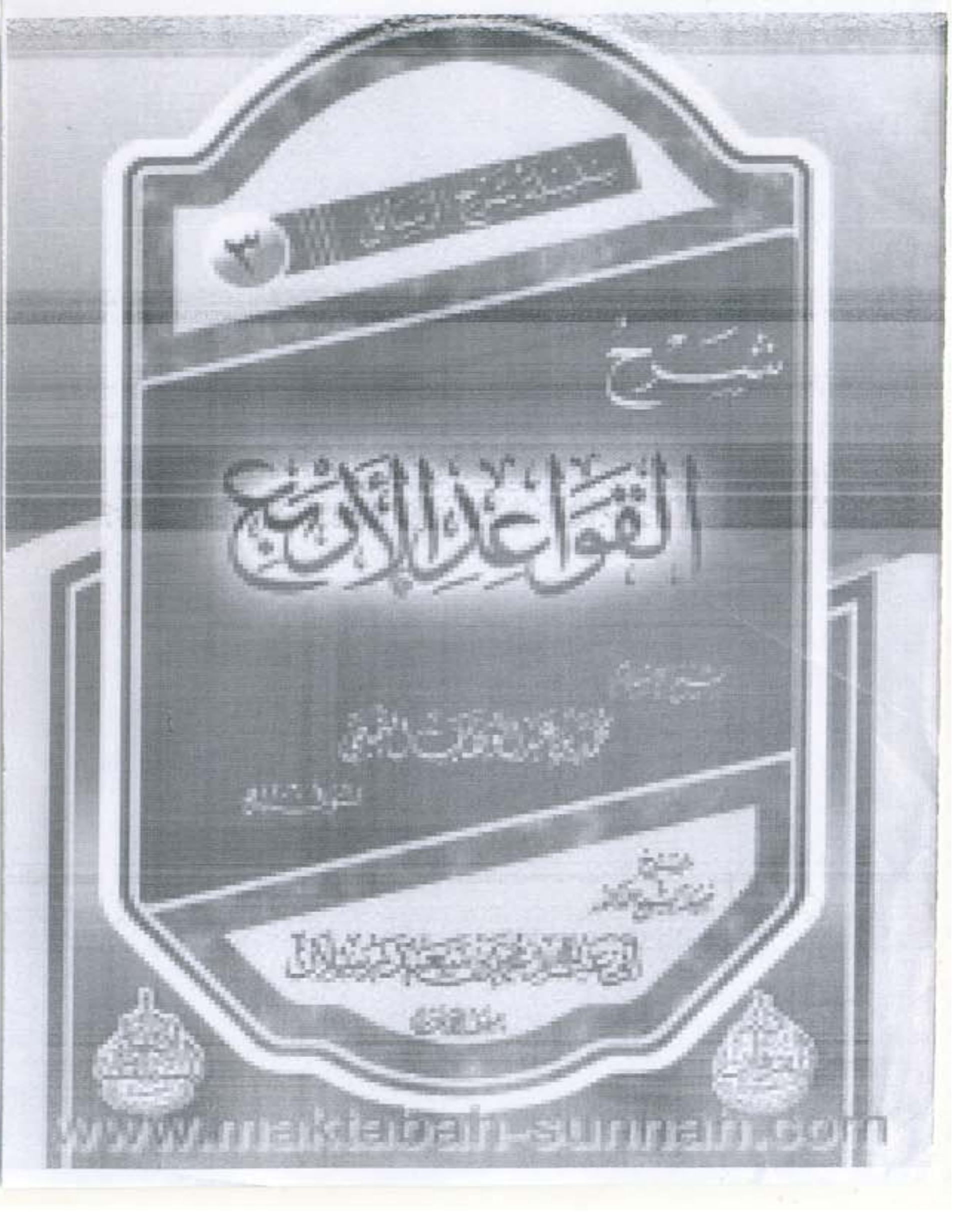
الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى

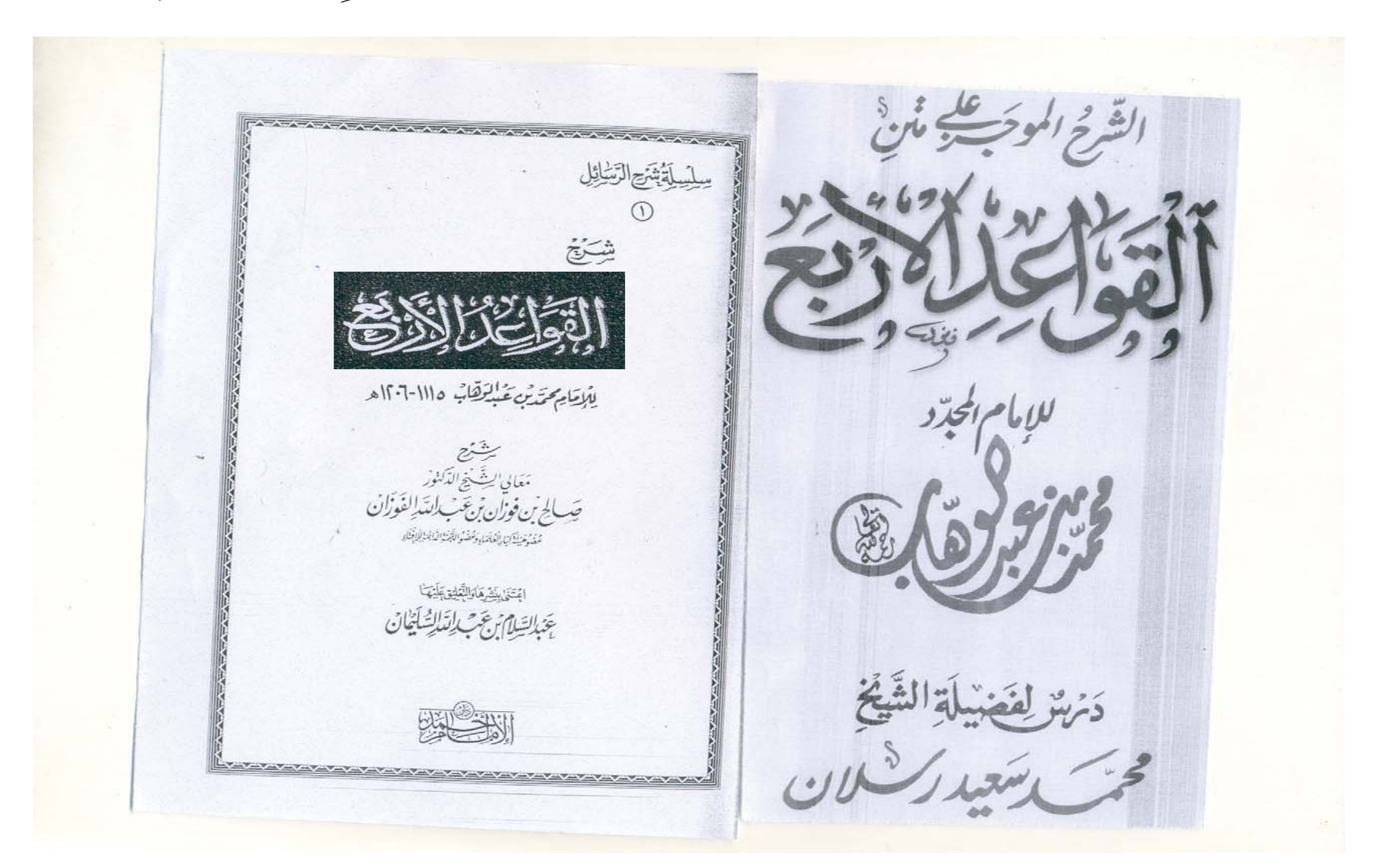
الباب الحادي عشر
السرقات العلمية في كتابه (شرح القواعد الأربع)

وصف السرقة:

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (شرح القواعد الأربع) للشيخ صالح الفوزان فقام بسرقته كاملا .
- قام بوضع اسمه على هذا الكتاب بدلا من اسم الشيخ الفوزان .
- قام بتبديل لبعض الألفاظ بمرادفاتها على جهة التمويه والحيلة وهذا مما يؤكد تعمده للسرقة.
- قام بطبع آلاف النسخ من هذا الكتاب عدة طبعات في مكتبة (الفرقان) و(أضواء السلف) .
- نسب الكتاب لنفسه ولم ينسب حرفاً واحدًا من هذا الكتاب للشيخ الفوزان ولم يشر إليه قط مع أن الكتاب كله للشيخ .


سلسلة شرح الرسائل
اعتنى بنشرها والتعليق عليها
عبد السلام بن عبد الله السليمان
الأصول الستة
نواقض الإسلام
ستة مواضع من السيرة
تفسير كلمة التوحيد
بعض فوائد سورة الفاتحة
الجامع لعبادة الله وحده
معنى الطاغوت
القواعد الأربع
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
شرح
لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء


٣
شرح
القواعد الأربع
www.maktabah-sunnah.com



سلسلة شرح الرسائل
(١)
شرح
القواعد الأربع
للإمام محمد بن عبد الوهاب ١١١٥-١٢٠٦هـ
شرح
معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
اعتنى بنشرها والتعليق عليها
عبد السلام بن عبد الله السليمان
الشرح الموجز على متن
القواعد الأربع
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
درس لفضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان

رسلان

تُعرَفُ قيمتُها بالإخلالِ بمَعرِفتها ، فـإِنَّ الإخـلالَ بمَعرِفـتِها ، والإخـلالَ بتَحريـرِ ضَبْـطِها ، يُؤدِّي إلى خَلَلٍ عظيمٍ في مَعرِفـةِ حالِ المُوَحِّدينَ وحالِ المُشْرِكينَ .

[مَعنَى القَواعِدِ]

القَواعِدُ : جمعُ قاعِدةٍ ، وهيَ الأَصْلُ الذي يتَفَـرَّعُ عَنهُ مَسائلُ كثيرة أو فُروعٌ كثيرة .

[أهمِّـيَّـةُ مَعرِفةِ التَّوحيدِ وتَميـيزِه عنِ الشِّركِ]

وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَصِحَّ لهم مَنهَجٌ في مَعرِفةِ حالِ الـمُشرِكينَ وحالِ المُوَحِّـدينَ ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة ، وأن يَجعلك مباركًا أينما كنت ، وأن يَجعلك مِمَّن إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة [١] .

---

[١] هذه «القواعد الأربع» الَّتي ألَّفها شيخُ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

وهي رسالة مستقلّة ، ولكنها تُطبع مع «ثلاثة الأصول» من أجل الحاجة إليها لتكون في متناوَل أيدي طلبة العلم .

و(القواعد) جمع قاعدة ، والقاعدة هي : الأصل الذي يتفرَّع عنه مسائلُ كثيرة أو فروعٌ كثيرة .

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : معرفة التوحيد ومعرفة الشرك .

وما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟ لأنَّ كثيرًا من الناس يتخبّطون في هذين الأمرين ، يتخبّطون في معنى التوحيد ما هو؟ ويتخبّطون في معنى الشرك ، كلٌّ يفسِّرهما على

رسلان

ومَعرِفةُ التَّوحِيدِ الذي خلقَ اللهُ النَّاسَ لأجلِهِ ، ومَعرِفةُ الشِّركِ الـذي نَهى اللهُ عنـهُ ، مَعرِفةُ ذلِكَ أَوجَبُ من مَعرِفةِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ وسـائرِ العِبـاداتِ ، لأَنَّ التَّوحيـدَ هُـوَ الأَصْلُ الذي تُـبْنَى عَليْهِ ، والعِباداتُ إذا لَـمْ تُـبْنَ عَلى العَقِيـدَةِ الصَّـحيحةِ وَهِـيَ التَّوحيدُ الخالِصُ لله ، فإنَّها لا تَصِحُّ .

الفوزان

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهُل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذَّر اللَّه منه وبيَّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

وهذا أمرٌ مهمّ جدًا، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينيّة، لأن هذا هو الأمر الأوّلي والأساس، لأنّ الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصح إذا لَمْ تُبنَ على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص للَّه ﷻ.

وقد قدّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه القواعد الأربع بِمقدّمة عظيمة فيها الدعاء

رسلان

قالَ الشَّيخُ رحمهُ الله تَعَالى سَائِلًا اللهَ الكريمَ رَبَّ العَرشِ العظيمِ أنْ يَتَولَّى طالِبَ العِلْمِ في الدُّنيا والآخِرةِ ، فبدأ بالدُّعاءِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالى إذا تولَّى العبدَ في الدُّنيا والآخِرةِ ، فإنَّهُ لا يصِلُ إليهِ مَكرُوهٌ في الدُّنيا ولا في الآخِرة ، قالَ تَعَالَى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [٢]

فبدأ بهذا الدُّعاءِ العظيمِ ، وثَنَّى بدُعاءٍ آخَرَ ، وهُو قولُه : (وأنْ يجعلَكَ مُباركًا أينما كُنْتَ ، وأنْ يجعلَكَ مِمَّن إذا أُعطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وإذا أذْنبَ استَغْفَرَ ، فإنَّ هؤلاءِ الثَّلاثَةَ عُنْوانُ السَّعادةِ) ؛ لأنَّ منْ أتى بها فقدْ قامَ بحَقِّ اللهِ عَلَيهِ ، لأنَّ العبْدَ لا يَنفَكُّ عن نِعمةٍ ، فحقُّها الشُّكرُ ، أو بَلِيَّةٍ فحقُّها الصَّبرُ ، أو ذَنبٍ فحقُّه الاستِغْفارُ .

الفوزان

هذه مقدّمة عظيمة ، فيها دعاءٌ من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكلّ طالبِ علم يتعلّم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تَجنُّب الضلال والشرك ، فإنه حَرِيٌّ بأن يتولاه اللّه في الدنيا والآخرة .

وإذا تولّاه اللّه في الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلى المكاره أن تصل إليه ، لا في دينه ولا في دنياه ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، فإذا تولّاك اللّه أخرجك من الظّلمات -ظلمات الشرك والكفر والشّكوك والإلحاد- إلى نور الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمّد: ١١] .

رسلان

و(الحنيفيَّةُ) : هيَ الـمِلَّةُ المائِلَةُ ، المِلَّةُ المائِلَةُ عن الشِّركِ ، المَبْنِيَّةُ على الإخلاصِ وحْدَهُ ، والحنيفُ : الَّذي أقبَلَ على الله وأعْرضَ عمَّا سِواهُ ، وأخْلَصَ لله العِبادَةَ وحْدَهُ طائِعًا لله ، و الطَّاعةُ : مُوافَقَةُ المرادِ ، فِعلاً للمأمورِ وتَرْكاً للمحظورِ .

[التَّعريفُ بمِلَّـةِ إبراهيمَ عليْهِ السَّلامُ]

و(مِلَّـةُ إبراهيمَ) هيَ (أنْ تعبُدَ اللهَ وحْدَهُ مخلِصًا لهُ الدِّينَ) ، وذلِـكَ باجْتِنـابِ الشِّركِ وبالبَرَاءَةِ من الشِّركِ والمشركينَ وقَدْ أمرَ اللهُ نبيَّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ باتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ ، قالَ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) وأمرَنا اللهُ تعالى باتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ فقالَ سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٢) وهذِهِ العِبادةُ التي أمرَ اللهُ بها ، هِيَ الَّتي

الفوزان

وطاعة الله معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(أن الْحَنيفية ملة إبراهيم) الله -جل وعلا- أمر نبيّنا باتّباع ملّة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣].

الْحَنيفية: ملة الْحَنيف وهو إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، والْحَنيف هو: المقبل على الله الْمُعرض عمّا سواه، هذا هو الْحَنيف: الْمُقبل على الله بقلبه وأعماله ونيّاته ومقاصده كلّها لله، الْمُعرض عمّا سواه، والله أمرنا باتّباع ملّة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

رسلان

فإذا عَرَفْتَ أنَّ التَّوحيدَ لله إفرادُ الله بالعِبادةِ ، فَقَدْ وَجَبَ أنْ تَعرِفَ ما هُو الشِّركُ ؛ وذلِكَ لِكَيْ لا تقعَ فيهِ ، لأنَّ اللهَ حذَّرَ مِن الشِّركِ فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ وكما أنَّ أعْظَمَ ما أمرَ اللهُ بِهِ التَّوحيدُ ، فأعْظَمُ ما نَهى اللهُ عنهُ الشِّركُ ، وهذا الخطَرُ العَظيمُ تَحْرُمُ بِهِ الجَنَّةُ ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] ؛ لِأنَّهُ تَحْرُمُ بالشِّركِ المغْفِرَةُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾

(١) سورة الزمر ، الآية : (١١) .

(٢) سورة النساء ، في موضعين ، الأوَّل : (٤٨) ، والثَّاني : (١١٦) .

الفوزان

[٤] **(فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار . . .)** أي : ما دام أنك عرفتَ التوحيد وهو : إفراد الله بالعبادة ، يَجب أن تعرف ما هو الشرك ، لأنّ الذي لا يعرف الشيء يقع فيه ، فلابدّ أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها ، لأنّ الله حذَّر من الشرك وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، فهذا الشرك الذي هذا خطرُه ، وهو أنه يَحرمُ من الجنّة : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة : ٧٢] ، ويَحرِمُ من المَغفرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ٤٨] .

رسلان

بِعِبادتِهم ، فَالمشركونَ الذينَ سَمَّاهُم اللهُ مُشركينَ ، وحَكَمَ علَيهم بالخُلودِ في النَّارِ ، لَمْ يُشركوا في الرُّبوبيَّةِ ، وإنَّما أشرَكوا في الأُلوهِيَّةِ ، وهُم لَمْ يَقولوا أبدًا إنَّ آلهتَهُم آلهةٌ على سبيلِ الاسْتِقْلالِ ، وإنَّما قالوا : هِيَ وسائِطُ نَتَقَرَّبُ بِها إلَى اللهِ ، وتَتَوسَّطُ لَنا عِندَ اللهِ ، فالمشرِكونَ كانُوا يَعبُدونَ آلهتَهُم علَى جِهَةِ القُرْبَةِ ، أو علَى جِهَةِ الشَّفَاعَةِ ،

الفوزان

[٦] القاعدة الثانية : أن الْمُشركين الذين سمّاهم الله مشركين وحكم عليهم بالخُلود في النار ، لَمْ يشركوا في الربوبيّة وإنّما

سلسلة شرح الرسائل (٢٢)

أشركوا في الألوهية ، فهم لا يقولون إنّ آلهتهم تَخلق وترزُق مع الله ، وأنهم ينفعون أو يضرّون أو يدبّرون مع الله ، وإنّما اتّخذوهم شفعاء ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم معترفون بهذا ، إنهم لا ينفعون ولا يضرّون ، وإنّما اتّخذوهم شفعاء ، يعني : وُسطاء عند الله في قضاء حوائجهم ، يذبَحون لَهم ، وينذرون لَهم ، لا لأنّهم يَخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرّون في اعتقادهم ، وإنّما لأنّهم يتوسّطون لَهم عند الله ، ويشفعون عند الله ، هذه عقيدة الْمُشركين .

رسلان

[الشَّفاعَةُ المَنْفِيَّةُ]

الشَّفاعةُ بِغيرِ إِذْنِهِ مَنْفيةٌ ، ولا أَحدَ يَشفعُ عِنْدهُ إِلَّا بِإذنِهِ .

وأَفضلُ الخَلقِ وخاتَمُ النَّبيينَ ، نَبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذا أرادَ أنْ يَشفعَ لِأهلِ الموقفِ خَرَّ ساجدًا بينَ يَدَيْ رَبِّهِ يَدعوهُ ويَحْمَدُهُ ويُثْني علَيْهِ ويُمَجِّدُهُ ، ولا يزالُ كذلكَ حتَّى يُؤذَنَ لهُ : " **ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وقُلْ تُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** " كما أَخرجَ ذلكَ عنهُ صَلَّى اللهُ علَيهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ الشَّيْخَانِ في صَحيحَيْهِما [٢] فَلا شَفَاعةَ إِلَّا بَعدَ إذنِ الله تعالى .

الفوزان

فالشفاعة شفاعتان: شفاعة نفاها الله -جل وعلا-، وهي الشفاعة بغير إذنه ﷻ ، فلا يشفع أحد عند اللَّه إلّا بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيّين مُحَمَّد ﷺ إذا أراد أن يشفع لأهل المَوقف يوم القيامة يَخرّ ساجدًا بين يدي ربّه ويدعوه ويَحمدُه ويُثني عليه، ولا يزال ساجدًا حَتَّى يُقال له: «**ارفع رأسك، وقل تُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّعْ**»[١] ، فلا يشفع إلا بعد الإذن.

رسلان

[ومنهم مَنْ كَانَ يعبُدُ الـمَلَائِكَةَ]

(ودليلُ الملائكةِ قولُه تعالَى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾)(١) ؛

فَدلَّ علَى أنَّ هُـنَاكَ مَنْ عَـبَدَ المـلَائِـكةَ و النَّبـيِّـينَ ، وأنَّ ذلِكَ شِـرْكٌ .

[الـمَقْصُودُ مِن هذه الـقَاعِدةِ]

في القاعدةِ الثَّالثةِ مَعرفةُ حالِ العَربِ الَّذينَ بُعِـثَ فيهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليـهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ ، فقَدْ كانَ منهُم مَنْ كانَ يعبدُ الملائِكةَ ، وكانَ منهُم مَنْ يعبُدُ الشَّمْسَ والقمرَ ، وكانَ منهُمْ منْ يَعبُدُ الأَصْنَامَ والأحْجارَ والأشْجارَ ، وكانَ مِنهُم مَن يَعْـبُدُ الأَولِـيَاءَ والصَّالحينَ ومَنْ ظَـنُّوا بهمُ الصَّلاحَ .

الفوزان

والقاعدة الثالثة : أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم : منهم من يعبد المَلائكة ؛ ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ؛ ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ؛ ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، وقاتلهم رسول الله ﷺ جميعًا ولَم يفرق بينهم [٩] .

الله، أو تطلب لِمشرك .

والشفاعة المُثبتة: هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد .

[٩] القاعدة الثالثة : أنّ النّبي ﷺ بُعث إلى أُناسٍ من المُشركين ، منهم مَنْ يعبُد المَلائكة ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار ، ومنهم من يعبد الأولياء والصالِحين .

وأهلُ الشِّركِ أهواؤُهم مُتَفَرِّقَةٌ ، لا يَجْتَمِعُونَ علَى شيءٍ ، ومعَ أنَّهم كانوا مُختلِفينَ فَرَّقَ بينَهُم الهَوَى ، فَعَبَدوا ما عَبَدوا ومَن عَبَدوا ، وتكاثَرَتْ اتِّجاهاتُهم ، معَ كُلِّ ذلِكَ قاتَلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ المشرِكينَ ولم يُفَرِّق بينَهُم ، قاتَلَ الوثَنيِّينَ ، وقاتَلَ اليهودَ ، وقاتَلَ النَّصارَى ، وقاتَلَ المَجُوسَ وقاتَلَ جميعَ المشرِكينَ ، وفي هذا : أنَّه لا فَرْقَ بَينَ الَّذي يَعْبُدُ الصَّنَمَ و الَّذي يَعْبُدُ رجُلًا صالِحًا أو يَعْبُدُ ملَكاً مِن الملائِكةِ ؛ فالرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ لم يُفَرِّقْ بينَهُم ، فالَّذين عَبَدوا المسيحَ عليهِ السَّلامُ حارَبَهُم ، والَّذينَ عَبَدوا عُزَيْرًا عليهِ السَّلامُ حارَبَهُم ، و الَّذين عَبَدوا الأَحْجارَ و الأَشْجارَ حارَبَهُم ، بلا تَفْريقٍ ، فالشِّركُ لا تَفرِيقَ فيهِ بَينَ مَن يَعبُدُ رجُلًا صالحًا ومَن يَعْبُدُ صَنَمًا ، أو يَعْبُدُ شَجَرًا ، قالَ تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [1] ، و﴿شَيْئًا﴾ نَكِرةٌ في سِياقِ النَّهْيِ فهي مُفيدَةٌ للعُمُومِ .

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٨٠) .

رسلان

فالمشركون متفرّقون في عباداتهم ، والنبي ﷺ قاتلهم ولَم يفرّق بينهم ، قاتل الوثنيين ، وقاتل اليهود والنصارى ، وقاتل المَجوس ، قاتل جميع المُشركين ، وقاتل الذين يعبدون المَلائكة ، والذين يعبدون الأولياء الصالِحين ، لَمْ يفرّق بينهم .

فهذا فيه ردٌّ على الذين يقولون : الذين يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلًا صالحًا ومَلَكًا من المَلائكة ، لأن هؤلاء يعبدون

٨- شرح القواعد الأربع ٢٧ الفوزان

أحجارًا وأشجارًا ، ويعبدون جمادات ، أما الذي يعبد رجلًا صالِحًا ووليًا من أولياء الله ليس مثل الذي يعبد الأصنام .

ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يَختلف حكمه عن الذي يعبد الأصنام ، فلا يكفر ، ولا يعتبر عمله هذا شركًا ، ولا يَجوز قتاله .

فنقول : الرسول لَمْ يفرّق بينهم ، بل اعتبرهم مشركين كلّهم ، واستحلّ دماءهم وأموالَهم ، ولَم يفرّق بينهم ، والذين يعبدون المَسيح ، والمَسيح رسول الله ، ومع هذا قاتلهم ، واليهود يعبدون عُزيرًا ، وهو من أنبيائهم ، أو من صالِحيهم ، قاتلهم رسول الله ﷺ ، لَمْ يفرّق بينهم .

فالشرك لا تفريق فيه بين مَنْ يعبُد رجلًا صالِحًا أو يعبُد صنمًا أو حجرًا أو شجرًا ، لأن الشرك هو : عبادة غير الله كائنًا مَنْ كان ، ولهذا يقول : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ، وكلمة ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي تعمّ كلّ شيء ، تعمّ كل مَنْ أشرك مع الله ﷻ من المَلائكة والرسل والصالِحين والأولياء ، والأحجار والأشجار .

رسلان

كانَ نَفَرٌ مِن الإِنْسِ يَعبُدونَ نَفَرًا مِن الجِنِّ ، فأَسْلَمَ الجِنُّ وصارُوا يَعبُـدونَ اللهَ ، ويُخلِصونَ العِبَادةَ لله ، وبَـقِـيَ الَّذينَ عَبدُوهُم مِن الإِنْسِ علَى عِبادَتِهِم لَـهُم ، فَصَـارَ

(١) سورة المائدة ، الآيـة : (٣٥) .

(٢) هذا هو أحدُ قولَي المفسّرين في مَن نزلَتْ فيه هذه الآيـةُ ، أنّها نزلتْ في مَن عَبَدَ المسيحَ وأمَّـه وعُـزَيْـرًا ، انْـظر : =

المعبُودونَ عابِدينَ لله تَـبارَك وتعالَى ، وبَـقِـيَ مَن كانوا علَى عِـبادتِهِم عـلَى عِـبادَتِهِم قائِمينَ (١) .

الآيَةُ تَدُلُّ علَى أنَّه لا يجوزُ أنْ تُصرَفَ العِبادةُ للصَّالحينَ ، سَواءٌ كانوا مِـن الأنبيـاءِ والصِّدِّيقينَ ، أو مِن غَيرِهِم مِن الأولياءِ والصَّالحينَ ، لأنَّ الكُلَّ مُفتقِرٌ إلَى الله عِبادٌ لله .

في الآيَـةِ : دليلٌ على أنَّ هناك مَن يَعبدُ الصَّالحينَ .

[معنَى الوَسِيلَةِ ، وما يُـشْرَع مِنها]

والوَسِيلةُ في اللُّغةِ : الشَّيءُ الَّذي يُتَوَصَّلُ بِـهِ إلَى المَقْصودِ ، فالَّذي يُوصِلُ إلَى رِضَى الله وجَـنَّـتِه هُوَ الوَسيلَةُ إلَى الله ، وهذِهِ هِيَ الوَسيلَةُ المَشْرُوعَةُ في قولِه تعالَى : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (١) .

الفوزان

والقول الثاني : أنها نزلت في أُناسٍ من المُشركين كانوا يعبدون نفرًا من الجن ، فأسلم الجن ولَم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم ، وصاروا يتقرّبون إلَى اللَّه بالطاعة والضَّراعة ويرجون رحمته ويَخافون عذابه ، فهم عبادٌ مُحتاجون فقراء لا يصلُحون

سلسلة شرح الرسائل (٣٢)

للعبادة .

وأيًا كان المُراد بالآية الكريمة ؛ فإنّها تدلّ على أنه لا يَجوز عبادة الصالِحين ، سواءً كانوا من الأنبياء والصدِّيقين ، أو من الأولياء والصالِحين ، فلا تَجوز عبادتهم ، لأنّ الكُل عبادٌ للَّه فقراء إليه ، فكيف يُعبدون مع اللَّه -جل وعلا-؟!

والوسيلة معناها : الطاعة والقُرب ، فهي في اللغة : الشيء الذي يوصِل إلَى المَقصود . فالذي يوصِّل إلَى رضا اللَّه وجنته هو الوسيلة إلَى اللَّه ، هذه هي الوسيلة المَشروعة في قوله تعالى : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] .

رسلان

والدَّليلُ علَى قِتَالِ المشرِكينَ مِن غَيرِ تَفرِيقٍ بَينَهُم علَى حَسَبِ مَعْبُوداتِهم قولُه تعـالَى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ (٢) ؛ فَقولُهُ تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ ﴾ دَلِيلٌ علَى قِتَالِ المُشرِكينَ مِن غَيرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُم علَى حَسَبِ مَعْبُوداتِهِمْ ، فقولُه تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ ﴾ عامٌّ لِكُلِّ المشرِكينَ لم يَسْتَثْنِ رَبُّنَا أَحَدًا ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ الفِتْنَةُ : الشِّرْكُ ، أَيْ : حتَّى لا يُوجَدَ شِرْكٌ بَيْنَهُم ، فَإِنَّهُ يقصِدُ أَيَّ شركٍ ، ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ حتَّى لَا يَكُونَ شِركٌ أَيُّ شِركٍ ، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ وتَكُونَ العِبَادَةُ كلُّها لله .

الفوزان

[١٠] قوله : (والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾)
أي : الدليل على قتال المُشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم ؛ قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ ﴾ ، وهذا عامّ لكل المُشركين ، لَمْ يستثنِ أحدًا ، ثُمَّ قال : ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ والفتنة : الشرك ، أي : لا يوجد شرك ، وهذا عامّ ، أيّ شرك ، سواء الشرك في الأولياء والصالحين ، أو بالأحجار ، أو بالأشجار ، أو بالشمس ، أو بالقمر .

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ : تكون العبادة كلها لله ، ليس فيها شَرِكَةٌ لأحد كائنًا مَنْ كان ، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين ، أو بالأحجار أو بالأشجار ، أو بالشياطين أو غيرهم .

رسلان

﴿وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١) .

في الآيةِ بيانُ أنَّ الأنبياءَ والصَّالحينَ لا يَدعونَ النَّاسَ إلى عِبادةِ أنفُسِهِم ، ولا إلَى الغُلُوِّ فيهِم ، ولا إلَى طَلَبِ قَضاءِ الحَاجَاتِ مِنهُم ، حاشاهُم ، وكُلُّ صالحٍ عُبِدَ مِن دُونِ الله فإنَّه يَتَبَرَّأُ مِن أُولئِكَ العابِدينَ ، ولا يَعتَرِفُ بِعِبادَتِهِم ، و لا يَلْحَقُهُ شَيءٌ مِن المَآثِمِ التِي اقْتَرفُوها ، فَالآيَةُ دَليلٌ عَلَى أنَّ عِبادةَ الأنبياءِ شِركٌ ، وفيها رَدٌّ عَلَى مَن فَرَّقَ في ذلِكَ بَينَ المعبوداتِ ، وفيها رَدٌّ عَلَى مَن زَعَمَ أنَّ الشِّركَ مَقصُورٌ عَلَى عِبادَةِ الأَصْنَامِ فَقَطْ ، فإنَّ مِن الشِّركِ عِبادةَ الأنبياءِ وعِبادةَ الصَّالحينَ ، وقد دَلَّت الآيَةُ عَلَى أنَّ عِبادةَ الأنبياءِ شِركٌ ، وفيها رَدٌّ عَلَى مَن زَعَمَ أنَّ الشِّركَ مقصورٌ عَلَى عِبادةِ الأصنامِ فَقَطْ ، وكثيرٌ مِن المسلمينَ يَقولونَ أنَّه مَضَى الزَّمانُ الذي تُعبَدُ فيهِ الأصنامُ ، وما عَلِمُوا أنَّ الشِّركَ لهُ ضُروبٌ وألوانٌ .

الفوزان

سلسلة شرح الرسائل — ٣٠

ودليل الأنبياء : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦] [١٣] .

[١٣] وقوله : (ودليل الأنبياء . . . . إلخ) هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام .

ففيه ردٌّ على من فرّق في ذلك من عبّاد القبور .

فهذا فيه ردّ على هؤلاء الذين يقولون : إن الشرك عبادة الأصنام ، ولا يسوّى عندهم بين مَن عبد الأصنام وبين مَن عبد وليًّا أو رجلًا صالحًا ، وينكرون التسوية بين هؤلاء ، ويزعمون أن الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط ، وهذا من المُغالَطة الواضحة من ناحيتين :

الناحية الأولى : أنّ الله -جل وعلا- في القرآن أنكر على الجميع ، وأمر بقتال الجميع .

الناحية الثانية : أنّ النّبيﷺ لَمْ يفرّق بين عابدِ صنمٍ وعابدِ ملَك أو رجل صالح .

والأَنْواطُ : جمعُ نَوْطٍ ، وهوَ التَّعليقُ ، أيْ : هـيَ شـجرةٌ ذاتُ تعـاليقَ ، يعلِّقـونَ بهـا أسلحَتَهم للتَّبرُّكِ بها ، قالوا : (اجْعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ) وهذهِ بَليَّةُ التَّقليدِ والتَّشبُّهِ ، وهِيَ منْ أعظمِ البَلايا ، و " مَنْ تَشبَّـهَ بقَومٍ فهُـو مـنهُمْ " [٣] ، وقـدْ تعجَّبَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، واسْتنكرَ ما قالوهُ ، وقالَ : " إنَّهـا السَّـنَنُ " أيْ :

رسلان

(١) سورة الأعراف ، الآيَـة : (١٣٨) .

(٢) الحديث عند أحمَد (٥/ ٢١٨) ، والتِّرمذي (٢١٨٠) ، وابن أبي عاصـم (٧٦) ، وابن حِبَّان (٦٧٠٢) ، وصحَّحه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٦) ، والألبانيُّ في ظـلال الجنَّـة في تخريج كتاب السنَّـة (ص : ٥٤) .

(٣) أخرجه أبوداود (٤٠٣١) ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى في بلُوغ المرام : (صحَّحهُ ابنُ حِبَّان) اهـ ، وقال الصَّنعاني رحمه الله تعالى في السُّبُـلِ (٤/ ٥١٤) : (له شواهدُ عندَ جماعةٍ من أئـمَّةِ الحديثِ عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ تُخرِجُه عن الضَّعفِ) اهـ ؛ فالحديثُ حَسَنٌ لغيرِه .

هيَ السُّبُلَ الَّتي يسلُكُها النَّاسُ ، ويقتَدي بعضُهم ببعضٍ فيها ، و قدْ قالَ منْ قالَ كما قالَتْ بنُو إسرائيلَ لِـمُوسَى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ، فـقالَ مُوسى عليـهِ السَّلام : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ ﴾ أيْ : مُهلَكٌ ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ لِأَنَّـــهُ شِرْكٌ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [١] فالتَّـبرُّكُ بالأشجارِ و العُكُوفُ عندَها شِرْكٌ ، والعُكُوفُ : البَـقاءُ في

يقال لَها : (ذاتُ أنواط) ، والأنواط جمع نوط وهو : التعليق ، أي : ذاتُ تعاليق ، يعلِّقون بهَا أسلحتهم للتبرّك بِهَا ، فقال بعضُ الصحابة الذين أسلموا قريبًا ولَم يعرفوا التوحيد تَمامًا : «اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لَهم ذاتُ أنواط» وهذه بليّة التقليد والتشبُّه ، وهي

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢١٨٠) في الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ، وقال : «حديث حسن صحيح» . وأخرجه أحمد (٥/ ٢١٨) ، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٧٠٢ - الإحسان) .
وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٦) .

سلسلة شرح الرسائل (٣٨) الفوزان

من أعظم البلايا ، فعند ذلك تعجّب النبي ﷺ وقال : «الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !» ، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئًا فإنه يكبِّر ، أو يقول : «سبحان الله» ويكرِّر ذلك .

«إنها السُّنَن» أي : الطُرُق التي يسلُكها الناس ويقتدي بعضهم ببعض ، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتّباع سنن الأولين والتشبُّه بالمُشركين .

«قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨]» .
موسى عليه السلام لَمّا تَجاوز البحر ببني إسرائيل وأغرق اللهُ عدوّهم فيه وهم ينظرون ، مرّوا على أُناسٍ يعكُفون على أصنام لَهم من المُشركين ، فقال هؤلاء لِموسى عليه السلام : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أنكر عليهم وقال : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ يعني : باطل ، ﴿ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه شرك ، ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأعراف : ١٣٩ ، ١٤٠] ،

رسلان

فَلَيْسَ التَّوحيدُ الإقرارَ لله بِالخلقِ وَالملكِ وَالتَّدبيرِ معَ صرفِ العبادةِ لِغَيْرِه ، ليسَ هذا بتَوحيدٍ ، فَهؤلاءِ المشركونَ أَقرُّوا لله بِتَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ وهوَ إفرادُهُ سُبحانهُ بالخلقِ وَالمُلْكِ وَالتَّدبيرِ ، وَمعَ ذلكَ عَبدوا غَيرَهُ فكانوا مُشركينَ ، وَلَمْ يُدخِلْهُمْ إِقْرارُهُمْ ذلكَ في الإسلامِ وَلَمْ يُخرِجْهُمْ مِنَ الكُفرِ .

فهذهِ القاعِدةُ تُبيِّنُ حالَ المؤمنينَ وحالَ المشركينَ ، وَكَثيرٌ منْ أهلِ زَمانِنا وَقَبلَهُمْ يَعْتقدُونَ أنَّ الشِّركَ هوَ أنْ تعتَقدَ أنَّ أَحدًا يَخْلُقُ معَ الله أَو يرزُقُ معَ الله ، هذا هوَ الشِّركُ عِندَهمُ ، عِندَ كثيرٍ منْ أَهلِ زَمانِنا وَقبلَهُمُ ، يَقْصُرونَ الشِّركَ علَى ذلكَ ، أَنْ تَعْتقدَ أَنَّ أَحدًا يَخْلقُ معَ الله أَوْ أَنَّ أَحدًا يرزُقُ معَ الله ، يَقْصُرونَ الشِّركَ على ذلكَ ، معَ أنَّ الكُفَّارَ الَّذينَ قاتَلَهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كانوا مُقرِّينَ بأنَّ اللهَ تعالى هوَ الخالِقُ المُدبِّرُ كما في هذهِ الآيةِ العظيمةِ ، وَلَمْ يُدخِلْهُمْ ذلكَ في الإسلامِ

الفوزان

فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية كما يقول ذلك علماء الكلام والنظار في عقائدهم ، فإنهم يقررون بأنّ التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المُحيي المُميت ، فيقولون : «واحد في ذاته لا قسيم له ، واحد في صفاته لا شبيه له ، واحدٌ في أفعاله لا شريك له» وهذا هو توحيد الربوبية ، ارجعوا إلى أيّ كتاب من كتب

٨- شرح القواعد الأربع ٢١

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة .

فدليل القربة : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] [٦] .

علماء الكلام تجدوهم لا يخرجون عن توحيد الربوبية ، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل ، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه ، لأنّ هذا أقرّ به المُشركون وصناديد الكفرة ، ولَم يُخرجهم من الكفر ، ولَم يُدخلهم في الإسلام ، فهذا غلطٌ عظيم ، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب ، فالذي عليه الآن بعض المثقفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط ، ولا يتطرّقون إلى توحيد الألوهية ، وهذا غلطٌ عظيم في مسمّى التوحيد .

وأما الشرك فيقولون : «هو أن تعتقد أنّ أحدًا يخلق مع الله أو يرزق مع الله» ، نقول : هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب ، ما قالوا : إن أحدًا يخلق مع الله ، ويرزق مع الله ؛ بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المُحيي المُميت .

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾: استِفْهامُ إنكارٍ للتَّوْبِيخ، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ فَذَكَرَ:

* اللَّاتَ ـ بالتَّخفيفِ ـ: صَنَمٌ في الطَّائِفِ، عِبارَةٌ عَن صَخرَةٍ مَنقُوشَةٍ، علَيها بَيتٌ مَبْنِيٌّ وعلَيهِ سَتَائِرُ يُضاهُونَ بِهِ الكَعبَةَ، وعِندَهُ سَدَنَةٌ.

وقُرِئَت ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَّ﴾ ـ بالتَّشديدِ ـ [٣]: هو اسْمُ فاعِلٍ مِن لَتَّ يَلُتُّ:

وهُوَ رَجُلٌ صالِحٌ كانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ [١] لِلحُجَّاجِ، فلَمَّا ماتَ بَنَوا علَى قَبرِهِ بَيتًا وأَرْخَوا علَيهِ السَّتائِرَ، وصاروا يَعبُدونَهُ مِن دُونِ اللهِ تَعالَى.

* والعُزَّى: شَجَراتٌ مِنَ السَّلَمِ في وادِي نَخْلَةَ بَينَ مَكَّةَ والطَّائِفِ، حَولَها بِناءٌ وسَتَائِرُ، وعِندَها سَدَنَةٌ، وفِيها شَياطِينُ يُكَلِّمُونَ النَّاسَ مِن داخِلِها [٢].

* وأمَّا مَناةُ: فَهِيَ صَخرةٌ كبيرَةٌ في مَكانٍ يَقَعُ قَرِيبًا مِن جَبَلِ قُدَيْد بَينَ مَكَّةَ والمَدِينَةَ، وكانَتْ لِخُزَاعَةَ والأَوْسِ والخَزْرَجِ.

هذِهِ الأَصْنامُ المَذكورَةُ هِيَ أَكبرُ أَصنامِ العَرَبِ، قالَ تعالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ هَلْ أَغْنَتْ عَنكُم شَيئًا؟ هَلْ نَفَعَتْكُم أو نَصَرَتْكُم أو دَفَعتْ عنكُم؟ [٣]

رسلان

فقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿اللَّاتَ﴾ -بتخفيف التاء-: اسمُ صنم في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيتٌ مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سَدَنَة، كانوا يعبدونها من دون الله

(٣٥)

٨- شرح القواعد الأربع

الفوزان

عز وجل، وهي لثقيف وما والاهم من القبائل، يفاخِرون بِهَا.

وقُرِئ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَّ﴾ -بتشديد التاء- اسم فاعل من (لَتَّ يلُتُّ)، وهو: رجلٌ صالح كان يلُتُّ السَّويق ويُطعمه للحُجَّاج، فلمَّا مات بنوا على قبره بيتًا، وأرْخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله عز وجل، هذا هو اللاّت.

﴿وَالْعُزَّىٰ﴾: شجرات من السَّلَم في وادي نَخلة بين مكّة والطائف، حَوْلَها بناء وستائر، وعندها سَدَنة، وفيها شياطين يكلّمون الناس، ويظنّ الْجهّال أنّ هذا الذي يكلّمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنوه مع أنّ الذي تكلُّمهم هي الشياطين لتضلّهم عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكّة ومَنْ حولَهم.

﴿وَمَنَاةَ﴾: صخرة كبيرة في مكان يقع قريبًا من جبل قُديد، بين مكّة والْمَدينة، وكانت لِخُزاعة والأوس والْخَزْرج، وكانوا يُحرمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله.

فهذه الأصنام الثلاثة هي أكبر أصنام العرب.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ﴾ هل أغنتكم شيئًا؟، هل نفعتكم؟ هل نصرتكم؟ هل كانت تَخلق وترزق وتُحيي

رسلان

[فَرقٌ آخَرُ بَينَ شِركِ المتقدِّمينَ وشِركِ المتأخِّرينَ] (٣)

وهُنا فَرقٌ آخَر : الأَوَّلُونَ كانوا يَعْـبُدُونَ صالِحِينَ مِن الملائِكـةِ والأنبيـاءِ والأوليـاءِ ، وأمَّا المتأخِّرونَ فَفِي جُملَةِ مَن يَدعُونَ ويَعبُدونَ : أُناسٌ مِن أَفجَـرِ النَّـاسِ ومِـن أَكفَـرِ الخَلْقِ ، ومعَ ذلِكَ يَعبُدونَهُم ويَتَـوَسَّلُونَ بِهِم ، ويَستغِيثُونَ بِهِم ، ومِن هَؤلاءِ مَن كـانَ مِن أَفجَرِ الخَلْقِ كالحَلَّاجِ وابْنِ عَرَبِي وابْنِ سَبعِينَ والبَدَوِيِّ وغَيرِهِم (٤) .

وقَـدْ ساقَ الشَّيخُ الدَّليلَ عَلَى هذهِ القاعِـدةِ وهِيَ الآيَـةُ الكريمَةُ ، وهذِهِ القاعِـدَةُ كالنَّـتيجَـةِ لِـمَا قَـبْلَها مِن القَواعِـدِ .

الفوزان

وأيضًا -كما قال الشيخ في «كشف الشبهات»(١)-: من وجه آخر: (أنَّ الأوَّلين يعبدون أناسًا صالحين من المَلائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أناسًا من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمُّونهم الأقطاب والأغواث لا يصلُّون، ولا يصومون، ولا يتنزهون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم

(١) انظر: كشف الشبهات (ص ١٦٩-١٧٠) ضمن مؤلفات الإمام المُجدِّد/ قسم العقيدة.

بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنَّما هذا للعوام فقط.

وهم يعترفون أنَّ سادتهم لا يصلُّون ولا يصومون، وأنهم لا يتورَّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أناسًا من أفجر الناس: كالحلَّاج، وابن عربي، والرِّفاعي، والبدوي، وغيرهم).

وقد ساق الشيخ الدليل على أنَّ المُشركين المُتأخِّرين أعظم وأغلظ شركًا من الأوَّلين، لأنَّ الأوَّلين يُخلصون في الشدَّة ويُشركون في الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

رسلان

[شِركُ المتأخِّرينَ أَغْلَظُ مِن شِركِ المتقدِّمينَ]

فحَاصِلُ هَـذِهِ القاعِدَةِ : أنَّ المشركينَ في عَصْرِ المصَنِّفِ وبَعْدَهُ أَغلَظُ شِركًا مِن الأَوَّلينَ ، والسَّبَبُ في ذلكَ أنَّ الـمُشركينَ الأَوَّلِينَ كانُوا يُشرِكونَ في الرَّخاءِ ، فإذا وَقَعُوا في الشِّدَّةِ أَخْلَصُوا ، وأمَّا الآخِرُونَ فإنَّهم يُشْرِكونَ في الرَّخاءِ وفي الشِّدَّةِ ، لا يُفَرِّقونَ ، قالَ تعالى في وَصْفِ الأَوَّلِينَ : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ (١) وقالَ تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) ؛ فالأَوَّلُونَ يُشرِكونَ في الرَّخاءِ يَدعونَ الأصنامَ والأَوْثانَ والأحجارَ ، ويَعْبُدونَها في حالةِ الرَّخاءِ ، وإذا وَقَعُوا في الشِّدَّةِ لا يَدعُونَ صنمًا ولا حجَرًا ، ولا مخلُوقًا ولا شجَرًا ، وإنَّما يَدعونَ اللهَ وحدَهُ ، وأمَّا المتأَخِّرونَ فإنَّهُم مُستَمِرٌّ بهِم شِركُهُم في حالِ رَخائِهِم وفي حالِ شِدَّتِهِم ، فإذا اشْتَدَّ بِهِم الأمرُ دَعَوا عبدَ القادرِ والرِّفاعِيَّ والبَدَوِيَّ وغيرَهُم .

الفوزان

[١٧] القاعدة الرابعة –وهي الأخيرة–: أنّ مشركي زماننا أعظم

٨- شرح القواعد الأربع (٤١)

شركًا من الأوّلين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ .

والسبب في ذلك واضح: أنّ الله –جل وعلا– أخبر أن المُشركين الأولين يُخلصون للّه إذا اشتدّ بِهم الأمر ، فلا يدعون غير الله عزّ وجلّ لعلمهم أنه لا يُنقذ من الشدائد إلّا اللّه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧)﴾ [الإسراء: ٦٧] ، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ . يعني: مُخلصين له الدعاء ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢] ، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، فالأوّلون يُشركون في الرخاء، يدعون الأصنام والأحجار والأشجار .

أمّا إذا وقعوا في شدّة وأشرفوا على الهَلاك فإنهم لا يدعون صنمًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا أي مَخلوق، وإنّما يدعون اللّه وحده سبحانه ، فإذا كان لا يُخلّص من الشدائد إلّا اللّه –جل وعلا– فكيف يُدعى غيرُه في الرخاء .

أما مشركو هذا الزمان –يعني: المُتأخرين– الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمّة المُحمديّة فإنّ شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة، لا يُخلصون للّه ولا في حالة الشدّة، بل كلما اشتدّ بِهم الأمر اشتدّ شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر

الباب الثاني عشر

السرقات العلمية في كتابه (شروط «لا إله إلا الله « ونواقض « الإسلام «)!!!

وصف السرقة:

۞ قام محمد سعيد رسلان بفعل عجيب غريب حيث عمد إلى شروط «لا إله إلا الله « ونواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب فطبعها تحت عنوان (شروط «لا إله إلا الله « ونواقض الإسلام)!!! ثم ادعى كذبا وزورا أنه هو الذي قام بتأليفها فقال (تأليف فضيلة الشيخ محمد سعيد رسلان)!!!

۞ لا يظن أحد أن الرسالة شارحة فهي ليست شرحا لشروط «لا إله إلا الله « ونواقض الإسلام وإنما هي قراءة فقط .

فهل محمد سعيد رسلان هو من قام بتأليف شروط «لا إله إلا الله «؟

وهل محمد سعيد رسلان هو من قام بتأليف نواقض الإسلام ؟

فقد جمع بجانب السرقة الواضحة الكذب الفاضح.

۞ قام بطبع آلاف النسخ من هذا الرسالة عدة طبعات في مكتبة (الفرقان) و(أضواء السلف) .


شروط
لا إله إلا الله
ونواقض الإسلام
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى
دار الفرقان
دار أضواء السلف

نواقض لا إله إلا الله

وَذَكَرَ العُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي بَابِ (حُكمِ المرتَدِّ) أَنَّ المُسلِمَ قد يَرتَدُّ عَنْ دِينِهِ -نسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ- بِأَنواعٍ كَثِيرةٍ مِنَ النَّواقِضِ التِي تُحِلُّ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَيَكُونُ بِهَا خَارِجًا مِنَ الإِسلَامِ.

* وَمِنْ أَخطَرِ النَّواقِضِ وَأَكثرِهَا وُقُوعًا عَشْرَةُ نَواقِضَ:

أَوَّلُهَا: الشِّركُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ

عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَمِن ذَلِكَ؛ مِنْ هَذَا الشِّركِ الذِي يَنقُضُ عَقْدَ الإِسلَامِ وَيُخرِجُ مِنَ المِلَّةِ: دُعَاءُ الأَمواتِ، وَالاستِعَانَةُ بِهِمْ، وَالنَّذرُ لَهم، وَالذَّبحُ لَهم، فَكلُّ ذَلِكَ مِن نَوَاقِضِ الإِسلَامِ العَظِيمِ.

وَالنَّاقِضُ الثَّانِي: مَنْ جَعلَ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ وَسَائِطَ يَدعُوهُم وَيَسأَلُهم الشَّفَاعةَ، وَيتوكَّلُ عَلَيهِم؛ فَهذَا قَدْ كَفرَ إِجمَاعًا: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ

فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

فَمَنْ جعلَ بينَهُ وبينَ اللهِ وَسَائِطَ يدعُوهُم، ويسألُهُم الشَّفَاعَةَ، ويتوكَّلُ عليهِم، ويخافُ مِنهُم خوفَ السِّرِّ؛ فَقَدْ كَفرَ إجماعًا بِاتِّفاقِ عُلماءِ المُسلِمِين.

والنَّاقِضُ الثَّالثُ: مَنْ لَمْ يُكفِّرِ المُشرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذهَبَهُم؛ فَإِنَّهُ يكفرُ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقالَ سُبحانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وكَفرَ بِمَا يُعبدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(١). أخرجَهُ مُسلِمٌ.

النَّاقِضُ الرَّابعُ مِن نَواقِضِ الإسلامِ العَظِيمِ: مَنِ اعتقدَ أَنَّ هَدْيَ غيرِ النَّبيِّ ﷺ أكمَلُ مِنْ هَدْيهِ، أَوْ أَنَّ حُكمَ غيرِهِ أحسنُ مِن حُكمِهِ؛ كَالذِينَ يُفضِّلونَ حُكمَ الطَّواغِيتِ عَلَى حُكمِهِ فهوَ كافِرٌ، ومَنِ اعتقدَ أَنَّ الأَنظِمَةَ والقَوانِينَ التي يَسُنُّها النَّاسُ أفضلُ مِن شَريعةِ الإسلامِ، أَوْ أَنَّها مُساويَةٌ لها، أَوْ أَنَّهُ يَجوزُ التَّحاكُمُ إليها ولو اعتقدَ أَنَّ الحُكمَ بالشَّريعةِ أفضلُ، أَوْ أَنَّ نِظامَ الإسلامِ لَا يَصلُحُ تطبيقُهُ فِي

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

القَرنِ العِشرِينَ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ سَبَبًا فِي تَخلُّفِ المُسلِمِينَ، أَوْ أَنَّ الإِسلَامَ يَحصُرُ العَلَاقَةَ بَينَ العَبدِ وَرَبِّهِ فِي المَسجِدِ فَقطْ دُونَ أَنْ يَتدخَّلَ الدِّينُ فِي سَائرِ شُئونِ الحَياةِ.

وَيدخُلُ فِي ذَلِكَ أَيضًا: مَنْ يَرَىٰ أَنَّ إِنفَاذَ حُكمِ اللهِ فِي قَطعِ يَدِ السَّارِقِ، أَوْ بِرَجمِ الزَّانِي المُحصَنِ، لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ الوَقتِ الحَاضِرِ، وَأَنَّهُ وَحشِيَّةٌ يَنبَغِي أَنْ يَرتَفِعَ عَنهَا ذَوقُ النَّاسِ.

وَيدخُلُ فِي ذَلكَ أَيضًا: كُلُّ مَنِ اعتَقَدَ أَنَّهُ يَجُوزُ الحُكمُ بِغَيرِ شَرِيعَةِ اللهِ فِي المُعَامَلاتِ، أَوْ فِي الحُدُودِ، أَوْ فِي غَيرِهِمَا؛ وَإِنْ لَمْ يَعتَقِدْ أَنَّ ذَلِكَ أَفضَلُ مِنْ حُكمِ الشَّرِيعَةِ؛ لأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ استَبَاحَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِمَّا هُوَ مَعلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرورَةِ، ذَلكَ كَمَا فِي الزِّنَا وَالخَمرِ وَالرِّبَا وَالحُكمِ

بِغَيرِ شَرِيعَةِ اللهِ، فَمَنْ فَعلَ شَيئًا مِنْ ذَلِكَ فَهوَ كَافِرٌ بِإِجمَاعِ المُسلِمِينَ.

وَأَمَّا النَاقِضُ الخَامِسُ: فَمَنْ أَبغَضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسولُ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ وَهُوَ مُبغِضٌ لَهُ فَهوَ كَافِرٌ، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

وَأَمَّا النَّاقِضُ السَّادِسُ مِنْ نَوَاقِضِ الإِسلَامِ: فَمَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ ثَوابِهِ أَوْ عِقَابِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكفرُ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

النَّاقِضُ السَّابِعُ: السِّحرُ، فَهوَ نَاقِضٌ لِلإِسلَامِ العَظِيمِ،

الباب الثالث عشر

بعض أمثلة من السرقات العلمية في الخطب والدروس والشروح التي لم تطبع بعد

المثال الأول

السرقات العلمية في سلسلة (شرح كتاب لمعة الاعتقاد)

وصف السرقة:

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (جامع شروح لمعة الاعتقاد) للشيخ العثيمين والشيخ الفوزان و الشيخ صالح آل الشيخ فقام بقراءة الكتاب كاملا في (١٦) محاضرة .
- قام بوضع اسمه على هذه السلسلة على موقعه وعلى اسطوانات مدمجة .
- نسب هذه السلسلة لنفسه ولم ينسب حرفاً واحداً منها لا للكتاب ولا للعلماء ولم يشر إليهم قط.

سلسلة رسلان على موقعه		جامع شروح العلماء	
م	عنوان المحاضرة	من	إلى
1	المقدمة وفيها: ترجمة مختصرة للإمام موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى وقواعد في أسماء الله وصفاته	14	18
2	بداية من «خطبة الكتاب» إلى «معنى الرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، وحكم كل منها»	19	48
3	المُحْكم والمتشابه وأنواع التأويل		
4	فصل: في كلام أئمة السلف في الصفات	52	104
5	تتمة «فصل: في كلام أئمة السلف في الصفات» وفصل: في ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الصفات		
6	إثبات كل من الاستواء والعلو لله تعالى وفصل: في صفة الكلام لله تعالى	105	146
7	فصل: القرآن كلام الله	151	175
8	فصل: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة	183	190
9	فصل: في القضاء والقدر	193	212
10	فصل: في الإيمان وفصل: في السمعيات	221	285
11	أشراط الساعة وعذاب القبر ونعيمه		
12	النفخ في الصور والبعث والحشر والميزان		
13	الحساب والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار		
14	من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحقوق الصحابة رضي الله عنهم	304	314
15	الخلافة وما يتعلق بها ومبحث: في البدع وموقف الأمة من أهلها	315	373
16	من علامات أهل البدع وذكر بعض طوائفهم والخلاف في الفروع		

المثال الثاني

السرقات العلمية في سلسلة (من أسماء الله) [١]

وصف السرقة

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (الأسماء الحسنى والصفات العلى) لعبد الهادي حسن وهبي فقام بقراءة الكتاب كاملا في (١٧) محاضرة .
- قام بوضع اسمه على هذه السلسلة على موقعه وعلى اسطوانات مدمجة .
- نسب هذه السلسلة لنفسه ولم ينسب حرفًا واحداً منها لا للكتاب ولا لصاحب الكتاب ولم يشر إليه قط.

(١) وقد اكتشف هذه السرقة الأخ أبو معاذ محمود الصعيدي – جزاه الله خيرا وقام بإعداد جدولا توضيحيا لهذه السرقة كما سيأتي

	الأشرطة المسروقة لرسلان		الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن	
الشريط الأول	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
صفة العلو للعلي الغفار	1	37	166	178
	37	آخر الشريط	9	23
الشريط الثاني	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
صفة العلو للعلي الغفار	1	آخر الشريط	23	56
الشريط الثالث	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
صفة العلو للعلي الغفار	1	17	56	63
الشريط الثالث	30	آخر الشريط	63	66
الشريط الأول	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول صفة العلو	1	26	179	187
الشريط الثاني	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول صفة العلو	1	24	187	191
	28	34	191	193
	38	44	194	196
الشريط الثالث	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول صفة العلو	4	13	200	203
	21	33	203	209
	37	41	213	214
الشريط الرابع	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول صفة العلو	1	9	214	218
	21	آخره	218	227
الشريط الخامس	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول صفة العلو	1	آخره	227	239
الشريط الأول	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	18	آخره	67	75
الشريط الثاني	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	1	آخره	75	89
الشريط الثالث	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	1	43	88	103
الشريط الرابع	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	1	آخره	103	120
الشريط الخامس	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	1	آخره	119	132
الشريط السادس	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
أقوال علماء السلف في صفة العلو	1	آخره	133	165
شريط واحد	من الدقيقة	إلى الدقيقة	من صفحة	إلى صفحة
شبهات حول حديث النزول	1	آخره	267	281

المثال الثالث

السرقات العلمية في سلسلة (صفة العلو)[١]

وصف السرقة:

- عمد محمد سعيد رسلان إلى كتاب (القواعد الحسان في بيان علو الرحمن) لعبد الهادي حسن وهبي فقام بقراءة الكتاب كاملا في (٧) محاضرات .
- قام بوضع اسمه على هذه السلسلة على موقعه وعلى اسطوانات مدمجة .
- نسب هذه السلسلة لنفسه ولم ينسب حرفا واحدا منها لا للكتاب ولا لصاحب الكتاب ولم يشر إليه قط.
- وقع رسلان ومدير موقعه في الكذب والمراوغة فعندما اكتشفت السرقة قام مدير موقعه بعزو السلسلة إلى صاحبها وادعى أن هذا العزو كان موجودا منذ مدة طويلة من عدة سنوات مع أنه ما قام به إلا لما اكتشفت السرقة فبدلا من أن يتوب السارق من سرقته أضاف إلى جريمة السرقة جريمة أخرى وهي الكذب والافتراء ولكنّ الله فضحهم وبين حالهم كما سيأتي موثقا.

(١) وقد اكتشف هذه السرقة أيضا الأخ أبو معاذ محمود الصعيدي – جزاه الله خيرا وقام بإعداد جدولا توضيحيا لهذه السرقة كما سيأتي

رقم المحاضرة (من صفات الله تعالى)	من الدقيقة	من قول المصنف كتاب "الأسماء الحسنى والصفات العلى"	إلى الدقيقة	من قول المصنف كتاب "الأسماء الحسنى والصفات العلى"	مقدار الصفحات المسروقة
١	١١:١٧	"فهو الهادي الذي قد كمل في هدايته" ص٢٥٩	الأخيرة	إلى آخر فقرة في صفة الهداية ص٢٦٩	١٠ صفحات
٢	الأولى	"فهو الحميد في ذاته وأسمائه وصفات" ص٨٧	٣٧:٣٠	"فهذا هو حال المؤمن كما قال النبي" ص١٠٥	١٨ صفحة
٣	٣:٣٠	"فهو الرحمن الرحيم الذي قد كمل في رحمته" ص١٣	الأخيرة	"وهذه الآية فيها إرشاد إلى تطهير القلوب" ص٤٨	٣٥ صفحة
٤	الأولى	"فهو الغني بذاته ،الذي قد كمل في غناه" ص٦٢	٥٠:٠٠	"إلى آخر فقرة في صفة الغنى" ص٨٠	١٨ صفحة
٥	الأولى	"فهو صفة الرب وفعله ، فإنه سمى نفسه بالشكور" ص١٧٤	٥٢:٠٠	"فإن هذا لا يُحدث له فكرة شكر" ص١٩١	١٨ صفحة
٦	٣:٠٠	"فهو العظيم الذي قد كمل في عظمته" ص١١٦	٣٩:٥١	"حديث: كلمتا خفيفتان على اللسان..." ص١٢٧	١١ صفحة
١/٧	الأولى	"فهو العزيز الذي قد كمل في عزته" ص١٩٣	٢٧:٠٠	"وتنال من الكريم الوهاب جميل الأجر" ص٢٠٠	٧ صفحات
٢/٧	٣٢:٠٠	"عن سهل بن سعد الساعدي ،قال:.." ص٢٠١	٤٣:٠٠	"عن سعد قال: جاء أعرابي إلى رسول الله" ص٢٠٣	٣ صفحات
٣/٧	٤٦:٢١	"فهو الحفيظ الذي قد كمل في حفظه" ص٢٠٧	الأخيرة	"قول ابن القيم: وهو الحفيظ عليهم وهو.." ص٢١٤	٧ صفحات
٨	الأولى	"فهو سبحانه وتعالى الكافي عباده" ص٢١٧	الأخيرة	"فمن الواجب على من عرف أن ربه حليمًا" ص٢٢٦	١٠ صفحات
٩	الأولى	"فهو يرضى لا كأحدٍ من الورى" ص٢٢٧	٧٠:٠٠	"أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر" ص٢٤٧	٢٠ صفحة
١٠	الأولى	"فهو الكريم الذي قد كمل كرمه" ص٢٤٩	٤١:٥٠	"فلا إكرام أعلى من إكرام الله" ص٢٥٨	١٠ صفحة
١١	الأولى	فهو الحكيم الذي قد كمل في حكمته" ص٢٧٤	الأخيرة	"إلى الحديث: إن الله جواد يحب الجود.." ص٢٩١	١٧ صفحة
١٢	الأولى	"فهو الرزاق الذي قد كمل في رزقه" ص٤٩	٥٤:٠٠	"وإذا كان الرزق بيد الله تعالى" ص٦١	١٢ صفحة
١٣	الأولى	"فإنه سبحان وتعالى هو الشافي" ص٣٣٦	الأخيرة	"السبب العاشر من اسباب الشفاء: زمزم" ص٣٥٠	١٤ صفحة
١٤	الأولى	"فو العليم الذي قد كمل في علمه" ص٤١	٤٥:٠٠	"أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه" ص٤٨	٨ صفحات
١/١٥	الأولى	"والمعية نوعان عامة وخاصة" ص٨١	١٧:٣٠	"آخر صفة المعية" ص٨٧	٧ صفحات
٢/١٥	١٧:٠٠	"فو الجميل الذي قد كمل في جمال" ص١١١	٢٩:٠٠	"آخر صفة الجمال" ص١١٥	٥ صفحات
٣/١٥	٢٩:٠٠	"فهو الطيب الذي قد كمل في طيبته" ص١٣٤	٥١:٤١	"آخر صفة الطيبة" ص١٤١	٧ صفحات
٤/١٥	٥٢:٠٠	"فهو المتبارك الذي قد كمل في بركته" ص١٦٠	الأخيرة	"عن عبد الله بن عامر" ص١٦٥	٥ صفحة
١٦	الأولى	"فهو المتبارك الذي قد كمل في بركته" ص١٦٠	٥١:٠٠	"آخر صفة البركة" ص١٧٣	١٣ صفحة
١٧	الأولى	"فهو نور لا يشبه الأنوار" ص٣٢١	الأخيرة	"آخر الكتاب من من صفة المغفرة" ص٣٦٢	١٤ صفحة